

الشعر والمجتمع

في
المملكة العربية السعودية

تأليف

الأستاذ الدكتور مسعد بن عيسى العطوي

أستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

الألوكة

www.alukah.net

الشعر والمجتمع

في
المملكة العربية السعودية

ح) مسعد بن عيد العطوي، ١٤١٧ هـ -
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العطوي، مسعد بن عيد

المجتمع في الشعر السعودي. - الرياض.

٥٢٣ ص، ١٧ x ٢٤ سم

ردمك ٤-٩٤٧-٣١-٩٩٦٠

١- الشعر العربي - السعودية - نقد ٢- الشعر الشعبي - السعودية

أ- العنوان

١٧/٣٢٧٢

ديوي ٨١١،٩٥٣١

رقم الإيداع ١٧/٣٢٧٢

الشعر والمجتمع في المملكة العربية السعودية

تأليف

الأستاذ الدكتور مسعد بن عيسى العطوي

الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله الذي أنار قلوبنا وعقولنا بنور الإيمان ، ونسأله أن يثبت هذا المجتمع بالقول الثابت - وأن يديم وحدته ، ويجمع كلمته ، ويرسخ دعائمه ، وأن يصد عنه عوادي الدهر ، وأن يرعى كيانه ، ويحميه من الإنزلاق ، ويُري مجتمعنا الحق حقاً فيرزقه إتباعه ، ويُريه الباطل باطلاً فيرزقه اجتنابه ، وأن يحمينا من شرور أنفسنا ، وتكالب أعدائنا .

اللهم أرزق مجتمعنا وأفراده الخير ، وأن نكون مصدر خير للمسلمين والبشرية أجمع ، اللهم ألهم مجتمعنا وأفراده النية الحسنة ، والعمل الصالح ، والبناء الفكري المستنير ، والتطور الحضاري المستقيم الذي يسير على نهج نبينا محمد ﷺ وبعد :

فإن دراستي للشعر الاجتماعي في المملكة العربية السعودية تنطوي على محاولة الكشف عن الفكر الاجتماعي مؤثراً ومتأثراً ؛ لأن الشاعر وثيق الصلة بالمجتمع من حوله ، فنفحات المجتمع والبيئة التي يعيش فيها هي التي تمده بمكونات التجربة الشعرية التي يصدر عنها الإبداع ، مما يدلنا على أن الشعر وليد المجتمع ، فهو يحمل جينات بيئته ، وخصائص مجتمعه ، كما يحمل الفرد صفات أسرته ، ولا ريب في تمثيل شعر شعراء بلادنا لمجتمعنا ذلك ما أشرت إليه في مقدمة الطبعة الأولى ، وقد التمس في الطبعة الثانية ، من هذا الإبداع معالم تشكيل ، وتكوين المجتمع السعودي ، وكشف الشعر عن شرائحه المتعددة ، ومظاهر الحياة الحضارية ، والقروية والبدوية ، وأضفت كثيراً من الدراسات على الموضوعات القديمة ، وقد استنتجت بنظريات الكتب الاجتماعية التي تحدثت عن بلادنا .

وقد رأيت أن أحذف مبحث (الغرمة) لكونه يمثل شخصيات متفردة ، فالمبحث أقرب إلى الذاتية منه إلى الاجتماعية .

وأخيراً فصلت القول في مبحث الظواهر الفنية. مما تكشف لي من محال
قراءتي للشعر .

نسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب ، وأن يكتب لي الأجر إنه سميع مجيب .

المؤلف

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله الذي أنبت مجتمعا في مهبط الوحي ، وأورثنا كتابه العزيز ، نهدي بهديه ، ونتعظ بعظاته . ونسأل الله الثبات على دينه القويم ، وأن يسلك بنا السبيل المستقيم ، وأن يحفظ هذا المجتمع الأمانة ، ويؤدي الرسالة . ونصلي ونسلم على سيدنا وقائد الهداة المهتدين ، محمد رسول الله ، عليه أفضل الصلاة والتسليم . أما بعد :

فالشعر العربي واكب الحياة المعاصرة له عبر الأحقاب . فالجاهلي يمثل حياة العرب قبل الإسلام ، والشعر الإسلامي في صدر الإسلام يمثل حياة المجتمع في عهد الرسول ﷺ ، ثم حياة الجهاد والفتوح الإسلامية ، وشعر بني أمية ينقل لنا عودة الحياة القبلية إلى التنافس والتناحر .

والعصر العباسي يمثل لنا شرائح متعددة من المجتمع المتنوع . وشعر الحروب الصليبية جعلنا نعايش المجتمعات في تلك المرحلة . والشعر المعاصر يصور لنا ألونا متعددة من حياة شعوبنا .

والشعر ينقل لنا صراع الفكر في العصر العباسي من الشعورية والزندقة والنحل الأخرى ، وينقل لنا صراع الصوفية والشيعة في العصور المتأخرة . وهو أيضاً يعرض القضايا الاجتماعية عرضاً مسرحياً من حياة المحون واللهو والأسواق والفقر وغيرها . غير أن النقد والتحليل والتفسير للفنون الإبداعية لم يقف طويلاً عند القضايا الاجتماعية ، الأمر الذي لم يجد من طغيان الارتجالية في البذاءة في اللغة والتصوير . ولو أحيطت برعاية التنظير لرأينا أدباً راقياً مضمونياً وفتياً .

إذن فإن الشعر هو سجل لمظاهر الحياة ، حتى ذلك الشعر الوجداني أو الذاتي، فإنه مرآة للمجتمع ، وقضايا المجتمع اليومية تنبع منها حياة الفرد اليومية . والشاعر أحد الأفراد فهو يفيض بها . ومن هنا فإن صدقه الفني لا يشوبه الشك .

وإذا عرج الباحث على شبه الجزيرة العربية ، وأفرادها بالبحث فإنه يجد ملامح لمجتمعها في الشعر الجاهلي ، ونلمح الحياة الاجتماعية للدولة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ وخلفائه ؓ في المدينة المنورة ، وندرك صدق تصوير الشعر الأموي لمجتمع شبه الجزيرة في عصر بني .

ثم أخذت تتضاءل صورة المجتمع فيها لتتناقص الشعر الذي يصل إلينا حتى استشعر الباحث فقد حلقات صور المجتمع عبر العصور التالية لا سيما من القرن الخامس حتى الحادي عشر . وقد دعاني هذا الفراغ والخشية من تواصل هذه الحلقات المجهولة إلى أن أقدم هذه الدراسة ؛ لعلها تسجل الحلقة المعاصرة ، أو تفتح باباً لدراسات أكثر شمولية .

والمملكة العربية السعودية ضمت مساحة كبرى من شبه الجزيرة العربية ، فشعر شعرائها المعاصرين يمثل الأقاليم المختلفة ، ونلمح فيه الخاصية لكل مدينة أو إقليم . لكن توحيد البلاد والتفاهم حول العقيدة الإسلامية والغاية الواحدة ؛ من الوحدة وتقدم المجتمع ووصف النهضة المتناسقة في البلاد جعل السمات المشتركة هي الأكثر ، بل يتقارب نتاجه لدرجة التشابه . وهذا ما دعاني إلى القول : إن الشعر في البلاد السعودية يمثل شريحة كبرى من مجتمع شبه الجزيرة . ومن الدوافع إلى ذلك عنائي بالفكر الأدبي ، تلك الفكرة التي أرى تكثيف الأبحاث حولها ، وصلها ، وتتبع ظاهرتها في الأدب العربي .

ومهما قلنا عن إشكالية الجمال في الأدب فإن هذه الجمالية تكون حلة أو حلاً لمضامين فكرية ، واستقطاب الفكر الاجتماعي في أدبنا السعودي زادني قناعة ، بل كان برهاناً لي على رسوخ الفكرة . ومن هنا فلنني أعجبت بالفكر الأدبي الذي صحب مراحل أدبنا المعاصر .

والناظر في المجتمع من خلال الشعر يدرك واقع المجتمع ، ويكبر في عينه الشعراء الأوائل الذين استمطروا القضايا الاجتماعية . وموضوع الشعر في بلادنا

بعد منتصف القرن الرابع عشر الهجري يدور حله في ذلك المجتمع ، مما جعلني أجد موضوعات شتى في دواوين الشعر السعودي عامة . بل إن هذه الموضوعات تنطور مع تطور المجتمع وتناميه ، فينحسر بعضها بعد أداء الدور ، ويتألق موضوع آخر نتيجة لرسوخه في كيان المجتمع .

وأدباؤنا لهم اتصالهم بالمجتمع ، وإدراك قضاياها . فهم يعايشونه اجتماعياً ، قراءة لحالته ، واستبانة لمطالبه وتوجهاته . ولكن لا يمكن أن يكون ذلك ديدن الشعراء عامة ، فهناك الذي توارى خلف فكره ، ولم يثره الإبداع الاجتماعي ، مثل حسين سرحان ، وحمزة شحاته ، وفلاي . وهؤلاء ربما وقفوا عند القضايا المثالية للفكر .

وكل من يطلع على شعرنا السعودي المعاصر الذي نشر في ثنايا الصحف أوطلع علينا في بعض المختارات الشعرية مثل " وحي الصحراء " وشعراء نجد المعاصرون ، و " الشعر في هجر " ، وغيرها . يدرك أن الالتزام بالفكر الإسلامي يمثل الإطار الذي يحف بالشعر ولا يخرج عن حدوده . ويدرك أيضاً مدى عناية الشعر بالفكر الاجتماعي وتطور مراحل المجتمع في زمن وحدة البلاد بقيادة الملك عبدالعزيز (رحمه الله) ، ثم الدعوة إلى التقدم والتطور ، والدعوة إلى مكونات أسسه التي تلائم عصرنا الحاضر .

وشعرنا في هذه المرحلة لا يمثل النظرة الداخلية لمجتمعنا فحسب ، وإنما يشمل مكونات العناصر الحياتية للفرد المسلم ، وللمجتمع الإسلامي ، ويتكامل مع المجتمع العربي الذي يحمل راية الإسلام ولسانه العربي . فقد كانت الوحدة العربية مطلباً عزيزاً في شعرنا رداً من الزمن ، ثم جاءت مرحلة الدعوة إلى التضامن الإسلامي في عهد الملك فيصل (رحمه الله) ، وهم استشعروا القضايا الفكرية للفرد والإنسانية والمجتمع ، وفاضت بها تجاربهم الإبداعية .

والشعر السعودي تلبس بالقضايا الإسلامية والعربية الملحة ، مثل قضايا

الاستعمار ، فدواوين الشعراء زحرت بالكم الهائل من الشعر في قضية الجزائر ،
وفلسطين ، وأفغانستان ، والبوسنة ، والمهرسك وغيرها .

ولا غرابة في ذلك ؛ فإن الشعر نفع الشعور ، نتيجة للفتح العوامل الخارجية،
مما جعل قضاياها تتحدد ، وما أكثر مآسي المجتمع الإسلامي التي تتعاقب !؟ ومن
هنا فإن حتمية التأثر تبلور في إبداع الشاعر فهو جزء من الحياة ، وتفاعل
جوانبها وقضاياها . وما أصدق مقولة (كولردج) : إن الأدب " نقد للحياة "
أو " تفسير لها " (١) .

وقضايا الفكر في شعرنا متعددة لا يحلوها إلا دراسات متجددة ، ولذا فإني
أقتصر بمحشي هذا على قضايا المجتمع الداخلي والفكر الموطر لآمال الشعراء
وتطلعاتهم .

المؤلف

(١) عز الدين إسماعيل ، الشعر في إطار العصر التنويري ١٠٠٨ .

تمهيد :

إن الباحثين من علماء الاجتماع أقاموا نظرية تكوين الجماعة على بعض الإشراقات التي انتقلت إليهم من بعض الأديان ، لكنها لم تصل إليهم إلا وقد علتها الضبابية ، وغلب عليها التفكير الفلسفي ، والمنهج المنطقي ، فهم يعودون إلى الفطرة وإلى مكونات الخير والشر في الإنسان ، وأنها دوافع لتكوين الجماعة . فهذا هوبز يرى ((أن المصلحة الذاتية هي المحرك الأساسي للسلوك الإنساني حيث كانت دوافعه في مرحلة الفطرة تتمثل في مصلحة الأناية دون أن يعرف العقل أو مصلحة الآخرين)) إذن فهو يقوم على حب ذاته وكل من الأفراد يسعى لذلك . ومن هنا حدث الصراع المرير بين الأفراد ، ولا قانون أو تنظيم أو سلطة ترد الفرد عن شروره ، فاقضى التعاقد مع الآخرين على أن يتنازل الأفراد عن الحقوق الطبيعية وحررياتهم تنازلاً غير مشروط من أجل أن تنتظم الجماعة ويسودها حاكم ، وبالتالي ليس من حق الجماعة تغييره ، فكان على الإنسان منذ البداية أن يختار بين السلطة المطلقة والفوضى الكاملة))^(١) ، وفي هذا تحول من إفراط في الذاتية إلى تفريط مضاد من أجل الجماعة ، والإفراط في كلا الناحيتين أمر يحمل شروراً كثيرة ، والاعتدال بين الذاتية والموضوعية أولى .

أما (جون لوك) فهو يرى أن تكوين الجماعة يعود للفطرة لكن هوبز يرى أن تلك الفطرة تقوم على الأنا أما جون لوك ؛ فإن الفطرة عنده ((تنسم بالسلام والصفاء والإرادة الخيرة والحرية والمساواة)) ولالإفراط في هذه شعر الناس بضرورة تنظيمها ، لهذا فهم طواعية قد قرروا إبرام عقد اجتماعي يتنازل فيه كل منهم عن بعض حقوقه لا عن حقوقه كلها من أجل إقامة المجتمع الإنساني))^(٢) .

(١) د. محمد علوان : مفهوم إسلامي جديد لعلم الاجتماع ١٤ .

(٢) المرجع السابق ١٥ .

وينتقد الدكتور محمد علوان الرأي الأخير بقوله : ((إن تفكير لوك - رغم استحسان رجال الاجتماع والسياسة له - منحرف حيث يتصور أن حالة الفطرة كانت خيراً محضاً ، وسلاماً محضاً ، فليس هناك خير محض أو سلام محض ، وإلفسد المجتمع الإنساني ، وفقد ميزة الدفع التي خلقها الله في الإنسان من أجل تقدم الجماعة البشرية)) (١) .

وحتى الدكتور محمد علوان فات عليه أن آدم عليه السلام أنزله الله إلى الأرض وقد أودعه غريزة حب الأبوة ، وحب الأمومة عند حوى وعنصر الحب هذا هو منطلق تكوين الجماعة ، ومعيشة الأسرة الصغيرة نموذج للجماعات الأكبر ، فحب الذات منفرس في روح الفرد ، وكذلك حب الجماعة ، والعقل يوجد الاعتدال بينهما ، ثم الإلهام الإلهي لأبي البشرية الذي صحب سلوكه أرسى ذلك . أضف إلى ذلك النزعة الدينية الخيرة المنفرسة في نفس آدم وذريته ، وإن تفاوتوا في ذلك .

فظهر أجماعان في أبنائه فمنهم من غلبت عليه النية السليمة والعقل المتعظ المعتدل ، ومنهم من غلبت عليه النفس الشريرة ، ويمثل هذا الاتجاه هايبيل وقايل ، ومن هنا ؛ فإن التاريخ يثبت الصراع بين الشريحتين ، وأيضاً بعث الله الأنبياء من أبناء آدم ليوجدوا الاعتدال (٢) . وأتصور أن الحكم بيد هؤلاء الصالحين لكن لا يمنع وقوع الشر من الأفراد ، وبدأت تضطرب الأحوال بعد أن حجب الله بعث الرسل فترة من الزمن حتى ظهر نوح أو إدريس عليهما السلام ، وهكذا تكون سنة الجماعة وتكوينها . وليس هناك مدعاة للمنطقية أو الآراء الفلسفية ، أو لو اعتمد علماء الاجتماع على هذا لظهرت الآراء أكثر صواباً .

وديوان الشاعر محمد قفي يمثل تلك الفلسفة كقوله :

(١) المرجع السابق ١٦ .

(٢) انظر : مروج الذهب للمسعودي الجزء الأول .

يانا من عصبة مفتولة بالهوى مشهولة بالزهوات
كلمها حولها الرشد إلى دربه حادت إلى درب الغواية
فإذا لجأت به واستمتعت بهاء .. حاولت درب النجاة
فإذا بالدرب مدود بمسا راكمته من شيت الموبقات

ثم يعود إلى التبتعة الكبرى التي أرادها الله تلك الرحمة التي يرحوها المسلم
سلافك وما تلقى سوى رحمة منك على الذنب العظيم
ولقد تعدنا شفقوتنا فبلاقي البر ما يلقى الأليم
لرحمي الجنة من بازئنا ثم نصلي لغويات المرجيم^(١)

ومن هنا كان التوجه الرباني للملازم للإنسان عامل من عوامل تكوين المجتمع
أو روابطه ، وتكوين الجماعة أمر فطري وضروري للحياة .

والمجتمع البشري من أهم مقومات العمارة الإنسانية والأرضية ، وفهم طبيعة
المجتمع البشري ووضع أهدافه وغاياته التي تتلاحم لما خلق له من عبادة خالق
الكون وعمارة الأرضين ، ثم الإبحار في منهجه الفردي والجمعي ، وخصائصه
ومتطلباته الحياتية ، من وظائف يؤديها ، وتأزر ، وتنافس ، وإيثار ، وصلاح نية ،
وحدود جغرافية ، كل هذه مقومات للمجتمع ، والحفاظة عليها أعظم قدرة من
مراحل تكوينها الأولى مع عظمها أيضاً ؛ ولأنها محفوفة بالمخاطر ، وبحركة
متغيرة ، وبصراع داخلي وآخر خارجي ، فإن الفكر البشري اهتدى إلى دراسات
ليفهم طبيعة كل مجتمع ، ويحدد أسس مقوماته ، وأسس قيمه ، وثوابته ومتغيراته
، وعوامل المؤثرات الخارجية والحركة الداخلية . وقد تمّ لفت انتباه ابن خلدون
المجتمع الحضري العمراني ، والمجتمع القروي والبدوي^(٢) . والمجتمع ليس ضرورة
حتمية للإنسان فحسب ، وإنما هو ضرورة لتطوره الفكري والعمراني ؛ لتكامل

(١) الديوان : ١٦٥/١ .

(٢) انظر : مقدمة ابن خلدون ، ١٢٠ ، الطبعة السابعة ١٤٠٩ هـ ، دار القلم ، بيروت .

ضرورياته وكمالياته ، ولتكامل معاشه وصحته .

وكانت الجزيرة أنماطاً متعددة من الجماعات ، من مدن لا ترقى إلى حجم الإقليم ، وإلى بلدان وقرى ، والغالبية العظمى جماعات من القبائل الرحل . وتلك تمازجت وكونت المجتمع في بلادنا ، وانبثقت عناصر المجتمع الجديد من جماعات وشرائح أخرى متعاونة متآزره تسعى إلى متطلبات الحياة الفردية والاجتماعية ، كيما تشبع الاحتياجات وتبج الوظائف للمجتمع للنهوض به وتكامله وتنميته وإشباع رغبة الفرد والشرائح الأخرى .

والمجتمع يكون متعاضداً إذا تكاملت النظرية الواقعية من الجوانب الاجتماعية والثقافية والفردية . وقد أكد علماء الاجتماع ((على استمرارية التفاعل الدائر بين الفرد وثقافته ومجتمعه ، وأن شخصية الفرد تتشكل من خلال تفاعله مع الثقافة والمجتمع الذي ينتمي إليه)) (١) .

والمجتمع العنصر الأول لقيام الدولة ، والدولة إكسبر الحياة للمجتمع فهي الموجهة له . ومن هنا نجد أن الملك عبدالعزيز عند بنائه الدولة عني عناية كبرى بالمكونات الثلاثة ، فبدأ بمحور التكوين الثقافي ، وهو الدعوة إلى الله وتوحيد الاتجاه بمذهب السلف ، ووحدة المجتمع ليلتف تحت هذا المبدأ . ثم أخذ في تنمية ثقافة الفرد في ذلكم الإطار ، فانتشرت المدارس والمعاهد التي لا تتعارض فكراً ، وإنما تتآزر . ثم تلاها الجماعات التي يكمل بعضها بعضاً . وفتح باب التنوير الثقافي على العالم إلى جانب انطلاقات الجمعيات الاقتصادية والعوامل المساعدة لها، من بناء الطرق ، وتنشيط الزراعة والصناعة .

والتأمل في تكوين مجتمعنا يلهج بقدرة الإدارة السياسية على التوازن والاعتدال في العمليات الاجتماعية التي تدور حول التدرج الاجتماعي وتمييزه . فقد أخذت تحسر الإذعان القبلي وتعطي الفرد أحقية لقدراته واجتهاده وإبداعه .

(١) د . علي شتا ، المجتمع البشري ٩/٤ .

ويقوم عملها على تعاون المجتمع وتوافقه ، وزرع روح التنافس بين أفرادها ، لا بجمعاته ، والحيلولة دون تنامي التنافس الذي يصل إلى مرحلة الصراع .

ومن هنا فإن الدولة عملت على توحيد المكونات الذهنية للتنشئة الاجتماعية وعالمنا المعاصر لا مناص له من تمازج مما يجعل المجتمع أحوج ما يكون إلى سلطة تضبطه وتحول دون انحرافه ، وتسعى إلى تكامله ، وتنظر نظرة علمية منهجية إلى التغيرات الاجتماعية لتثبيت الثوابت التي تخضع للتوجيه الرباني التوقيفي ، ودعم قدرته الفكرية والانتاجية ، مع المحافظة على قيمه ومعاييرها ومن هنا ؛ فإن الدولة عملت على توحيد المكونات الذهنية للتنشئة الاجتماعية ، مما جعل لمجتمعنا ثقافته وسلوكياته المتميزة التي يتمثل بها جل أفراد المجتمع يدرك ويقنع بمثلها ، ويحرص على ثباتها ، وإن خالفها أحياناً مما جعلنا نشعر بقوة الانتماء لعقيدة المجتمع ، والانتماء للوطن ، من حيث قدسيته وكونه موطناً ، والقناعة بأهمية مجتمعه المتوارث .

وقد حبا الله بمجتمعنا ووطننا بموارد مالية جعلته مكثيفاً بذاته ، وبإذلاً مساعداته وبانياً لمقومات الحياة .

إن بناء المجتمع في المملكة العربية السعودية قام على عملية التلاحم بين شرائحه المتعددة ، ساعد على ذلك قيام دولة قوية ، واجتنب التخبط في متهاتم الفكر والنحل العقائدية والدستورية بأن جعلت غايتها توحيد الأمة تحت لواء التشريع الإسلامي الخفيف . فالتخذت منهجاً في الحكم والقضاء وسائر مناحي الحياة الفردية والاجتماعية . الأمر الذي ارتضاه أبناء الجزيرة قاطبة ، فاستجابوا لهذا النداء المبارك ، وارتضوا شرع الله ، وأعرضوا عن تحكيم القبيلة .

ثم إن التنادي الوطني للنهوض الاجتماعي من كبوة التخلف ، والوعي الذي بذره وبثه قادة البلاد من منفذين ومفكرين أمر يدعو للإعجاب والإقتداء ، حيث تعاضد أبناء الشعب فأخذوا يبنون فكراً ، فيتعلمون حسب المتاح ، وكل يعلم

علمه ، حتى انتشر التعليم في فترة زمنية قصيرة ، وفي مساحة مكانية واسعة ، فقد بادرت الدولة إلى افتتاح المدارس ، وأتاحت الفرصة لكل متعلم وإن لم يحمل موهباً أن يعلم غيره .

فكان رجال البادية لا يرغبون في تدريس أولادهم ، ويعزفون عن الاستقرار، فكان دور الأمراء والولاة إقناعهم بالتعليم ، بل وضعوا مكافأة لمن ينتظم في الدراسة ، وقد التحق بهذه الجيل الذي سبقنا بعشر سنين أي ما يقارب عام ١٣٧٠هـ في المدن النائية أما القرية فهي شهدت إنطلاقة التعليم بعد الخمسين.

وبادرت الدولة إلى حث المجتمع على الاستقرار ، وبناء العمران ، والنهوض، وساعدت على ذلك بتوزيع أراضي سكنية لمن يرغب ذلك ، بل إن الأمير خالد بن أحمد السديري أمير تبوك ، كان ينادي في الأسواق على أبناء البادية ليوزع عليهم الأرض السكنية والزراعية بلا مقابل ، وذلك فيما يقارب عام ١٣٧٠هـ . وأخذ الناس ينون العمران بسواعدهم حسب قدراتهم^(١) .

وتبلورت قضية التمازج الاجتماعي حيث تنادى الشعب إلى العمل في كل زمان ومكان في شتى مدن المملكة العربية السعودية ، فتجلت ظاهرة من أفضل الظواهر الاجتماعية ، هي عملية التمازج بين أبناء الوطن ، فتزى ظاهرتيه في كل مدينة من المدن ، حيث التجاور والتحاب والتصاهر . وأخذ الكثير من أبناء المجتمع يفضل الإقامة في المدن التي يعمل فيها على العودة إلى مسقط رأسه . ونتيجة لتنامي المدن نهضت التجارة ، ومارس بعض المجتمع الزراعة ، وتنامت العمالة في العمران وغيره .

ومن العوامل التي أسهمت في بناء المجتمع استقطاب العقول . فكان لعقيلة الملك عبدالعزيز الأثر البارز ؛ لأن اختيار الرجل جزء من عقله ، وهو انتقى

(١) مشافهة عن الوالد وغيره .

رجالاً كانوا أهلاً للقيادة . فعقولهم متنورة متفتحة ، واعية بمتطلبات المجتمع فكانت قراراتهم من التوفيق بمكان . وكانت استشارتهم تضيء الطرق الداجية .
وناحية أخرى هي استقطاب العقول من الأقطار العربية مما جعلهم يسهمون في بناء الحياة الاجتماعية ، فترسخت أركان البناء ، ومد كل من الأمن والاستقرار والتعليم أطنابه في الجزيرة .

وبفضل الله تهيأت عوامل البناء ، وقد وجدت أرضية صالحة لتنامي النهضة وثبات التلاحم ومداومة إصلاحه ، وصيانتته من النهتك والانذار . وهناك عوامل الوقاية التي تنمي فيه القوة وتحميه من استئراء الأمراض وتكالبها ، وهذه ظواهر لا بد منها في المجتمعات إذا لم تؤخذ الحيطة والحذر .

وأبناء الجزيرة العربية شأنهم شأن العرب في مصر والشام والعراق ، فقد عاشوا مأساة أوطانهم والعالم العربي والإسلامي . فقد كان لانسلاخ الدولة التركية من ربة الخلافة الإسلامية أثره العميق في نفوس المسلمين ، وكانت غصة المثقفين والمفكرين العرب ضد العنصرية التركية التي جعلتها الخلافة حاجسها الأول وحسب ، مما عجل بتناقص الخلافة من أطرافها قبيل التحلل منها . فالمفكرون العرب نادوا ، لا يقصد التحلل من الوحدة الإسلامية ، لكن يقصد التكتل للخلاص من واقعهم . ثم تحولت في بعض الأقطار إلى الدعوة للقومية .

وأبناء الجزيرة من أولئك المنادين بالنهضة الاجتماعية والوطنية جنباً إلى جنب مع إخوانهم العرب ، غير أن أدباءنا نادوا بالثقافة والوعي الاجتماعي في إطار الوحدة في الجزيرة ، وتحتم مظلة الاتجاه السلفي الذي يتمثل في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) فصحح مسار الاتجاه الفكري للأدب ، حيث إن دعوات الأدباء الإصلاحية تنطلق من القاعدة الإيمانية ، فغلب الاتجاه النفعي والمباشر لمعالجة القضايا في الشعر والنثر ، فدعوا إلى الإصلاح ، وبناء الصرح التعليمي والثقافي ، وتبعوا قضايا المجتمع ، ليس المستجد منها وحسب ، وإنما

أطروا منهاجاً جديداً لمجتمع في عهد التكوين . والذي يقرأ الأدب في بلادنا الذي ظهر بعد عام ١٣٤٣هـ حتى أيامنا هذه يجد معالم ذلك الأدب بارزة في مساراتنا الفكرية والثقافية والأسس الاجتماعية ، لا سيما التي تبنتها الدولة ، مما يدل على عملية التلاحم والانسجام بين التفكير والتنفيذ .

المجتمع قبل توحيد البلاد :

عندما ندرس مجتمع الجزيرة قبل توحيد البلاد من خلال ظواهره الاجتماعية والتفاعل بين كياناته نجده يقوم على عوامل التآكل الداخلي . فوامل الضعف أعمق وأظهر من عوامل بنائه وتماسكه وقوته ، فالقبيلة قائمة على أعمدتها المتينة المتجذرة قبل الإسلام وبعده ، وهي تحمل خاصية الضعف للقبيلة ذاتها ، وتحمل خاصية الضعف للقبائل المجاورة . فخاصية الضعف الذاتية تتمحور في الثأر ، فالقبيلة الكبيرة يتصارع أفرادها كثيراً . أما خاصية الضعف للقبائل الأخرى فتقوم على الثأر أيضاً ، وعلى التنافس في طلب الرزق ، والتفاخر بالحروب الداخلية ، فالقبيلة ترى أن النصر على القبيلة المجاورة لها أطلب وأكد من النصر على النائية ، إذن فالعلاقات حربية لا مصلحة ذلك يؤدي إلى تدمير الفكر ونضوبه .

والعنصر الآخر الأقل يقوم على الإقليمية ، والإقليمية تنحذر فيها عناصر التآكل الداخلي ، من حروب القبائل بعضها مع بعض ، وحروب القبائل مع البلدات المتحضرة ، فالإقليم يضعف ذاته بعناصره .

والإمارات التي تهيمن على بعض أقاليم الجزيرة إنما تقوم على القبيلة والإقليمية ، فتشعر بالمهلكات السابقات ، وتتنافس مع بعضها ليكون الضعف الشامل ، حتى ظهرت الدولة السعودية الأولى التي انسلخت من السلبيات السابقة ، واحتضنت الدعوة الإسلامية ورفع رايتها ، والعمل بشرعها ، وقد أخذت تنامي وتقف في وجه التآكل ، حتى التفت الأقاليم والقبائل حولها ؛ لتبدأ

مرحلة ضمور وخفوت العصبية القبلية والإقليمية ، وحل مكانها الانتماء الديني والوطني ، وإن لم يظهر ذلك إلا في المرحلة الثالثة بتوحيد الملك عبدالعزيز آل سعود (رحمه الله) لمعظم شبه الجزيرة العربية .

والواقع أن الملك عبدالعزيز لم يكن هو ولا مستشاروه على علم بعلم الاجتماع ، ولكنه الاستقلال بشرع الله والوعي بتعاليمه ، هو الذي أرسى ذلك المجتمع فنفى عنه تلك السلبيات ، وأخذ بصياغة عوامل إيجابية لتكوين مجتمع جديد ينبثق من عقيدة واحدة ، وله أهداف موحدة ، وله نظمه العامة . ونحن عندما ندرس معالم المكونات الاجتماعية من خلال دراسة علم المجتمع نجد أن ما حدث يتوافق مع الظواهر الاجتماعية العامة .

والشعراء صوروا حالة أبناء الجزيرة العربية قبل توحيد البلاد ، فالشاعر ابن عثيمين^(١) . عاش تلك الحياة في نجد ورأى ما رأى ، وكابد كما كابد أهلها وارتاع مثله مثل كل فرد في الجزيرة ، فالتباغض والنهب والسلب يقول :

فقد كان في نجد قيل ظهوره من المهرج ما يبكي العيون تفاصله^(٢)
تهارش هذا الناس في كل بلدة ومن يتعد السور فالذئب آكله^(٣)
فما بين مسلوب وما بين سالب وآخر مقتول وهذاك قاتله^(٤)

فالعمران الفكري وعمران البناء هما ثمرة للأمن أولاً ، وقد أضحت الجزيرة صحراء قاحلة من العمرانيين معاً نتيجة لفقدان الأمن والاستقرار ، ولا حياة

(١) محمد بن عبد الله بن عثيمين ، ولد عام ١٢٧٠هـ في بلدة السليمة من أعمال الخرج ، صحب الملك عبدالعزيز ، مات عام ١٣٦٣هـ . وله ديوان (المعقد الثمين) . انظر : الموجز في الأدب العربي السعودي ٢٩ .

(٢) المهرج : الاختلاف والقتل . تفاصله : تفصيله وذكره .

(٣) تهارش : تحارش وتقاطع يتعدى : يتجاوز ويخرج من سور بلده ، الذئب : العدو . آكله : قاتله أو سالبه .

(٤) الديوان : ٢٤٧ .

حضرية إلا في قرى وبلدان تجتاحها الكوارث دائماً ، ما عدا مكة المكرمة والمدينة المنورة ، تشع منهما إضاءة العلم والإشراق لوجود الحرمين الشريفين ، ولقيام دويلات فيهما ، ولأن الخلافتين العباسية والفاطمية ترعاهما ، وأتى بعدهما الأيوبيون والمماليك .

ولم يظلل الأمن الجزيرة إلا في عهد الملك عبدالعزيز بتوحيد البلاد الذي أعلنت نتيجته رسمياً في عام ١٣٥١هـ . وقد قارن الشعراء الذين عايشوا المرحلتين معاً : مرحلة الاضطراب والقتل والنهب والسلب وقطع طريق الحاج ، ثم نعموا بحالة الأمن والاستقرار وأم الناس بيت الله الحرام زرافات ووحدانا في أمن وحماية وخدمة ، آمنين على نفوسهم وأعراضهم وأموالهم . يصف الغزاوي(١) حالة الجزيرة قبل توحيدها تحت قيادة الملك عبدالعزيز في قصيدة قالها في ١٣٥٦/١٢/١٨هـ . فهو يتحدث عن واقع عايشه وعاصره ، فأبناء الجزيرة مثل البحر المائج الهائج يقذف بموجه ، ويتلع كل من يقف في وجهه ، فلا إنسانية لإنسان ، ولا قيمة للبريء فهو معتدى عليه لا محالة ، ولا نظام أو دستور يحد من طيش المسيء المعتدي ، والحكم والنفوذ للقوي فهو المستبد ، وأمره الناقد ، مهما كان جائراً ، فإن النهب والإغارة على المساكن الآمنة ، وترويع النساء والأطفال؛ أمر واقع :-

ورأي القوم في (الجزيرة) بحراً	زاخراً البغي ممعناً في الفتاته
يتحدى البريء فهو مريب	ومعد المسيء في إعناته
ويسود القوي منهم فيمضي	جوره فيهم على علاته
كما شاء كان ما هو يهوى	ولو اغتال أمة بهناته

(١) أحمد إبراهيم الغزاوي ، ولد عام ١٣١٨هـ في مكة المكرمة ، وشهد توحيد البلاد ونظور النهضة، لازم الملك عبدالعزيز وأبناءه : الملك سعود والملك فيصل ، والملك خالد . مات عام ١٤٠١هـ انظر : كتابي (أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية) .

وهو يرصد الجناة ، فهم في كل واد وكل جبل على الطرقات والمنافذ ،
يفتكرون بالمسافر بل بالقوافل ، فينتظرون المسافرين ، ليباغتهم ويقتلون وينهبون
أسلحتهم وأمواهم ومطاياهم ، ونحن أدركنا أحاديث متقدمي السن التي تماثل هذا
بما لا نستطيع تصويره في هذا المكان ، والشاعر يقسم أصحاب النفوذ مع ضعف
شأنهم ، فمنهم المنشغل بملذاته ، وهم الأقل والأكثر الشريك الذي تجبى
إليه السهام .

وجامع كل ذلك إراقة الدماء بقتل الأنفس البريئة نتيجة لأطماع حقيرة ،
ونفوس شريرة تستفرها كلمة من الكلمات :

وتخوم البلاد في كل وادٍ	مرصد للطفاة في هضباته
يكمن الموت عابساً مستتراً	في دياجيه - تارة - وفي ضحواته
وأولو الثأن سابح في خيال	أو مكب يفقن في لذاته
أو شريك تجبي السهام إليه	أو جريء همومه في غزاته
ودم مرهق على غير حد	في حمى الله مهرق بفلاته
أهدرته الأطماع إماماً وبغيماً	واستهانت بالله في حرماته
والمنايا رهن الـ"فاه انطلاقاً	كلما اغتصص شارب بلهاته

ويقارن تلك الحالة الغابرة بالأمن الوارفة ظلالة على أرجاء الجزيرة في قمم

جبالها وبطن أوديتها وفيافيها وفي مدنها وقراها، فيقول :

تلك حالة تبدلت واستحالت	ما يراه الحجيج في خطواته
انجز الله وعده وتجلت	قدرة أيديت عظيم صفاته
أمن الناس حيث كانا وناموا	ملء أجفانهم بكل جهاته
يقطعون العسف البعيد من البحر	مر إلى البحر وأزوادهم على طرقاته
وعمر البادي العبور فيمضي	مسرعاً خائفاً في نظراته
يتمنى لو أنه حاد عنها	وهو في الحق واثق من براته

منع الحد والقصاص التعسدي كل جان مصفد بأداته(١)
 إذن فيتضح عظمة الأمر ، فإن الحالة الأولى تستلزم جيشاً قوياً يحمي الحاج
 عبر مسالك الجزيرة - والمطلع على " درر الفرائد المنظمة " (٢) يتبين له مصاعب
 الحاج وقافلته التي تستلزم حماية عسكرية - وبين الحالة الثانية التي يعبر فيه الفرد
 عمياً مهيناً له كافة التسهيلات والخدمات المساعدة .

وأولئك الذين عايشوا المرحلتين : مرحلة التناهد ، وإطالة الوحدة وتكوين
 المجتمع المتكامل استشعروا القوة ونادوا بنبد الخلاف والأحقاد ، ويقول سليمان
 البطاح بمناسبة تهنئة الملك عبدالعزيز بعيد الفطر المبارك عام ١٣٥٢هـ :

فهيما بني الإسلام وابتدروا إلى	تآخ صحيح وانبدوا الحقد والقلبي
وسيروا جميعاً كتلة وتضامنوا	فبان مسير الفرد يجني التخاذلا
فلولا اجتماع القطر ما صار النهر	يجوس خلال الأرض يسقي الحمانلا
ولولا اتحاد الجود ما ارتفعت	وما اكتسحت فرسا وروما ولا
فهيما بني الإسلام نرفع راية	نشيد لها فوق النجوم منازل
فما بعد هذا اليوم والله فرصة	نعيد بها مجد الجود المؤثلا
أناجي بني الإسلام بالصوت عالياً	وإن كنت شعوراً وضيعاً وخاملاً
بأن ينزرو حذر التخاذل والقلبي	وإحباط أضغاني تحاكي المراجلا(٣)

فالشعراء بادروا إلى غرس الوحدة وموازرة قادتها ، ورأوا أن فيها عاملاً لبناء

(١) الديوان : ١ / ٨٦٤ .

(٢) تأليف عبدالقادر محمد الجزيري ، المولود عام ٩١١ ، والمتوفى في ٩٧٦هـ والكتاب يصف رحلة
 الحاج من عام ٦٤٧هـ حتى ٩٢٧هـ ، وقد حققه الشيخ حمد الجاسر في ثلاثة مجلدات ، انظر
 مقدمة الكتاب .

(٣) من قصيدة بعنوان (جلال مهيب) جريدة أم القرى ع ٤٧١ السنة ١٠ في ١٠ شوال ١٣٥٢هـ

٢٦ يناير ١٩٣٤ ص ٣ .

المجتمع ، وقوة للفرد والأمة .

ويقول عبدا لله بلخير^(١) في الملك عبدالعزيز مخاطباً أحد أبنائه عام ١٣٥٥هـ:
 شاء الإله ولا مرد لحكمه لأبيك أن تمحي به الأوهام
 ويوحسب العرب المشتت شملهم وتحقق الآمال والأحلام^(٢)

(١) ولد في حضرموت عام ١٣٣٢هـ ، درس في مدارس الفلاح ، يجيد الإنجليزية ، عمل في الوظائف الحكومية ، له شعر كثير ، لكن لم يجمع في ديوان ، واشترك في جمع كتاب (وحي الصحراء) ، أنظر الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي لعمر المسلس ٩٥ .

(٢) من قصيدة بعنوان (ماين برديك) أم القرى ع ٥٥٩ السنة الحادية عشرة في ١٣٥٤/٥/٢٦هـ

المبحث الأول تشكيل المجتمع

- تشكيل المجتمع .
- البناء الاجتماعي .
- العلاقات الاجتماعية .
- الطبقة .
- المظاهر الاجتماعية .
- الرياضة .

تشكيل المجتمع الجديد :

وتكوين المجتمع السعودي يتطابق مع تعريف مالك ابن نبي للمجتمع ((هو الجماعة الإنسانية التي تتبلور ابتداء من نقطة يمكن أن نطلق عليها مصطلح (ميلاد) كحدث يسجل ظهور شكل من أشكال الحياة المشتركة ، كما يسجل نقطة انطلاقه لحركة التغيير التي تتعرض لها الحياة ، ويظهر هذا الشكل في صورة نظام جديد للعلاقات بين أفراد جماعة معينة))(١) . ونحن لو حذفنا كلمة جماعة وأبنا عنها جماعات كانت أكثر انطباعاً .

فالمجتمع يتكون من جماعات متعددة ، مختلفة الأحجام ، متركبة من أبنية من جماعات صغيرة مثل القبيلة التي تتكون من الأسرة والعائلة ، والعشيرة والبطن ، والفخذ ، أو تتكون في المدن من جماعات متعددة مثل الأسر والأحياء ، وهناك جماعات اختيارية ، وأخرى إجبارية ، وهناك جماعات مستمرة دائمة الأستمرار لكنها غير أبدية وإنما هي لزمن ربما يطول ، وهناك جماعات غير مستمرة تمثل الأندية أو تجمعات الأعمال وغيرها(٢) .

والمجتمع السعودي تكون من جماعات متقاربة متفاعلة ، فعملية الانتماء موجودة في المدن من أسر تأثرت بمكانها الأصلي ، فمنها ما يعود أصله إلى الأتراك ، ومنها ما يعود إلى مصر ، وأفريقيا ، وجنوب شرق آسيا ، كما أوضح ذلك أحمد السباعي(٣) حين عدد الأسر في مكة المكرمة ، وهذه الحال تقارب معها مدينة جدة والمدينة المنورة ، غير أن هذه الأسر تتعاقد مع المتحضر من القبائل المستوطنة في تلك المدن ، أما بقية المدن فإن جل سكانها من القبائل العربية

(١) د . علي القرشي : التغيير الاجتماعي عن مالك بن نبي ٢١٢ .

(٢) مدخل إلى علم الاجتماع الأدبي ، سعد صناوي ١٠٠ وما بعدها .

(٣) انظر : تاريخ مكة لأحمد السباعي .

التي تحضرت مع مرور الزمن ، وبخالفهم العناصر التي تتداخل مع كل قبيلة . ويجري على هذا المتوال الريف المكون من القرى المتعددة التي تتوسطها القبائل ، وتتقارب هذه التركيبة السكانية في المنطقة الوسطى ، والشرقية والجنوبية والشمالية وسائر قرى القرية .

ونحن نحصر هذا في جماعات أكبر :

١ - الجماعات الحضرية في المدن الكبرى كمكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وجدة ، والرياض ، وحواضر العارض ، وحواضر القصيم ، والأحساء ، وحواضر الجنوب والشمال . وأقصد بها المدن الصغيرة في تلك الأيام الأولى لبنا الدولة ، فعدد سكانها (٢٥١،٥٦٤،٣ بنسبة ٥١٪ من عدد السكان) (١) .

٢ - الريف والقرى : وهي قرية من طبائع البلدان المتحضرة ، وقرية من البادية أيضاً ، وبلغ عدد سكانها (٩٢٦،٨٦٤،١ بنسبة ٢٦،٨٧٪) (٢) .

والتداعي إلى النهضة يكون من منطلق الأقاليم من بُعد القبيلة ، فالشاعر يدعو إلى نهضة شاملة متسلحة بنور الفكر مخاطباً لشباب الحجاز :

هب داعي العلا ينادي الأماما	فأرونا النهوض والإقداما
واستحثوا كوامن الهمم العله	يا إلى المجد واحملوا الأعلاما
حرورا الفكر من ركود جناه الـ	جهل فينا وحرورا الأعلاما
نحن عصر نهضة عمت الكو	ن وأضححت للعالمين لزاما
نحن في عصر نهضة ليس يرجو	حلفاء الجمود فيها مقاما
نحن في عصر نهضة أيها النش	ء فسيروا ولا تهابوا الزحاما
تلكموا النهضة الشريفة أنا	إن حذونا بها نجاري الأناما
تلكموا النهضة القويمة أن قمـ	نا بها نبلغ المنى والمراما

(١) انظر : دراسات في المجتمع السعودي ، للسيد علي شتا ١٧ .

(٢) المرجع السابق ١٧ .

وهذا الانتماء إلى الحجاز إنما يستدعي الوطن أجمع ، وإن كان فيه فخر
بريادة الحجاز للصحافة والأدب في مستهل النهضة لوجود المدارس النظامية ،
والمطابع والصحافة ، والأمة تحتاج إلى شبابها ليحملوا راية النهضة :

يا شباب الحجاز هيا إلى الإصـاح نسعى تحمسا واعتزاما
يا شباب الحجاز بالعمل المنـتج نجيا ونلحق الأقبواما
يا شباب الحجاز بالعلم نعتزُّ فهلا نعيره الاهتماما
آن أن ندرأ الجهالة عنا إنها أصبحت شناراً وذاما
آن أن ندحر الجمود فحتما م إليه ركوتنا ؟ وإلام ؟ (١)

٣ - البداوة : تتكاثر في أقاليم المملكة ، وتكون خاضعة للحياة الرعوية ،
التي تستدعي الارتحال لكن يغلب أن تكون في حدود الإقليم إلا ما ندر ما عدا
القبائل المجاورة للعراق والشام فإنها كثير ما تنداح إلى تلك البلاد في أيام القحط ،
ومن هنا تكون الهجرة المستمرة حيث تظل بقايا في تلك البلاد ، أما رغبة أو لعدم
القدرة على العودة إلى بلادها . ونظراً للسياسة القائمة التي تتبعها الدولة بالدعوة
إلى التحضر ، وكذلك للهجرة المرغوب فيها للعمل فإن عدد السكان أخذ
يتناقص من البداية ، فبلغ في عام ١٣٩٤ هـ ١,٥١٠,٤٦٤ بنسبة ٢١,٧٧٪ من
عدد السكان الذي يقترّب من سبعة ملايين .

والشعراء وصفوا البدوي في باديته يرعى شاته ، يحتمل وهج رمضاته ، والبرد
في شتائه ، يكتفي بلبين شاته وناقته سائراً نهاره من بداية نوره حتى انحساره ،
وهو يحمل وعائه وزاده ، ولكنه في هذا العصر بفضل الله ثم قيام الدولة أخذ
يستقر ويتعلم يقول محمود عارف :

والبدوي صاحب الوعاء

(١) مقصود وبلخير : وحي الصحراء ٤٠٦ .

جرا به الخاوي من الغداء
يحملة صباحاً وفي المساء
لكنه يدعو إلى الوفاء
يحمي ذمار الدار بسالفداء
أخرجه العلم من القباء
مسجلاً حضارة النبءاء
في عصره لشعبه المثءاء
أفضل أمجاد بني الصحراء
والمجد مائدٌ عن الإطراء
قد أصبح الأمي في اللقاء
سيد أهل الأرض بالذكاء^(١)

البناء الاجتماعي :

لما وصفوا المجتمع بالبناء ؛ فإنهم يسيرون إلى ضرورة التنسيق والترتيب بين جماعته الصغرى ، وبين أفراد كل جماعة ، ومعنى ذلك أن كل من أبناء المجتمع له دوره الذي يجب أن يؤديه بدءاً بأفراد الأسرة من الرجال والنساء والأطفال والشباب ؛ وعلماء الاجتماع يرون أن البناء الاجتماعي هو ((نسق اجتماعي يتميز بدرجة معينة من الثبات والاستمرار ، ويتألف من جماعات ، وزمر مثل العشائر والقبائل والأمم التي تقوم بتنظيم علاقات الأفراد ببعضهم داخل نطاقها ، كما يسمح بالتكيف الخارجي مع البيئة الطبيعية وبالتكيف الداخلي بين الأفراد والجماعات^(٢) .

(١) في عيون الليل ١١١ .

(٢) د . سعيد الغامدي : البناء القبلي والنحضر في المملكة العربية السعودية ص ١١١ .

واختلفوا في شمولية البناء الاجتماعي ، فمنهم من يرى أنه ((يتضمن السيطرة والتبعية والطبقية ، والتدرج والسلطة والدولة))^(١)، ومنهم من يرى ((أن أكثر التصورات أهمية للبناء الاجتماعي هي تلك التي تتصوره بوصفه كلاً مركباً يشمل النظم الأساسية السائدة في المجتمع ، والجماعات المختلفة التي يتألف منها ذلك))^(٢) . وقد مثلوا لذلك بالاتصالات والنشاط الاقتصادي وما يتعلق بالترية .

ويقوم البناء على مبدأ الاستمرار في الزمن ((فالجماعات الكبيرة التي تحتفظ لعدة أجيال بكيانها وبهيكلها العام ونظام تقسيماتها الداخلية ، وغط علاقاتها بعضها ببعض تعتبر ((وحدات بنائية))^(٣) . لكن هذه الاستمرارية ليست مستديمة ، بل يطرأ تغيير وتطوير أحياناً ، ويقوم أيضاً البناء الاجتماعي على وجود العلاقات الثابتة المستمرة ، وتعني تلك الصلابة والروابط بين أفراد الوحدة من جهة القرابة ، والعمل الاقتصادي^(٤) .

والمجتمع السعودي يقوم على بنائين اجتماعيين هما : التحضر ، والقبلي وكلاهما شائع في أقاليم المملكة العربية ، وتشكله في بداية التشكيل الاجتماعي الكلي أوضح منه الآن مع استمراريته ، والشعراء تناولوا تلك الحياة بتشكيلها وأبانوا عن الروابط فيها ، وعوامل الثبات والتغيير ومعالم المعيشة .

فهذا الشاعر السويدي^(٥) يتناول الجماعات في نجد ، ويوضح أنها تتشكل من عنصرين كبيرين هما البناء القبلي ، والبناء الحضري ، وقد تناول الحياة القبلية أولاً: فأبان عن ارتحالهم على جماهم ، ونصب البيوت عند سفوح الجبال كي

(١) المرجع السابق ١١٣ .

(٢) المرجع السابق ١١٣ .

(٣) انظر المرجع السابق ١١٣ .

(٤) انظر المرجع السابق ١١٣ .

(٥) عبدالرحمن بن زيد السويدي ، ولد بمحائل ١٣٥٨ هـ ، مؤلف وقاص ، وشاعر له دواوينه ، لزاعج ، وهواجس ، انظر : دليل الكتاب والكاتب ١٤٦ .

تحميهم من هوج الرياح ، وتكنهم من الأمطار ، وتحجز عنهم البرد والحر .
وترعى نعامهم من الإبل والشياه في تلك السفوح والقيافي ، ويتغذى أبناء
القبائل على ألبانها ولحومها ، وأثمانها .

فلا حمل يُشظُّ على الشداد فقد ضربوا البيوت على إطراد
قد اختاروا بسفوح الطود كُنَا يقيههم برد أيام شدادِ
فكل قد تععم في مراح شياه خلف نوق في البوادي
سخي إنتاجها ذُرّاً طرياً وما صنعوه من أصناف زادِ

وهو يصف متداهم واجتماعهم في شق من البيوت بأدوا متعارفين عليها ،
فتشعل النار ، وتصنع القهوة في دلال ، ويكون رنين النجر الذي يطحن البن
والهيل بمثابة النداء وإعلان المتدى ، وهذا المجلس يتداولون فيه قضاياهم وهو
مجلس شوراهم ، وتربية أبنائهم ، وحصاد تاريخهم ، وموطن قرارهم .

برف البيت مأوى للرجال قد اجتمعوا إلى قرب الدلال
دعاهم صوت " نجر " حين يدوي بصاف البن مشروب الرجال
فهذا مجلس الشورى لديهم يديرون الشئون بلا كلال
ويتخذون رأيهم جمعاً لحرب أو لسلم أو مغالي

وهو يعرج على اجتماع البادية حول الماء ؛ فإذا ولى الربيع وجفت الغدران
انتقلت الظعون بكل حمل إلى الموارد الثابتة ، وهناك يقوم الشباب بنشل المياه على
الإبل والأغنام من الآبار ، وتسكب في الحياض ثم تصدر الأنعام إلى مراعيها .

إذا ما الصيف خيم في الجبال ولوى الغض من عشب المقالي
تزاحمت الظعون بكل حمل ورام الورد أرباب السخال
تواردت المياه بكل فج حداها الصيف للماء الزلال
وقد خلطت حيناً في ثغاء كيوم الحشر تقيها المدالي

♦ ♦ ♦

على الآبار جيدة العطاء وكل قد تمنطق بالرشاء
أجاد المتح من أعماق بئر ليكسبها بأحواض السقاء
قد اكتضت على حوض رؤوس أحست بالحياة لرشف ماء
حداها الحر والمرعى المولي وأرواها بأفواه الدلاء

والشاعر يشير إلى ما يستوقف الشعراء السابقين ، فهذه التجمعات البدوية حول المياه تؤدي إلى الالتقاء والتعارف والتحاب ، وكذلك مواطن المراعي فيأنهم يلتقون ، ومن هنا يتولد الحب العذري :

على الأمواه تجتمع القلوب فكسم أدنت مجا من حبيب
تجمعهم لوقت من نهار ويفترقون للمرعى الخصب
وكم عند الفراق يسيل دمع وطول البين يعصف بالقلوب

ثم بعد الاجتماع الصيفي على الماء تحدث الفرقة بين المتحابين ، فيفترقون بين الأودية والشعاب ، والجبال والوهاد .

وزال الصيف فانتجعوا المطايا وقد نصبوا الهوادج والحنايا
وحل البين فانفطرت قلوب من الأحباب تفصمها الرزايا
وكل قد تمنى الدهر صيفاً فما أحلى المصيف مع الصبايا

تلك الحالة هي التي أوحى بالشعر العربي القديم ، واقتفى أثرهم الشعراء العرب في العصور المتأخرة فأغرموا بنجد والجزيرة .

ويتكون المجتمع في نجد من البناء الحضري ، وهم الذين يستطونوا القرى والهجر ، والمدن الصغيرة ، وهؤلاء يقيمون في القصور ، ويعيشون على الزراعة من النخيل والحبوب ، وكثير من أنواع الفواكه ، والزراعة عندهم تقوم على حفر الآبار ، واستخراج الماء منها بواسطة السواني والبكرات ، وهناك من الزراعة ما يقوم على الأمطار وهم يتعاونون على حفر الآبار ، وبناء الدور ، وحرث المزارع أحياناً .

وللحضر الإقامة في القصور
فقد غرسوا النخيل وأكرموها
وأصناف الفواكه دانيات
فمن عرق الجبين سقوا غراساً
إذا همل السحاب على الحدود
وشقوا الأرض ((بالشرح)) المدني
وسطرت السواعد في قفاه
وغنى الزارعون نشيد حب
وقد نصبوا على البئر السواني
بأشطان تجاذبها هجان
وعزف للمحال بكل لحن
تنن إذا تحملها دلاء

والحاضرة تفيد من المراعي المجاورة برعي إبلهم وأغنامهم ، ويحطبون حطبهم
ويدخرونه كما يدخرون الأعشاب والحبوب ، والتمور .

شباب قد تردد في الفلاة
لقاءات تتم بلا انقطاع
بلا حرج تفني كل صب
وقد راعوا بقربهم التناهي

والحصاد موسم من المواسم المشهورة عند الفلاحين ، يعملون ويجتمعون
ويتاجرون بما يحصلون :

ذبول الزرع ميعاد الحصاد
يأدره الشباب مع الصبايا
مناجلهم تسابق بازدياد
بالحال لنشوتها تنادي

لما أحلى الحصاد لكل جهد وقد دانت ثمار للحصاد
وأكداس كأشعة الصواري إلى جنب البيادر في المناد
والتجارة عند الحضرم أهل الجزيرة ولا سيما في نجد وأهل مكة المكرمة
مشهورة من القديم ، فهم ينتقلون إلى بلاد العراق والشام ، ومصر ، وبعضهم
يلجأ الهند ، وهم يسمون في العصر الحديث بالعقيلات ، والتجارة ليست عملاً
عندهم ؛ وإنما هي معرفة ووعي ، وقدرة ، وهم يبادلون البادية البضائع بالمواشي
مما يحتاجون ، وتتجسد التجارة في بعض أقاليم المملكة في الأسواق ، وأكثر ما
تكون في الجنوب ، فهناك سوق الخميس والأحد وغيرها .

ومنهم قد تخصص في التجارة
وقد جلب البضائع من بلاد
صنوف البز والبن المصفى
يبيع بفضة نقداً ودينياً
لقد زادت تجارته بربح
يبادلهم لآراء تبسدت
مسير في التجارة للبوادي
مبادلة البضائع بالمواشي
أحب من التجارة قول صدق
لإنعاش البلاد بخير كسب
وإمهال الضعيف لبعض حين
وإعتاق الرقاب إذا لواها
والمجتمع السعودي بشقيه الحضري والبادي الذي تحضر ، فكل منهم اتجه
صوب الاستقرار ، والتعلم ، والعمل ، وهجر كثيراً من مظاهر الحياة القديمة

الممارسة في الحاضرة والبادية ، ودأبوا يعملون بوعي في التشكيل الحضاري والاجتماعي الجديد ، ومن أكثر المهن المعاصرة شيوعاً الصناعة والحرف ، فقد أقبل عليها أبناء الجزيرة إقبالاً قوياً مما يظل مقولة أن أبناء الجزيرة يعيرون المهن ، ولا يعملون بها . الواقع أن هذه مقولة خاطئة فأكثر الذين وفدوا من البادية تعلموا المهن ، وعملوا في أماكن إصلاح السيارات والآلات وغيرها ، أما ما نراه من زهد الشباب في العمل اليوم فلا يدخل في هذا الباب إنما يعود إلى التربية العاطلة التي لا تعود على العمل ، وكذلك البرامج الدراسية ، وسياسة التعليم المهني المعاصرة ، والتبلد الذي نشأ من الطفرة ولنعُد إلى قول الشاعر :

ومن مهن تفنن مبدعوها	بأنواع الصناعة أتقنوها
بنو صرح البلاد بكل جد	وقد شادوا القصور وجملوها
جموها بالسواعد خافقات	ومن إنتاجهم حقاً جموها
وصانوها بأفكار توالى	على الإبداع فناً جسدوها
♦ ♦ ♦	
فأسدوا نعمة كانت لديهم	بمخارج تساق لطالبيهم
ترى السكان يحدهم شعورٌ	بأن كمالهم منهم وفيهم

فأبناء الجزيرة نادوا من بدو وحضر على العمل والاتجار ، والإنتاج ، فخرجت المنتجات الزراعية والصناعية ، والشاعر يدعوهم إلى المزيد من الهمة ، والعزيمة :-

تبارى الناس من بدو وحضر	على الإنتاج وانها لوا عليهم
وزانوا المنتجات بكل فن	لتكفي حاجة قرت إليهم
أحب من الصناعة كل فن	وما تؤتيه من صلب ولدن
واقاننا يصاحبه طموح	الي الأبداع في تيميد فن
وسيرا للأمام بكل عزم	لمخترعات مايدني ويفني
واكبره أن يذا غش مغطى	وتسويق يصاحبه التجني (١)

(١) السويداء : لواعج من ص ١٨ حتى ١٩٥ .

الضمير الجمعي :

ومما تجسد في المجتمع السعودي تبلور الضمير الجمعي ؛ فإنهم كانوا مختلفي الاتجاهات والأفكار والمفاهيم لكن لما تكون المجتمع منهم ، وأصبح يشملهم وطن واحد ، وله روابطه التي تمت إلى ضمائر الأفراد الموروثة بصلة ، والتي تتناسب وتطلعاتهم المستقبلية ؛ فإنهم أخذوا يساهمون في تنظيم القيم والمؤسسات والنظم حتى أن الروح أصبحت جماعية وهو ما يسمونه بـ (ضمير الجماعة)) أو ((الضمير الجمعي)) وهو ((مجموع المعتقدات والمشاعر المشتركة لمجمل أعضاء المجتمع))^(١)، والواقع أنني أعجبت أيما إعجاب بالضمير الجماعي لتكوين المجتمع في أيام تشكيله الأولى ، فإن الكتاب والمؤلفين والشعراء استلهموا هذا ودونوه ، ودعوا إليه ، وكذلك فإن الأميين رغم ضعف الإعلام - فإن هاجسهم متوحد فيما يظهرونه من دعوات ، وإعجاب ، فإن الأساس لتكوين هذا الضمير يعود لقناعة الأفراد بهذا الكيان وغاياته السامية التي جمعت شملهم فكلهم يحملون عاطفة دينية تقوم على الشريعة ، وهم تصورات نابعة من الدين ، وما يتدبره العقل ، ويتأمل فيه ، وهم قيم يلتزمون بها تسلك منهجهم اليومي وسلوكياتهم وتعاملهم من الحلال والحرام ، والعدل والظلم ، من خصائص المجتمع أن له ضمير جماعي شامل لجميع الأفراد ، فهو ينتظم الأحياء ، ومتوارث عن السلف ومخلف للخلف ، أنه ثابت بثبوت الدين ، والانتماء للأرض المقدسة ، وكل منهم ينتمي لهذا الجمع للحماية به ، والضمير الجماعي لمجتمعنا يقوم على خاصيتين اثنتين يجعلان له كياناً مستقلاً هما الالتزام الديني ، والانتماء للجزيرة العربية الوطن المتوارث ، وربما أن ثالثها نوعية الحياة المتوارثة ، والضمير الجماعي يودي حتماً للتفاعل الثقافي في سبيل المصلحة العامة مع مراعاة المصلحة الذاتية فلا تعارض

(١) د . سعدي صناوي : مدخل إلى علم اجتماع الأدب ٨٤ .

بينهما ، فالوعي بالذات والمجتمع أمر مهم في حياة الفرد والمجتمع .
والشعراء الأوائل رفعوا لواء الوحدة ، ودعوا أبناء المجتمع إلى مجتمع متلاحم ،
فكل مواطن في الجزيرة يمثل بنية في بناء المجتمع ، ومدعو لبناء وطن قوي ،
ومستقبل مزهر ، وكلهم يجتمع في أصل عربي عريق ، وفي موطن واحد هو
الجزيرة العربية ، ويوحد كلمتهم الدين ، فهم يشتركون في ضمير جماعي يدعوهم
إلى التآلف والتقدم :

كأنني (بالجزيرة) وهي ترنو	إلى مستقبل فيها يضوع
سواء في الشعور وفي الضاني	(أخو السبعين) كهلاً والرضيع
وتعزونا إلى (آباء صدق)	كرام الأصل نحن لهم (فروع)
ألا لا يفخرن أحد علينا	فإن كيانتنا أبداً منيع
أخذنا في (النهوض) وما أنشينا	وسرنا في الطريق ولا رجوع
وآلينا (الحياة) بكل باب	نفتحه وما منا جزوع
وأقسمنا على أن لا نبالي	بما يعرو التقدم أو يروع
ونجري شوطنا ونعيد عهداً	به طاب التحدث والشبوع
زمان الناس مرتعهم وييل	من الدنيا ومغنانا مريع
زمان الخلق تهيل من هدايا	علوم الكون والعاصي مطيع (١)

فهذه قصيدة قبلت عام ١٣٥١هـ مع توحيد البلاد فهي دعوة مبكرة تدل
على شعور قوي من أبناء المجتمع المتطلع إلى قيام نهضة تنافس الشعوب الأخرى .
والشاعر عبدالله بلخير من أولئك الشعراء الذين صحبوا تشكيل المجتمع
وأحسوا بالمسؤولية التي يحملها صاحب الفكر والقلم ، واستشعروا دواعي القوة ،
والفكر المؤدي إلى تلاحم الأمة ، ولا بد من عزيمة صادقة تنجسد بالعمل بطلب

(١) الغزوي : الديوان /١ / ٦٧٠ .

العلم :

ومن رام إدراك المعالي بعزيمة
فلا ينهض الشعب الكسول إلى العلا
فما من سبيل للنهوض بغيره
وهو يدعو أبناء قومه أجمع فلا فرق بين مدني وقروي وبدوي ؛ فهو
يدعوهم أجمعين .

فهيأ بني قومي إلى السير للعلا
فحاتم هذا البطء في السير حققوا الـ
ثم هو يدعو الرجال المخلصين للعمل ، يريدهم أن يستشعروا الوطن ،
ويتفانوا مخلصين له ، يتمنى البذل بالنفس والمال والعمل بالعزم والجد ، فالشباب
مناط الآمال ، فهم الذين يحملون راية الدين الإسلامي ، وهم قادة العلم والفكر ،
وهم الذين يتنون الصروح الشامخة ، والحضارة الراقية :

نريد رجالاً عاملين تهتمهم
نريد رجالاً مخلصين لقومهم
نريد رجالاً يبذلون نفوسهم
نريد نهوضاً للمعالي بهمة
فما بالأماني يدرك المجد طالب
أنيطت بكم آمالنا فتقدموا
فأنتم رجال الدين والعلم والحجى
فشيدوا الجوار المنشآت كأنها آل
ودونكم الجو الفسيح فشيدوا
وبثوا علوم الدين في النشء إنهاال

حياة بني الإسلام أن نابهم شر
يسد بهم في كل مملكة ثغر
ليشروا بها عزاً إذا ذعر الذعر
وعزم كحد السيف ليس به خور
ولكن بعزم لا ينهه الزجر

بأمتكم حتى يكون لها الصدر
وليس غريباً من معادنه التبر
جبال الرواسي في البحار لها مخر
به سفناً في الخافقين لها مور
أساس ويزكو الزرع ما صلح البذر

وسيروا بعزم فالمهيمن وحده كفيل لكم بالفوز فهو له الأمر (١)

وفي استخلاص لخلاصة الشهد المصفي نستعرض أهم عوامل الثبات لمجتمعنا المعاصر التي تحافظ على تماسكه ، وتجعل العقل يسدده دائماً وتحميه من الانزلاق في شهواته .

ومنها : الثبات على استلهام الشرع الإسلامي ، والأخذ بتعاليمه ، وكونه الرقيب على الفرد والمجتمع ، فالإيمان روحه الذي يوجه العمل ، وذلك يؤدي إلى الأمن والاستقرار ، والتفاني بالعمل في إخلاص ودأب وصدق في الأداء ، وتآلف وتحاب وإيثار لا انتهاز .

وهذا الشاعر طاهر زمخشري (٢) يدعو الأمة إلى التآخي :

دعاها الحق فانتظمت عقوداً	وحطمت الفوارق والحدودا
دعاها الحق فانتشرت خفافاً	تمزق عن معاقلها القيودا
قلوب جمعت من كل قطر	أقامت حول وحدتها شهودا
وأرواح مجندة بحب	تصاول دون منهجها الأسودا
فهبت عند ((كعبتها)) تنادي	لتشئ مجدها خلقاً جديداً
تآزر بالتآلف والتآخي	فراح الخطب منزوباً طريداً
لجاء الدين يحدوها بناي	يرجع عن مفاخرها النشيدا
لجاء الدين يحدوها بلحن	يدكدك صوته الداوي الوجودا (٣)

فهذه الأبيات تحكي تطلعات الشاعر إلى مجتمع إسلامي ، وربما كان المجتمع حاجساً له حينما تداعت له هذه الأبيات ، والواقع أنها تحكي قصة الضمير

(١) عبدالمقصود بلخير : وحي الصحراء ٢٨٤ .

(٢) ولد في مكة ١٣٣٢هـ ، من أشهر الشعراء في بلادنا ، مات عام ١٤١٠هـ ، له مجموعة

الحضراء، ومجموعة النيل ، انظر : الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي ١٣٧ .

(٣) مجموعة النيل ٤٨ .

الجمعي الذي عاشه أبناء البلاد في مستهل النهضة ، وقد أدركنا ذلك وأدركنا ما
ينفته رجال الوطن من المدرسين وغيرهم في نفوسنا .

والشعراء رأوه عهد جديد لهذا المجتمع كالصبح جاء بعد ليل مظلم ، فهدى
الإسلام أولى دعائمه ، ونبذ الجهل من مقوماته ، وتراحم الأقوام على طلب
المعارف والعمل أهم عامل لبنائه :

عهد جديد رف في جنباتنا	كالصبح لاح وشمسه تتألق
فعلى الهدى أرسى دعائم نهضة	تجلي الجهالة والضلال وتمحق
فسمت إلى العلياء طيبة العطا	أرض لها في المجدبات يطرق
تتراحم الأقوام بين رحابها	تبغي المعارف والمعارف تعشق
فأنارت الدنيا بعقل نير	متوقد قد جال فيه المنطق
وغدت بروح كالنسيم لطافة	تمحو عن النفس الضلال وترهق
وتبث في شتى البلاد عقيدة	تحيي الوري ومن الجهالة تعشق

والنتيجة لهذا الجهد وتواصل الجهد والكدح للمجتمع الذي تألف وتآخى أن

رأينا لمرته :

عهد جديد بالمعارف مشرق	فالعلم في كل المناطق ينطق
ولكل أرض للجميع مدارس	تبني الرجال وروضة تفتق
وإذا المصانع في المدائن تبتى	وإذا الزراعة خيرها متدقق ^(١)

ومن عوامل تكوين الضمير الوعي بأهمية تلاحم المجتمع ووحدته ، فكل فرد
من أفرادها يمثل لبنة من لبناته ، فهم كالبنيان المرصوص ، يتساوى في المساواة
والأهمية ، الأغنياء والفقراء والأصحاء والمرضى الكبير والصغير ، والعالم
والجاهل ، فهم في النظر يتفقون في الإنسانية ، ومعاملة السلوك والمجتمع يقدر لكل

(١) يوسف أبو سعد : أغاريد من واحة النخيل ٤٢-٤٤ .

قدرته ، وقوته التي تمتد متواصلة فكل يسخر لما هيئ له ، ليكون قوة ومنعة للجميع ، فهلا منح العالم قوة علمية لمن يجهد ، وهلا منح الغني قوة ماله لمن يحتاج ، وهلا منح صاحب الجاه جاهه لمن يستحق .

وهذا الشاعر عمران العمران^(١) ، يدعو إلى الضمير الجمعي الذي يوحد المجتمع فيدعوهم إلى التنافس في كل المعرفة وإلى الصلاح ووآد الفساد ، وأن يتيروا سبل المعالي ، ويعرضوا عن ذوي الأحقاد أصحاب النفوس الشريرة .

شجروا عن سواعد الجذ يغون علوماً تسمو بهم للنجاح
ومضوا يدأبون غير مبالين بما يعزّيهو من عوادي
عاهدوا الله أن يسيروا حثيثاً نحو بعث الهدى ووآد الفساد
مشعل للحياة هم ، ومنار لسبيل العلا ومجد البلاد
ودعاة للحق - قولاً وفعلاً - وسياط على ذوي الأحقاد
وهموا للوفاء معنى ، وللعهد رعاة ، في طارف وتلاد

ويلحظ القارئ مخاطبة الشاعر للجميع ، فهو يتغني العمل من كل أبناء الوطن .

والضمير الجمعي يقوم على القيم ، والتفاني والإخلاص ، والاتحاد يقول:

ولم لا يعود ينفث في الجمع معاني الإخلاص والاتحاد؟!
أجمل بنا أن يقال : شباب خائر الفكر ، واهن الأعضاء
قتل الوقت في الهراء ، وأمضى عمره في تنافرٍ وتعادي ١٩

فهو يدعو إلى بناء الفكر أولاً لأنه الأساس الذي يقوم عليه بناء الحضارة .

فتعالوا ، نبني من الفكر صرحاً ، ثابت الأس ، مستقر العماد

وهو يذكر ماضي الأمة الغابر الذي كان المجتمع في أغلاله يرسف كي يوقظ

(١) عمران بن محمد ولد في الرياض عام ١٣٥٢هـ ، عمل في مجلس الوزراء له مؤلفات ، وديوان

شعر ، انظر : دليل الكتاب والكتابات ١٩٨ .

الحس ، ويعلن لهم العهد الجديد الذي يسير في موكب التقدم في تآلف واتحاد ،
فالشعب أخذ يتبارى في العمل ، مسرعاً في نهوضه متحاب غير مفترق .
يابني العرب ! .. قد تولت ليال خاليات تفيض بالأنكاد
وزها موكب التقدم ؛ يسري خيباً .. في تآلف واتحاد
فرنت نحوه (شعوب) .. وراحت تتبارى في قوة وطراد
أسرعوا الركب - في خطاه - بمجد ، ورضينا من ذاك بالأضداد
بيننا والحياة شوطاً .. ولكن في اقتحام اللظى شفاء الصرادي
سوف نروي الأوام إن نحن سرنا نحو تلك المنى بكل اعتداد
إن هذا الوجود ميدان سبق واجتهاد للمجد والإسعاد
فعلى الخلق والفضيلة خطوا منهج الرشد والعلا والسداد! (١)

ومن مكونات الضمير الجمعي النية الصالحة التي تتبع من الروح الإيمانية
والعقل الراعي بمسلمات الأمور مع التنبيه واليقظة ، فتدخل إلى المجتمع في صفاء
ونقاء ، وعين الرضا عن كل عيب كليله ، وعين المسخط لا ترى إلا المعائب .
يقول الشاعر :

فراى الحب سبيلاً للهدى وارتضى الحب حياة ومصير
فإذا الناس أهل للصفاء وإذا الدنيا هناء وجور
وعبر الأرض في أجسامنا قد سما الإحساس فيها والشعور
ويقول :

فإذا أنت حبيب مشفق رحيم بارتجائي يرفق (٢)

ومنها الاعتدال في الذاتية ، لا أقول : التجرد منها ، فتلك في عنان السماء لا
يصل إليها إلا من تسليح بروح الإيمان أولاً ، وكان ذا همة عالية ، ولو أنصف

(١) الأمل الظامى ص ١٩ .

(٢) إبراهيم فلالي : طيور الأبايل ١١١ .

التاريخ لرأينا منهم الكثير في مستهل نهضتنا ، ولا زلنا - والله الحمد - ننظر
بعيون الإعجاب بأبصارنا وبصائرنا لكثير من الذين يعملون بمثالية ، وهذا الشاعر
خالد الفرج (١) يمثل الإحساس المثالي الذي يدعو للتحاب والتواد والتضامن ،
بنظرة شمولية لسائر الأفراد :

لا أريد المال اكداً لجيناً أو نزار
أو قصوراً شامحات أو نخيلاً أو عقار
وأنا أنظر حولي
لا أريد الشمس تسيبي بأنوار الشروق
غادتي لا تحسبي صدي جفاء أو عقوق
وأنا أنظر حولي
أيها البلبل مهلاً لا تغرد في الفصون
لا أريد الأذن أن تهجس نغماً أو شجون
وأنا أنظر حولي
لا أريد السعد أن يدخل بيتي باهتاء
صحتي سقم إذا المرضي يعانون البلاء
حينما أنظر من حولي
لست يا هذا سعيداً وأرى حولي الشقاء
غير أنني باسم للموت إن جاء الفناء
إلى الموت يصير (٢)

ومنها غرس الحياة العملية والحذر ، بيث روح التنافس والتباري بين الأفراد
عن طريق التزبية الفاعلة التي تبني منهجاً وعقلاً مستتيراً ، وعزيمة تسعى للمزيد ،
لا للكسل والتخاذل والتواكل .

ويحذر المجتمع من سطوة الغير ، ويحذر من الكوارث ، ويحذر من الفرقة ،
ويحذر من التخلف ، ويحذر من ذاته ، فيكون دائم التوتر والتحفز في غير إفراط
ولا تفريط ، فما أشد فتك الدعة والراحة ! فطموح المجتمع لا يقف عند حد ،

(١) ولد عام ١٣١٦هـ شاعر ، مات عام ١٣٧٤هـ ، انظر : شعراء نجد لابن ادريس ٦٧ .

(٢) ابن إدريس : شعراء نجد المعاصرون ٧٤ .

فالمجتمع الواعي كلما أشاد صرحاً ظل يشيد بناء صرح آخر ، ويطور حاضره . لا أن يقنع الفرد بدربهات معدودة ويسعى لتبذيرها ، وإنما يجد في إصلاحها واستثمارها ، وهكذا البناء الفكري والمهني والزراعي ، يقول الأمير عبد الله (١) الفصل :

فالمجد لا يطلب بالني كلاً ولا السمر القصاب
المجد ينمى بالعلو م تهز عالمنا العجائب
العلم راية شعب ناهض سامي الرغائب
وعليه فلنسين الحياة ولا نسأوم في الثواب
ولنطلب في عزمنا مثل انطلاقات الشهاب (٢)

فالمجتمع العامل هو ذلك المستثمر المنتج ، لا المستهلك فحسب . ولنضرب مثلاً فرداً عاجلاً . فشابنا يستهلك في مرحلة قوته واندفاعه حتى سن الخامسة والعشرين . فلو أوجدنا له ميداناً للعمل خلال هذه الفترة يتناسب مع الطلب ولا يتعارض لكان في ذلك خير كثير ، كمثل تأسيس مؤسسات دراسية عملية لفترات محدودة ، مثل أسبوع أو أسبوعين ، لما قبل المراهقة أو متزامناً معها ، ليتعلم الفرد في مستهل حياته الأعمال الضرورية في كل منزل ، مثل أعمال الصرف الصحي الظاهرية ، والكهرباء ، ومبادئ إصلاح السيارات ، وتلزم بها مؤسسات بأجر يدفعه الشاب ، أو تكون ضمن برامج تدريبية ضمن الأنشطة المدرسية ، ونتيجة لذلك ؟ فإننا سنستغني عن عمالة كثيرة ، فإن الفرد يصلح

(١) من مواليد الرياض عام ١٣٤١هـ ، عاش مراحل التطور في البلاد ، تولى مناصب وزارية ، نال جوائز أدبية ، وله دواوين شعرية ، هي : وحي الحرمان ، حديث قلب ، وحي الحروف ، تحريف العمر ، انظر : شعراء نجد المعاصرون ، وحي الصحراء ، اتجاهات الشعر المعاصر في نجد ، معجم الأدباء والكتاب .

(٢) ابن ادريس : شعراء نجد المعاصرون ٩٠ .

داخل منزله في شبابه وسائر حياته .

وتشكيل المجتمع في بلادنا خضع لعوامل كثيرة جداً منها :

- الالتزام بالنوابت العقائدية في جميع مشارب الحياة ، وكذلك تآثر بعوامل الزمن التي واكبت التشكيل ، فهو إبان الحروب الأولى والثانية ، وهو صحب التطور الثقافي الحديث ، والثقافة المعاصرة ، وانفتح على المجتمعات المفتوحة ، وهو تآثر بالمكان ، فالمكان المقدس ، والمكان التراثي ، والمكان الرعوي ، والمكان الزراعي ، والجبلي والسهلي والداخلي ، والمشارف المجاور للغير .

والفكر الأدبي الجمعي استشعر كل هذا ، واستشعر الجهل والأمية ، والنضوب العلمي والمنهجي ، وأخذ الشعراء يترغمون بمكونات الحضارة أولاً .

تلك المنطلقات الراسخة في ذهنية الأديب ، والشاعر انبثقت منها مجتمعة ملامح فكرية للمجتمع الجديد ، يدعو فيه للعمل عندما لاحت تبشير الضياء لهذا الوطن بالوحدة والاستقرار ، فهذا خالد الفرح يدعو أبناء المجتمع إلى التفاني والتداعي للعمل :

قم فقد لاحت تبشير الصباح كيباض العين في كحل الجفون
وترى الطل على ثغر الأقاح دمعة الأفراح في سحر العيون
هل رأيت السر إذ أخفى الملاح هي شمس اليوم في الغيم المتهون

هي هاذي طلعت فوق الغيوم - تنهادي

والعصافير على الروض تحوم - تننادي

قم فإن الناس قاموا للمعاش فاسمع الضوضاء في جو البلاد
يطلبون المال كالبهيم العطاش في نعيم الورد في شوك القناد
باحتيال ونشاط وانتعاش للعلى للمجد أو جمع التلاد
فعلى ما أنت في ذا الانكماش كسل ما أنت فيه أم رقاد؟

أنظر الكل وسيما الاهتمام - في الخيما

لافتحام لا صدام لازدحام - قد تها (١)

وتكوين مجتمعا هذا يسير وفق التطور الطبيعي للمجتمع ، فالتكوين يكون من تشكيل مادة موجودة ، فالمجتمع تشكل من شرائح مختلفة من الحاضرة المختلفة في ظروفها ، ومن البادية المتأثرة بحياتها في الصحراء أو الجبال أو الداخل، أو على مشارف المواطن الحضرية لئلا تكون حياة بسيطة فالتجهت إلى التكوين الجديد لمجتمع متماسك متجانس لكنه بعد ربح من الزمن أخذ يميل إلى التعقيد ، ونخشى أن يصل إلى فلسفة مرحلة غير المتجانس ، وتلك ما ينتهي اليقظة لها من الأدباء وعلماء المجتمع ، والذين يجمعون بين العلوم الفكرية تلك ، فهم جديرون بالتنظير لتشكيل هذا المسار الجديد إلى الأفضل .

فكلا النوعين من ماء وطين	لا تقل ذاك أصيل أو هجين
أبدأ يطمع في سبق السنين	إنما الحمد .. لشهم نابيه
ء بليل معتم .. لا يستبين	همسه الملتاع إشعاع الضيا
في صدور الحائرين البائسين	يسكب الأنوار من مشكاته
موكب الحمد ومغنى الطامحين	ليرى الساري إلى آفاقه
غمر الإحساس فياض معين	فإذا ما أنداح في أغوارها
ومجالي الخير .. من دنيا ودين (٢)	من رؤى الحق وأحلام النهي

إذن فهو يعتم التفاضر بالأنساب والأقاليم أو الدم أو غيرها إنما التميز يكون ببناء الحمد الذي يطمع في سبق السنين ، وهو الملتاع لاشعاع ضياء التقدم والإزدهار لمجتمعه .

وما يعيننا هنا هو مرحل التشكيل الأولي ثم التجانس ، فالتغيير الذي طرأ على الفرد والمجتمع أمر ليس بالسهل ولا هو بالقليل ، وإنما هو تغيير في البنية

(١) المرجع السابق ٧٢ .

(٢) المرجع السابق ٢٨٩ .

الكلية ، فساد فكر فردي يلتقي مع فكر جمعي ، وسادت نظرة متفائلة نحو المستقبل المشرق ، واختفى سلطان القوي المهيمنة من إمارة متصارعة ، وأقاليم متنافرة ، وقبائل متحاربة ، وهيمنت الطبقة العليا لكل شريحة ، فأصبح الفرد يمتلك حريته الاقتصادية والعملية ، والاجتماعية بل استشعر المساواة والعدالة الاجتماعية التي لم تداعب أفكاره من قبل .

وكان ذلك في ظلال حماية الدولة للفرد ، وتهيئت العوامل المساعدة للنمو وتنامي الاقتصاد ، وبناء المجتمع ، وقد تداول الأدباء أفكاراً تشبه العرض والطلب حتى يكتب البقاء للأصلح منها .

ما انطلاق الحر في دنيا الشعور	كرسوف العبد في دنيا الثبور
ذاك شهم للمعالي صاعد	يتسامى فوق هامات العصور
ليس يثني عزمه أو يزدهـ	يه لدى الحق .. مآسي أو سرور
وأخو الجهل رتيب حائر	ومع الجهل قناطير الفرور
هكذا الدنيا وذو أحكامها	في بني الأرض إلى يوم النشور
وثبة الروح بفكر .. نير	صفحة ليست تواريها الدهور
فاطرق الباب إلى أسمى المنى	وانتظر بعد دياجى الكون نور ^(١)

فالشاعر فرد ولكنه يستلهم فكر الجماعة المتحابية المتألفة التي تسعى إلى غاية واحدة شريفة تجمع الشمل وتوحد الأمة ، ويمقت أخو الجهالة الذي لا يحمل فكراً نيراً ، فالفكر حياة الفرد والأمة .

وظهرت هناك اتجاهات فكرية من الأفراد تمثل التوجه الاجتماعي تُخلّص فيها المجتمع من الضغوط الاجتماعية التي كانت مهيمنة على الفرد لكن قبل أن نسترسل نؤكد أن المجتمع لديه ثوابت عقائدية لم يتجاوزها فكراً ولا عملاً بل إن

(١) المرجع السابق ٢٨٩ .

هذه الثوابت لها دعواتها من الأدباء الشعراء كما لغيرها من الأفكار ، وأشهرهم ابن سحمان ، وابن عثيمين والغزوي .

إلى جانب أن هناك دعاة التجديد الفكري مثل العواد وأحمد السباعي وغيرهما ، ومن هنا يرى علماء الاجتماع ((أن الفن عامل هام في توثيق الروابط، وتقوية الصلات بين الأفراد في المجتمع الموحد ، والمجتمعات الأخرى)) (١) .

فالشعر رسالة التقدم ، فهذا الشاعر محمد سرور الصبان (٢) يتمنى شعباً متكاملأً ناهضاً يسعى لهدم رذائل العادات ، فهو من أولئك الشباب الذين اطلعوا على الحياة المعاصرة ، وتطلعوا إلى التقدم والتنوير ، كي ينوا :

من لي بشعب نابه مستيقظ	يسعى لهدم رذائل العادات
من لي بشعب عالم متور	ثبت الجنان وصادق العزمات
من لي بشعب باسل متحمس	حتى نقوم بأعظم النهضات
من لي بشعب لا يكل ولا يني	يسعى إلى العليا بكل ثبات
إن البلاد بأهلها فبجهلهم	تشقى وتلقى أعظم النكبات
وإذا توحدت الجهود لخيرها	سعدت ونالت أرفع الدرجات (٣)

فهو يشير إلى بعض العادات التي لا تمت إلى الدين بصلة ، ولا إلى العقل المتدبر فلا ضير من تلاشيها ونضوبها حتى يلتقي المجتمع في وحدة شاملة .

وفيه إشارة إلى أن الشاعر يشير إلى التكوين الجديد فإن غاية الشعب أجمع ، والذي حدث من تشكيل جديد لم يكن متعارضاً مع طبقة اجتماعية قديمة حتى تكون هناك صراع ، وإنما تشكيل جديد لمجتمع يتغني البناء الجديد من شرائح

(١) د. كسر الورقي : في علم اجتماع الأدب ٢٦ .

(٢) شاعر وأديب نسلم الوزارة عام ١٣٩٢هـ ، انظر : الموجز في تاريخ الأدب العربي للمسائي ٦١ .

(٣) مقصود ، وبلخير : وحي الصحراء ٣٨٨ .

تسمى له ، وإن سقط عدداً من المهيمين لكنهم لا يمثلون شريحة ، ومن هنا فمخاطبة الشاعر مجتمع لأفراد يتصارعون .

والأدب ينقل الأفكار السياسية ، والاجتماعية ، والفكرية والأخلاقية ، والجمالية لكل مجتمع في زمان ومكان محددين لكنه يكون أشمل تصويراً للشرائح المجتمع ، بل يبرز الأدب المصور للشريحة المهيمنة ، وكان في مستهل النهضة يبرز الإبداع في الحجاز فكان فكرهم أكثر هيمنة ورواجاً ، ثم نافسه هيمنة الشعراء الذين يمثلون الشرائح الاجتماعية في نجد ، فالشعر السعودي ناقل لحركة المجتمع ، فهذا الشاعر الحجازي أحمد العربي مع قيام الكيان الموحد للبلاد إلا أنه جعل الحجاز رمزاً له ، فهو المهيم في التوجه الفكري والصحفي ، والشعري .

إن الحجاز وكل من	ضم الحجاز بكم فخور
هو أيكم وعلى ربا	ه غما جناحكم الصغير
ولكم حباكم عطفه	وحنايه الجسم الغزير
وغذاكم بلبانه...	وبمائه العذب التمر
وأظلكم بسمائه...	ويجوه الصافي المنير
أفلا تر فرف في ذرا	ه اليوم أعلام السرور؟
وهو المهاد ومنبت ال	أجداد الوطن الوثير ^(١)

والواقع أن القصائد التي تتحدث عن الحجاز في مستهل النهضة كثيرة ، لكن الصوت الجمعي هيمن فترة من الزمن ، وانحسر ذكر الأقاليم ، وارتفع صوت المجتمع الكلي لكن ما لبث أن عاد بعد مستهل هذا القرن واشتهر شعراء نجد بتغنيهم بشعرهم أكثر من غيرهم، ومنهم الشاعر حمد العسوس يخاطب (نجد) بقوله :

(١) محمد سعيد مقصود ، عبدا لله بلخير : وحي الصحراء ١٢١ .

حبيبي .. فوق هام العز واقفة
تحكى ابتسامتها للخلق قصتها
عشيتُ بالشك - حيناً - عن مفاتها
.. حبيبي - أنت للعلباء ذروتها
لكنه الوجد.. يطوي البعد - معتدراً
إليك - يادوحة الأجداد .. أغنية
توزيع الحمد - في لطف واشفاق
ولا تجود بها - إلا بإغداق
وكدت أن أرغمي في درب إخفاق
وهل تفي.. ذروة العلياء - أبوأقي؟!
إلى ترابك - عن جهلي وإغرافي
حروفها من دم بالحب دفاق^(١)

فهو يفتخر بمكانتها التاريخية ، وبطبيعتها ، ويتعلق قلبه بها . ثم ظهر في
الفترة الأخيرة شعراء الجنوب الذين أخذ يتغنون بجزان وأبها ، لكن هذه لا تؤدي
إلى صدام ومنافرة بين الأقاليم إنما يشدو بأقاليم غير أن الوطن الشامل أفضل
مصدر للإبداع .

إن التشكيل للمجتمع السعودي قائم على دعائم ذات أسس قوية في ذاتية
الأفراد ، وتنامت إلى إحساس جمعي بل أصبحت مجمع للنفوس والعقول ، وغاية
من غايات المجتمع أجمع ومنها :

١ - الوعي بضرورة الاعتقاد الإيماني ، فكل فرد في المجتمع ينبض قلبه
بالإيمان ، وكل جمع من المجتمعات في قرية أو حي أو بادية يمارس العبادة بالتوجيه
الريائي وإقتداء بالسنة ، فالدين مهيم على العقول والنفوس والأعمال .

٢ - كل من المجتمع تكون غايته التماس الحضارة والتقدم والرقي بدأ بالفرد
وتنامياً مع المجتمع .

٣ - الإلتواء الوطني للديار المقدسة وموطن الآباء والأجداد .

ومن هنا نشأ الوعي بالمعتقد عند سائر المجتمع ، وتكونت المشاعر المشتركة
في أهداف جماعية تحقق حضارة ((تعني مجموع ما توصل إليه المجتمع لتأمين حياته

(١) دوائر للحزن والفرح ٥٥ .

المشركة ، ورفاه أبنائه النسبي ، وتحديد نمط حياتهم وسلوكهم ، فضلاً عما أبدعوه من فنون وآداب» (١) .

والشعراء أخذوا ينشدون أشعارهم وأناشيدهم في هذه الروابط الدينية ،
والعربية والوطنية :

أيها السائل عني من أنا
أنا أصل القرب والقرب أنا
موطني الإسلام نهجاً وسنا
من بلادي سطع النور بهياً
من جوالي أشرق الوحي سنياً
محكماً فصلاً تجلي عريماً
لمم المجد تنادي إلى فجر جديد
لانفجارات من النور على ليل الوجود
لانطلاقاتك يا شعبي من أسر الجمود
وانطلقنا نرحم الدرب فقد شاء الإله
أمة تبني لأخراها وتبني للحياة
للغد المشرق وضاء على سمر الجباه (٢)

فهذا الشعر يمثل روابط نشأة الأمة ، فإن الاختلاف بين قبائل الجزيرة توحد في الانتماء العربي ، فهو يعود إلى أصل عرقي واحد مشترك ، وهم يتحدثون لغة واحدة ، ويؤمنون بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ، وفي ظلال مؤسسة سياسية واحدة .

(١) سعدي صناوي : مدخل إلى علم اجتماع الأدب ٥٧

(٢) محمد فقيه : المجموعة الشعرية الكاملة ٢٣٢ .

العلاقات الاجتماعية :

والدارس للأدب والفكر يجد أن تشكيل المجتمع تشكل أيضاً في الأدب ، فالأدب ساهم في تشكيل المجتمع ، والمجتمع له دوره في تشكيل الآداب ، كما هو متمثل في أدب المقالة والشعر في مرحلة التكوين الأولى والمرحلة التي تليها في هيمنة الصحافة حتى عام ١٣٨١هـ ، وذلك التمازج بين شرائح المجتمع والتمازج بين عناصره ، هو الذي يعنيه علماء الاجتماع ((أي أن المجتمع بالنسبة إلى عالم الاجتماع ، هو التنوع بين العناصر البشرية التي تولف نسيج المجتمع الأساسي)) ، ((فالعلاقات الاجتماعية هي الدم الذي يجري في جسد المجتمع ، فيهبه الحركة والحياة))(١) .

وهم حددوا أنواع العلاقات بل حصروها في نوعين :

١ - ((علاقات التجميع أو العلاقات المجمعّة تعمل على توحيد أفراد الجماعة ، وشد أواصر التقارب بينهم عن طريق التعاون والحب والتضحية))(٢) وهذه ما تجسدت على أكمل وجه في المجتمع السعودي في مستهل التكوين واستمرت معه ، وستكون الغالبة إن شاء الله .

٢ - ((علاقة التفريق أو العلاقات المفككة ، وهي التي تؤدي إلى التباعد بين الأفراد ، وتخلق بينهم الخلاف والعداوة عن طريق التنافس ، والصراع بمختلف أشكاله))(٣) . وهذه نسأل الله النجاة منها ، فهي تأتي في مرحلة متأخرة بعد البناء ، العيش الرغيد ، ونحن نخشى منها أن تتجسد في الشائبة الثقافية ، وفي الإقليمية المقبحة وفي العنصرية المدمرة .

٣ - وهناك علاقات سطحية تظهر في الجمهور ، وهناك علاقات دائمة

(١) سعدي صناوي : مدخل إلى علم اجتماع الأدب ٦٠ .

(٢) المرجع السابق ٦٠ .

(٣) المرجع السابق ٦٠ .

ومنظمة للنوادي والمنتديات وغيرها^(١) .

والشعراء الذين عاصروا تكوين الدولة ، ونشأتها ، فقد اتجه الشاعر منهم إلى مسارب السلوك بمتح منها ، ويتمنى لأمته بناء اجتماعياً يقوم على الحب وعلاقات الخير .

ويعيش الوجود حراً يشاء	أيها الناس كيف نحيا ونبقى
وبحسب يطيب فيه الرجاء	بائتلاف القلوب نحيا ونبقى
ورباط من الهدى ووفاء	وونام من العقيدة يسمو
ومن الحب نعمة ورواء	متعة القلب أن نعيش بحب
في ونام يعم منه الرخاء	نزعة العقل أن نعيش جميعاً
وخصام يحل منه البلاء	لا جفاء تفر منه النفوس
أو جحود يفل منه الصفا	أو جمود تضيق منه عقول
أو عداء يشيع منه الجفاء ^(٢)	أو نزاع يقل فيه نصيب

فحياة الأمة بحياة قلوبها واجتماعها على الخير وقد أشار أن أفضل الحب ما يكون لله في ظلال عقيدة سمحاء بل إن العقل يؤيد هذا المنحى ، فالعقل يرى أن الاتحاد والوحدة خير من الفرقة ، ومن هنا في الحب عامل من عوامل الوحدة .

والشاعر تراءى له المحاسن والمساوى ، فهو يستشرف الزمن ويثقل ذاته بمكونات الحياة ، فغيرته على بلاده جعلته يكشف عن الانحناءات ، والإنحرافات ، وينبه على ما أعوج ، كيما يتم تجنبه وتلافيه ، فبلايا الناس كثيرة ، ويحدث منهم الأذى ، فيجب أن لا يساء للعشيرة ، ولا للفرد ، ولا يحدث تنافر وتناحر .

وبليها الناس في الدنيا كثيرة	وفيهما ما يضيق على البصرة
أساء الله قوما قد تناهوا	على حب الأذى بين العشيرة

(١) المرجع السابق ٦٠ .

(٢) محمد جدع : المجموعة الشعرية الكاملة ٥١ .

كأقذار الحياة لها ديب
أساء الله قوماً لا يراعوا
وعز الله من يرجوا المعالي
ولا يرضى بغير المجد صنوا
بقدر العزم تكتسب المعالي
لم ينل المعالي من تلهى

وهو يدعوا إلى العزيمة الصادقة ، والجد في الحياة ، ويعيب دواعي الفشل ،
ولا عذر لمتهاون ومتكاسل ، ومن كانت هذه خلاله فعليه أن يفتق من سيئاته ،
وعلى الشرير أن يكف شره ، وأن يتحلى بالأخلاق الفاضلة كل ذلك خشية
علاقة تؤدي إلى التنافر والفرقة التي تضعف المجتمع .

فركب العزم قد بلغ المعالي
هوان أن يقال بها فثلنا
فما ألقى لها عدراً مجد
بنى الدنيا وقد طال التجني
أليقوا من سباتكموا أليقوا
وكفوا عن أذى بعض لبعض
وقوروا من عزائمكم وغموا
فما يؤس الشعوب سوى عداء
وما ضعف الشعوب سوى خلاف
ومن نام الليالي لن يسره
وكل الناس تحيا بالبصيرة
ولا ألقى بها أبداً غريره
وعاش الحر في نفس كسيره
وعيشوا باعجبة في العشيره
فقد غنم العداة من الضريره
من الأخلاق أخلاقاً نصيره
تباشره القلوب من السريره
يشتت جمعها في كل جيره (١)

وفي قيام التشكيل البنائي للمجتمع ، أحدث تنافساً قوياً لكن المجتمع
الحضري في المدن الكبرى تسلم قيادة الفكر والخبرة الإدارية والتقنية ، لأنهم

(١) المرجع السابق ٣٨ .

بادروا إلى التعليم ، فهم أكثر تعليماً بل منهم علماء استلموا القيادة الفكرية في الصحافة ، والاستشارة كما يمثل ذلك مجلس الشورى الأول وقيادة الجيوش ، والأمن وهؤلاء كانت لهم عنايتهم بأبنائهم الذين بلغوا درجات عالية غير أن إتاحة الفرصة لسائر أبناء المجتمع وشروع فرص التعليم في جميع أنحاء البلاد أوجد شرائح متعددة من المتعلمين من أبناء القرى والريف ، وأبناء القبائل ، وأخذوا يتآزرون مع أولئك ويتنافسون تنافساً شريفاً على المراكز الفاعلة ، ولا سيما البعوث العلمية للخارج مما أوجد توازناً اجتماعياً يعتمد على القدرات الفردية أولاً .

والشعراء الذين عايشوا التكوين الأول للدولة استشعروا ذلك ، وسجلوها في أشعارهم .

تربى فواضله في البدو والحضر	تبارك الله ما أسماك من ملك
أيدي النكاية والتضليل والأشر	أقام للدين والتوحيد ما هدمت
بعد التخوف والإحصار والخطر	وأمن السبل والأرواح فانطلقت
ما كان منفصلاً بالبيض والسمر	وألف الشمل حتى عاد ملتماً
بدعوة الحق والتوفيق والظفر	(و شيد الملك) مرهوباً بصولته
من العقائد والإيمان والقدر	وأسس الوحدة الكبرى على دعم
تقيم ومن قيس ومن مضر	وحاطها بالكمأة الأسد من أسد ومن
يوم الإفافة بين الحجر والحجر ^(١)	وسلم الله فيه المسلمين ضحى

إذن فقد اجتمع الشمل ، وشيدت الدولة ، وأسست الوحدة الكبرى على دعائم العقيدة والإيمان ، ويحمل راية الإيمان هذا المجتمع المتكون من تلك القبائل التي كانت متنافرة متحاربة من أسد وتميم ، وقيس ، وسائر القبائل المعدية ، واليمينية .

(١) الغزوي : الديوان ٧٧٢

وبعد أن تكونت الدولة من المجتمع الحضري والبدوي وارتفع شأنها أخذ الشاعر يتمنى بناء متماسكاً من المجتمع يقوم على التعااضد وبناء جسور المعرفة ، والبذل والعطاء والتفاني فهي دعوة شاملة كاملة لأبناء المجتمع إلى جميع الميادين .

ولنا فيكم رجاء ساطع قد عقدنا فيه لله الجذور
ولكم فرض علينا ثابت أصله بالفرع موصول الجذور
ان أطقنا أن نؤدي بعضه فهو بالتعصيد تمتد الجسور
هو بذل وسخاء عن رضا واعتقاد واقتصاد ووقور
ليس منا غير من يرجو بكم في مدار الشهب تذليل الوعور
كلكم في الحمد أكفاء له ولكم فيه على الشعري عبور
حسي التاريخ فيكم شاهداً خلد الجهد لكم فيه السطور
فاسلكوا الأجواز بالعزم الذي قهر الدنيا ولم يخش الثور
وابتوا في الجو أسطول العلى وصلوا بالفن ما بين الثغور
واقترضوا الأيام ما قد فاتنا من حقوق نالها الشعب الجسور
وانهضوا بالعبء وليزه بكم وطن الحمد وآفاق البدور^(١)

وأحس الشعراء بأولئك الذين يحملون نفوساً شريرة تؤدي إلى الفرقة والاختلاف ، وهم وإن كانوا قلة في مستهل النهضة غير أن الشاعر الملهم يستشرف المستقبل ويخشى على الأمة منهم ، فهو يشتكي إلى الله من خائني الأمانة ومن أرباب الكسل والتهاون أو النفوس المريضة ، أو ذات الهوان ، التي ترى في القبيح كسباً مفيداً ، أو أولئك الذين يهضمون حق الفرد ، ولا يتقون الله ، وإنما تستنزهم عوامل غير منصفه وليست من العدل والحق في شيء .

حسي الله في نفوس تعدت واستبدت ولم تراع الأمانة

(١) المرجع السابق ٨٠٨ .

واستهانت بكل أمر عظيم
حسي الله في نفوس عمادت
حسي الله في نفوس تردت
ورأت في القبيح خيراً وكسباً
واقتناص الحقوق أو هضم فرد
وامتهان النفوس أو خنق حر
وبقاء الضعيف من غير حول
لرشاد يعرفهم وفلاح

فهذه نظرة من الشاعر أراد الكشف عنها قبل أن يستفحل أمرها .

كانت الدعوة للعمل والفرص متاحة لكل نابغة ، ولكل جاد ، مما جعل المجتمع يتمازج ويتحاب ، بل كانت القلوب متولفة ، لكن بعد لأي من الزمن أخذ المجتمع يكون أكثر تعقيداً ، وظهرت معالم الاختلاف والتهافت على الأموال بأي وسيلة ، وقلت الوظائف حتى ظهر فيها عامل الإيثار للقرابة ، أو الرشوة بأي أسلوب من الأساليب ، وأكثر أسلوب وجد لها هنا واسطة أرباب الوظائف ، فهذا يقرب قريه أو يدفع به إلى مؤسسة أخرى لتبادل المصالح والمنافع ، ومن هنا فإن الشباب أخذ يتبه لهذه القضية ، فالداعي للوظائف ضعف ، بل ظهر التستر عليها ، مما جعل الحيرة تغزو الشباب ، فهو يدور على المؤسسات فلا يجد مكاناً ، والمجتمع يطارده بالسؤال لماذا لم تعمل ؟ مما زاد شكه وأظلم طريقه يقول الشاعر عبد الله العثيمين (٢) :

قيل لي : ما للفتى الحائر لم يسلك طريقة؟

(١) محمد جدع : المجموعة الشعرية الكاملة ٥٧١ .

(٢) ولد في عنيزة عام ١٣٥٦هـ حصل على الدكتوراه ، عضو تدريس في جامعة الملك سعود ،

وأمين جائزة الملك فيصل ، شاعر ، ومؤرخ ، انظر : شعراء نجد لابن إدريس ١٩٠ .

لم لا ينضم للساعين في دنيا الخليقة؟
دربه سهل وبعد السهل أجواء طليقة
قلت : أعمته سدول الشك عن تلك الحقيقة
حائر زادت طيوف الهم والآلام ضيقه
لم يعد يبصر ومض النور ولا يجلو شروقه



لست أدري أطيوف الشك حالت دون فكري
أن يرى الفجر أم الأقدار لفت ومض فجري؟
غير أنني لم يعد يبصر طرفي خط سيري
حالك دربي وأثواب الدجى تكسو مقري
كل ما في الأفق المظلم نيراً فوق صدري
ورؤى تملأ بالآهات والآلام عمسري

وهذا الفتى الجامعي المثقف ، يصاب بحياة أمل بعد معاناته الدراسية فلا يجد
وظيفة تناسبه ، ويرى أن انعدام المنهج الذي يوطر العمل الوظيفي للمجتمع لا بد
أن يكون موضوعياً نظاماً ودقة وتنفيذ بلا تلاعب . ذلك هو الحل :

كم تلهفت إلى نهج به ترتاح روحي
وتشوقت إلى مأوى به تشفي جروحي
طمحت نفسي إلى المنهج لكن طموحي
بددت في متاهات صحاري الموت ريحي
لم أجد لي منهجاً يعث في قلبي الجريح
وهج النور ولألاء سنا الشوق الذبيح

والواقع أن المنهج موجود في ديوان الخدمة لكن مدراء الموظفين وأمشالهم هم
الذين يضعون العراقيل .

كلما فكرت أن أسلك في أفقي سيلاً
ومضت ترسم لي كفاي منهجاً جميلاً
أوشكت مهجتي الحري إلىه أن تميلاً
غير أنني المح اليأس على دربي نزيلاً
ثم لا البث أن استصحب الشك خليلاً
وإذا بي أرى عن نهجه المضي بديلاً

ثم هو يفضح الأمر بأن طلب الرشوة ظهر وبان ، وتجلي للعيان ، وتلك
مصيبة إن وجدت فيها بلواء اجتماعية :

قلت : أندس كغيري بين أحضان الوظائف
وهنا جمعت أوراقى وما لي من معارف
وتوجهت إلى الباب سعيداً غير خائف
قال لي من في يديه الأمر والتشيع : آسف
هات حق الدرب . قلت : النبع من بتر نازف
قال : لا تصلح منذ الآن . مجنون مخالف

لكن هذا الفتى امتنع عن الرشوة ، وابتغى المثالية لعله يجد خيراً منها ، بل
أدرك أن الإعلانات زائفة غير صادقة فكدف بصحيفتها:

وتركت الباب خلفي كارهاً ظل الوظيفة
عملاً من يدفع الرشوة يبصره حليفه
ثم صوبت إلى البيت فألقيت صحيفة
قلت في نفسي : لعلني أدرك الروح النظيفة
سطرتها بمداد النور أقلام شريفة
وإذا الكل مرء خط للزلفى حروفه

لكن الواقع أن الرشوة المباشرة لم تشع في المجتمع ، وإنها حالة نادرة ، لكن الذي شاع إنما هو الوساطة ، سهل أموري اجعل أمورك ميسورة .

ودخلت السوق بحثاً عن منا يشفي جراحي
فوجدت المرشد الواعظ يدعو للصلاح
قلت : أقفوه وعمت إليه في صباحي
والعصا واللحية المرخاة درعي وسلاحي(١)

وهو في الأبيات الأخيرة يشير إلى أن كل أهل الصلاح لا يمارسون الأعمال المهنية أو التقنية ، وإنما يكتفون بالقليل من أجر الحسبة الضئيل ، ولو أنهم لجأوا للأعمال المهنية والصناعية لوجدوا خيراً كثيراً .

تلك لون من ألوان الأمراض الاجتماعية التي تؤدي إلى التفكك في العلاقات الاجتماعية ، لكن أنهه أن هذه الظاهرة جاءت قبل شيوع الخير وتدفعه قبل عام ١٣٩٥هـ ، لكنها أخذت تعود الآن بسبب قلة الوظائف ، وما أشار إليه الشاعر . والتسلط على الوظائف ، إنما هو مطلب من ضعاف النفوس ، لأنهم يرون فيه هيمنة واستبداداً ، ونفوذاً ، وما دروا أنه مولد الفرقة ، وليس فيه عدل ولا إنصاف ، ومخاطره على المجتمع أكثر من محاسنه التي لا تعود إلا على فئة قليلة ، وينجم عن ذلك أن يضل المجتمع في معاناة شديدة ، وإحساس بالظيم والقهر ، وعدم إتاحة الفرصة للمبدعين ، وأفضل تصوير لما يتولد عن هذه الحالة قوله :-

أنا في هذه الحياة كئيب أشرب الهم بكرة وعشياً
جرعتني من كرمها كأس غم وشراباً من الأسى علقمياً
وتولت يد الخطوب لؤادي منذ أن كنت في المهاد صيباً
وترعرعت لا أرى غير هم يقتل الحر والهمام الأيباً

(١) ديوان بوح الشباب ٢٧ .

وطيوف من فاتكات المآسي أصبحت للفؤاد خصماً عتياً
 لست أدري لم الخطوب اعترفتي؟ وإلام القيود تدمي يدياً؟
 أي ذنب جنيت؟ ما هو إثمي؟ لم أجي في الحياة شيئاً فرياً
 غير أنني وبالأحزان قلبي في جحيم الشقاء ما دمت حياً (١)

فيجب أن يعمل المجتمع جاهداً أفراداً وهيئات على معالجة القضايا التي تثقل
 كاهل الأمة من شباب وكهول وشيوخ ، وترخر دواوين الشاعر الدكتور عبد الله
 العثيمين بقضايا المجتمع المتعددة ، ونحن لا نشك في صداقته ، فهو ينبع من فكر
 متنور بعيد عن الأحقاد والأضغان لكنها معاناة شاعر ينبض قلبه بحب مجتمعه .

(١) المرجع السابق ١٤ .

المبحث الثاني الدولة والمجتمع

- الأمن الاجتماعي .
- الاتجاه الإسلامي .
- معالم النهضة والدعوة إليها .
- غايات المجتمع ووظيفة الدولة .

الطبقة :

عرفها كنز برك بقوله : ((مجموعة أفراد تقوم العلاقات فيما بينهم على أساس المساواة ، وتقوم بينهم وبين جماعات أخرى على أساس التفاوت في مجال الحياة ، وما ينشأ عن ذلك من تفاوت في المقام يؤدي إلى ظهور الفوارق في السلوك وفي التعبير ، وفي اللباس ، والتربية والعادات والتقاليد الاجتماعية))^(١) .

ولا يفوتنا قبل كل شيء الإشارة إلى أن المساواة هدف ديني وإنساني ، وسياسي ، واجتماعي ولا سيما في تشريع الدين الإسلامي ، غير أن طبيعة البشر كأنها تحتم الطبقة ودرجات القيم الإيمانية تقوم على العمل بالعبادة ، والجهاد ، وعمل الدنيا بالنية الحسنة والافتقان ومراقبة الله ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ ﴾^(٢) ، وتسمية الدرجة لطف وأفضل من الطبقة .

والدرجات تقوم على التفاوت في العلم ، فإن المرتقي للطبقة يكون عبقرياً عاملاً مخلصاً متفانياً ثم يخلفها لأبنائه ، ومن هنا كان أصلها الجد . والقرآن أشار إلى التفاوت المتعارف عليها في علم الاجتماع بقوله : ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا ﴾^(٣) ، ودلالة كلمة سخرياً دلالة قوية ، وهو ما يحدث بين الطبقات ، نلاحظ أن المساواة في الإسلام ((هي مساواة في الإنسانية بمعنى أن الإنسان المسلم يساوي الإنسان المسلم ، ولا يفضل أحدهما على الآخر إلا بالتقوى))^(٤) إذن فالنظرة الأساسية هي المساواة بين عامة الناس

(١) سعدي صناوي ، مدخل إلى علم اجتماع الأدب ١٢٠ .

(٢) سورة التوبة : ٩ .

(٣) سورة الزخرف ٤٣ .

(٤) د . زيدان عبد الباقي ، علم الاجتماع الإسلامي ٨٦ .

لكن صفة الطبقة تأتي من ناحية الملكية ، أي أن الثروة هي العامل الرئيس في تكوين الطبقات ومنها تنفرع عدة فروع لكن لا ينبغي أن يطغى صاحب المال أو تكون له ميزة أخرى على التعامل الفردي مع الآخرين كأن ينظر إليهم نظرة فيها سخرية أو احتقار .

ووجود الطبقة التي هي التفاوت في الدرجات ((هدفه إيجاد المناخ الملائم للتكافل الاجتماعي ، وهو تكافل صاحب المال مع صاحب الطاقة على العمل ، فقسمة الله لمعيشة الناس في الحياة الدنيا ، اقتضت أن بعض الناس يملكون ، والبعض الآخر لا يملك منه شيئاً ، وإنما يملك القدرة والاستعداد المهني على العمل، فوجود المالك ، ووجود العامل معاً هو لتحقيق التزواج والتماسك في المجتمع))^(١) ، ومع التوجيه الرباني فإن الإنسان يقع منه عدم الالتزام ، ولا ريب من ظهور الطبقة في المجتمعات ومنها مجتمعا وإن كان التفاوت أقل بكثير من غيره ، والطبقات الماثلة اليوم تدور حول ثلاث هي :

١ - طبقة الأثرياء ، ٢ - الطبقة الوسطى ، ٣ - طبقة الفقراء .

ومن هنا تتأثر الطبقة بالثروة والمهنة ، ونوع الحياة ، والتربية . فكل منها وسيلة من وسائل التزقي إلى طبقة أعلى ، وضعفها يؤدي إلى الانحدار إلى أسفل . وللطبقة أشكال متعددة تميزت في القديم بالجنس والعنصر ، كما يظهر في التميز بالعناصر السامية ، أو العنصر الفارسي ، والعربي ، والهندي ، وما ظهر في طبقة العسكريين من الفرسان في القرون الوسطى وأمثالهم من العسكريين أو الجيوش النظامية من الأتراك في القرن السادس الهجري وما بعده حتى مطلع النهضة المعاصرة .

وإن ظهرت هذه في المجتمعات المعاصرة بما هو أخف لكن رباطها ما زال متواصلاً في القومية العربية ، وفي القبيلة فمهما كانت الدرجة ، التي يرتقيها الفرد

(١) المرجع السابق ٨٧ .

فإنه يمت إلى قبيلة بصللة لا سيما في الجزيرة العربية لكن التشكيل الجديد للمجتمع الجديد جعل التميز الطبقي ضعيفاً لعدم حمايته بقانون أو نظام وذلك من فضل الله .

والتشكيل للمجتمع قام علي المساواة الدينية ، والمساواة الفردية ، وفتح الباب لتشكيل جديد ، ويقوم في أغلبه على نشاط الفرد وكدحه ، وإن كان التوارث العلمي والإداري له دورة في ريادة الطبقة من هؤلاء لتفوق أفرادهم الثقافي ، ومساعدة أبنائهم على اجتياز العقبات ، غير أن الأكثر وبعد فترة ليست بالطويلة قد اجتاز حدود طبقته القروية والبدوية ، بفضل التعليم ، لأن أولئك لم يستطيعوا ملء الفراغ العملي المفتوح ، ولأن تجاوز الطبقة مفتوحاً فلا نظام يمنع التجاوز أو الانحدار .

وما زال هذا التكوين الطبقي في مرحلة التشكيل حتى أيامنا هذه ، بل حتى كادت تختفي معه معالم الطبقة غير أنه كما مضى في مفهومها تتسع لتكوينات متعددة ، وإن صعب تحديدها تحديداً دقيقاً . حتى أولئك الكثر الذين تجاوزوا طبقتهم فإنهم مشددون بروابط اجتماعية تشدهم إلى أسرهم ، فهناك المثقف بينما أخوته متوسطي المعرفة ، وهناك الضابط الكبير وأخوته مازالوا في بداوتهم ، وهناك الوزير وما زال أقاربه في قريتهم أو في بلدتهم الصغيرة .

إذن فمجتمعنا الآن يتأثر بالدخل الفردي أي (الثروة) فرجال الأعمال لهم طبقتهم ، وكذلك أصحاب المهن مثل العسكرية والطبية ، والهندسية ، والعناية الفائقة بالتربة ترفع بالأبناء إلى طبقات علمية وظروف الحياة وتقارب الناس في الدخل وتكوين الذهنية يجعلهم يتقاربون في الطبقة وإن اختلفت المهن عندهم .

وإذا تمايزت الطبقة فإنها تؤدي إلى تنافر المجتمع وفرقه ((عندما قامت الفروق بين الطبقات بشكل أكبر ، يحالف الوعي الطبقي شعور بالظلم الاجتماعي والحرمان ، فإن التنظيم الطبقي عند فئة العمال وسائر المحرومين

والمظلومين من مالكي جهد العمل ، يتحول إلى كفاح للتخلص من الظلم والحصول على الحقوق ... والطبقات العليا عندما تتهدد مكاسبها ، ويزداد تكتلها ، وهي تمتلك عادة إلى جانب القوة الاقتصادية ومفاتيح العمل ، القوة السياسية أو تحاول استخدام السلطة للمحافظة على أوضاعها ((١)).

وهذه لم تتحسد عندنا والله الحمد ، وفي التشريع الإسلامي علاجاً لها ، وفي وعي السلطة حدّاً لتجاوزها ، ومن معالمها ما يظهر في تلميح الشعر ، إلى تميز طبقتهم وولوج أبناء البادية ، إلى درجات أعلى :-

ياله الحربين قوم حيارى يستوي حاضرهم لذيهم وبادي
وكريمم باخيل وقريب ببعيد ، ومؤثر كعمادي (٢)

فتعجب من مساواة البدوي بالحضري ، وهم لولا التعلم لما بلغوا أعلى المناصب . وهذه الأبيات قيلت على استحياء فالأكثرين ينادون بتحطيم القبيلة والطبقية :

يقول السويدي :

فكيف اليوم نرضى أن تُعمى بصائرنا وتطمس بالسواد
نرى أن القبيلة كل شيء نلوذ بظلها عن كل عادي
ويقول :

دعوا هذا التعلل واشمخروا شيوخ الطود يسخر بالوهاد
وعيشوا العصر دين ودينا ولبوا حاجات الوطن المنادي
لبوا حقل الزراعة لا توانوا لتأمين الرغيف على اطراد
ألا فابتوا الصروح لكل فن وأقواها على صرح اقتصادي (٣)

فهذه دعوة إلى التوازن وعدم التمايز ، والتساوي لاتاحة الفرص في العمل ،

(١) سعدي صناوي ، مدخل إلى علم اجتماع الأدب ١٢٦ .

(٢) القرشي : أطيايف من رماد الغربة ٥٢ .

(٣) هواجس ٦٠ ، ٦٢ .

والفكر ، والأداء الوظيفي ، فمعايشة العصر ديناً يدعو إلى التساوي بين أفراد المجتمع ، ومعايشته دنيا ، فالمعاصرة المعلنة تدعو إلى المساواة بين الناس .
وملخص القول :

أنا إذا نظرنا إلى معالم الطبقة التي هي ما زالت في مراحل التشكيل ، فإن المجتمع في بلادنا يتكون من ثلاث طبقات :

١ - الطبقة الأولى طبقة الأثرياء : وهذه تكونت من أولئك النابهين من العاملين يجد فمنهم من مارس التجارة ، فأخذت تنامي أمواله وأعماله التجارية، ويتمثل هؤلاء في أصحاب الشركات الكبرى ، والمصارف ، مثل البنك الأهلي ، ومصرف الراجحي ، فالأول أسسه سالم بالمحفوظ ، والثاني أسسه سليمان الراجحي ، ثم حولتهما الدولة إلى شركتين مساهمة ، ومنهم أصحاب الأراضي الذين يملكون من قبل والذين نجحوا في امتلاكها والتجارة بها ، إلى جانب عوامل أخرى أدت إلى الثراء مثل ممارسة الصناعة ، وامتلاك الأراضي الزراعية واستثمارها .

٢ - والطبقة الثانية هي الطبقة المتوسطة : وهي أكبر شريحة ودخلها يكفيها مونتها ، وتتمثل في أصحاب التجارة المتوسطة ، والزراعة أيضاً ، والمراتب المرتفعة من الموظفين والمدرسين وأصحاب الأعمال المهنية .

٣ - والطبقة الثالثة هم طبقة الفقراء : وهؤلاء من صفار الموظفين معدودي الدخل ومن العاطلين عن العمل إما لضعفهم أو لجهلهم ، أو لاتكاليتهم، ولعدم التربية التي تحث على الوعي بالعمل ، فبداية التدريس للتجارة والمهن وغيرهما لم تكن كافية حتى الآن ، ومن تلك الشريحة أولئك الذين تعرضوا لنكبات تجارية ، أو عمالية .

وأبواب التداخل في هذه الطبقات موجودة ، فربما أترى فرد من طبقة متوسطة ، وأكبر وسيلة للتداخل هي (الحراك الوظيفي) و (حراك العمل)

فكلاهما يؤدي إلى الثروة ، ومن ثم يؤدي إلى الارتقاء إلى طبقة أعلى .
ويلحق به المحرك التعليمي فهو يؤدي إلى تطور الوظيفة لكن تقف في وجه
هذه الشريحة العوائق التي تحد من إتاحة الفرص لهم .

والدراسات الاجتماعية التي قامت على الإحصائية ما بين عام ١٣٩٥ إلى
١٤٠١هـ ترى أن أكثر من ٥٠٪ من إجمال السكان يعيشون على حد الكفاف ،
وإن من يعيشون دون حد الكفاف لا تزيد نسبتهم عن ١٠٪ في حين أن ٤٠٪
من السكان يعيشون في مستوى طيب (١) .

لكنني أتوقع أن الوضع يختلف الآن بعد نزول سعر النفط ، ومشكلة حرب
الخليج ، وارتفاع الأسعار العالمي ، وتزايد دواعي الصرف على التدريس ،
ومطالب المنزل الضرورية ، تلك المطالب الجديدة من الأجهزة الحديثة التي لا غنى
للمنزل عنها . وارتفاع أسعار المحروقات ، ووسائل الزراعة والصناعة . والذين
درسوا المجتمع من خلال عائد البترول ، أبدوا التخوف من حالة الإنكماش
الاقتصادي الذي طرأ ، ورأوا أن ذلك فيه تحد للفرد السعودي والمجتمع ، فإذا لم
يعمل بجد ويحمي اقتصاده فإن التغيير للأدنى سوف يدهمه (٢) .

والواقع أن المجتمع بعد مرحلة التكوين الأولى ، قد أخذ يبني ذاته ، ويتكامل
تكوينه ، وبناءؤه ، وقد تأثر بالثروة التي أنعم الله عليه بها ، مما زادت في سرعة
نقلته إلى التحضر وبناء الذات ، فكان مجتمعنا متماسكاً يشعر بالانتماء والوحدة
في هذا الوطن ، ومع ذلك لا بد من ظواهر ظهرت جديدة يكثر فيها الإيجابيات ،
ويظهر بجانبها بعض السلبيات ، مما أوجد مظاهر اجتماعية كثيرة جداً تعرض
الشعر لكثير منها .

ولما تكون المجتمع وأخذ التنافس والتباري على بناء الذات تبين أثر المال على

(١) انظر : دراسات في المجتمع السعودي للدكتور علي شتا ٩٨ .

(٢) انظر ، عائذات البترول والمتغيرات المصاحبة لها ، د . ثروة محمد محمد شلبي ٢٣٩ ، وما بعدها .

المجتمع ، فالشعراء يرون أن تهافت الناس على المادة أثر تأثيراً كبيراً على السلوك ، فظهر عدد من الأثرياء الذين طرأ على سلوكهم بعض التغيير ، ومن حب الناس للمال فإن نظرة الناس إليهم أصبحت أفضل من نظرتهم للمبدع ، والمفكرين والمتعلمين . إذن فإن المال محرك اجتماعي يحتل المنزلة الأولى في التأثير .

يقول الشاعر عبيد⁽¹⁾ مدني في هذه الظاهرة الاجتماعية :

طفئ المال فاستخزت لديه الضمائر	وذل له قبل الصغار الأكابر
تحكم في الأخلاق فاستسلمت له	وأصبح فيها وهو ناه وآمر
أرى الناس متقادين ، رغم اختلافهم	إلى المال أني أودعته المصائر
وحسب الغني ، فيما يرون مؤهلاً	لكل علاء دونه العلم صاغر
ولو أن شخصاً جاهلاً ذا فهامة	وكان غنياً أكبرته الجماهر
يقوم له النادي ويقعد معجبا	وتعنو له فيه العقول الجبابر

والشاعر لا يعيب جمع المال بالطرق المشروعة ، وإنما يعيب التغيير الاجتماعي الذي صحبه من الذين ارتقوا إلى طبقة أعلى ، ومن نظرة الناس إليهم ، وإعراضهم عنم يستحق التقدير لعلمه وسلوكه .

ومن مظاهر التحرك الاجتماعي لهذا الذي جمع مالا ، فإن الناس ينصتون له ، ويرونه ينطق حكماً ، وبراهين ، ولفظاً فصيحاً ، وترى الناس يتوافدون عليه ، بل إن الأبصار تنظر إليه بنظرة الإكبار والإعزاز .

إذا قال فالإبداع والحق والحجى	ودر المعاني كله والجواهر
وتحصر الأفكار في كسب وده	ولو لم ينلها منه إلا المجاسر
تحيط به الأفواج من كل جانب	ويسعى - إليه أين كان - العباقر
يؤمونه لا يطلبون نواله	ولكن لأن المال ثمت زاخر

(1) ولد عام ١٣٢٤هـ في المدينة المنورة ، شاعر ، عضو مجلس الشورى توفي عام ١٣٩٦هـ ، انظر:

الموجز للساسى ١٦٦ .

وترمقه الأبصار وهي كليلة وفي وجهه للنساظرين مناظر
ومن شد عن هذى السيل فنادر وليس صحيحاً في القياس النوار(١)

ونحن لما ندرس هذا التمايز الطبقي في الشعر ، فإننا لا نتوقع أن الشاعر يعلق
الإنتماء الطبقي لعدم اعتراف الإنسان به ، لأن كل إنسان في قرارة نفسه يماثل
الأخرين ، ثم هو لا يعلنها بمحاهرة ، وأسلوب الشعر غير مباشر أيضاً ، لذا فنحن
نلتمسها بقراءة الشعر ، فهذا محمد حسن فقي يحاور من يتوهم أنه من أرباب
المجد والجاه ، وربما هو صادق لكن نظرة الشاعر غير ذلك أو العكس تلك أمور
ظنية ، لكن الحوار ينبئ عن تفاوت طبقي ، فصاحب المجد في نظر الشاعر اتخذ
وسائلا غير شريفة في سبيل ترقيه للطبقة العليا ، فهو في الأصل كان خاملاً ،
وليس بالملتزم ، وكم له من المواقف الذليلة . إذا فهذه نظرة الفرد أو ما يعلل به
نفسه ليبرر ظهور الطبقة العليا ، لكن هذا التبرير يصدق أحياناً ، ويتضاءل تارة
أخرى ، فالشاعر يحدد أن طلب الجاه وبلوغه يؤدي إلى طبقة أعلى :-

حدثني المجد وأصواته	تضج في السمع ضجيج الرعود
لكنني أبصرت في عينه	ومضه خير في مطاوي الحقود
قال : تكبت طريق الهدى	لما تكبت طريق الصعود
إنني لأرثي لك من خامل	أصبح كالأرنب بين الفهود
قلت له : يا صاحبي إنني	عرفت في الخير طريق الخلود
الخير مجد ما يضل السرى	ناشده ما يلتوي في القيود
كم ضارع للمجد في ذلة	فما يبالي وجهه بالسجود
أصبح عبداً للهوى راسفاً	في قيده متشياً بالكنود
وما مقام المرئ في قمة	مثل مقام المرء تحت اللحد
ولست بالراغب في نشوة	تمسخني تدفمعي للجحود
فأومضت عيناه إيماضة	تستطن الود وتبدي الصدود

(١) الديوان ١٦٦/١ .

وقال لي : يسارب ذي نعمة لم يشق يوماً بلجاج الحسود
 يجبها الشقوة من غفلة وهي لباب المجد .. سر الوجود
 إذن فإن الشاعر لم يرغب في تلك الوسائل التي جعلت أقرانه يبلغون تلك
 الدرجة وهو يفصح عن عامل آخر من عوامل تكوين الطبقة وهو المال ، وذلك
 ما أشار إليه علماء الاجتماع ، فهو من العوامل الكبرى التي تؤدي إلى التفاوت .
 حدثني المال والآؤه تخلب بالنعماء هذا السورى
 وقال لي : قد نلت بعض اللهى مني ، ومن حقتك أن تشكرا
 وسوف أحبوك على شكرها ما سوف يعلو بك فوق الدرى
 يرجوني الناس ويظرونني من في الثريا كان أوبي الشرى
 غدوت فيهم خُلماً رائعاً كما غدوت الأمل الأكبرا
 وأنت ! من أنت ؟ أنت الذي بي قد علا ذكراً وقد سيطرا
 قلت : بلى .. لكنني خائف أن تجحد النفسُ وأن تطيرا
 ورُب عسر لم يكن مظلماً ورب يسر لم يكن نصيرا
 ما قيمة المال إذا ما غدا صاحبه بين السورى مزدرى
 كثيره يجعلني ضيفاً ونزره يجعلني جوذرا
 ما قدم المال على طولهِ مصائر الناس ، ولا أخرا
 وقضية بلوغ القمة بالمال من أسس مكونات الطبقة عند علماء الاجتماع ،
 وعند أكثر الفلاسفات .

لكن القيم والمثالية الإنسانية لا ترى في المال ميزات ترفع الإنسان عن مجتمعه،
 وذلك ما يؤدي إلى القناعة ، لكن من نال حظاً من المال لاشك في إرتقاء
 معيشتة، واختلاف حياته حتى عن مماثليه في الثقافة ، فهناك المثقف الشري غير
 المتوسط الحال والفقير . وحب المال والملكية غريزة إنسانية ، فالفقير يتطلع أو كل
 فرد يتطلع لها شغفاً وحباً ، والمال وسيلة الارتقاء إلى الطبقة الأعلى .

والإنسان تتغير نظرتة إذا ما أثرى عن نظرتة يوم كان فقيراً وتشكل حياته

بتكاثر المال وقلته ، فهو يتعامل مع من يستفيد منه ، ويبادل المصالح والمنافع ،
وتنحسر عنه المثالية ، وهو يصور التعامل الطبقي الذي يقوم على النفع ، فإذا كان
ذا سعة فإن رغباته تلبى ، أما إذا كان فقيراً فالأبواب توصل في وجهه .

والناس ما شمت فيهم من يصاحبي إلا الذي شام نفعاً أو رأى باساً
إن كنت ذا سعة زادوك توسعة أو كنت ذا فليس زادوك إفلاساً
لما تعرفت بالإطهار أفرعني أني تعرفت في الأطهار أنجاساً
داسوا الضعيف ولم يحفل به أحد منهم، وديسوا فما لاموا الذي داسا(١)

فالحواجز هذه من خصائص الطبقة ، فلا يرتفع الضعيف لينافس غيره . هذه
الحواجز تولد التنافر ، والفرقة الاجتماعية .

والشعر يكشف عن تداخل الطبقات عن طريق صعود بعض الأفراد إلى
أعلى، وهبوط آخرين :-

يامن تردى للحضيض وكان في القمم الشواسع
كيف المحدث إلى الخسائس بعد مرتفع النوازع
جربت من حاليك أشتاتا فماذا أنت صانع
أفانت تحفل بالمآثر كاحضالك بالمطامع
وغدوت تؤثر في حياتك أن تكابر أو تصانع
وتطامن الذوق الرفيع تطامن الذوق المخادع(٢)

وقد استشعر بعض الشعراء معالم أشواك تودي إلى التيرم ، والضيق بها ،
وهي تقف في مساواة الأفراد بل وبلوغهم بثقافتهم ، ونبوغهم إلى ما يرمون ،
وذلك ينجم عن تصرف من رئيس مؤسسة يحابي ويحجز الوظائف للمقربين ، أو
ينتفع بها مقابل خدمات أخرى . وهذا من معالم التفكك والعودة إلى التجمعات
المغلقة مثل القبيلة والإقليمية ، والشاعر السويدياء يشكو منها مخاطباً ابنه الذي

(١) المرجع السابق ١/٤٨٠ .

(٢) المرجع السابق ٣/٥٥٧ .

تعرض لمثل هذا الموقف .

فالصبر من شيم الكرام	أبني ((ماجد)) فاصطبر
عاقوك عن ليل المرام	أبني لا تجزع إذا
تحتاج معمعة الزحام	لقد أجهدت مواظباً
وتطلع نحو الأمام	كل الحياة تجارب
حيناً ويسرع للقيام	يكبو الجواد بدرسه
تصو إلى صدر المقام	نفسى كنفك في الغلا
لتكون في ضعف المنام	فلقد بذلت وجاهتي
من حول مائدة اللنام	لكننا في موقف
الكون مصايح الظلام	أبني لا تياس ففسي
قد ساقها منشي الغمام ^(١)	أرزاق ربسي جمعة

ومثل هذه القضية قليلة في الشعر بوجه عام ، ويعود هذا إما لندرتها ، أو لأن المجتمع يحاول أن يدمل إي جرح فلا يشير هذه حتى لا يتسع الخرق على الرقع .

وسبق أن تحدثنا عن تأثير الثروة على الطبقة ، فالثروة تؤدي إلى الجاه ، والارتفاع إلى طبقة عليا ، وما دامت أنها تمتلك الجاه فلها تأثيرها على شرائح المجتمع ، ومن ذلك وسائل الإعلام ؛ فالشائع عالمياً أنها مأجورة أجرة مباشرة أو ملتفاً ، فالصحافة تتعامل مع الأثرياء ، وأهل الجاه ، لغايات أخرى ، فكثير من الذين يبرزون في الصحافة لا يبلغون تلك المنزلة لولا التأثير ، أو لنقل ليسوا بأفضل من غيرهم فمن لم يستطع أن يلمع كلمعائهم ، ومن هنا فإن عدداً من الشعراء والأدباء حازوا على جوائز في الإبداع والتأليف خارج الوطن ، ولم تبعاً بهم وسائل الإعلام ، وفي هذا مخالفة لغاية الدولة والوطن ، فإن المبدعين لهم حق على

(١) هواجس ١٥٠

بمجمعاتهم ، يرأبون صدعهم ، ويجفزونهم بالحواجز المادية والمعنوية ومثال تلك القضية ما أشار إليه أحد الشعراء وقد قدم للأبيات بقوله : ((قرأت في زاوية صغيرة عتب الشاعر فائز عجيان العروي الذي نال جائزة الشعر في مهرجان الأسكندرية عام ١٩٨٩م ، ولأنه شاعر غير مشهور وليس من ذوي المناصب والجاه فلم تشر إليه وسائل الإعلام وتأثرت من ذلك فكان ميلاد هذه الأبيات على لسانه)) .

وتلك الحادثة أوحى له بنشر القضية ، وعاد بها الشاعر إلى الجاه والمكانة الرفيعة التي تجعل وسائل الإعلام تتسابق إليه .

من لي بجاه عريض يرتقي أدبي	إلى المكان الذي قد حله الجاه
من لي بمركز المرموق أرقبه	حتى أطاول صرحاً طال مبناه
إن قلت قولاً على الأسماع تنشره	وسائل وعقول الناس تقرأه
وإن تنكبت بجر الشعر معتصفاً	قالوا : هو الشعر ضاع الشعر لولاه
فرائد الدر في الآفاق نشرها	خرائد لم يقبها يميناه
الجاه يرفأ أشعار مهلهلة	حتى الشماله تعميها حمياه
والمركز القذ يدينها ويرفعها	إلى المكان الذي كانت تمناه
ويكسر الطرف عن سر بجرتها	يصم سمعاً لأذان تلقاه (١)

الواقع أن المجتمع في بلادنا تشكل من تجمعات متعددة ، فالفرد يشارك في مصالح متعددة ، ويحمل هموم الوطن ، وتتفرع الجماعات الصغيرة إلى جماعات اقتصادية ، وتربوية ، وثقافية ، وأيدلوجية إلى جانب الروابط الدينية العميقة ، والإقليم ، والقبيلة ذات الجذور لكن هيمنة الإقليم والقبيلة تضاءلت كثيراً ، للعناية بالفرد وإفصاح المجال له معتمداً على نفسه حتى بلغ مجتمعنا درجة جيدة من التأزر والتعاقد ، ولكن لا بد أن تكون هناك نوزاع شريرة ما دام الشيطان

(١) المرجع السابق ١٨٣ .

والأعداء ، والمنافسين في هذا الكون ، وللشاعر السويدياء قصيدة (قافية) من أجمل قصائده ، فهو يشبه تلك الإنحرافات ، وعوامل الإثارة التي تشعل الصدور بالعوائق الحجرية في الطريق ، والأشواك فكل منها يدمي ، ويعوق المسير ، وتنهش الأقدام ، وتفتح جروحاً أخرى :

ياريفقي فوق ذبائك الطريق هل تنهت لأخطار الطريق ؟
هذه الأحجار من بعثرها؟ في ثانيا الدرب في جوف المضيق
هذه الأشواك من ركزها؟ فوق سطح الأرض بالوضع الدقيق
تنهش الأقدام تفري بطنها تنغر الجرح وللسير تعميق

والشاعر يبين معالم تفكك العلاقات الراسخة ، فهم يشتتون الشمل ، بين الأفراد والأسر والمجتمع ، فأوجدوا شكاً بين الأفراد والجماعات .

بها الأعداء في بوتقة ها في الدهن رنين وبريق
حاولوا تثبتت شمل سالم لرقوا بين شقيق وشقيق
قصدوا تحطيم جسر قائم أفسدوا بين صديق وصديق
جربوا تدمير صرح شامخ باعدوا بين رفيق ورفيق
حاولوا تفتتت حلم جامع بالتنائي بين خل ولصيق
عزموا إيقاف شر نائم بصراخ وبناح ونعيق

ومعروف أن العادات الموروثة كامنة جذوتها في النفس ، عالقة بها ، فهي من مكونات الطبقية ؛ فالعربي يحرص على الانتساب إلى قبيلته ، والقبيلة تتكون من العربي صلية ، ومن الدخلاء من العرب ومن لموالي ، والمفسدون أخذوا يثرون ذلك وهم أيضاً آثاروها بين الأقليم الواحد ، وأشعلوها في الريف أو أرادوا إشعالها ، فقالوا هذا قبيلي ، وهذا حضيري ، هذا صانع وهذا رقيق ، وتلك تفرقة ما أنزل الله بها من سلطان ، ولو اعتصموا بالدين الذي يزن الناس بميزان التقوى ، وأدركوا عقلاً أن كلهم من آدم لما كان لهذا الإرجاف أثر وهو قليل أو مازال قليل ، فعلياً أن نتوجس خيفة من إثارة العصبية أو الإقليمية .

فأتوا من ثغرة طنوا بها
وأراقوا سمهم في جوفها
أوغروا فيها صدوراً هزها
ذاك في تمييزهم مسا بيننا
ذا قبليسي وهذا صانع
فأشرأبت بعض أعناقها
وهو لا يدرك حقاً أنها
وتناسى نظرة الدين لها
مدركها أخطارها في زمن
لم يقم للعرب عز شامخ
رفرفت في ظله راياتهم
لا ولن تسمو لهم قائمة
قبله كانوا شتاتاً منهكاً
هكذا يرجو لنا أعداؤنا
فرق القوم تكن سيدهم

والشاعر يوجه الدعوة لأبناء الأمة ، فعلينا أن نفكر بمستلزمات العصر ،
ومكانتنا فيه ، وعوامل قوتنا ، ونبذ الصراع ودواعيه ، ونعمل ، ونجلب العلم
النافع ، ونلتف حول ديننا الحنيف في ظل حكومتنا أيدها الله .

يا رفيق الدرب قد طال الكرى
لنرى الدرب بعين حرة
ونجاري العصر في مفهومه
نبري للمجد في إيماننا
أترانا بعد هذا أن نفيق
ونجوب الأرض في فكر طليق
ونباري القوم في الكون السحيق
وسلاح العصر بالمعنى الدقيق^(١)

(١) المرجع السابق ١٣٢ حتى ١٣٣ .

الإقليمية :

والشاعر يستشرف الأمور قبل أن يستفحل أمرها ، ومن ذلك قصيدة الشاعر إبراهيم محمد الدامغ^(١) من عنيزة ، يعمل موجهاً في تعليم القصيم ، فقد رأى ملمحاً لتنامي الإقليمية في بلادنا عند شريحة قليلة من المجتمع ، لا تعي بعواقبها السيئة على المجتمع ، وعلى تآلفنا وتآزرنا . فهي تهذي بما لا تعي ، وخشية من أن تشتعل الشرارة فإن الشاعر يريد إطفاءها وقتلها في مهدها . فهو يدعو إلى الوحدة والتكاتف والتآزر والبعد عن الفرقة وأسبابها أولاً :

أحيرا صغتموه إلى الرواة ؟	بُناتي أين حقي يا بُناتي
لحق ذلك رأس الموبقات	أم التعريض بالنعرات يوفي
أبي يستطيع لظي الممات	سلوا من كان يفديني بعزم
لنجد عنوة سيف الغزاة ؟	هل البطحاء مهد الدين تنوي
تندد باليمامة والسراة ؟	وهل وادي القصيم وسفح رضوى
بُناة الحق من عهد البناة	تعالى الحق .. لم ينطق بمقت
سليل الصيد مفتول القنائة	بني ، هجر لكم وبكم نباهي
وهبوا من مساومة السبات	فروضوا النفس عن دنس التواني
يعز على الطوارق والجفائة	للأوطان في الأرواح ديين
وكم وفقت في جمع الشتات	أردت لكم على أمل وفاقا

بُناتي أين حقي يا بُناتي ؟

يرى علماء الاجتماع وغيرهم من المفكرين أن للمجتمع واجب على الفرد يسير جنباً إلى جنب مع حقوقه الذاتية ، والشاعر أدرك إخلاص الأوائل في بناء المجتمع والوطن مع التأخي والتواد ، ولما نهض المجتمع وأخذ ينمو بدأت النعرات

(١) ولد في عنيزة عام ١٣٥٧هـ ، يعمل في التعليم له ديوانان هما شرارة النار ، والبيادر ، انظر :
الكتاب والكتابات ص ١٠٨ .

تطفو ، فرأى أنها رأس المهلكات للمجتمع ، فهو يصرخ إنذاراً للإبتعاد عن تلك التي تدعو للعصية أو الإقليمية ، أو العنصرية ، أو النحل والمذاهب ، وكل ما يولد الفرقة والشقاق ، فالوحدة نمت في البلاد من جميع الأقاليم نجد والحجاز ، و هجر والقصيم والشمال والجنوب . فهو يتحدث بلسان الوطن والمجتمع داعياً لأهله المحافظة على الاتجاه .

غرست لكم بكفي خير غرس	وسقت لكم بلا ثمن سراتي
وأودعت الجاهل في كنوزي	وحملت المواخر بالهبات
وصفت لكم عقود الزهر حتى	دعيتم بالأشواوس والأبهاء
فما للحق فيكم هان إلا	ببيض يقتضي أئر الهداة ؟
لئن عقد الكفاح لكم بنودا	معلمة بماء المكرمات
ورواكم بقلقه مضاء	ووحداكم على هدف الأساة
فلن أرض لكم أهدأ بجرح	ومعدنكم ملاك الطيات
أردت وفاءكم وإلى المعالي	نسبت إباؤكم طلق السمات
وكل معلق للنور خيطاً	سيني في مشارفه حياتي
فهل عرف البنسون حقوق أم	روت بالحب مغروس النواة؟

بُناتي أين حقي يا بناتي؟^(١)

إذن فالإقليمية تعارض الوحدة الإسلامية ، وتتعارض مع الوحدة العربية ، وتتعارض مع الوحدة الوطنية ، فهي المرتبة الأخيرة من عنصر الوحدة بعد القبيلة . والإقليمية تؤدي إلى التصارع بين الأقليات الوطنية ؛ لتؤدي إلى التفتت ، ثم هي تتحول إلى قبلية ؛ لأن الإقليمية متكونة من عناصر أسرية . إذن فهي أقرب رهماً إلى القبيلة المقيمة التي فتكت بالجزيرة العربية .

والإقليمية فتكت ببلاد المسلمين ، فبلاد الشام كانت إقليميات متوزعة إلى

(١) ظلال البيادر ٨٠ .

إمارات ، لما هجم الصليبيون عليها عام ٤٩٠ هـ ، ومنعت تلك الإقليمية من توحيد الصفوف في وجه الصليبيين . فسهل عليهم الاستيلاء على كل إقليم منفردا لأن إقليم الشام توزع إلى أقاليم ، مثل دمشق ، وحلب ، والساحل إلى مدن ، وهكذا .

وأيضاً فالإقليمية في بلاد المسلمين زمن الهجمة التارية سهلت على التتار اختراق ديار المسلمين ودمارها . إذن فإن تحذير الشاعر إبراهيم الدافع من استفحال الإقليمية له دلالة على وعي الشعراء بحال المجتمع ، وأن شعرهم وظف لمعالجة القضايا الاجتماعية .

ومن هنا فإني أدعو إلى دراسة وطنية لدراسة مثل هذه القضايا ، وتحديد المشكلة وأسبابها وعلاجها . فالمجتمع هو عنصر الحياة ، فيحتاج إلى أطباء استشاريين لمتابعة حالته الدائمة ، فما أجدره بمؤسسة أكاديمية .

والإنسان يجب عليه أن يستشعر المسؤولية أمام الله ، ثم أما مجتمعه ووطنه وأمة الإسلام ، وأن يحمي الأمة من أن تدخل من جانبه أو تهوي أو تضعف أو تنهب ، أو تُسرق ، فإذا حميت تلك الثغرات فذلك تكامل الأمة . أما إذا انتهب الفرد لذاته مالا وجاها بلا وجه حق فإن الأناية تعطي وتنحسر القوة ، والقوة ليست في الفردية ، وإلا لكفت الأنبياء والمصلحين ، وإنما في صلاح المجتمع ، والصلاح يجمع المؤمنين وذوي الألباب ، والفردية ، تجمع حولها أهل الأطماع والشهوات للعمال والجاه والمظهر . وهل يستويان ؟!

وعلماء المجتمع أدركوا مشكلات الإنسان داخل مجتمعه ، ومشكلات الجماعات والمشرائح في إطار المجتمع ، والمشكلات التي تهب عواصفها على كيان المجتمع ذاته . ولذلك رأت أن تحرص على أنظمة المجتمع على تكيف الفرد مع البيئة الخارجية والطبيعية والواقعية من حوله ، من توفير الحماية والرعاية للفرد وأسرته ، وتأمين الغذاء المادي والروحي ، والكساء المادي والمساوى ، وأن تضبط

ذلك في توازن واعتدال ، وتكون له أنظمة مقنعة .

والمجتمع يحمل في ذاته مشكلات تنتمي إلى الذات وإلى العصبية أحياناً أخرى ، وإلى الإقليمية أو الشرائح ، الثنائية الثقافية . فلا ريب من قيام تلك ، لكن من الأفضل أن يكون هناك تنسيق كامل بين الأنشطة والرغبات عن طريق وضع الإجراءات والقواعد مما يساعد على تحديد تلك الأدوات وضوابطها^(١).

والنظرة الواقعية لمجتمع بلادنا تمنحنا القناعة والإعجاب والزهو بما نحن فيه ، بل تتجاوز ذلك إلى تشرب الغاية والإخلاص لها ، والتفاني من أجلها . ومع ذلك فهو كغيره من المجتمعات يخضع لعوامل خارجية ، وأخرى داخلية . فيجب على الفرد والتجمعات المحلية وكيان المجتمع أن يكون يقظاً حذراً واعياً متديباً في واقعه ، راصداً للجوانب السلبية واقفاً لها بالمرصاد ، بمعالجة إيمانية ومنهجية وعلمية . ومن هنا فإني أطرح بعض الأفكار لمعالجة هذه القضية :

♦ بناء أكاديمية اجتماعية تستقي معلوماتها من نبع المجتمع وتوجهاته ، فترصد الإيجابيات وترسخها ، وتكشف المعاييب وتحذر منها ، فتحدد المشاكل وأسبابها ، وتعالجها من المنبع الإيماني . فيكون أعضاؤها من العلماء والمفكرين ، ومن المختصين في علم الاجتماع ، ومن سابقى التنفيذ ، الواعين القادرين على استيعاب الأحداث بنظرة ثابتة حاضرة ، ولا يشترك فيها إلا من برز تفوقه وتآلق عطاؤه .

♦ إعداد مواد برامج إعلامية بوسائل مختلفة ؛ لتكون عاملاً لترسيخ القيم الاجتماعية والوحدة المتلاحمة .

♦ التجرد من القطرية والإقليمية والعصبية القبلية ، ونزرع في شباب المجتمع حب التلاحم والتآلف ، مع الإقناع بالبرهان ، فهو عماد القوة والمنعة ، وإكسير التقدم . نفكر ملياً في موجبات ذلك التلاحم فنأخذ بأسبابها .

(١) المجتمع البشري لعلي شفاء ص ٧٠ .

المظاهر الاجتماعية :

في كل مجتمع من المجتمعات البشرية ، يرى الإنسان مظاهر اجتماعية ، متنوعة ، ومختلفة وربما متفاوتة متعارضة بين المجتمعات . وقد وصف علماء الاجتماع الظاهرة بأنها ((عبارة عن القوالب والأساليب التي يصبون فيها أعمالهم، والطريق التي يسرون عليها في مختلف شؤونهم))^(١) ، وعرفها دوركايم بأنها ((الحدث الذي يجري داخل المجتمع ، وتكون له أهمية جماعية .. وهو كل أسلوب في التصرف ثابت أو عرضي ، بإمكانه أن يفرض نفسه على الفرد))^(٢) ، فالظاهرة تلقائية ، وعامة وإلزامية ، وتاريخية . ومن تلك مظاهر الألبسة، فقد كانت تختلف من إقليم إلى إقليم ، ففي الحجاز غيرها في نجد ، وكذلك تختلف في الجنوب لكن بعد توحيد البلاد غلب عليها الثوب والغزة والعقال .

ومظاهر الأطعمة تختلف حسب الإقليم والمدن والقرى والبادية ، غير أنها أخذت تتقارب الآن لكن تختلف مظاهر المائدة ، وأصناف الأكل عليها ، حتى طرائق الجلسة . والاختلاف في المظاهر يكثر في العلاقات بين أفراد الأسرة وفي الحياة الزوجية ، والأسرية . وتجسد الالتزام بالروابط عند أهل القرى والبادية ، أكثر من الحاضرة ، بل إن المرأة مؤثرة على الزوج تستميله إلى أسرتها في المدن بينما أن الرجل يستميل المرأة إلى أسرته في الريف والبادية .

والظواهر الاجتماعية منها ما يكون ثابتاً مستقراً لمن هذا الاستقرار ليس لازماً من لوازمه ، وربما طراً تغير على جانب من جوانبه ، وأساليب التعامل الاقتصادي ولا سيما ما يدخل ضمن التشريع أو الأنظمة . والاختلاف بين المجتمع يكون بالالتزام أو مخالفته كالتعامل مع البنوك ، وقضية الادخار ، ومنها

ذلك في توازن واعتدال ، وتكون له أنظمة مقنعة .

والمجتمع يحمل في ذاته مشكلات تنتمي إلى الذات وإلى العصبية أحياناً أخرى ، وإلى الإقليمية أو الشرائح ، الشائبة الثقافية . فلا ريب من قيام تلك ، لكن من الأفضل أن يكون هناك تنسيق كامل بين الأنشطة والرغبات عن طريق وضع الإجراءات والقواعد مما يساعد على تحديد تلك الأدوات وضوابطها^(١).

والنظرة الواقعية لمجتمع بلادنا تمنحنا القناعة والإعجاب والزهو بما نحن فيه ، بل تتجاوز ذلك إلى تشرب الغاية والإخلاص لها ، والتفاني من أجلها . ومع ذلك فهو كغيره من المجتمعات يخضع لعوامل خارجية ، وأخرى داخلية . فيجب على الفرد والتجمعات المحلية وكيان المجتمع أن يكون يقظاً حذراً واعياً متديباً في واقعه ، راصداً للحوائب السلبية واقفاً لها بالمرصاد ، بمعالجة إيمانية ومنهجية وعلمية . ومن هنا فإني أطرح بعض الأفكار لمعالجة هذه القضية :

✦ بناء أكاديمية اجتماعية تستقي معلوماتها من نبع المجتمع وتموجاته ، فترصد الإيجابيات وترسخها ، وتكشف المعاييب وتحذر منها ، فتحدد المشاكل وأسبابها ، وتعالجها من المنبع الإيماني . فيكون أعضاؤها من العلماء والمفكرين ، ومن المختصين في علم الاجتماع ، ومن سابقى التنفيذ ، الواعين القادرين على استيعاب الأحداث بنظرة ثابتة حاضرة ، ولا يشترك فيها إلا من برز تفوقه وتألقت عطاؤه .

✦ إعداد مواد برامج إعلامية بوسائل مختلفة ؛ لتكون عاملاً لترسيخ القيم الاجتماعية والوحدة المتلاحمة .

✦ التجرد من القطرية والإقليمية والعصبية القبلية ، ونزرع في شباب المجتمع حب التلاحم والتآلف ، مع الإقناع بالبرهان ، فهو عماد القوة والمنعة ، وإكسير التقدم . نفكر ملياً في موجبات ذلك التلاحم فنأخذ بأسبابها .

(١) المجتمع البشري لعلي شتاء ص ٧٠ .

المظاهر الاجتماعية :

في كل مجتمع من المجتمعات البشرية ، يرى الإنسان مظاهر اجتماعية ، متنوعة ، ومختلفة وربما متفاوتة متعارضه بين المجتمعات . وقد وصف علماء الاجتماع الظاهرة بأنها ((عبارة عن القوالب والأساليب التي يصبون فيها أعمالهم، والطريق التي يسرون عليها في مختلف شؤونهم))^(١) ، وعرفها دوركايم بأنها ((الحدث الذي يجري داخل المجتمع ، وتكون له أهمية جماعية .. وهو كل أسلوب في التصرف ثابت أو عرضي ، بإمكانه أن يفرض نفسه على الفرد))^(٢) ، فالظاهرة تلقائية ، وعامة وإلزامية ، وتاريخية . ومن تلك مظاهر الألبسة، فقد كانت تختلف من إقليم إلى إقليم ، ففي الحجاز غيرها في نجد ، وكذلك تختلف في الجنوب لكن بعد توحيد البلاد غلب عليها الثوب والفترة والعقال .

ومظاهر الأطعمة تختلف حسب الإقليم والمدن والقرى والبادية ، غير أنها أخذت تتقارب الآن لكن تختلف مظاهر المائدة ، وأصناف الأكل عليها ، حتى طرائق الجلوس . والاختلاف في المظاهر يكثر في العلاقات بين أفراد الأسرة وفي الحياة الزوجية ، والأسرية . وتجد الالتزام بالروابط عند أهل القرى والبادية ، أكثر من الحاضرة ، بل إن المرأة مؤثرة على الزوج تستميله إلى أسرتها في المدن بينما أن الرجل يستميل المرأة إلى أسرته في الريف والبادية .

والظواهر الاجتماعية منها ما يكون ثابتاً مستقراً لمن هذا الاستقرار ليس لازماً من لوازمه ، وربما طرأ تغير على جانب من جوانبه ، وأساليب التعامل الاقتصادي ولا سيما ما يدخل ضمن التشريع أو الأنظمة . والاختلاف بين المجتمع يكون بالالتزام أو مخالفته كالتعامل مع البنوك ، وقضية الادخار ، ومنها

(١) سعدي صناوي ، مدخل إلى علم اجتماع الأدب ٧٣ .

(٢) المرجع السابق ٧٦ .

الالتزام بالمظاهر الدينية ، ويتفق المجتمع في الثوابت ، ويختلف في بعض المظاهر ، وإن تقاربوا في جلها ، وكذلك السلوكيات ، واللغة وإن اختلفت مظاهر إقليم إلى إقليم ، لكن توحيد التعليم له أثره في تقارب اللهجات ، وكذلك تنظيم الحياة العائلية .

ومن الظواهر الاجتماعية غير المستقرة ، التجمعات الطارئة ، كالاتحاد حول حادثة مرور ، أو أي حادثة من حوادث الحريق ، والنكبات الاجتماعية وغيرها .

ونظراً لاتساع البلاد واختلاف طبيعة الأرض الجغرافية ، فإن هناك ظواهر متنوعة والظاهرة الواحدة ، ربما تنفق في بعض مظاهرها عند سائر الأقاليم ، وتختلف في أخرى كمظاهر الألعاب واللغة ، وتركيب العائلة ، لكن منظومة الظواهر مترابطة متشابكة وأحياناً متوالدة عن بعضها تنتظم في الثوابت الدينية ، والموروث الشعبي ، والعادات والتقاليد كمثل الكرم والولائم لكن اختلاف التجمعات في الشكل يختلف كمثل اختلاف أساليب الإقليم في الكرم ، بل تختلف نظرة الأفراد. فمنهم من يرى الكرم في الذبيحة أو الذبائح ، ومنهم من يراه في إقامة وليمة ذات أصناف متعددة ، والأكثرية ذات كلفة ، وقل منهم من يلتزم الواقع ، وأن يجود بالموجود .

والمظاهر تلك ناجمة عن تراكم تجارب مختلفة عربية قديمة ، ومظاهر مرتبطة بالدين ، وأخرى ناجمة عن البيئة .

والريح تعوي للرمال وتجدل	تلك الصحاري في دمي كتبناها
فيها الظلال وطيرها والمنهل	واحاتها توحى بكل مؤمل
رغم الهجير وتمرها والمغزل ^(١)	والنخل في جنباتها متطاول

ومن المظاهر الاجتماعية الجديدة ، تلك المعارض الصناعية التي تقام لها

(١) على الغامدي ، عواطف هائمة ٨٥ .

أسواق موسمية ، وفيها تعرض الصناعات الوطنية ، ويتوافد الناس لها ، وتلك من المظاهر المرغوب فيها والشاعر يصف جمال التنسيق والعروض والقدرة الصناعية على تهئية كل ما تحتاجه المنازل ، وهو يشير إلى أن مظاهر الاحتفالات بصناعة الوطن ، فالبيهج فيها أنها نتاج علم ومعرفة ومصانع محلية :-

فهو علم وصنعة وانجبار	وصراع يجدد الألكار
كيف لا ترقص النفوس اختيالاً	وتفسي بذاهة وجهاراً
ولإنتاجنا وجوه العذارى	مسفرات بحسنا تبارى
ها هو المعرض الذي يتدى	ألف لون يدكي قلوب الخياري
كل شعب مستورد صنع شعب	غيره لن يعيشها استقرارا
لهو في الحالتين سلماً وحرباً	في الضحايا قلباً أسعارا
كم جميل شهادته وبديع	مقن الصنع يدهش الأنظارا
هو أعراس أممي تتجلى	في صناعاتها تسبز الكبارا
كان هذا وهماً ومحض خيال	وطولوا خلابة تسواري

ومن المظاهر الأخرى قضية الأسواق ، وهي قديمة جديدة في كل مجتمع ، لكن ظهرت في الآونة الأخيرة أسواق ذات جمال وبهاء ، تجذب الشباب ، فيحدث ما يسمى (بالمعاكسات) وهي ظاهرة لها أضرارها وشروورها ، والشاعر يشير إلى تهافت الفتيات ورغبتهن الجامحة للذيد النظر ووقع الملامسة :-

جاءت إلى أختها تشكو البلد	من باتع شره ، أو مشر وغد
أو طائش - يسلق الأنظار - متد	مستكلب الحب أو مستبشع حقد
قالت : وقد داعبت من شعرها خصلا	كالتبر ما بين منشور ومنعقد
وامعرضت عرصة الصالون فانفرجت	مرآتها عن مشيرات الهوى الأبدي
ما بين منصلت ثارت براعمه	محمررة تلتظي فوق متقد
وارتج من بعض الحسن أعذبه	طمعاً ، وأرقى الذي يخشى من الحسد
اختاه ما أجمل الأسواق ، أفضلهما	ما زاحم الناس فيه ربة الغيد

ولامس الرئح الفسادي ملاطفة ما رامها مع ضجيج السوق من أحد(١) وكل مجتمع له مظاهر متعددة ، ومختلفة ، وهناك مظاهر مشتركة ، فهم شريحة عريضة ، ومن تلك قضية الزواج ، فهي متقاربة في جماعة المجتمع السعودي، وقد اشتكى كثير من الزيادة في المهور ، وتجاوز الحد المعقول ، إضافة إلى ما يصحبه من عادات أخرى تثقل كاهل الزوج ، ومن هنا فالشعراء أخذوا يصرخون في وجه الطامعين المتشددين لعلهم يفكرون في مستقبل فتياتهم ، ويحرصون على التوجيه الرباني ، بقبول صاحب الدين والعقل ، ويكفون عن المغالاة في المهور .

ألفقر صارت تستزاد ((مهور))
ومن الشباب يطلب السر تاتهاً
لمن لي بمن يرجو ((العلاف)) على هدى
ولم يكتب مالا عظيماً .. وثروة
ولكنه للعلم يسمى مؤملاً
لما تبغوا - يا أولياء أمورنا
ألا تفلون ((الشهم)) صهراً مناسباً
أم الربح في ((طول الفتاة)) وليس
على هامش الشوق البريء يسير
سليم .. نقى .. إن ذا لجدير
((كمشرة آلاف)) لذاك كثير
وذاك طريق للعلا منير
من ((الطمع المذموم)) وهو حقير
وترضون فيه ((الدين)) فهو غيور

وهو يكشف عن مغالات المهور وعرضها مثل السلعة التجارية ، وتكون عاقبة ذلك العنوسة والكتابة للفتاة ، وتعطيل الحياة الزوجية لشريحة من المجتمع :-

لتسعوا لحفظ (العرض) من غير مطعم
ولا تجملوا ((عرض الفتاة)) كسلعة
لتمضي على ((العذرا)) سنون مريرة
لكم من ((فتى)) يرعى النجوم مسهدا
وكم كاعب في ((بوتق البؤس)) أيمت
ولا عجب أن يذبل الحسن حسرة
لذاك على ((جل الشباب)) عسير
يزيد بها ((التجار)) وهي ثمرور
بها ((تعنس الأبيكار)) ثم تبور
وكم من ((لؤاد)) بات وهو كسير
فأذبل فيها ((الحسن)) وهو نظير
فمر السنين القاسيات عسير

(١) معيض البختيان : المهور ١٢٣ .

وذلك لأن المهر زيد ولم يزل يزوده ((الآباء)) وهو كثير
إلا أيها الآباء - والخطيب فادح - أما هزكم نحو الشباب ((شعور))^(١)

وهناك مظاهر الأفراح ، فهي تختلف بين الأسر ، ففي بعض المدن نجد أن
الفرح يستمر ثلاث ليال ، وتكون الولايم هي الأساس في هذا ، ورأوا أن من
واجب الأقارب إعانة المتزوج ، فيقدمون الإبل ، والأغنام ، ويدفع بعضهم نقوداً ،
وهذا مظهر من مظاهر الحياة القروية ، ومن كان لهم صلة بالبادية ، ولا سيما
متوسطي التعليم .

وهناك من يتوسط في الأمر ، فتكون ليلة واحدة . يجتمع الرجال في محفل
خاص ، والنساء في محفل معد للنساء ، وعليه حراسة .

وهناك من يقدم أصنافاً وأطباقاً مختلفة ، وبعضهم يبادر بتقديم الوليمة في أول
الليل بعد صلاة العشاء ، وآخرون يجعلونها في آخر الليل ولا سيما للنساء . أو في
الاحتفالات التي تخص النساء . والنساء أكثر متعة في الأفراح لتفاعلهن ، فهن
يلبسن الألبسة ، يتقلن على الآباء بمؤنتهن ، وهن يرقصن ويطربن مع المغنيات ،
والمطربات ، في الأفراح المتحضرة ، وتكون هناك منصة يجلس حولها الزوجان ،
بعد إعلان دخول الزوج ، حتى تلبس النساء الحجاب ، وربما رقصت أخواته
أمامه ، فإذا خرج فإن قريبات العروسة يرقصن أمامها ، وغالباً ما يدخل الآباء
وأخوان الزوجة مع العريس لكن سرعان ما ينقضوا .

وهناك شرائح من المجتمع لا ياخذون الفتاة المتزوجة إلى قصر الأفراح ،
وهناك معه من يأخذها لكن لا يقابلها زوجها في مكان الاحتفال .

أما الرجال فإنهم أقل متعة بالأفراح ، بل إنهم لا يتواجدون فيها لا سيما في
المدن الكبيرة . لاختفاء دواعي التسلية فيها . خلافاً للأزمان السابقة ، لكن
الوضع عاد الآن إلى مجتمع الرجال حيث ظهرت المحاورة في ملاعب الرجال

(١) عبدالله الحميد ، أمل جريح ، ٦٢، ٦١ .

وتقوم على منافسة الشعراء ، وأحياناً يقدم صاحب الحلقة أجراً .
والشعر الفصيح صحب الزواج ، فهناك من الشعراء من اشتهر بنظم أبيات
لتقال في حفلة الزواج عن العروسين وأسرتهما ، ومنهم أحمد قنديل ، وطاهر
زغشري(١) .

وأجد أبيات لأبي العلا تقرب من هذا كقوله : -

رددني يا طيور لحن الأغاني وانثري يازهور عطر التهاني
وتهادي باليلة العرس تهاً بين صفو وبهجة وأمانى
فهو يصف إشراق ليلة الزواج بما يضاء من أنوار وما يماثله من بهجة في
النفوس ، فإن الأغاني تصدح ، والورود تصطف ، وتفوح رائحة عبقة ،
وتشرق الوجوه .

لينا بالزفاف أشرق نوراً فاض منه السنا بكل مكان
وشفاه الحضور تبسم بشراً فيه معنى قد فاق كل المعانسي
وهو يشير إلى ماهية العلاقة الزوجية المقدسة ، ففيه أنس الحياة ، وسر التكاثر
والتناسل ، وهي من السنن الكونية المحيية .

إن هذا الزفاف رمز تلاقٍ وتآخٍ من حكمة الديان
موثق سنة النبي ونعمى لبناء الأجيال عبر الزمان
حظك اليوم يا ((عريس)) تلاقى ربة الصون من كريم الحسان
أهلها أهلك الذين تاسموا فازدهى الدر والتقى بالجمان(٢)

ومن المظاهر الاجتماعية ، كلفت الزواج ليس على المتزوج فحسب وإنما
على أقاربه ومعارفه ، وهي حالة استنزاف ترهق رب الأسرة ، فقد جرت مظاهر

(١) انظر المجموعة الكاملة ٢٨ .

(٢) سطور فوق السحاب ٨٥ .

جديدة منها الزري والألبسة ، فهي تلبس أغلى وأزهى الملابس لكل حفلة ، ولا تنكرر عليها فإذا كانت العائلة كبيرة وذات نساء كثيرة فالأمر أشد ، وإذا كان رب الأسرة قليل الدخل ، فهي كارثة عنده ، ولا يقف الأمر عند الألبسة بل ، عند التزين ، فهناك صالونات لتصفيف الشعر ، ووضع معالم الزينة . تدفع فيها المرأة ما يقارب ألف ريال ، وهذا يؤدي إلى التفاخر الكاذب ، وإلى تألم وحزن الأب ، مما جعل بطاقة الزواج مكروهة ، بل إن صاحبها الآن يقدمها على استحياء ، لأنه يدرك ما وراءها من كلفة وأثقال على الأسر يقول الشاعر :-

زاد في الصدر احتناقه	حين جاءني البطاقة
سحنة عمت فزادي	عندما زاد انفلاقه
جئت لا أهلا وهلا	أست رمز للإعاقة
وأداة لعنسسوس	قائم مر مذاقه
فاشرب الجيد منها	وثبة فيها إنطلاقه
لظنرت لي بعناب	وانبرت لي برواقه
ما الذي آذاك مني	حين ظهرت الصفاقة؟
أتراني كغداة!!؟	عينك الرمضاء ضاقة
في طريقني أنهسادي	مثل ورد زان باقاه
أرقل في ثوب عز	أنحط في رشاقة

فهو يتحدث عن حجج النساء من أجل التهيؤ للحفل ، ففيها التيه والرشاقة ، وفيها التواصل للرحم ، وتحديد المعارف ، وفيها التعارف ، وفيها الاستمتاع بالغناء والرقص .

زين الفنان وجهي	زان هندامني الساقه
احمل الود بكف	وعلى الأخرى الصداقة
هدني تجميع شمل	أقرباء ورفاقه
ووجوه قد تناءت	ولمن طال لراقه

من رجال تباهي بالتصايب واللياقه
ونساء زاهيات تباهي بطفاقه
بلباس وحلي يهر العين اندلاقه
وهنا ((جوقه طق)) ياسر السمع اندراقه
ترقص البيض عليه يلسب اللسب اندعاقه

وهو يشير إلى أن الفقراء وأهل العوز أيضاً يتباهون ، وينافسون غيرهم حتى يكسبوا الألقاب والتباهي مع أن كل ما يعملون موجه عليهم يتقل كاهل ابنهم فيما بعد ، ولا تنفعه ما يبرهن به من إيجاد علاقات اجتماعية فإن ذلك حواء .

أحمل الذكرى لوقت عز أن ينسى مذاقه
أرفع الصيت لقوم جلسوا ذكراً وفاقه
واسمهم شيوخاً وبهم فسل وعاقه

ويعرج الشاعر على السيفه الأخرى في حفل الزواج ، وهي دعوة تلك الجموع الحاشدة ، فهو يدعو من يعرف معرفة لصيقة ، أو بعيدة ومن لا يعرف بدعوة عامة مفتوحة ، وهؤلاء يتطلب لهم مكاناً كبيراً جميلاً ، مما اضطره إلى استئجار القصور يباهض الألمان في ليلة واحدة ، تذهب هذا الأجرة هدرأ ، ويتبعها الاستعداد بالولائم الكثيرة فإن وليمة العرس تتجاوز الثلاثين خروفاً وبعضها من الإبل . وما يصحبها من الأرز والفواكه ، والمياه الغازية ، والمعانة وغيرها وأكثرها لا يوكل وإنما يرمى به :-

غايبي تجميع حشيد في إطارات العلاقه
خاب مسماك إلينا حين جاوزت اللباقة
وتجنيت بسسوخف وتكبت الحماقه
حين جمعت حشوداً جازوت حدأ وطاقه
غصت الساحات فيهم ويسوت الناس ضاقه
فاضطررنا لقصور سعرها زاد اصطفاقه

ومن الفئدق سمر
وتجششنا صعباً
وأموراً ليس فيها
حين أولنا لألفي
واجتهسدا بصروف الـ
وجدتسنا أغيباء
حين أئرت من جيوب

يقصم الظهر انزلاقه
في متاهات البطاقة
جميل يدنو وناقه
ربما زاد نطاقه
زاد من باب الخذاقة
فامتلت كل طاقه
قادهما الجهل وساقه

ومع هذا الاجتهاد ، والإسراف في الذبح والأكلات الأخرى فإن أكثر المدعوين يتهربون ويعتذرون ، ولا يحضرون ، ولا مصير لها إلا التخلص منها للنفائات :-

فأني جمع قليل
جمال البعض ولبي
وهنا من جاء زهواً
ينظر الزاد ويغضي
نعمة أمست ركابا

من ضيوف ورفاقه
دعوة ضمن العلاقة
يتهادى في وفاقه
رُبما أغضى وذاقه
في نفائات ((الفساقمة))

ثم يمضي مصوراً حالة النساء ، بحليهن وقلة عقولهن ، يتمتعن مما لا عجب فيه ، ويعبن مالا عيب فيه ، ويتطفلن على بعضهن ، ويتسائلن مما لا يجوز السؤال عنه ، والطبول المأجورة تدق بالأجر الثمين .

ونساء قد تبارت
يتمطين الجهل عسفا
يتطفلن بسُخف
يتساجين بهمسس
((جوقةُ الطلق)) تُفني
وهي لا يفهم منها

في متاهات الخراقة
يتحلين اعتناقة
يتضاحكن صفاقية
غيبية فيها الزماقة
بسـخافات النزاقية
جملة تعلقو زعاقه

وهو يشير إلى ثراء ضاربت الدفوف اللاتي يستغين الناس ، وبضاعفن الأجر
على طقطقة منفرة .

وجدتـنا أغـيـمـاء فاستغلت كل طاقه
حين أثرت من جيوب قادهما الجهل وساقه
والشاعر يتمنى أن يدرك المجتمع هذا العمل الخاطئ ، فهو يدل على الجهل
وعدم التدبر ، بل لم يأخذ بالتوجيه الشرعي .

وهو يصور مستقبل الحياة الزوية لزوجية أثقل كاهله بالديون المستمرة
وطويلة الأجل ، فكيف يعيش حياته ، وكيف يبني داره ، فهو يرسف في الفقر
الدائم ، مهموماً بثقل دينه ، متوجساً في مستقبله أنها عادة أو مظهر خاطيء .

فاكفهر الجـمـو عـنـدي	وتنميت الإفاقة
عل وعياً قد تبدى	يرفع الجهل الباقه
أتمناه سريعاً	وإليه النفس تاقه
كيف يرجى لشباب	في بدايات إنطلاقه
دخله بسع ضئيل	لا يكافيه اندفاقه
كيف يجيا ؟ ثم يثري؟	كيف يجاز الإعاقه
ومتى يجمع مهراً؟	ومصاغاً و ((خاقه))
كيف يحضى بزواج؟	يحفظ النسل رواقه
قد هدرنا ثروة العم	رر بأسباب البطاقه
وبقينا في حضيض الفق	ررتقـتـيراً وفاقه
بيتنا فقـر يباب	لا ألسات لا رفاقه
أو غرقنا بديون	يقطع الظهر وثاقه
عشرنا عشـرين صارت	عند تجار الملاقة
همها يسري ويجري	يفزع القلب السراقه
عندما الديان يدنو	وولساء الدين شاقه

في عدو وأصيل
زاد في تغيص عيش
يقرع الباب ((زلاقه))
قام مر مذاقسه
فهدلنا بعروس
وقمينا طلاقه (١)

الرياضة :

الرياضة من أكثر المظاهر الاجتماعية في بلادنا ، وأشهرها لعبة كرة القدم ، وهي لعبة عالمية شعبية يقبل عليها أكثر المجتمع ، ويسرف فيها الطبقة الشعبية ، ويوظفها عدد من الأثرياء والوجهاء للجهاء أو إشراق الإضواء حوله ، ويكسب به ود جمهرة من الناس ، وفيها يريق الأسماء ليظهر في الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى ، لكن ما الموقف منها هل نعتبرها لازمة اجتماعية نظراً لآبء للمجتمع من شرائح يسودها الفراغ ، وهؤلاء تُعنى الدول باشغالهم عن الفراغ ، ومن هنا كانت العناية بالألعاب عامة ، والمجتمع في بلادنا ليس بدعاً أو أكثر مغالاة من غيره ، وإنما سار في موكب الدول المتقدمة والشعوب الأخرى .

ولكن هل العقل يؤيد هذا الاندفاع ؟ أليس من واجب المجتمع أن يشغل تلك الشرائح بما هو مفيد فكرياً ، ومادياً ، لكن هل جميع المجتمع يتجه هذا الاتجاه، أم لا بد من عابث ، وتزداد بفراغ ما بعد العمل . هي قضية شائكة تستقطب جماهير لا يستهان بهم أو أن تلك اللعبة إفراز العاطلين عن العمل أو الذين لا يعملون بعقولهم ، والمجتمعات المعاصرة خاضعة للتصويت ، فغلبة الأصوات جعلتها هكذا حتى انتشرت عالمياً .

والأوائل من الشعراء يرون كرة القدم من الملهيات التي عمت بين سائر الأمم لكن الرياضة جزء من الحياة يحتل حيزاً من الزمن يسيراً ، وربما أن الرياضة يمارسها الإنسان في عمله اليومي ، كما هو شأن العمالة والحرف ، غير أن

(١) عبدالرحمن السويداء : هواجس ١٢٥ .

استحواذها على تفكير الشباب واستفراغها لعزائمهم وهمهم أمر فيه مضیعة للأمة ، وتعطيل لفكرها وعملها ، إضافة إلى استنزافها للموارد البشرية والمادية . والريضة أشبه ما تكون بسحابة صيف فيها برق يلمع ، وظلال جميلة ، لكنها سرعان ما تزول . كل ذلك دعا الأدباء إلى التفكير المعتدل فيها ، فهم يرون أنها اللون الذي أخذناه من الحضارة الغربية ، وأعرضنا عن المفيد . والشاعر عبيد مدني أو من تحدث عنها في شعره وهو يخشى لوما من الأجيال الخلف ، فكيف به لو رأى واقعنا اليوم ! :

تراحم الناس وثابن للقمم	واستيقظ الوعي في الأفراد والأمم
وسار كل إلى أهدافه قدما	ما بين مستشرف منهم ومقتحم
تصوروا حلم الآمال وانبعثوا	ليجعلوا نفسا في ذلك الحلم
في كل ناحية من جهدهم مثل	يعدو الجهود وسعي غير منقسم
ولحن في هامش الدنيا أغلطة	نلهو على فوهة البركان والحمم
وليس يشغلنا فيما يطالغنا	من نهضة الناس إلا (كرة القدم)
نعيد فيها ونبدي كل آونة	كأنما هي فينا صفوة الحكم
جنابة سنلاقي من مغبها	قبح الحديث إذا صرنا إلى رمم
ولست أنكر فيما قد هدفت له	ما في الریضة من نفع ومن قيم
لكنهم أسرفوا فيها فجرهم	إسرافهم لهاوي الخلف والنهم
ماذا نقول إذا التاریخ ناقشنا	فيما اقترفناه من سخف ومن لم
وكيف ندفع تقريع البنين غدا	في منطق الحق لا في باطل التهم
فمانا إن فسوا في لبس ألتسا	غير السكوت ومن يصفى مجترم(١)

وهناك شرائح مؤيدة باعتدال ، وشرائح أخرى مشجعة باندفاع ، وشرائح تتقد ولكل مبرراته . والأفضل في نظري أن لا تشغل عن واجب ديني أو عملي أو فكري ، وإنما تكون وسيلة معتدلة للمتعة كأى فن من الفنون . وقد أطلق عليه

(١) المدنيات ١/١٣٨

أحد الشعراء (لا للمهابة) وجعلها عنواناً لقصيدة طويلة ، برع في وصفها أولاً ،
وفي تعلق الناس بها ، ومن هنا خاطبها مخاطبة المرأة واسقاط عليها أوصاف
المغريات من ذوات الرشاقة ، ومن مخاطبتها له لتبين مكانتها :-

أما علمت بأن اليوم منزلتي فوق الثريا تناغي أرفع النجم
وأن جسمي أملود تطارده أنظار عشاقه في النور والقم
وهو يصور مبادرة الجماهير إليها في القر والحر ، وانتظارهم في المدرج ،
وتماوجهم مع حركاتها :-

كم عاشق شق ظل في الآفاق يرقبني فوق المدرج بالآصال والظلم
يستمرئ الحر في صبر وهيمنة يستمزج القر في الأنواء والديسم
والإعجاب بها لم يقتصر على الذكور بل شارك النساء في ذلك ، وكذلك
فإن بعض الشيوخ يثير العجب من مراهقته وهيامه بها :

كاد الشباب من الجنسين يعبدني ومن كهول وأشياخ بزدي سلم
وهو يوضح أن عامة الناس الذين لم يجاروا أقرانهم في تحصيل المعرفة قبلوا
عليها أو هي شغلهم عن التحصيل لكنها كانت أقرب الوسائل لجمع الثروة ،
فارتفع شأنهم ، وكثر مالهم ، وذاعت شهرتهم ، واحتلوا مكاناً مرموقاً ، حتى
أن الحاكمين من البشر لم يستوطنوا التلفاز كما استوطنه اللاعب المشهور . وهم
في تكوينهم المادي فاقوا أقرانهم من المثقفين وطلاب المعرفة بل حتى العلماء
البارزين ، فإن أي عضو هيئة تدريس جامعي لا يقارن دخله بدخل هؤلاء ، بل
إن ضربت قدم تقدم له كسباً أفضل من كتاب لمؤلف في العالم الثالث .

أما علمت بأني صرت واحدة؟ ممن عناهم بيان العارف الفهم
رفعت قوماً من الخافين منزلة والقابعين يجوف الظل والعم
حين استوى شأنهم في كل مجتمع فوق الجهابذة الأفاذاذ في الحكم
صيرت منهم أبطالاً وأجنحة تفوق شهرتهم عمراً وذوي الحلم
يصفق الناس تقديراً لكسبهم من البطولات بين اللعب والحكم

تساب أجهزة الأعمار ترقبهم في نيل كأسى تبارت أعظم الأمم
نشلتهم من حضيض الفقر مسرعة إلى ثراء يوازي فائض الديم
يسري الأنام بأيديهم وأدمغة أما تراهم ففى تصويبه القدم
غصت بأموالهم من فرط كثرتها أرقى المصارف لا يخشون من عدم
وصار جمهورهم في كل مجتمع يهب محتشداً في النور والظلم
وهؤلاء اللاعبون يرون أنهم أدو رسالتهم ، وشهروا مجتمعهم بين المجتمعات،
فهي من وسائل الإعلام التي ترفع اسم الوطن في المحافل الدولية .

والشاعر يعدد سليات تلك اللعبة ، فهي تصرف الشباب عن دراستهم مما
جعلهم غناء لا نفع للأمة ، فعقولهم مشغولة بها ، ويسأمون من كل جد في الحياة
بل أشغلت الناس عن وظائفهم ، وأشغلت الناس في مجالسهم .

لکم صرفت شبابا عن دراستهم صاروا بأرض الواقع الزخم
تأخروا غفلا عن ركب حاضرهم يعلوهم فشل الإخفاق بالسأم
وكم صدفت رجالات عن وظائفهم فحولوا واجبا للتيه والعدم
وكم حسبت كهولاً في مجالسهم فضيعوا شأنهم في النجد والتهم
وكم شغلت شيوخاً عن عبادتهم فأخروها لوقت غير منتظم
وكم عزوت عقول البيض في سكن أضحي بعيداً عن التزيب والطعم
وكم نهبت من الأطفال صفوتهم تعلقوا منك بالأهداب والوهم

ويشير إلى إهدار الزمن، وإلى توالد الأخطار بين المشجعين بل بين الدول،
ويتعرض لجمهرة المشجعين في الطرقات وما يحدثونه من فوضى وربما حوادث .

وكم قتل من الأوقات أثنها مزقت أشلاءها من غير سفك دم
كم ساليات جلبتها منمقة ألوت بصبر فؤادي عمقت ألي
وكم زرعت من الأحقاد نائرة بين الأنام بذور الشر والتهم
إذا تعلقى فريق في منافسة مادت بنا الأرض تقرباً لمنهزم
فأنت العوبة في كف مقدر يلهى بك الناس من عرب ومن عجم

يخدر الجبيل عن إدراك واجبه نحو الحياة ونحو الدين والشيم^(١)
وبعض الشعراء من المثقفين يستهوي الألعاب الرياضية ويشجعها كالدكتور
محمد الدبل ، وربما أنها استجابة لدعوة في حفل أقيم تحت رعاية الأمير سلمان
لورود اسمه في ثنايا الشعر ، يقول الشاعر عن فريق الهلال :

أنا ممن طبعه حب المعالي
من فريق عزمه نيل المحاسل
إن دعوت روح الرياضيين روحني
أبنت التشجيع إلا للهلال
ذاك للتنظيم في ألعابه
ونشاط في القوي دون اختلال
إن تبارى سجلت أهدافه
فوزه في لحظة قبل السجال
حاز كأس الصيد فساهرت له
في شعور فائض كل الأهالي
يا فريق في السما خط اسمه
كتب الفوز له في كل حال
يا فريقاً ذكوره في وطني
أمل يحدو صناديد الرجس
كم سما سلمان في توجيهه
رجل الإخلاص والطبع المثالي^(١)

فهو يشيد بانتصاراته على مستوى الفرق الداخلية والألعاب الدولية ،
وكذلك له قصيدة في نادي النصر :-

(١) السويداء : هواجس ١٥٦ .

(١) هاتف الصحراء ٥٥ .

فريق النصر يسا أذكى فريق
 به التكبير قدما يطاب
 تقاءل من دعائك النصر لنا ..
 تبين من معانيك الغلاب
 شبابك من أسامة والثبي
 وصحب إن نديتهم أجابوا
 كسبت النصر تسمية وفوزاً ..
 وللأهداف أشبالاً أصابوا
 وزانك في العطاء خلق قويم
 ودربك من معالمه الصواب
 إذا ما النصر ساجله فريق
 تقاصر دون همته السحاب
 فلتنظيم في الميدان شأن
 وللأهداف في الرمي حساب
 رياضيون نصريون هاهم ..
 بأخذ الكأس والعزمات أبوا(١)

المخدرات :

ومن المظاهر التي شاعت في المجتمعات العالمية ظاهرة المخدرات التي داهم
 خطرها الشباب ، ونتيجة للتواصل بين المجتمعات فإن الشر حل ببعض الشباب
 بلادنا مما جعل المجتمع يعلن حرباً على المخدرات ، وتعمل الدولة على منع
 دخوله ، ومعاينة من يروجه بالقتل ، وقامت حملة توعية بأضرار تلك المخدرات ،
 وكشف مخاطرها .

جل الشباب بأضرار المورفين أقسى على النفس من طعن السكاكين

(١) المرجع السابق ٥٩

ورؤية المدمن المنهار مخزلة بل هي مكية للقلب والعين
والشاعر يذكر المواطن التي تصدر تلك الشجرة الخبيثة في التبت والصين
وشرق آسيا ، وتأتي للبلاد لتفسد الشباب ، وتدمر العقل ، وتقضي على المال ،
ثم تؤدي إلى الأمراض القاتلة والآلام الموحجة ، فخطرها عظيم ، أعظم من
الحروب الطاحنة .

أقسمت بالله لو كان الشباب يعي
وأن في جوزة الهند التي زرعت
وإنما هذه الآفات مضيعة
لما تعاطى سموماً في تناولها
فقل إذا ما رأيت المتلسين بهما
حرصاً على أمة الإسلام من خطر
بعض الشباب جرى خلف السراب كما
والبعض منهم تردى من جهالته
أواه كم من شقي عض أصبعه
وكم غوى بكى من قلبه ندماً
وكم سمعت بأذني من يقول غداً
صدقتي لذوي الأخلاق ترفعتي
والحمد لله أنني بعد تجربة

فهو أوضح كم من شقي عض أصبعه ندامة ، ومنهم من أدركه الموت قبل
التوبة ، ومنهم شريحة تداركت بعض صحتها فتابت وثابت ، وأقلعت ، ولا سيما
وأن الدولة خصصت لهم مشافي خاصة تساعدكم على تركها ، وتعالجهم
من إدمانها .

هذا هو العقل أما من غوى فغدا
التاليون لهم طبّ وأدوية
وليس للمفسدين اليوم معذرة
فريسة تتلوى بين فكين
مصروفة تحت إشرافه المداوين
إذا أصروا سوى سيف مجدين

مخدرات قيمت الروح والجسد
وكل من يجعل الإجرام مرتعته
ويل لمن يحتمي سمّ الثعابين
يموت حياً ولا يحظى بتأين
ثم هو يعلن الحرب على أولئك الساعين لتدمير الأمة سواء بالتزويج لها أو
بيعها ، ويؤيد العقوبة بالقتل لهم فقتل الفرد المجرم أهون من قتل الجماعة أو
شباب الأمة ، ورجال الأمن يحملون الأمانة لمحاربة هذه الظاهرة بجد وإخلاص
واحساب لله :

يامن تريد اغرافاً بالشباب إلى
عقوبة الموت للباغي أدلتها
تدميره مستهيناً بالقوانين
مروية عن معاذ في الصحيحين
ألقى بها من له علمٌ وصدقها
في حينها قائد الفرس الميامين
والقائمون على أمن البلاد لهم
بأغ طويل يرد الصاع صاعين
وسوف يحمي رجال الأمن موطنهم
مما هو مذهب للعقل والدين
شعارنا الجد والإخلاص رائدنا
وجندنا كلهم شم العرائين (١)

وهؤلاء المجرمون يحملون أكفان الشباب الذين أضناهم المرض بالضعف
والهزال حتى صاروا كالأشباح بعد أن كانت لهم قوتهم وعزيمتهم ، أنكم أيها
الفاثكون لم تتدبروا واقع الآباء الذين سلبتموهم فلذات أكبادهم ، فجعلتموهم
عالة على الآباء بدل أن يعولوا آباءهم بعد تقدمهم في السن ، بل أصبح هؤلاء
الشباب حملاً ثقيلاً على كاهل متقدمي السن :

بالصرعاهم بكل طريق
خلق لا ترى كأشباح ليل
حاملات أكفانها في الظلام
غارقات في غايمة الأوهام
وهي كانت من قبل عزمًا وحزما
وظموحاً يعلو مع الأيام
أين منها الشباب أين الأمانى
وانتظار الآباء والأرحام
كفنت في الحياة قبل المنايا
ورماها الإدمان بالأسقام
فهي تميا في بحر ليل طويل
تتلوى به أفاعي الحمام

(١) محمد العمري : شروق الشوق ٩٦

ويدوب الشباب فيه وتفسى زهرة العمر في العقار الدامي
كل هذا يهون عند زليم جف في صدره غدير الوئام
لا رعتك المقادير يابائع السم ولا بشرت إلا بضربة المصمام (٢)
فهو يختم بالدعاء على بالعي تلك السموم الميئة .

والشعراء الذين تحدثوا عن المخدرات مالوا إلى عقاب الإعدام للمجرمين
الذين يشيعون الفساد في الأرض ، وينشرون ما يفتك بالمجتمع وشباب الأمة ،
فهم يوزعون الموت البطيء الذي يعذب أولاً ثم يقضي ثانياً :

من مجري من العاة اللنام	بعقاب أقسى من الإعدام
بعقاب يحل في كل عضو	ويذيب الأرواح في الأجسام
ليسوق الموت البطيء إليهم	مثلما سبق للشباب النامي
ملكوا للشراء أسود درب	فحشاهم مزكومة بالخرام
غير أن الأبالس الرقط تهوى	أن ترى الكون كومة من حطام
فالضواري في الغاب تفرق رعباً	من نفوس نامت على الإجمام
هي اعنى منها وأفجع بطشاً	في مجال التمويت والإيلام
غاية الوحش أن يمزق فرداً	ثم يأوي لغابه في سلام
ناخم البطن ليس يشرع ناباً	لسوى مسكة بأي طعام
ماسألوهم كم مزقوا من نفوس	وقمشوا بالسم بين الأنام

فهؤلاء المفسدون في الأرض أشد فتكاً من الضواري في غابها ، بل إن أولئك
المجرمين يرهبون مجموع الإنسان ؛ وغاية الوحش أن يتلهم فرداً ليتغذى عليه ،
ووحش البشر يفتكون بأعداد كبيرة من أجل حفنة من المال ، فيضيع الإنسان
ماله، وعرضه ويأثم بعقوق والديه ، وشتات أبنائه ، ويكسني بحاله البوس ،
وفقدان العقل ثم الموت .

(٢) عبد الله حمر ، الثرى والثريا ٣٥ .

المبحث الثاني الدولة والمجتمع

- ♦ الأمن الاجتماعي .
- ♦ الاتجاه الإسلامي .
- ♦ معالم النهضة والدعوة .
- ♦ غايات المجتمع ووظيفة الدولة .

الأمن الاجتماعي :

والإسلام يرى أن العلم نابع من الدين ، والحاكم سلطانه من الدين الذي يوجب عليه أحكاماً ، كما يوجب على الجماعات والفرد ، فكل مسؤول ، فمن مسؤوليات الحاكم الأولى ((تمكن أفراد الجماعة من الأمن اللازم لأداء وظائفهم التي خلقوا من أجلها ، ويقاس مدى التزام الحاكم بمدى خضوعه لشرع الله ، ومدى ما يقدمه للجماعة))(١) .

فالدولة جعلت من واجبه قيام مظلة الأمن للإنسان الفرد ، وللجماعات المتباعدة والمتقابلة ، وعلماء الاجتماع استشعروا ذلك من الأحكام الشرعية : فـ ((من شأنها أن تعطي للإنسان الأمن والطمأنينة وتوفر له الوقت اللازم للعبادة))(٢) .

والجزيرة كانت مقسمة إلى إمارات متناحرة ، وتنحصر سلطتها على المدن والقرى ، ومنها في نجد إمارة آل سعود في الرياض وما حولها ثم دب الخلاف بين أفرادها ، وإمارة حائل التي تعتمد على القبائل ، وإمارة الأشراف في مكة ، ولم يخف التاريخ الخلاف والصراع ، الحربي بينها ، أما القبائل فهي أكثر صراعاً وقتالاً ، ولا يخضعون لسلطة ولا نظام ، مما جعلهم يقفون بالمرصاد للقوافل العابرة، فضلاً عن الغارات الحربية بين تلك القبائل ، ومن هنا تقارب مع الحياة قبل عهد الإسلام ، وقامت الدولة السعودية في مرحلتها الثالثة في هذا البحر المتلاطم الأمواج ، وقد صدق من رأى أن الأمن يوحد المجتمع ، وأنه أقوى سلطة لتكوين المجتمع في بدايته ، وفي مرحلة قوته ، وهي ما يسميها مالك بن نبي (مرحلة سيادة الروح) ، وحين تجيء الفكرة الدينية تتولى إخضاع غرائزه

(١) د . محمد علوان : مفهوم إسلامي جديد لعلم الاجتماع ٦٠/١ .

(٢) المرجع السابق ٦٣/١ .

بـ)) عملية شرطية ((ليس شأنها القضاء على غرائزه ، لكنها تنظمها في علاقة عضوية وظيفية وانضباطية وسلوكية ضمن نظام معين ، حيث يخضع الفرد وجوده وفقاً للمقتضيات التي طبعها الفكرة الدينية في نفسه بحيث يمارس حياته حسب قانون الروح)) (١) .

ونحن لو تدبرنا الدين الإسلامي أولاً لوجدناه أعظم دين يستحوذ على عقل الفرد ، فيقتنع به ، ومن ثم يلامس شفاف قلبه ، فيزداد إيمانه ، ويتحكم في تصرف الفرد ، ولا يذل الفرد الروح إلا احتساباً لله في أغلب الأحيان ، ونجد أن الذين التحقوا بجند الملك عبدالعزيز يحارب أحدهم عصبته إذا ما رأى فيهم مخالفة شرعية ، وتدافع الناس ينطلقون معلنين الجهاد بأموالهم وأنفسهم ، فلم تقم الدولة على جيش نظامي ، وإنما هو تطوع من القبائل أو نقول : من أفراد القبائل الذين عندهم قناعة دينية ، ولم تقم الدولة على تداعي قبلي ، ومن هنا فإن القناعة الدينية الفردية هي التي كونت الدولة ، وكانت الغاية الأولى نشر الأمن الذي يتيح للفرد ممارسة دينية ، وانضمام المجتمع هدى هذا الدين ، ولا يكون ذلك إلا بإحلال الأمن مكان الرعب والخوف ، فإحلال الأمن من واجبات المجتمع الإسلامي ، وبذلك يعاد تشكيل الفرد والشخصية الإسلامية الاجتماعية .

ولا تدرك ما هية الشيء إلا بمعاناة فقدته ، فالأمن الحق عم أرجاء الجزيرة في عهده النبوة ، وخلفائه الراشدين ، ثم أخذ يتناقص حتى عادت القبائل العربية إلى سيرتها الأولى قبل الإسلام ، وتناقصت المدن إلى أحياء متقاربة ، وإلى دور متهدمة ، وهجرت القرى الإسلامية والمدن حتى انطمرت فكانت آثارا ينش عنها تحت الأرض .

والأمن المعاصر الذي أحس به أبناء الجزيرة هو الأمن الذي جعل الفقير في بلده وقريته يأمن في بقايا دار خربة ، فيخرج يتغني فضل الله ، فيعود إلى بيته

(١) د . علي القرشي : التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي ١١٠ .

سالماً . ثم هو الذي صحبه في داره الخربة ، وحفظ ما كان يجمع في تعاقب نهاره و ليله . والأمن هو الذي أوجد لديه فكراً ونتيجته وما جمعه من دريهماتة التي حفظها الأمن أخذ يبني بها داراً ، ونتيجة الأمن صُنعت مساعدات البناء ، ووصلت للديار ، ونتيجة لذلك تطور العمران الذي أساسه الأمن في الأحياء والمدن .

ونتيجة للأمن أخذ الأبناء يهطعون لداعي العلم ؛ فتوافد الناشئة إلى مدن المملكة عامة .

والأمن الذي استظللنا بظلاله هو الذي مد رواقه على الصحاري والفيافي ، وقمم الجبال ، وبطون الأودية ، وصحب الرعاة في مراعيهم ، واستظل به الهائم وراء دابته أو الممتطي لها ، واستظل به صاحب الخيام ، فمد أظناب خيمته حيث شاء ، لا يخشى لصاً ولا قاطع طريق . فأمن الفرد في فرديته ، وكان لا يأمن في سره .

والأمن الذي عم بتوحيد البلاد مد جسور التواصل بين المدن والقرى ، وبين البوادي والحواضر ، وتبدلت المنافع بين حواضر المدن ذاتها ، وتهاافت الناس إلى الحواضر مهاجرين طلباً للعلم الذي عرفوا قدره .

الأمن هو الذي أغنى رجال الجزيرة ، ونقلهم من الشغب والتشرذم والضياع إلى بناء الذات والكيان ؛ فاستغنوا عن أولئك الأغنياء الذين يزهون عليهم بسلاحهم ومعيشتهم ، فيضطر رجال القبائل إلى نهبهم ، والفداء في سبيل ذلك أرواحهم ، أغناهم الله عن هذه الحال ، واستبدلوها بأفضل منها لما هيا الله الأمن على يد الملك عبدالعزيز (رحمه الله) .

والشعراء أول من لامست فضيلة الأمن شغاف قلوبهم ، فأزجوا التقدير للملك عبدالعزيز ، وأخذوا يشدون بهذه الخصلة الحميدة ، كأمثال ابن عثيمين ،

وابن بليهد^(١) ، والغزاوي ، وفواد شاكر^(٢) ، والعقبلي^(٣) ، وغيرهم . بل إن الأدباء والمفكرين تجاوزوا الشعر إلى كتابة المؤلفات ، ككتاب (الأمن الذي نعيشه)^(٤) ، وقد أصدرت داره الملك عبدالعزيز عدداً من الأبحاث المحكمة .

وأغلب ما ورد مضمون الأمن في قصائد المدح ، كقول ابن عثيمين :

أليستم الناس نعماء مضاعفة أمناً وفضلاً جزيلاً غير ممنون^(٥)

وقد جعل الغزاوي الأمن الخصلة الأولى التي تألفت في سماء الدولة السعودية.

فقد أمن الخائف وما أكثرهم ! قال :

أمنت خائفها وشدت صروحها وبها استار غدوها ورواحها

ورفعت رايتها وصنت ربوعها وحميت بيضتها فتم صلاحها^(٦)

ونتيجة لقيام التواصل والتلاحم تكون المجتمع السعودي ، من هنا ندرك أن

الأمن هو إكسبر حياة المجتمع ، وهو أرض التطور ، وعمدة البناء ، وهو مجمع البحور الثقافية .

حالة الجزيرة مصحوبة عبر القرون الإسلامية بحالة الحجاج مؤثرة فيهم ،

فهاجس الأمن للحج يتفاعل في ضمير الدول الإسلامية منذ العصور الأولى ،

(١) محمد بن عبدالله بن بليهد ، ولد في قرية غسله بنجد ، من شعراء الملك عبدالعزيز ، مات عام

١٣٧٧هـ . انظر : كتاب (ابن بليهد) للدكتور محمد بن سعد بن حسين .

(٢) فواد إسماعيل شاكر ، ولد في مكة المكرمة عام ١٣٢٨هـ ، شاعر وكاتب ، وخطيب ، توفي عام

١٣٩٢هـ ، انظر : معجم الأدباء والكتاب ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ص ١٧٣ .

(٣) محمد بن أحمد العقيلي ، ولد في صيبا ١٣٣٦هـ ، شاعر ومولف ومحقق فله أعمال كثيرة ، انظر

: معجم الأدباء والكتاب ٢٤٣ .

(٤) تأليف حسن قرزاز ، مكون من مجلدين ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .

(٥) العقد الثمين : ٣٢١ .

(٦) الديوان : ٦٦٦/١ .

وذلك لفقد أساسيات المقومات له في الجزيرة العربية ، ومنها الأمن الشامل .
فالدولة تعرض عن الأرض والحياة البشرية فيها إلا في زمن مخصوص هو أيام الحج
فحسب . والدويلات الصغرى التي تحكم فيها يكون همها في المدن مثل مكة
المكرمة والمدينة المنورة وكل منهما تستغل فيها دولة قائمة بذاتها أو تظهر بعض
الولايات أو الإمارات في الأحساء أو الإمارات القبلية على الأطراف . ودرج
الحاج يفتقد الأمن الذي يظل بظلاله الناس . وما دام فُقدَ الأمن وعاش في صراع
قبلي وفتك بهم الجوع ، كل ذلك جعلهم يعترضون القوافل التجارية ، أو
قوافل الحجيج .

وفقدان الإصلاح العمراني والأمني ، وإيجاد عوامل الاستقرار يؤخذ
على الخلافة العباسية ، لا سيما أن جذور بدأت من عهد الرشيد ، حيث الاعتداء
على قافلة حجه ، ولأن العباسيين لم يتعهدوا الجزيرة مهبط الوحي بما ذكرنا ، بل
اندثرت معالم قرى كثيرة ظهرت في عهد الخلافة الراشدة وخلافة بني أمية ؛ فلو
عملت الدولة على استتباب الأمن لتولد الاستقرار ، والإستقرار يبني الفكر ،
والفكر ينشر الإيمان والوعي .

وكتب الرحلات تدعو بالويل والثبور على تلك القبائل وأصحابها يتنعمون
في معية المحامل المحمية ، ولم يفكر كل من الشامتين ولا المسؤولين عن قيادة الحج،
ولا الدول الكبرى في كيفية القضاء على تلك الظاهرة المستديمة ، وإنما رضوا
بالاسترضاء المؤقت للقبائل على دروب الحج ، وتعهد إليه حماية قوافل الحج نظير
دراهم تدفع لهم ، وزيادة الخيطة والحذر ، فإن قيادة عسكرية تصحب محامل
الحج، وكثيراً ما تتعرض للنهب والسلب .

فقد انتزعت بعض القبائل ثياب الكعبة المشرفة من المحمل المصري ، ولم تفد
(الصرة) التي يدفعها المماليك والعثمانيون للقبائل ؛ لأن موجات القبائل الجائعة
التي تصارع من أجل لقمة العيش لما ترى الثراء والمال فلا قدرة لبعض أفرادها

على امتلاك أنفسهم . ذلكم ما يتعرض له المحمل المدحج بالقوة العسكرية ، فكيف بمجموع المسلمين الذين يعبرون في قوافل صغيرة ، أما الذين يقطعون البيد سراً على لأقدامه ولا يملكون راحلة ولا مالا ولا أمتعة فهم يشبهون رجال القبائل في الفقر مما جعلهم في منجاة منهم ، ولكن أين هم من مهالك الطرق ومن وحوشه وسباعه وبرد الصحراء وحرها ؟ وكانت القبائل تطلق على هؤلاء (الدررايش) جمع (درويش) ، كلمة فارسية بمعنى المكتفي بالقليل ، وهو الرجل الذي يلبس الصوف ، ويأخذ ناسه بطائفة العادات والأساليب تجمع حياته الطابع المعروف (١) .

ولما جاء العهد السعودي في منتصف القرن الرابع عشر الهجري وأدرك الملك عبدالعزيز - رحمه الله ورحم رجاله وبطائه الخيرة - أن معالجة الأمر على النهج القديم لا ثمرة له . فلم يعط (صرة) (٢) أي نقود للقبائل ، وإنما أعلن الأمن أولاً، الأمن الشامل . فمن تعرض لإنسان من الداخل أو الخارج فالقصاص المباشر أو حد الحراية ، أو حد السرقة ، فكان الأمن . ولو وقف عند هذا الحد لكانت المدة الزمنية للأمن محدودة ، وإنما يادر إلى القضية الكبرى وهي الاستقرار . فبنى الحجر قرب القبائل فاستوطنتها ، وأقام البناء الفكري مصاحباً بالتهجير ، فأسس المدارس . ومن تعلم حرفاً عليه أن يعلمه جمعاً من الناس . فانتشر التعليم في مناحي الجزيرة، وعمم الأمن والاستقرار ، ونما الفكر والوعي ، فأصبح الحاج في أمن وسلامة ، وخدمة وحماية وحب كرامة .

وكان الشعراء من الأقطار الإسلامية يذهلون أمام الواقع الجديد فيسجلون إعجابهم بهذه الفضيلة الكبرى . ففي حج عام ١٣٤٩ هـ يسجل الشاعر المصري أحمد محمد الكنانى :

(١) د . عبداللطيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر ١٤٠ هـ الطبعة الثامنة ، دار الفكر العربي .

(٢) قطعة قماش تعقد على بعض الدراهم لتحفظها .

عبدالعزیز. نشرت الأمن في بلد
وقد أقيمت حدود الله معتمدا
إذا ما رعوا حرمة البيت الحرام ولا
فأنت الذي لولاك ما أمن الـ
صنت البلاد بعين منك فاعتصمت

والشعراء من السعودية أخذوا يتغنون بظلال الأمن ، لا سيما أولئك الذين
عاشوا اضطرابه والريب المصاحب له ، وعاشوا ظلاله الوارفة .

وأشهر أولئك الشاعر أحمد الغزاوي الذي يزخر ديوانه بسجل حافل لأعمال

الخير . يقول في حج عام ١٣٥٢هـ ، أي بعد عام واحد من توحيد البلاد :

فمن كان من قبل السعود وبأسه
ومن كان يستطيع المناسك آمناً
ومن كان في الرؤيا يصدق أنه
ومن كان يمضي في الجزيرة وحده
ومن كان يأتي للحجاز وقلبه
ومن كان لا تغري الثياب بحضه

يطيق بلوغ الحج دون تزلزل
على نفسه ما بين جمع وجرول
يروح ويفدو في أمان محمول
بأزواد تبر في سلام ممثل
يُرَجِّي نَجاة من حمام معجل
ولو هي ساوت نصف حبة خردل^(١)

وحج الشاعر العراقي محمد رضا الخطيب عام ١٣٥٤هـ ، فيذهل من الواقع
الأمني ويسطر ذلك في قصيدة طويلة ، وفيها يقول مخاطباً الملك عبدالعزيز
(رحمه الله) :

لقد وجدت فيك الجزيرة سيداً
وكانت موثماً قبل ذاك وإنما

علاها على رغم الأنوف ومادها
أبو فيصل نحو الحياة أعادها

(١) من قصيدة بعنوان (من علاك جلال الملك يكتمب) أم القرى ع ٣٣٣ السنة السابعة ، في

١٣/١٢/١٣٤٩هـ ص ٤ .

(١) الديوان ١/٧٣٤ .

فيها الأمن والعدل ظاهراً ويحور آيات الصلاح فسادهما
 بأحكامه للشرع جاء معززا وتتل من الذكر الحكيم استفادها(٢)
 والغزاوي يلح على الحجاج بأن ينشروا ما رأوه من الأمن في بلادهم ، وأن
 يذكروا الحقيقة ، يقول في قصيدة في حج عام ١٣٥٠هـ :

نضحى في سبيل الله عنكم وندفع عن مصالحكم ذنابا
 نذكركم وفي الذكرى انتفاع بحق يصعد الصم الصلابا
 وقول من صميم القلب فصل تطامن بالمودة واستطابا
 حللتم في مغائنا سروراً وثلتم من أمانيكم رغبابا
 بأمن لا نظير له بأرض وعدل يوسع الجاني عقابا
 وكان الجمع قبل اليوم يخشى من الفرد المناهل واليابابا
 فهل حدثتوا بالصدق عما رأيتم ؟ أم أحالوه ارتيابا(٣)

ربما لا يدرك قارئ اليوم معاناة أولئك العابرين مسالك الجزيرة العربية ، ولا
 سيما الحجاج ، فإن الحجاج يودع أهله وداعه الأخير قبل السفر لما يتعرضون له من
 قطع الطرق ، وصعوبة المناخ فما أكثر المهالك والفيافي التي لا ماء فيها ، وكذلك
 مداهمة الأمراض لهم ، وقد كان من أوليات الدولة السعودية المحافظة على الأمن
 وتحقق ذلك بعد تأديب القبائل بقتل من يعترض سبيل المسافرين أو بقطع اليد عند
 السرقة ، والعقاب الشديد يلحق المتستر ويشمل القبيلة ، وكثير من الحجاج في
 تلك الأيام يدرك هذه الحقيقة وربما تعرض لمثل هذا ، فلما عاد إلى الحج ذهل
 لهذا الأمن .

وملخص القول : أن الأمن الذي تشكل كان له مردود متفرع ، للفرد

(٢) من قصيدة بعنوان (لقد وجدت فيك الجزيرة سيداً) ، أم القرى ع ٥٨٨ ، لسنة ١٢ / ١٢

١٢ / ١٣ / ١٣٤٩ هـ ص ٢ .

(٣) الديوان : ٦٨٧ / ١ .

والمجتمع والوطن ، وله مردوده الخارجي ، فهو أوجد أمناً داخلياً يتيح للفرد ممارسة عبادته ، ويأمن في داره ووطنه ، ويعمل عمله ليكون منتجاً .
وهو عامل في تكون المجتمع وعلو شأنه ، وتعلمه وتطوره ، وله دوره الخارجي فهو يتيح التعامل والانتقال للعبادات ، ويكون ذكراً حسناً للمجتمع والوطن .

الاتجاه الإسلامي لبناء المجتمع :

يقوم الاتجاه الإسلامي لهذا المجتمع على عناصر منها :

١ - أن المجتمع تكون في الجزيرة العربية المهد الأول للإسلام ، فإن جذوته

منغرسه في نفوس العرب عامة .

٢ - أن المجتمع انطلقت قيادته السياسية والدينية ملتزمة بالدعوة السلفية التي

تجددت في نجد ، وبها ومنها انطلق التكوين الجديد لهذا المجتمع .

٣ - أن الدعوة السلفية أخذ بها أهل المدن في نجد ، وتكون علماءها ؛ فلهم

القيادة الفكرية ، والقيادة السياسية ، والإدارية .

٤ - إن الدعوة استطاعت أن تستحوذ على القبائل وتجرد الفرد من

عصبيته، وتجعلهم يتلون القرآن فوق مطاياهم فضلاً عن بيوت الشعر ، ومنتدياتهم

مما جعلهم يسارعون إلى التطوع في جيوش القيادة السياسية وكان لهم دورهم في

توحيد البلاد .

٥ - أن بداية نهضة الشعر في الجزيرة منبعثة من شعراء الدعوة كابن مشرف

وابن سحمان .

والواقع أنه اجتمع الدين وتلبس به العرب الأقوياء المجهولين على الشجاعة

وممارستها ، فكان الانتصار العظيم والتجمع لهذا المجتمع ، يقول ابن بليهد مشيراً

إلى الجزيرة العربية :

بالفضل والنبيل في الأخلاق والكرم

ظلا وفي الحرب أسد الغاب والأجم

طاروا إليه على علاكه اللجم

ليهم وفيهم سجاياها من القدم

هناك حيث ديار العز عامرة

من العبادة أنضاء تخالمهم

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم

دم العروبة في أنقى منابعه

وفيهم طلعت شمس الهدى وبهم هدى الأنام ومنهم سيد الأمم (١)

فهو أشار إلى أن أولئك جمعوا بين تلبس الدين الإسلامي ، والعمل به ، وقوة الجلال والحرب ، فهم لم يميلوا إلى الدعة والتعومة بل إلى الصلابة والشدة .

وابن سحمان عاش فترة الخلاف الذي دب بين آل سعود في نهاية المرحلة الثانية من حكمهم ، وعاش اضطراب الأحوال ، وفقدان الدولة التي تحكم بالشرع ، ومن ثم تشتت المجتمع وتفرق شملهم ، ولا سلطان للدين عليهم في أفرادهم ومجتمعهم ودولتهم ، وكما قلت هو من الحضرة الذين لهم فضلهم العلمي لا سيما في الشريعة ، بل لهم قدرتهم على توجيه المجتمع ، فلما اضطرب الأمن والقيادة الشرعية ؛ فإنه أخذ ييكي هذا المجتمع ويرى أثر ذلك على العلماء والعلم، وإقبال الناس على الدنيا بلا قيد ديني يضبط كباح الغرائز لديهم ، ففسدت دنياهم، فيعادي بعضهم بعضاً ، وما دام لم يتحل بالدين فإنه يأتي بالعظائم .

على الدين فليكن ذور العلم والهدى	فقد طمست أعلامه في العوالم
وقد صار إقبال السورى واحتياهم	على هذه الدنيا وجمع الدراهم
وإصلاح دنياهم بإفساد دينهم	وتحصيل ملذوذاتها والمطاعم
يعادون فيها بل يوالون أهلها	سواء لديهم ذو التقى والجرائم
إذا انتقص الإنسان منها بما عسى	يكون له ذخراً أتى بالعظائم
وأبدى أعاجيباً من الحزن والأسى	على قلة الأنصار من كل حازم
وناح عليها أسفاً متظلماً	وبساح بما في صدره غير كاتم

وهو يشير إلى وظيفة المجتمع بالحسبة التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وفيها صلاح للمجتمع ، وهذا الاضطراب عمّ الأقاليم في الجزيرة نتيجة لفقد الضمير الإسلامي الجامع الذي يدعو للحب والإصلاح والتلاحم والتقوى .

فلا لأمر بالعرف يعرف بيننا ولا زاجر عن معضلات الجرائم

(١) ابن حنين : الشيخ محمد بن بليهد ٨٥٢/٢ .

وملة إبراهيم غودر نهجاً عفاء فأضحت طامسات المعالم
وقد عدمت فينا وكيف وقد مفت عليها السواني في جميع الأقالم
وما الدين إلا الحب والبغض والولا كذاك البرء من كل غاو وآثم^(١)

وهذا مصدق للرأي الذي يرى أن العرب أو المجتمع القبلي لا يجمعه جامع أفضل من الدين ، والعرب لم يلتئم شملهم إلا بالدين ؛ فهو العنصر الأقوى الذي يهيمن على القبيلة ، ويسلبها سيطرتها . ومن ثم يقدم المجتمع على الفردية المعتدلة التي تبني المجتمع الأشمل .

ومن هنا ندرك أن شعراءنا الأوائل يحملون فكراً نافعاً ، وهم علم وافر ، وهم أهداف سامية تمثل في وحدة الأمة تحت راية التوحيد ، وتحت ظلال الإيمان بالله . ويتفنون وحدة الأمة ، ويتفانون في النصيحة لولاة الأمر ، ويسدون النصيحة في صراحة لا تأويل لها . وأعظم منهم أولئك الولاة الذين عندهم القدرة على استيعاب آراء العلماء ، وأخذ أفضل ما تحصدهم عقولهم . وتلك ليست من السهولة بمكان ، فإن آراءهم تعارض الهوى وميل النفس ، والراحة والدعة ، ولذلك لا يصير عليها إلا أولئك البنات أصحاب العزيمة الصادقة . ومن أولئك القائد الملك عبدالعزيز (رحمه الله) الذي وحد الجزيرة بإرادة الله ، ثم باستقطاب أولئك العقلاء العلماء . فاستمع لابن سحمان^(٢) يخاطبه بعد الانتصار في إحدى المعارك :

فيا نجل سادات الملوك ذوي التقى ومن فاق في جود أطيده وفي مجده
عليك بشكر الله والحمد والشنا وإظهار دين الله جهراً على عمد

(١) الديوان : ٤٥٨ .

(٢) سليمان بن سحمان ، ولد في قرية السقا ، قرياً من أبها عام ١٢٦٦هـ ، ثم انتقل إلى الرياض ، وصحب آل الشيخ ، وكان عالماً شاعراً ، نظم كثيراً دفاعاً عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) توفي عام ١٣٤٩هـ . له كثير من المؤلفات ، وديوان شعر حققه الرويشد ، انظر : معجم الأدباء ١٥٤ .

وبالخزم في كسل الأمور فأغما تنال المنى بالخزم والعزم والمجد
ومن جرب الأشياء يكفيه ما جرى ومن لم يجربها يعص على اليد
وشاور إذا ما رمت أمراً تريده فبالخزم والشورى تنل غاية القصد
ولا تتكل يوماً على رأي عاجز يميل إلى الإخلاق ليس بذي رشد
ويا ملكاً فاق الملوك بحسن ما يروم من الإعزاز للدين عن جهد^(١)

فهر يحث الملك عبدالعزيز على الشكر والحمد لله على تثبيت الحكم ، وعليه أن يحكم من أجل ذلك ، ويدعوه إلى الخزم والعزم فهما يوصلان إلى المجد ، ويدعوه إلى العمل بأهم أسس الحكم في الإسلام وهي الشورى .

بل أيضاً يوصيه بالاعتماد على الرجال الأقوياء والأشداء ، وما زال المجتمع يذكر عدداً من أولئك القادة والولاة الأقوياء الذين صحبوا الملك عبدالعزيز مثل ابن جلوي وابن مساعد ، ومحمد بن عبدالعزيز وابن إبراهيم وهؤلاء ليسوا قادة فحسب وإنما هم ولاة للأقاليم .

والشعراء يحفظون للشرع حقوقه فهم يوصون بطاعة السلطان لما أمروا بطاعة الله ورسوله وولاة الأمر ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أَوْلِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾^(٢) . وقد فسر محمد عبده ﴿ أَوْلِي الْأَمْرِ ﴾ بأنهم (الأمراء والحكام والعلماء ورؤساء الجند وسائر الرؤساء والزعماء الذين يرجع إليهم في الحاجات والمصالح العامة ، فهؤلاء إذا اتفقوا على أمر أو حكم وجب أن يطاعوا فيه بشرط أن يكونوا منا ، وأن لا يخالفوا أمر الله ولا سنة رسوله التي عرفت بالتواتر)^(٣) ، والشعراء يوصون إلى ذلك بالحكم الشرعي

(١) الديوان ، تحقيق عبدالرحمن سليمان الرويشد ٣٦٤ .

(٢) النساء ٥٩ .

(٣) د . محمد علوان : مفهوم إسلامي جديد لعلم الاجتماع ٩٨ .

الآخر في الدولة وهو الشورى قال تعالى : ﴿والذين استجابوا لربهم ، وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم﴾ (١) . فالشعر يادر إلى هذه القضية مجاهراً بها الملك عبدالعزيز :

يقول ابن سحمان :

ولا تستشر إلا صديقاً مجرباً سريره التقوى وغايته الود (٢)

يقول ابن عثيمين :

اجعل مشورك في أمر تحاوله مهذب الرأي ذا علم وذا أدب (٣)
والمشورة ((قاصرة على أولي الأمر الذين هم صفوة المجتمع ومفكريه
وحكمائه، ثم إلى الله وإلى الرسول في حالة الخلاف)) (٤) . وقد حذر الشعر من
أصحاب الهوى كي لا يدخلوا ضمن الاستشارة يقول ابن عثيمين :-

واحذر أناساً أصاروا العلم مدرجة لما يرجون من جاه ومن نسب (٥)

ويقول ابن سحمان :

ولا تصغ لنمام سمكك إنمأ بزور أتى المأفون والكاشح الوغد (٦)
إذن فالشورى في الإسلام خاصة بالعلماء والمفكرين والمختصين والمتنفذين ،
ولا ترجع إلى العوام وفوضيتهم .

وعلماء الاجتماع يرون أن الحاكم لا بد له من ((الدعائم البنائية الأساسية
والتبادلية للبناء الأخلاقي ، وهي التقوى والصدق والإصلاح

(١) الشورى ٣٨ .

(٢) الديوان : ٣٩٢ .

(٣) الديوان : ٣٦ .

(٤) محمد علوان : مفهوم إسلامي جديد لعلم الاجتماع ١٠٠ .

(٥) الديوان : ٣٦ .

(٦) الديوان : ٣٩٢ .

والإيتار ، والصبر)) (١) .

ملكك فاسجح وابذل العفو والندى
إلى الله في حشر وبشر وموقف
وعامل عبداً لله باللطف وارعهم
ويقول ابن عثيمين :-

واستعمل العفو عمن لا نصير له
إلا الإله فذاك العز فاحتسب (٣)

وابن سحمان ناصح أمين للملك عبدالعزيز (رحمه الله) فهو يوصي بتقوى
الله ، وأن لا يصغي لواش ، بل يتثبت في الأمور :

عليك بتقوى الله جل ثناؤه
وبالعفو والإحسان والصدق والوفا
وراع جناب الحق في الخلق راجياً
وإياك أن تصفي لمن جاء وأشيأ
وكن باذلاً للجد والجهد قائماً
وهو يصارح الملك عبدالعزيز بأن البقاء للقائد الذي يعمل بشرع الله :

فهذا الذي كنا نحب ونرتضي
وكان على دين النبي محمد
وجل قصائده تنحى هذا المنحى (٥) .
لن يتولى الأمر من كل قائد
وياحبذا الدين القويم لسائد (٤)

إذن فإن ابن سحمان يجمع هاجسه وأمله في صلاح شرائع المجتمع من ولاة
الأمر وطبقات المجتمع حتى المحاربين منهم . فإنه يدعو إلى العفو ، ويدعو إلى

(١) د . محمد علوان : مفهوم إسلامي جديد لعلم الاجتماع ٩٤ .

(٢) ابن سحمان : الديوان ، ٣٩٢ .

(٣) الديوان : ٣٦ .

(٤) الديوان : ٣٦٨ .

(٥) انظر : المرجع السابق ٣٩٢ .

البطانة الصالحة ، ويدعو إلى الحكم العادل في المجتمع ، ويدعوا إلى رفعة أهل العلم؛ فهذه أسس في تلاحم المجتمع ولحمة نسيجه .

ونحن نعرف أن سليمان بن سحمان من أكبر شعراء الدعوة ، فهو لما خاطب الملك عبدالعزيز مثل رأي المجتمع ، فالدعوة إلى الله هي أولى غاياته ، وتستلزم تكوين دولة قوية تقوم على الشورى ، وهذه ليست خافية على الملك عبدالعزيز لكن الشاعر يذكره ، وينقل رغبة المجتمع ، ومن هنا فإن شعر ابن سحمان أوضح لنا الاتجاه الإسلامي للدعوة في مستهل بداية عهد الملك عبدالعزيز ، فالشاعر متقدم في السن حينما استعاد الملك عبدالعزيز الرياض .

وابن عثيمين ذلك العالم المحرب الذي صحب الملك عبدالعزيز ؛ فإن إعجابه بالملك عبدالعزيز لم يحجب عنه النصيحة . فهو يعلن في صراحة من أمره أنه ناصح أمين فيدعوه إلى أن يستشير مهذب الرأي صاحب العلم والأدب ، وأن يجتكم إلى الشرع أولاً ، ثم الحزم ثانياً ، وليكن العفو عند المقدرة مع إرادة الجهاد في سبيل الله ، ثم العطف بالعلماء العاملين . ويحذر من المتملقين والمنافقين الذين يتخذون من العلم وسيلة لغاية في نفوسهم :

ياأيها الملك اليمون طائره	اسمع هديت مقال الناصح الحدب(١)
اجعل مشرك في أمر تحاوله	مهذب الرأي ذا علم وذا ادب(٢)
وقدم الشرع ثم السيف إنهما	قوام ذا الخلق في بدء ولي عقب(٣)
هما الدواء لأقوام إذا صعرت	خدودهم واستحقوا صولة الغضب(٤)
واستعمل العفو عمن لا نصر له	إلا الإله فذاك العز فاحتسب

(١) انظر : المرجع السابق ٣٩٢ .

(٢) الحدب : ذو العطف والشفقة .

(٣) مهذب الرأي : الذكي الحازم المخلص في رأيه .

(٤) صعرت : مالت طغيانا وكبرا .

واعقد مع الله عزماً للجهاد فقد أوتيت نصراً عزيزاً فاستقم وثب
وأحذر أناساً أصاروا العلم مدرجة بما يرجون من جاه ومن نسب (١)، (٢)

والشاعر ابن عثيمين عاشر حالة الاضطراب في الجزيرة قبل أن يستعيدها الملك عبدالعزيز ، واستشعر حالة الرعب والخوف والقتل والنهب والسلب الذي يتعرض لها الناس . فلما جاء الملك عبدالعزيز ووجد الجزيرة ، ورأى ظلال الأمن ، وعاش آمناً وامتدت ظلاله في أرجاء الجزيرة ، أخذ يفيض بتجاربه تلك ، ويهدي النصيحة المخلصة للمجتمع ، ويدعوه للوحدة الشاملة والالتفاف حول قيادة الملك عبدالعزيز الذي نصره الله وآزره ، في قصيدة بعنوان : (قفوا على الربع) ؛ قاله في عام ١٣٤٦ هـ . وهي قصيدة طويلة تنبئ عن الواقع الأممي الذي تجسد في فترة وجيزة بعد ضم الحجاز ، وفيها يشير إلى انتصارات الملك عبدالعزيز . وما يعنينا هنا إشارته للحالة الاجتماعية ، فهو يدعو الأفراد للهدى الإسلامي ، كما يدعو الجماعات ، فالكل يكمل الآخر ويحميه في ثغرة من الثغرات :

فكم أخذوا مالاً وكم سفكوا دماً وكم تركوا سريراً تُبكي أرامله (٣)
إليكم بني الإسلام شرقاً ومغرباً نصيحة من تهدي إليكم رسائله
هلموا إلى داعي الهدى وتعاونوا على البر والتقوى فأنتم أمائله (٤)
وقوموا فرادى ثم مشى وفكروا تروا أن نصحي لا اغتشاش يداخله (٥)

(١) مدرجة : درجا يتوصلون به لنيل أغراضهم . النشب المال .

(٢) العقد الثمين ، تحقيق سعد بن عبدالعزيز الرويشد ٣٦ .

(٣) الأراميل : النساء مات أزواجهن .

(٤) هلموا : أقبلوا وتعالوا . البر : الطاعة . التقوى : فعل ما أمر الله به وترك ما نهى عنه . أمائله : أفاضله وخياره .

(٥) اغتشاش : غش وخديعة . يداخله : يخالطه .

بأن إمام المسلمين ابن فيصل هو القائم الهادي بما هو فاصله^(١)(٢) وشاعر جازان علي بن محمد السنوسي^(٣) ، يعلن إعجابه بقيام دولة تقوم على الدين الإسلامي ، فهي تتبع نهج الرسول ﷺ وسلفه من الخلفاء الراشدين ، فالدولة تقوم على رفع شأن الدين عالياً ، وتحارب الكفر والفسوق ، بل هي تدعوا إلى الدين الحنيف ، وفي ظلال تلك الدعوة فإن العرب اجتمع شملهم ووجد الله كلمتهم ، وأضحت رايتهم مرفوعة .

واقمت أمر الله لنا سالكاً
وأنت فعالك شبه وحي بالذي
في سيرة نبوية وسياسة
ما مر يوم لم يكن في ظرفه
والشرع في قنن المعالي شامخ
وتبين الحق المبين وطالما
هل تكرر الأيام منك محاسناً
أولم تكن عرب الجزيرة قبل أن
أبدلتها بالذل عزاً شامخاً

لطريقه المثلى التي هي أقوم
تقضي به بين الأنام وتحكم
عمرية ما زلت لنا تومم
عدل يشاد به وظلم يهدم
والكفر منتكس يخور ويغم
كانت شهادته ترد وتكتم
أوليتها حتى غدت تبسم
وليت ذمتها تهان وتهضم
والخوف أمنأ لا يراق به الدم^(٤)

ويرى السنوسي أن الملك عبدالعزيز لم يكن غايته قيام الدولة فحسب بل هو مجدد للدين فيها يتكلم بما يأمر به الشرع :

(١) فاصله : قاطعه .

(٢) العقد الثمين : ٢٤٦ .

(٣) ولد عام ١٣١٥هـ عاصر الأدارة ، ثم الملك عبدالعزيز ، شاعر فقيه ، توفي ١٣٦٣هـ ، انظر :

المفقود من شعر بن محمد السنوسي لأبي داهش ، المقدمة .

(٤) د . عبد الله أبو داهش : المفقود من شعر السنوسي ١١٦ .

ومجدد الدين الخفيف وشمسه وسراجه والحجة المتكلم^(١)
والشعراء ينظرون إلى المجتمع الجديد أنه ذا أصالة عربية ، والعرب هم الذين
قاموا بنشر الدين الإسلامي ، ورفعوا رايته ، وجاهدوا في سبيل الله ، لكن
مواطنهم وقيائلهم في الجزيرة تعرضت لنسيان طال أمده ؛ فلم تكن لهم دولة تجمع
كلمتهم ، ولم تظلمهم الدول المجاورة بظلال الحكم الشامل الآمن ، فهم يتمنون
قيام دولة عربية تحمل راية الدعوة الإسلامية بل يحملون رايته ، ومن هنا ؛ فإنهم
استبشروا بقيام هذا المجتمع فابن بليهد يدعو الملك عبدالعزيز بالإمامة ، فهو
سلطان شرعي يقوم بحراسة الدين والدعوة إليه ، وتنظم العرب تحت لوائه . بل
هو الذي كون لهم كياناً جديداً يعيد محدهم ، ويحييهم من الفرقة والشتات :

أنت الإمام فما نيل العلام
بلغتها وشهاب الحرب يضطرم
لقد عدلت بنا عن كل حادثة
وظلمة يرتقي من فوقها ظلم
نحن بنو العرب العرب الذين لنا
فخر يقصر عن تعداده القلم
لكنها بين أيدي اللاعبين به
ومنه قطعت الأسباب والرمم
حتى نهضت بباع المجد منتصراً
للعرب في عزمات حشوها الهمم
دين ودينا وأيام مداولة
وتلك في طيها الإيراد والحكم^(٢)

والشاعر ابن بليهد من الشعراء الذين صحبوا الملك عبدالعزيز في تشكيل
المجتمع المعاصر ، فهو يوجه إليه الخطاب مباشرة ، فيدعوه إلى اتباع هدي كتاب
الله ، وإلى أن يسلك سبيل رسول الله ﷺ ، فهو سبيل أهل الصدق والخير ،
وليس الالتزام بالسنة النبوية لفرده هو المطلب وحسب ، بل إن من واجبه نصره
الشريعة بالدعوة إليها والعمل بمقتضاها :

اتبع بسيفك ما جاء الكتاب به ولا تسل عن بني حمالة الخطب

(١) المرجع السابق ١١٠

(٢) ابن حسين : الشيخ محمد بن بليهد ٨٤٦ .

واسلك سبيل رسول الله قد سلكت به الخلف أهل الصدق والأدب
وانصر شريعة خير المرسلين وقد يقيم نصرها أشرف الرتب (١)
وهو يعلن أن الله منح آل سعود الملك لحفظ الدين وصيانة الذمم:-
الله سربلكم بالملك مصلحة للعالمين بحفظ الدين والذمم
ويقول :

قاموا على نور حق يستضاء به كطالع البدر يجلو غيب الظلم (٢)
فهم قد أزاحوا ما كان سائداً من الجهل في المعتقد ، والنظم الاجتماعية ،
وفي العلم أيضاً .

وأبناء الجزيرة يفخرون بكون موطنهم مهد الإسلام الأول يقول : محمد
حسن فقي :

ياموطن الحسب الرفيع وموطن العز المنيع بيأسه وخلاله
من هنا انبثق الضياء فرده لثغوره .. وسهوله .. وجباله
ناديتهم فأتوا إليك فقل لهم كونوا بني الإسلام أسد رجاله
لا تركوه إلى الخصوم تنوشه بسهامها وتحز من أوصاله
وهو يفتخر بأبناء الوطن بأنه في مقدمة الصفوف المدافعة عنه ، والمحافظة عن
أرضه ، وأهل هذا الوطن يستمعون لكل داع للخير ، والجهاد .

ولنحن قيوم الصفوف وكلنا يمشي لنصرته ، ورفعة حاله ما
نحن العيال له .. فكل موحد يصون حماه قبل عياله
ولقد يكون الدين أكرم نسبة للمرء من دمه ومن صلصال له (٣)

(١) ابن حسين ، الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد ٤٩٢/٢ .

(٢) المرجع السابق ٥٢٦ .

(٣) الديوان : ٥٠/١ - ٥١ .

معالم النهضة والدعوة إليها :-

بعد أن رأى الشعراء قيام الدولة القوية ، وتوحدت البلاد ، بادر الشعراء إلى الدعوة إلى قيام النهضة بثتى وسائلها ، فدعو إلى إقامة المصانع ، والمزارع ، والبناء الفكري ، والعمرائي :-

ومن المدينة المنورة الشاعر عبيد مدني^(١) يطل علينا بقصيدة مرفوعة إلى الملك عبدالعزيز آل سعود في عام ١٣٤٧هـ ، وهي تصور أمل الشاعر الذي ينطلق من أمل الأمة ، فهو يهنئ العرب بهذا القائد الجديد في الجزيرة العربية ويطلق عليه لقب (صقر الجزيرة) الذي أتى إليها منفرداً كما أتى صقر قريش إلى الأندلس منفرداً ، فالملك عبدالعزيز يعيد للجزيرة حياتها في عهد الرسول ﷺ :

حي العروبة ما أجدت مقولات	واستجد وحيك ما استطعت سيلا
وانظم عواطف أمة وشعورها	عقداً على جيد الزمان جيلا
وأصح بآيات البيان مرتلا	إن كنت تنقع بالبيان غيلا
فلقد تسنمت العروبة ذروة	عقدت على شرفاتها الإكليلا
واستأنفت سير الحياة حثيثة	قدماً وآلت لا تؤوب قفولا
أحيا لها (صقر الجزيرة) عزها	وأقام صرح جلالها المائولا ^(٢)
ما زال يجهد في إعادة مجدها	حتى يعيد لها الحياة الأولى

فالشاعر يبين أن أسس الحكم تقوم على الحب من المجتمع ، والحب لا يكون إلا بتنفيذ شرع الله والعدل في الرعية :

(١) عبيد بن عبد الله بن حمزة المدني ، ولد عام ١٣٢٤هـ في المدينة المنورة ، شاعر مؤلف ومؤرخ ، عضو مجلس الشورى ، توفي عام ١٣٩٦هـ وله ديوان مطبوع في ثلاثة أجزاء . انظر : عبيد مدني / حياته وشعره ، تأليف إبراهيم المطوع ، والرسالة ما زالت مخطوطة .

(٢) المائول : التليد .

تخذ القلوب أريكة متبوءا
والملك إن لم ينتظم في عرشه
هذي نواميس الشعوب فلا ترى
ولسوف تلتهم الجزيرة شملها
إن شد عنك اليوم بعض رجالها
النور متبوع ولست بواجد

وكانني بإحساس الشاعر ، فما الذي دعاه إلى البشرى السابقة ؟ وأنه سيكون القائد الأوحى المحبوب ؟ فنقول: إن الذي دعاه هو ما رآه من عدل عم أرجاء الجزيرة ، والأمن الذي طوق أبناء المجتمع . فالفرد آمن ليلاً ونهاراً في فترة وجيزة لم تتجاوز أربع سنوات ١٣٤٣هـ حتى ١٣٤٧هـ عندما نظم هذه القصيدة. وذلك الاجتماع الآمن لم نعهده في الجزيرة بعد الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين ، فهو تمهيد النهضة المطلوبة :

العدل ممدود الرواق فحيثما
والأمن مضروب النطاق ترى له
يمشي به الساري وملء إهابه
لو كان موفور الحقائق لم يجد
لم يعرف التاريخ مثل أمانه
من كان يقدر أن يسير به ولا
فاعطف على (التجهيز) (١) منك عناية
فضل المعارف أن يجيد نجيها

عمت تلق الظل منه ظيلا
حُجِباً على جنياته وسدولا
دعةً فلا يخشى به تهويلا
من نفسه أن يسرتب قليلا
إلا على عهد الهداة مثيلا
حلف (٢) يقيه أو يكون (دخيلا)
واجعل من (التخصيص) فيه (لصولا)
(صنع القطا) وأن (يُبل عليلا) (٣)

(١) التجهيز : كانوا يطلقون على المدارس الثانوية اسم (التجهيز) .

(٢) الحلف : يريد به الذين يجمعون المسافر بأجر .

(٣) بل العليل : شفاء من مرضه .

والملك لا يزهي إذا لم ينتشر في أرضه المنصورون عقولاً (١)

فأنت ترى همة الشعراء الأوائل وفكرهم وأملهم ، فعبيد مدني يخاطب الملك عبدالعزيز ويطلب المزيد من المدارس ليزيد عدد المتورين . وأنت الآن تعلم الإجابة متمثلة في واقعنا الحضاري .

وبعد ضم الحجاز بخمس سنين استشعر الأدباء والمفكرين عهداً زاهراً جديداً يستشرفون نسماته ، فقد تحققت آمالهم بتوحيد الكلمة في الجزيرة وجمع شتاتها ، بعد ما سادت الفوضى فيها لأكثر من عشرة قرون .

والتم شملها بين حواضرها وقبائلها ، وقضى على الحكم القبائلي الذي سفك الدماء كثيراً . فقد قال الغزاوي رائية في الذكرى الخامسة لتوحيد الملك عبدالعزيز ملكاً على الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها عام ١٣٤٨هـ ، ١٩٣٠م .

فهو يتبصر في إشراق المجد على هذه البلاد ، بتجلي دولة عربية حديثة يخفق علمها على وسط الجزيرة ومشارقها ومغاربها وشمالها وجنوبها ، ويُعرضُ بهيمنة القبيلة بذكر قبيلتين من أشهر القبائل العربية وأكثرها عدداً :

ترنحت الأعطاف وابتسم الزهر (بيعة يمن) شأنها النهي والأمر (٢)
 لخامس عام أيعت بثمارها فعم (بلاد العرب) من طيها نشر (٣)
 وما هي إلا العز والسعد والعلى وإلا الأماني الغر تومض والفجرُ
 وتجلت بها (أرض الجزيرة) دولة ها (العلمُ الخفاق) والعسكر المجر
 وصاح بها التاريخ في ربضاتها ألا إن ماضي العرب لاح له الفخر
 أباح لكم عبد العزيز بملكه مراعي هناء لا (تميم) ولا (بكر) (٤)

ويشير إلى العدالة التي أرضت المجتمع وروضت نافرة ، وقاد الشعب إلى

(١) الديوان ٧٧/١ .

(٢) (بيعة يمن) : يقصد بيعة الملك عبدالعزيز ملكاً على الحجاز ونجد وملحقاتها .

(٣) (خامس عام) : فيكون هذا العام الخامس لتوحيد البلاد .

(٤) (تميم) : قبائل تسكن نجداً .

نهضة شاملة بعد أن ألف بين قلوبهم ، وأضحوا صفا واحداً ، واستنهض الهمم لمحاربة الجهل أولاً :

سواء لديه في (العدالة) عاكف
تجاوز أقدار الملوك بعلمه
وراح إلى السعي بالخزم شاخصاً
ووجد أشتات البلاد فأصحت
وألف بين الخلق يا الله حكمه
وحارب جيش الجهل فاندك حصنه
وما سهدت عيناه إلا لغاية
وما تلك إلا أن يرى الشعب وحدة

أقام وباد داره المهمة القفر^(١)
فحف به (التوفيق) وانيلج (النصر)
(نهضة) شعب حقه الناب والظفر
وما بينها ضفن^(٢) ولا دونها ستر^(٣)
فعاشوا بعرف لا يكدره نكر
وأنفق سوق (العلم) فاستبضع التجر
تسامت فأصحت لا يحيط بها الحصر
تذل لها الدنيا ويعنو لها البحر

فالرابطة السياسية التي تدبر المجتمع وتديره هي المظلة التي يستظل بها كيان المجتمع فهي مكوناته ومنظمته ، وهي واضحة أنظمته . وتلك الأسس التي قام بها عبدالعزيز .

فبعبدالعزيز رافع راية عرب الجزيرة ، ونقلها من الروابط القبلية وصراعها إلى تكوين مجتمع متكامل تسوده العدالة ، فوجد غاية المجتمع ، وجمع شمله . وهو يعدد عوامل القوة والمنعة للأمة ، فهي أولاً في تطبيق الشريعة الإسلامية، والاستغلال بظلالها ، ثم البناء الفكري والتدبير العقلي :

فما العز وأيم الله إلا شريعة بها انتعش الإسلام وارتفع الصدر
وما العز إلا الفن تبنى صروحه وتسمو معانيه إذا انطلق الفكر

ثم هو يشير إلى الصناعة والدعوة إليها ، فهي سبيل النهوض ، ويشير إلى الزراعة وقد اتخذ الملك عبدالعزيز سبيله لهذه الأفكار ، فقد كون الإدارات المشرفة

(١) المهمة : المفازة المخوفة التي يقول الرجل لصاحبه فيها (مه مه) ، أي : أسكت .

(٢) ضفن : الحقد .

(٣) ستر : حاجز .

على الزراعة والمعارف والصناعة قبل أن تنطور إلى وزارات :

وما العز إلا (النسيج) والوشي باهر
كما ارتقش الطاووس أو لمع التبر
وما العز إلا الماء تجري عينه
وتروي فيافينا إذا انفلق الصخر
وما العز إلا أن ترى القوم سيقاً
لخدمة الصناعات التي دركها فخر
وما العز إلا أن تحيط قلوبنا
وأخلاقنا التقوى يغمرها السرُّ
وما العز إلا (الأعوجيات) ضمراً
وفرسان حرب لا ينهنها الزجر
فدبت الذي قال من قبل شطره
(فما مجد إلا السيف والفتكة البكر)^(١)

فهو قد أبان في قصيدته أن الدين هو إكسير الحياة ، وهو لحمة النسيج
لوحدة المجتمع في الجزيرة . فالدين الحنيف غايتهم ، وجامع شملهم . ثم عرج على
سبل الحياة التي فيها الرقي والقوة والمنعة ، ولا عز إلا بجمع تلك الخصال .

ونختم مراحل التطور في الدولة بجزء من قصيدة الشاعر حسين عرب ، في
العام الخمسين من جهاد الملك عبدالعزيز (رحمه الله) لنرى البناء وقد اكتمل ،
وأن شأن الدولة قد ارتفع ، وأن المجتمع السعودي احتل مكانة بين الشعوب
العربية ، كل ذلك حصيلة جهاد دام خمسين عاماً :

إيه عبدالعزيز يومك يوم الضاد مجداً وعزمك المقدم
شدتها دولة يمينك شرقاً تختا ل فداها الأرواح والأجسام
فتقدم بأمة الضاد يامن تداني به المنى والمرام

فهذه الدولة التي قامت على لسان الضاد ، رمز اللغة العربية ، ورمز للعرب
أجمع ، فقد بناها الله وأشاد هذا البناء ليكون متكاملًا جميلًا ، وكل ذلك بجهدك
وجهد الأمة التي بذلت في سبيله الأرواح والأقلام ، وهو يدعو إلى أن يقود الأمة
إلى المكانة الرفيعة ، وتحقيق أمانيتها وآمالها ، فالأمة تبتغي قيادته لمجتمع لا يضام ولا
يكون ذلك إلا بالعزم والبذل والاحتماء بظلال الشرع .

(١) الديوان : ١/٦٤٤ .

قمت بالأمر منذ خمسين عاماً فإذا الأمر حكمة وانتظام
استقامت بك الشؤون صلاحاً ينشر النور للذين استقاموا
وأقمت البناء طوداً ميعاً شامخاً لا كمثل الأهرام
هو للدين معقل ورجاء وهو للبغي مصرع وانتقام^(١)
وهو يشير إلى مرور خمسين عاماً على تكوين هذا المجتمع ، فالشؤون قد
استقامت صلاحاً ، ونور الدين أشرق ضياؤه ، وبناء المجتمع اكتمل ، وشمل بناء
الحضارة والعمران ، فكان بناء شامخاً ، وهو فوق كل ذلك معقل الدين ومنبثق له
وتأثر له ومدافعاً عنه .

إذن فالشعراء الذين واكبوا قيام الدولة ، تصدروا الدعوة إلى النهضة وعلمها ،
وعمرانها ، وزراعتها وصناعتها مع ربطها بوشائج التواصل القوية ، فهي التي
تهيئ العوامل المساعدة ، وتشرف عليها ، وتمولها ، وتحميها وتنظمها ، ومن هنا
فإن تلك الغاية غاية اجتماعية فيها صلاح الفرد والمجتمع وهي علامة على قيام
دولة إسلامية لها غاياتها المحمودة التي ينبثق فكرها من فكر المجتمع ، فهي العامل
الأول المساعد والفاعل على تشكيل المجتمع الجديد .

(١) المجموعة الكاملة ١/ ٨٦ .

غايات المجتمع ووظيفة الدولة :

الدولة هي السلطة المكونة من ولاة الأمر ، وولاة الأمر أبناء المجتمع الذين ارتضاهم يدبرون الأمر ، ويتولون التنفيذ لأوامر الشرع الذي يجب أن يأخذ به كل فرد من المجتمع ، ويواخذ به كل فرد من المجتمع من السلطان والولاة وغيرهم مثلهم مثل غيرهم من سائر المجتمع ، فالوالي راع وبجانب شرعياً عن إدارته ((فالخلافة في الأرض وتطبيق شرع الله ، والنظام السياسي ما هو إلا أداة اجتماعية لتحقيق هذه الوظائف ، والمحافظة على صورتها ، وشكلها الرئيس وإعطاء الفرصة، والأمن لجميع أعضاء الجماعة من أجل ممارسة الوظائف الاجتماعية التي خلقوا من أجلها))^(١) ، ومن خضوع الفرد المسلم سواء من ولاة الأمر أو من سائر المجتمع لمراقبة الله يظهر لنا أهمية التقوى في السلطة ، فالتقوى نخذ من طغيان الشهوات والنزوات ، وجميع ما تخوله السلطة إذا لم يكن الله يقول ابن سحمان بعد ضم الأحساء موصياً الملك عبدالعزيز :-

وخذ من تقى الرحمن درعاً وجنة تقيك إذا ما شدة للورى تُدر
وبا لله اعتصم وكن متوكلاً عليه يقيك الله أشرار من صد^(٢)

وكل مجتمع أحوج ما يكون إلى الوحدة ، ووحدة المجتمع لا تكون إلا بغرس غاياته وأهدافه التي يقتنع بها أفرادها أولاً ، وشرائح جماعته ثانياً ، وأن تكون هناك عقائد تجمع قلوبهم ، وقيم تنظم سلوكهم ، ومعارف تراكمية تبني عقولهم ، ومناهج تنظم تفكيرهم .

فإذا قامت الدولة ، ليس لها غاية إلا تجميع شتات شعبها ، ثم تشحذ همة أفرادها وتستقطب مفكريها لترسيخ الوحدة الشاملة ولتحقيق الأمان وال آمال التي

(١) د. محمد علوان : مفهوم إسلامي جديد لعلم الاجتماع ٩٥

(٢) الديوان ١٩٢

تمثل العناصر التي تهفو إليها نفوس الأمة .

ويغضب على المجتمع في الجزيرة أن يتطلع إلى ترسيخ العقيدة أولاً ، ثم عمارة الأرض ثانياً ، والجمع بينهما يكون القوة التي ترفع من قيمة الفرد والمجتمع .
وأدباؤنا الأوائل - منهم الشعراء - أدركوا أن الجزيرة أشبه ما تكون بالأرض الطيبة التي تحتاج من مالكيها إلى التفاني في سبيل إحيائها بعد أن مهدت الدولة السبل الكفيلة الرئيسية ، وقامت بمهمتها الأمنية والاستقرار ، فتنادى الشعراء إلى بناء المجتمع . وأولى لبنات البناء يتمثل في قيام صرح الأمن الشامل ، ثم نادوا بالهمة والعزيمة ، وبالإخلاص والتفاني ، وحفزوا الأمة على العمل ، وأناروا لهم طرق التفكير ، وقارنوا وضعهم بوضع الأمم الأخرى ، وهذا مدعاة إلى يقظة الطموح ، فإن الفرد يباري وينافس ، والمجتمع أيضاً يتبسط بحياة الفرد .

فكانت الأفكار التي نادى بها الشعراء تبلور توحيد هدف المجتمع ، ونقله إلى هدف عال ، وتبر له طرائق شتى في سبيل النهوض لا علم له بها . وقد استحباب المجتمع لنداء الدولة ممثلة في استقطابها للعلماء والمفكرين والأدباء ، فاستنهضوا همم ، وتبارى المجتمع لغاية موحدة هي قيام دولة إسلامية قوية ، التي لا قيام لها إلا بتفاني أفرادها في سبيل المعرفة وسبل البناء ، فكان هذا البناء الحضاري الذي ننعيم فيه .

فلنأخذ نماذج قليلة من فيض كثير زخرت به دواوين الشعراء وازدانت به صحافتنا القديمة ، وخير مثال على علاقة الأمن بالمجتمع ، وأنهم أدركوا وظيفة الدولة الأولى وهي مد أطناب الأمن على البلاد قصيدة محمد جدع^(١) بعنوان (الإنسان والدولة) التي يتحدث فيها عن الدولة ومجتمعنا وإن لم يحددها

(١) ولد في عام ١٣٣٠هـ في جدة ، شاعر وكاتب ، يتمثل الروح الإسلامية والإنسانية ، له المجموعة

الشعرية الكاملة فيما يقارب ٨٠٠ صفحة ، انظر : الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي

لعمر الساسي ١٦٢ .

بالمسميات ، وإنما بالأوصاف :

في دولة جمعت لنا أوضاعها
العزم بالإنسان حقق شأنها
تحمي النفوس من الأذى وتصونها
صافت بني الإنسان في أكتافها
فهى الوليدة بالحضارة والنهى
لا تصلح الدنيا بغير حكومة
رفعت منار العلم في أرجائها
وأقامت الدستور يرفع شعبها

فالشاعر قد حدد وظيفة الحكومة الأولى بأنها تحمي الدماء ، وتصون الفرد والجماعة ، وتقضي على التشريد ، وتحارب الفقر . والحكومة هي النبع الأول للحضارة ، فهي مهده ورائده وراعيه وحاميه . وهو يشير إلى حكومتنا التي رفعت شعار العلم مع بداية التكوين ، ودعت إلى التقدم والازدهار . وأقامت الشرع الإسلامي الذي أحل الأمان والعدل والاستقرار، وفي الآيات الآتية يحكي أن من وظائف الدولة تنقية المجتمع من الشوائب ، ومعرفة شرائحه ، وتأيد العالم العامل الواعي صاحب النية الحسنة ، وتقوم بإصلاح الشرائح التي تبلور فيها العيوب وتنقذها من التيه .

فمن واجب الدولة حماية المبادئ الصالحة ، وتبني البناء الصالح ، وترتكز على العلم والفكر النير ، والتوجيه المنهجي والإصلاحي . ولا تقوم المجتمعات إلا بالهيم والعزائم التي تكافح وتتقدم ، وتسموا إلى المعالي . ثم هو يصور أن المجتمع إذا افتقد تلك الأسس سيكون خاملاً وتصده أي عقبات تعترضه :

من قسوة الإرهاق من أشرارها
من شر سفاك يظيع عزها
من عشرة التظليل والبهتان
ومهدد يجني بشر هوان
ومواطن الإفساد والخسران
لولا نفوس حاربت شر الهوى

في دولة تسمى المبادئ جهدها
 وتعد ما تبني من البنيان
 بالفكر بالتوجيه للعرفان
 بالعلم بالإصلاح في سفن الورى
 وتقدمت سمو بخير كيان
 لولا نفوس كافحت لمحور العلا
 لم يرق في فكر يخلق صاعدا
 للفرقسين بهمة الشجعان

وهو يرى أن المجتمع الذي ليس له دولة قوية تنافح عن الحق والخير والإبداع فإنه سنحرف عن الطريق السوي ، فيسلب القوي الضعيف ، ويفتقد الناس البناء الفكري والعمراني ، بل إنهم لا يراعون ما يبني من الفكر والبناء ، وتقل فرص التعليم ، ويكون الناس في هرج ومرج ، إذن فوظيفة الدولة تمس كل إنسان .
 فهي تحميه وتدافع عنه ، وتحافظ على تماسك المجتمع ، وتتيح الفرصة لبناء الحضارة .

فالشاعر يصور مرحلة الصعود الذي يتغيه المجتمع في بداية تكوينه ، فالصعود يتطلب فرداً مخلصاً عاملاً في مجتمع يتيح له كل مقومات النجاح .

ورأيت كل الناس قد عشقوا الأذى
 لا يفقهون فضائلاً بزمان
 ورأيت دنيا الناس فوضى في هوى
 والكل في خسر وشر وهوان
 وإذا الضعيف مهدد من غيره
 والحكم شرع العاب والعدوان
 وإذا الحضارة قد ذوت بجماهها
 وتبددت مثلاً بكل مكان
 وإذا المعارف والعلوم وهديها
 ومبادئ الإفضال في خسران
 وإذا السلام وقد تقلص ظله
 وتقام حرب من ذوي الطغيان
 فالدولة المثلى لإنسان سما
 مثل تردد فوق كل لسان
 فهي الدفاع عن المبادئ ما بقت
 وهي الكمال لمسلك الإنسان

فأنت تراه يعدد سلبيات المجتمع التي رأى الكثير منها قبل تكوين الدول ، فهو يجددها ويظهرها ليحذر منها . فالضعيف مهدد بالهلاك وبالاجتياح ، والحضارة مهددة بالاندثار ، والعلم والمعارف في تقلص ، والمجتمع يستشري فيه الجهل ، ولا وعي لمن يجهل ، ولا تقدم له . فهو يقول لنا : إن الدولة المثلى هي التي تصون

بجتمعا من تلك الآفات .

والشاعر يعلن في صراحة أن التقدم والرقى يكون في التعاون بين المخلصين المكافحين الذين يضعون الأهداف السامية نصب أعينهم . فإذا تآزرت العزائم ، وتجمعت لغاية من الغايات كانت حرية بتحقيقه ، بل إن الدولة تستمد بقاءها وحياتها من أولئك البناة من أبناء المجتمع ، وتلك الشرائح الاجتماعية في مناحي الحياة تكون القوة والمنعة والعزة للوطن بيناتها الاقتصادي والفكري الاجتماعي ، فهو يبلور قيمة الجماعة والاجتماع والتكاتف ، ويمحذر من الفرقة والشتات والتخاذل والتكاسل :

وهي التعاون بين كل مكافح	يفى الحياة ربيعة البنيان
وهي العزائم في اجتماع مواهب	للناس من سهل ومن شيطان
بل إن منها تستمد بقاءها	ووجودها في حلبة الميدان
وهي الوسيلة لاتحاد وجودها	في سلم الإعزاز والإمكان
فإذا الشعوب جميعها في رفعة	وتعاون بالسلم والإيمان
هذا هو الهدف العظيم لدولة	وهي المثال لرفعة الإنسان(١)

والحقيقة أن أبناء الجزيرة قبل الملك عبدالعزيز لا ينضون تحت لفظة (مجتمع) ، فالاجتماع في منأى عنهم . ولم يكن هدفاً لهم . بل إن الفرقة أطرتهم ، والحرب دمرتهم ، والثأر دائم الاشتعال لجدوتهم ، والفضيلة الوحيدة أن جذوة الدين تنبض في قلب كل فرد منهم . ذلك نتيجة وجودهم في الجزيرة مهد الإسلام ، ثم قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وتألقها بقيادة آل سعود في عهدها الأول ، وإحيائها في العهد الثاني .

فلما وحد الملك عبدالعزيز البلاد وهو متسلح بسلاح الإيمان جعل القرآن وحديث الرسول ﷺ منهله الأول : فالإسلام شرعه والمحكم في قضايا المجتمع .

(١) المجموعة الشعرية الكاملة ٦٩٠ وما بعدها .

وإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، وقد جمعهما الله لموحد الجزيرة
فالتف أبناء الجزيرة حوله ، وارتضوا الحكم الشرعي وتفأخروا به ، واعتقدوا فيه
صلاحهم وفلاحهم . ولهذا أعلن الشاعر الغزاوي ذلك :

وإذا الشعوب تفأخرت بنظامها فقنا فخاراً بالكتاب المنزل
والدولة وأفرادها تدعو إلى الإصلاح وبناء الحياة ، وإلى التفاني في العمل ،
وتحبي جذوة العزيمة الصادقة التي تبني ذاتها وتشارك في بناء المجتمع وتناهى عن
التواكل والالتكالية :

ليس التواكل والتجاهل أمرها فلقد أهابت بالفهم المهمل
ودعت إلى كل الفضائل أهلها فتحصنوا منها بأمنع معقل
ومشوا إلى أقصى الديار وذلوا عبر الجحار ونافسوا في الأجل
بشوا الثقافة في المغارب وارتقت بهم الحضارة واهتدو للأمثل
أيام كان الغرب في وهدايته والشرق يبعث بالسنة المرسل
حتى إذا ما بدلوا وتبدلوا هبطوا سراعاً للحضيض الأسفل
فرفعتوا للعلم في ساحاتكم علماً تعزز بالفرند الصيقل
ونشرتم أخلاق أسلاف مضوا صانوا حماها أن يسام المنجل
فزهت ربوع كاد يدرسها البلى وتدلفت أنهارها بالسلسل^(١)

والشاعر الغزاوي بهذه الأبيات السابقة يشير إلى مرتكز حضاري عريق تقف
على قواعده الأمم الناهضة ، ذلكم هو عراقة الأمة وأصالتها . فإنها تكون
كالجذوة في الفرد والمجتمع . فالانتماء غريزة إنسانية يدفعه إلى الفخر بالأباء ، فهو
يتواصل مع جذوره العريقة ، ويدفعه إلى البناء والالتحاق بهم ، وبناء الحضارة
والاستفادة منهم ، وهو ينافس الأمم الأخرى ويصارعهم ، فيتموا بناء حضاري
جديد يكون حلقة من الحلقات أو لبنة من اللبنة في العمران الشامخ .

(١) الديوان : ٦١٨/١ .

ومحمود عارف^(١) من أولئك الذين أشرق عليهم فجر النهضة ، وواكبوا تأسيس العوامل المساعدة في الأمن والاستقرار بمراى منهم ووعي . ولذلك رأوا من الواجب عليهم أن يسهموا بالكلمة الفاعلة لينهض الشعب ، ويدعوهم إلى التآزر والتعاون في عملية جديدة تخالف ما كانوا عليه من قبل . فالدعوة إلى العلم لم تكن معروفة في هيمنة الصراع القبلي ، أو الإمارات الصغرى ، وإنما تكون في توحيد المجتمع وانطلاقته إلى أهداف سامية في ظل دولة قوية ، فهو ينشد نهضة للبناء ، لا للتدني ، للعودة إلى مصاف الشعوب . فإذا سعى الفرد للرفعة فإن المجتمع يتعاقد فتشايك الهمم ، ويتنامى العمل ، وتبنى الحياة في شتى مرافقها ، فيتحقق الهدف . يقول في قصيدة بعنوان (الزحف الواعي) في ظلال هذه الدولة الجديدة :

أي فجر هذا الذي يتسامى في سماء العروبة السمحاء
أي فجر هذا الذي يترأى بالسنى في الرمال والصحراء
إنه صيحة الآذان صداها في قلوب الأموات والأحياء
صيحة البعث والترثب تعلقوا من صعيد الوغى للذن السماء
فلمن هذي الضحايا تروي دوحة المجد في مجال الفداء
كان فجراً فعاد نوراً وهذا هو عنوان نهضة عصماء

وقيام الدولة كان سبباً في تنامي الضمير الجمعي ، فقد وحد معتقدتهم ، ووطنهم وغاياتهم ، فاشتركوا في مصير واحد ، وما دام سادت كلمة الدولة ؛ فإن العمل لبناء هذا المجتمع وحضارته ، ومصالحة فردة ، ومجتمعه ، تكون هاجساً فردياً وجمعياً ، تشعل عزيمة كل إنسان وكل جماعة ، وشريحة ، وتلك جامعة لإنسان المجتمع ، ومن هنا تدفع الفكر والشعر ليعلن حياة هذا الضمير ويلبم شمله

(١) ولد بمجدة عام ١٣٢٩هـ ، وتلقى تعليمه بمدارس الفلاح ، له عدد من الدواوين الشعرية ، انظر

ترجمته في شعراء الحجاز ، ومعجم الأديباء والكتاب ٢٠٩ .

ويوقظه للعمل والبناء ، وليس هذا وحسب ، فإنه يدعو إلى الإخلاص والتفاني وحسن النية ، ومراقبة الضمير وكلها من عوامل التزقي والصعود للأمة والمجتمع .

نهضت للبناء لا للتدني أسست فوق لبنة علياء
في جبين الزمان منها رواء مستفيض النماء والأضواء
ورواها التاريخ هتفة لحن مستحث للصدق عالي النداء
وهو في واقع الصعود كفاح مستمد من شعلة البلاء
صح في منطق البقاء انتصاراً فيه معنى الغلاب معنى البناء
البناء الذي أعاد حقوقاً هي كنز الشعوب في الارتقاء

وهو يوضح أن الكسب بقدر العمل والجزاء السيء للمقصر ، فهو يرى أن الدولة ترعى حقوق الفرد العامل ، وترفع مكانه ، وتعطي المبدع حقه ، وتضرب بيد من حديد على أصحاب الشر ، وتبعد المتخاذل المتواكل ويقلوا المجتمع ذلك المتملق المخادع ، فكان الشاعر يعطي أوصافاً للمرء الناجح ، ويقارن بينها وبين الفاشل أو المختلس . وهذا بناء لسلوك الفرد في هذا المجتمع الذي يؤوله للصعود والتفوق ، ويكون لبنة في مجتمع عامل يؤدي كل وظيفة بإيجاز متكامل .

والذي يرفع البناء قوياً سوف يلقي نصيبه في الجزاء
والذي يهدم الصروح يلقى قسطه من فداحة الأرزاء
قل من خالف الصواب وأبدع خدعاً في حقائق الأشياء
سوف تلقى الحياة دينا خداع تزأى كالحية الرقطاء
لغة الكذب في التصاح وحاشا أن يعيش الشريفي في الظلماء
ولمن حقق الرجاء سيعلوا قمة الجمد في الذرى والسماء
وسطوع الخلود للبطل الفادي بفعل الإقدام لا بالخواء
يزأى مع الفذاذة نور ، يتحلى بالعزة الشماء
وهو في هيكل الجهاد طموح فيه معنى السمو معنى الفداء

أو هو السحر في كيان وجود عبقرى السمات جم الرواء

أو هو الصبر في الليوث الضواري من بناء الأحماد في الصحراء (١)

والقصيدة كما ترى تشير إلى شريحة تنظر بمنظار أسود ، تريد أن تثبط الهمة ، فهي إما قاصرة النظر ، أو هي خيالية غير واقعية ، أو تظن أن لا منهج إلا المنهج الذي ترتضيه ، أو هي في الأصل لا عزيمة لها ولا إرادة فتسخر من أولئك البناء . ونحن الآن رأينا أن البقاء للأصلح ، وأن العاملين والمفكرين الرواد من مجتمعنا أنجزوا فكراً مسطراً ، وبناء شاعراً في ألوان الحياة .

والشاعر الغزوي له قصيدة بمناسبة قدوم أول طيارين من أبناء الوطن ، بعنوان (أمة تبني وشعب لن يخور) مطلعها :

حي بالإعجاب أحفاد الصقور وأشد بالفخر وقل حان النشور
وفيها يعبر عن تجربته الشعورية نحو أولئك لينقل لنا إحساس المجتمع واحتفاءهم بطالب العلم ، فقد تولاه شعور صادق بتحقيق أمل من آماله ، فأخذ يشدو بهم ويزهو ، فهم فخر الأمة العربية وفخر الدولة التي ابتعتهم :-

قد شفاني اليوم مما شفني رهظنا القادم في نعت النسور
وتولاني شعور صادق يملأ القلب اغتباطاً وسرور
أنكم ما كنت قبلاً أرتجى في مجال الحد إدلال الفخور
وعلت للعرب فيكم سمعة هزت الأعماق من أقصى الشعور
يا شباب فيه شدي مطرب وبه أسمو وأزهو وأمور
أتموا البرهان في السعي الذي هو في الطامح من عزم الأمور
ولكم بت سميراً راعياً للنجوم الزهر ملتائاً أحور
ويقول :

جدا يوم شهدناكم به إنه في الحق وضاح السفرور
حقكم منا ثناء عاطر واحتفاء واحتفال وشكورور

(١) الفردوس الحالم ٤٢

ذلكم في عام ١٣٥٥هـ ، والآن تملك المملكة اسطولاً جويًا ضخماً ، وقواعد عسكرية للطيران متعددة ، وتزهو الرياض بكلية الملك فيصل الجوية التي تخرج أعداداً من الطيارين والمهندسين ، إضافة إلى معاهد مساعدة للطيران ، فحمداً وشكراً لله ، ثم للدولة التي أشرفت على ذلك ، كما يقول الغزاوي :

وقل الحمد لمن هياها فرصا أودى بها الماضي العثور
وانبرت نحو المعالي أمم أشريت حب التفاني والصدور^(١)

والجتماع شديد الهيام للتقدم العلمي ، لا سيما التعليم التقني ، فهو يستشعر الضعف أمام التقدم الصناعي عند الغرب ، فلا شك أن التقدم الحضاري ، ولا سيما الصناعي منه أضحى حاجساً لكل فرد من أبناء الوطن ، ليدفع بالأمة في مصاف الدول القوية . ومتى رأى الشعراء بارقة أمل فإنهم يحتفون بها وبمن شجع عليها ، وبأولئك الفرسان فيها . ذلك ما كان مع عودة أولئك المبتعثين لتعليم قيادة الطائرات ، فإن الشعراء ابتهجوا بأولئك وتباروا في قول الشعر ، مشجعين لهم ومحرضين الأمة على المثابرة والالتحاق بركب التعليم ، كما رأينا عند الغزاوي في القصيدة السابقة .

وقد باراه الشاعر أحمد عربي^(٢) في الاحتفال بأول دفعة من الطيارين السعوديين :

أهلاً بقادمه النسور طليعة العهد النصير
الرافعين لسواء مجد بلادهم فوق الأنصير
المنتضين عزائمهم أمضى من السيف الطيرير
ويقول فيها :

(١) الديوان : ٨٠٦/١ .

(٢) ولد في المدينة المنورة عام ١٣٢٣هـ . التحق بالأزهر ودار العلوم ، عمل في التعليم ، ثم عضواً

في مجلس الشورى . شاعر ، خطيب ، كاتب . انظر : معجم الأدباء والكتاب ٣١٧ .

لقد بدأنا اليوم نشعر بالحياة وبالنشور(١)

إذن فغاية الدولة يتمثل في بناء الفرد ، والمجتمع بناء يصلح كل من الفرد والمجتمع من البناء الفكري ، والعمرائي ، والزراعي والصناعي ، وقيام المؤسسات الوطنية ، والاجتماعية .

(١) من قصيدة بعنوان ((ولقد بدأنا اليوم نشعر بالحياة)) أم القرى ع ٥٩٢ السنة الثانية عشرة في

١٣٥٥/١/١٨ ص ٢ .

المبحث الثالث

دور العمل في الحياة

- العمل والعمالة .
- البطالة .
- استقبال العمالة والحب لله .
- العمل والرواتب .
- ظاهرة التقاعد .

العمل والعمالة :

المسلم يجب لأخيه ما يجب لنفسه ، والأمة الإسلامية كالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء . وهذا التوجيه الرباني من الذي لا ينطق عن الهوى . ومن هنا كانت الرابطة الروحية أقوى الوشائج وأوثق عرى التواصل ، وهي التي تولد الحب .

وحب المسلم لله ، فهو يحب ذاته ويعمل من أجلها في دنياه ، حتى الآخرة أحوج ما تحتاج إلى العمل ، بل لا يصحب الإنسان إلا عمله ، والعمل عنصر التكوين له . وهو يرضي الله بعمله الشرعي الذي يدخل فيه إصلاح ذاته أولاً .

والحب ينجم عن سلوكيات الناس ، فيحُبُّ هذا لعمله وفائدته منه وحسن سلوكه ، ويتفاعل مع أسرته فيتبادلون الحب نتيجة لفعل الخير الذي يتشعب على سائر أفراد الأسرة أو العشيرة والمجتمع حوله ((فقربك من قربت مودته منك ، وعشيرك من أحسن عشرتك^(١))) والحب يتولد من الفرد وينسرب على سائر العاملين معه والمتعاملين .

فالفرد إذا أحب أخاه المسلم أخلص في عمله فينجزه ويصلحه ، وإن كسب مصلحة فيه ، فلو ارتقى العامل إلى درجة الحب الإسلامي لما كان هناك بطالة ، ولاختفى الغش ، ولكان الإصلاح للمجتمع . فيتوفر المال والزمن ، وفي ذلك قوة للفرد والجماعة ، وحب لهما بواسطة العمل ، فلا حب بلا عمل .

ونحن في مجتمع إسلامي معاصر ، ميسور التواصل ، يخدم بعضه بعضاً . وما أخرجنا إلى إتقان العمل والإخلاص فيه . وقد كانت البلاد الإسلامية أكثر خضرة وأغنى البلاد ، وكانت أوربا تنداعى إليها - ففيها الخضرة واللبن والعمل ، كما يقول إربان الثاني عام ٤٨٨هـ في مرحلة التمهيد للحرب الصليبية . وكانت

(١) انظر : العنابي حياته وأدبه ، د . مسعد العطوي ٢٩٧ ، مخطوط .

البلاد مصدر الحبوب الضرورية والتمور والألبان والفواكه والخضار (١) .
أما عصرنا الحاضر فالأمة الإسلامية في ضعف واتكالية ، فهي أحوج ما
تكون إلى العمل في الأرض والصناعة ، ولكن تحدث الديون والمجاعات مع وفرة
العاطلين عن العمل . بل إن تلك البلاد أخذت تستورد الحبوب وغيرها ، مع
وجود الأنهار تجري ، والتربة الخصبة على ضفافها . فالخلل من منهجية العمل ،
فهو لا يصدر عن حب الفرد لذاته ، ولا لمصلحته ، ولم يكن الحب خالصاً لله
ليتفانى في عمله .

نحن أمام مجتمع من الضرورة له أن يتآزر ويتعاقد ، وقد أودع الله البلاد
الإسلامية ألواناً من مكونات الحياة ، فلو تكاملت مع بعضها لبلغت الكمال
الاقتصادي ، ولأخذت مكاتها بين التشطير العالمي الاقتصادي ، بل
كانت منافسة.

إن ضعف مجتمعنا الإسلامي ناجم عن غياب (العمل لله) وعندما نتفحص
العمالة الإسلامية نجدها لا تكون سداً في وجه الزحف للعمالة الأخرى ، فهم
أكثر التزاماً وأكثر إخلاصاً وصدقاً في العمل ، مع أن العمالة المسلمة أحرى بذلك
وتجد أن العامل من البلاد الإسلامية أكثر عطالة وبطالة ، ويضيع فكرة في
البحث عن معاذيره ليهدر بها على المسؤول ، بدلاً من أن يفكر في إصلاح عمله
وإنجازه . وهذا كله يعود إلى التربية وغياب الوعي وغياب الحب للذات والجماعة .
فالعمالة في بلادنا ، بمن فيهم أرباب العمل ذاته ، لا بد لهم من تكوين فكر
عملي ، يضع منهجاً ومنطقاً للعمل . وهذا ربما تشير إليه العلوم الإدارية ، لكننا
نريده هاجساً في كيان كل فرد .

وعلينا أن نكون مدارس للعمالة العربية الإسلامية ، ليس للتدريب المهني
فحسب ، وإنما قبل هذا التدريب المنهجي والسلوكي ، ونحس كل دولة أن هذا

(١) انظر : الحروب الصليبية : محمد سيد كيلاني ، ١١ ، ط ، الأولى ، دار الكتاب العربي ، مصر .

عضو يمثل العمالة وصدقها وإصلاحها وحبها لله ثم لأمتها .

ثم هنالك تعاليم لاستقبالهم يعطون حقهم سلوكاً ومالاً . يؤخذ منهم ما يقابله من عمل . وكل هؤلاء العاملين والمستقبلين يزرع في نفوسهم العمل الذي يولد الحب لله ويستشعر أنه يخدم أمته ويعمل بشريعته ويرضى ربه .

ولا أظن ذلك ممستحيل ؛ لأن الغرب بفلسفتهم لحب الوطن ، ومنهجية العمل كونوا عمالة ناجحة . ونحن لنا هذه المقومات مع الرابطة السامية ، وهي حب الله وطلب ثوابه ورضاه ، والإيمان بالغيب مدعاة لصلاح الدنيا .
إن التكامل الاقتصادي والتكامل الاجتماعي جديران بدراسات اجتماعية واقتصادية .

نريد العامل المسلم يحمل حباً لله ، وينغرس في كيانه ويصعبه حيثما ولى وجهه ، وأن يحمل الرقابة الداخلية المرتبطة بإيمانه وعقيدته ، ويحمل منهجاً يومياً للعمل ، ويكون حاجسه صلاح العمل ليؤدي أمانته وليكسب حلالاً وليصلح شأن مجتمعه وأمه ، نريد دولاً تقوم ببناء الإنسان المسلم بناء روحياً وعقلياً ومنهجياً وسلوكياً . نريد عاملاً يعمل ليكسب كل هذه .

ولا تكلف تلك شيئاً فالدولة قادرة على إقامة معاهد متخصصة مرتبطة بالثقافة الإسلامية التي تنير قلبه بالعمل للحب في الله ، وتكون هناك دراسات متبادلة لمعرفة الأجواء التي يلحق بها العامل .

والمتصفح لدواوين الشعراء السعوديين في مستهل النهضة يصادف نتاجاً ثراً من الشعر يدعو للعمل من جوانبه المتعددة ، فهم يدعون إلى الإعداد له بالعلم والإخلاص وقوة الإرادة ، ثم بالتفاني فيه ؛ لأن مجتمعا في ذلك الزمن في مرحلة التكوين والبناء ، ولا تقدم له إلا بالعلم المتفاعل مع المجتمع الذي يحمله شباب الأمة ويعملون به ، فأخذوا يدعون إلى فكر يبي ويغرس حب العلم للعمل به .

ومنهم الشاعر عبيد مدني ، فهو يدعو إلى الكفاح والإقدام بعزم وتفان ،

والإعراض عن الخمول والتعاس ، فهو يقول في الحياة :

الدهر ساح والحياة كفاح ما فيهما لسوى الشجاع نجاح
من خار بآء بعيشة مكدودة والرغد للرجل الجرى متاح
فاقدم إذا شئت الحياة صحيحة أنى يكون مع النكوب فلاح
الفكر عزم والثبات مجنة والحزم طرف والدؤب سلاح
والعجز ذل والسرزد ضلة والمستحيل إذا عقلت جناح

فهو يضع الدهر مساحة زمنية للعمل الذي ينبع من كفاح الإنسان ، فانه جعل العمل من سنن هذا الكون وعمارته ، وبه تعمر الدنيا ، وبه يبلغ الإنسان غايته ، ويحصل على تغذيته ، والتعب للعمل يولد الراحة والسعادة ، والفكر يدير العمل ، ويؤدي إلى نجاحه وقوته وأما العجز فهو الشقاء النفسي ، والمهانة والمذلة ، ويهوي بالفرد والمجتمع إلى الضعف .

أما الشبهة التي يلصقونها بالزمن فهي باطلة تؤدي إلى الاتكالية والخمول ، ولا عيب في الزمان إنما العيب في الإنسان ، في فكره وعمله ، فالآمال لا تنحز إلا بالأعمال ، ولا إنجاز بلا عزم وحزم .

ظلموا الزمان فحملوه مخولهم ونشيطهم بحموله مرتاح
ما ينقمون من الزمان إذا انشوا متقاعمين عن المنى أو شاحوا
هل تنجح الآمال إن صورتها في النفس ما لم تستحث كفاح
لا يندعوك بما ترى فعقولهم مرضى ولو أن الجسم صحاح
ما الصعب تهنية الجسم وصلها الصعب أن تهيب الأرواح
وإذا نبت دار بمقتحم الفلا فالأرض عند العاملين مراح(١)

والشاعر محمود عارف ، المولود في جدة عام ١٣٢٩ هـ يستروح عبير الأمن ورياضه ، فيعي أن الأمن هو السبيل إلى بناء المجد فيدعو إلى السعي الدؤوب الذي

(١) الديوان ١/١٦٥ .

تدفعه عزيمة صادقة في ثاني اثنين من سبيل التقدم والنهضة هو العلم . فلا نهضة بلا علم ، فهو وسيلة الترقى والسمو ، وهو الذي يكون المنهج الفكري والعمراني . وهو يكرر استنهاض الهمة الذاتية التي تنمو بالكدح الدائب ، في سبيل الفوز للفرد ثم للمجتمع ؛ فإن حمول الفرد يؤدي إلى حمول الجماعة . فيجب أن نفرس روح التفاني والتباري . يقول في قصيدة قصيرة بعنوان: (في طريق المجد):

إلى المجد سعياً بسني أمي بعزم قوي وقلب سليم
وسيروا إلى العلم في همسة فكلم أمة نهضت بالعلوم
ما العلم لو تعلمون إلا سبيل الخلود
به سما الأولون آباؤكم والجدود

فالسعي والتزود بالمعرفة ، والهمة الصادقة توهل إلى العمل الناجح ، ولا بد من إضافة المنهج الذي يقوم على عقل منهجي لينجز أفضل وأسرع الإنجاز ، وليصلح الفرد والمجتمع ، ولتكون هناك روح التأخي والتضامن لبناء هذا الوطن .

فسيروا إلى متهى غاية من المنهج الواضح المستقيم
بني وطني جددوا عزيمة لئيل المفاخر بين الأمم
أرونا - أنتم لها - نهضة تجيد التضامن تحت العلم

وأفراد الشعب والمجتمع يختلفون في خصائصهم الذاتية ، فمنهم الكادح المخلص ، ومنهم المتهاون والمتكاسل ، والأريب المتفاني في عمله الباني لحياته هو ذلك العامل المجد في عمله المفيد لمجتمعه .

إن نسوال المسيرام للكادح الدائب
والقوز بين الأنعام للباسل الفالب
فلن تلبفوا أبداً عزة إلى أن تيمد السلام القضب
دماء الشباب وأرواحه قرايين تهدي لعز العرب
فآلام الشعب وأفراحه سواء إذا ما الضعيف غلب

فالتاريخ لم يدون ذكراً حسناً للمتفائلين وإنما نقل بطولات العاملين الذين

علموا واخترعوا وأنجزوا ، وخلقوا ذكراً حسناً ، فنلنا فيهم عبرة وعظة :

وما رواه الجهماد في صفحات النضال
إن جريء الفزاد عماد هذا الصيال^(١)

فهو بهذا النداء يلي مطلباً اجتماعياً كبيراً ، حيث لا حياة اجتماعية حضارية بلا علم ، واتساع دائرته تدل على تقدمه وتزيد من ثباته ورسوخه ، وتمسكهم في بنائه الاقتصادي.

والأمراء الذي خاضوا عباب العمل ، وتصدروا الوزارات أدركوا أن لا تقدم ولا قوة للمجتمع ، ولا حياة له إلا بالعمل المخلص المتفاني ، ولا يكون إلا بإرادة قوية وعزيمة صادقة من شباب الأمة . فهو لا يدرك بالتمنى والتواكل والتكاسل . فهذا الأمير عبد الله الفيصل الذي استلم عدداً من حقائب الوزارات في مستهل النهضة يخاطب شباب بلاده :

مرحى فقد وضح الصواب وهفا إلى المجد الشباب
عجلان ينتهب الخطى هيمان يستدني السحاب
في روحه أمسل بضياء وفي شيبته غلاب
قد فارق الجهل السقيم وهش للعلم اللباب

فهو مبتهج بقدم الشباب المتدافع إلى المجد ، المتباري في الجهد ، عالي الهمة الذي يطلب معالي الأمور ، القادر على مصارعة الصعاب ، الذي أعلن عداة الجهل والمخرط في دور العلم يتفني الوسيلة المساعدة على العمل الذي يوهله للإبحار في عمارة الأرض ، وخوض البحر والتحليق في الفضاء فجميع تلك الأعمال هو بناء الوطن الذي يقوم على حماية الفرد والمجتمع .

ورنبي إلى مسقبل يرقى له متن الصعاب
قد راح يستهدي للعلا ويصارع الموج العباب

(١) الفردوس الحالم ٤٤ .

في الأرض أو في البحر أو في الجو فوق ذرى الضباب
 ذاكم لعمري عدة الوطء
 من الكريم المستطاب
 مما المجد يطلب بالني
 المجد بينى بالعلو
 كلا ولا السم القصاب
 م تهز عالمنا العجاب
 ناهض سامي الرغاب
 والعلم راية كل شعب
 وعليه فلنبن الحياة
 ولا نسأوم في الثواب

فالشاعر الأمير من أولئك الشعراء الذين عايشوا الوحدة في الجزيرة العربية ، تلك مرحلة التكوين الأولى التي أحوج ما تحتاج إلى التفاني في العمل والحب للمجتمع والوطن ، وأن يكون ذلك مصحوباً ومدفوعاً بعزيمة قوية تدفعها إرادة البناء .

وهم يرون أن الشباب هو الذي سيحمل الأمانة وثقل العلم . ومن هنا فإن عنايتهم بالشباب وإثارة الحماسة في نفوسهم ، وبنائهم البناء الفكري والعلمي ، مع إشعال الهمة كان من وظائف الفكر والإبداع عند أولئك .

فهذا عبداً الله الفيصل مرة أخرى يدعو إلى الإسراع وانتهاج الخطى ، والهمة العالية ، كيما يبلغ الأماني ولا يكون ذلك إلا بسلاح العلم والمعرفة . ويقول :

ولننطلق في عزمنا
 مثل انطلاقات الشهاب
 كيما نرى فوق السها
 كيما نمجد في المآب
 هذي نصيحة مخلص
 يهوى المجسادة والطلاب^(١)

فالأمير عبداً الله الفيصل يعي في مستقبل نهضة الدولة موجبات البناء الاجتماعي وبناء الفرد . فهو يتعلم فيني ذاته أولاً ويكون منتجاً ، ثم هو يتفاعل بعلمه مع المجتمع فينتج لمجتمعه . ولا وسيلة إلا بالعلم والوعي والمنهج السليم والإخلاص . وهذه النفثات الشعورية من شعور صادق الإخلاص إلى مجتمع يلهب

(١) عبداً الله بن إدريس : شعراء نجد ٩٠ .

بهذا المطلب :

والشعراء تأثروا بالواقع العربي الأليم ، وبالفرقة الإسلامية ذات الشتات والضعف أمام العدو المهيمن بمقدراته ، وأدركوا أن لا حياة إلا بالإيمان والكسح المتواصل والبعد عن الملاهي ، والتآزر والتآلف والتعاون ، والإنسلاخ عن العصبية والإقليمية . يقول ابن إدريس (١) :

أنا لا أحفل من دنيا الغناء بمنال ليس رفاف السناء
أو بجاه ليس يقى خالداً في سجل المصلحين الأقوياء
واكبوا العصر وشادوا نهضة تشر الميت وتفني للبقاء
لا يرون المال ... إلا ... آلة تصهر الشعب بروح الاقضاء
لفقير معوز أو عاجز مسه الدهر ... بأنياب العياء
إن قوماً قدسوا دنيا " الجيـ بوب " لعمى عن نواميس السماء
همهم جمع حطام زائل ذاك هم الجاهلين الأغبياء

فهو يتبغي من المجتمع الصلاح الذاتي أولاً ، ومن ثم يكون الصلاح الاجتماعي . ويرى أن تدير المال على الملاهي والمفاتن أمر يخالف هدف الأمة التي تنشئ نهضة تجعل الحياة تدب في هذا المجتمع الذي شارف الهلاك قبل الدولة السعودية . فهي تبتغي صلاح المسيرة وسلامة أفرادها .

وفي المقطع الثاني يدعو إلى نبذ الفرقة وعواملها ، والنظر إلى المجتمع نظرة إنسانية عامة ، ونظرة إلى المواهب والقدرات ، ونظرة إلى المعاناة والكسح والتفاني في البناء وتلك هي مقاييس إنسان الخير والعطاء فالمجد لشهم يعمل في سباق من السنين، همه الأول الإضاءة لأمة أحوج ما تكون إلى التنوير ليأخذ بأولئك المتفانين لطلب العلم والمعالي من المكافحين نحو الجهل والامية :

(١) ولد في مدينة (حرمة) بسدير عام ١٣٤٩ هـ ، شاعر ومؤلف ، رئيس نادي الرياض الأدبي ، له شعراء نجد المعاصرون ، وله ديوان في زورقي . انظر : شعراء نجد المعاصرون ، ومعجم الأدباء والكتاب .

إنما المجد ... لشهم نابيه
همه المتعاقب إشعاع الضياء
يسكب الأنوار من مشكاته
ليرى الساري إلى آفاقه
فإذا ما انداح في أغوارها
من رؤى الحق وأحلام النهى

فالشاعر يمثل بقطة المجتمع الذي صحب مرحلة التشكيل الأولى ، والتي أدرك فيها أنه يتأخر عن المجتمعات الأخرى ، وما دام أدرك الداء فإنه أدرك الدواء ، وهو العمل في عزبة صادقة ، يحاول أن يسي بجداً جديداً ، ولا يكون ذلك إلا بالتفاني ، والسواعد القوية التي تعمل بفكراً ، فإذا انطلق الفرد والمجتمع بنية صادقة وإحساس عميق ، وتنافس شريف فتلك دعائم البناء لهذا الكيان الجديد .

ما انطلق الحر في ديا الشعور
ذاك شهم للمعالي صاعد
ليس يشني عزمه أو يزدهي—
وأخو الجهل رتيب حائر
هكذا الدنيا وذو أحكامها
ثبة الروح بفكر ... نير
فاطرق الباب إلى أسمى المنسى

والأدب السعودي أصبح ملتزماً بالمنفعة ، فهو يسخر تلك المتعة الإبداعية ليقذف في نفوس الشباب الطامح آماله العريضة ، فهو يحفزهم ويدفعهم إلى التقدم في شتى مساربهم ، وكانت قضية التقدم الثقافي والعمراني والصناعي والزراعي هاجس مثقفي العصر ومفكره وأدبائه . فهم يستصرخون فتيان الأمة إلى العمل والمثابرة والبناء .

فالشاعر عبيد مدني لما رأى بوادر النهضة أخذ يستنهض الأمة ويدعوهم إلى

تخطيم العقبات ، والتفاني في العمل وأخذ أسبابه .

بشرى فإننا في بوادر نهضة ستحول الصعب الجموح ذلولا
ولسوف نشدوا الطير في تحليقه ونقيم من (أسرابنا) (الأسطولا)
ونشق ملتطم الخضم (بوارجا) و(بواخرا) فنجر فيه ذبولا
ويصد وجه الشمس منا (جحفل) لجب تصم به القلاة صيلا
متدرب إن سار دك ممالكنا وأدال تيجاناً وفل رعيلا
ويجوب أرجاء الجزيرة كلها (خط الحديد) مهامها وتلولا
ونجلل الأرض الفياح (زراعة) لفيض في عمالها التمويلا

والشاعر لم يتكلم عن فلسفة مجردة للنهضة ، وإنما أراد أن يتكامل العمل ،
فبناء شركات الطيران في الفضاء ، وبناء السفن في البحر ، وبناء السكك
الحديدية، وتلك الشرايين للمواصلات إنما هي قواعد النهضة وهو أيضاً يريد
الاكتفاء الذاتي ببناء الفكر الواعي المنهجي والعملية الذي يوهل للزراعة
والصناعة، ويدير المؤسسات الحكومية ، والمؤسسات الأهلية ، وبهذا يستعيد
الوطن قواه ، ويدعم العمل الإسلامي .

ونعمم (التعليم) حتى لا نرى في كل أنحاء البلاد جهولا
ونشيد (دوراً للصنائع) جمّة شتى الشكول ونخرج (البزولا)
ونقيم فينا (للصحافة) منيراً يضيء البيان على الشعوب سيولا
ونبث في كبرى العواصم كلها (وزراء) لا يألوننا (تمثيلا)
نعيد للإسلام شرح شابه ونفك للشرق الأسير كبولا
ونسابق الأيام في إقبالها ونكون للآتين أفضل جيلا
وينمق التاريخ ذكر نهوضنا غرراً على صفحاته وحجولا(١)

فالدولة في عام ١٣٤٨هـ أخذت تنشر الأمن وتوفر وسائل الإنتاج ، وتجمع
شتات الجزيرة من شبابها وشيوخها ؛ ليكونوا القوة البشرية المؤهلة . فهو يدعو إلى

(١) الديوان ١/١٣٣

تعميم التعليم وتشيد دور المصانع ، وتكون الصحافة نداء ودعوة وحافزاً ومحبة لقيام النهضة .

والعلاف^(١) يدعو إلى نبذ التواكل والتكاسل ، والأخذ بأسباب القوة والمنعة، واستثمار الأرض وبذل الجهد :

واحفز لحضنها الجماعة	أحيي الزراعة والصناعة
قيّد البطالة والمجاعة	واعلم بأن كليهما
بالغفل يستدعي البراعة	أرض العروبة ثروة
لكفت وفاضت بالبضاعة ^(٢)	لو سخرت طبقاتها

إذا تهيأت عوامل النمو ، والأمن والاستقرار بقيام دولة قادرة فإن التقدم يكون واجباً اجتماعياً شاملاً ، يجب أن يعمل أفراد المجتمع كخلية النحل ، بكل دأب في إخلاص وتفان . غير أن العقل يكون أولاً ؛ ليصلح منهجاً ، ويقوي بناءً ، والمجتمع شأنه شأن الفرد ، تدفعه عزيمته صادقة ، وغاية ينشد لها . فيحفز الطموح لبذل الجهد ، وتحطيم العقبات . فلا رفعة للفرد ولا رفعة لمجتمع ، ولا خير في الدنيا لغير مناضل ، وأن المتواكل سيقط في متاهات الطريق ، وأن شريحة هابطي الإرادة أصحاب المعاذير اللائمين لغيرهم أولئك مرضى يجب أن لا يشترؤا :

لكنه الإخلاص حيث يهد	ما هكذا تأتي الحياة رغبة
عقل ينير طموحنا ويزود	وأساس كل تعادل بين الورى
ونحسه بشعورنا يتوقد	ومن الطموح تطلع فيما نرى
عقباه ... فهو حديقة تستحصد	مهما استبد الطموح فلا تخف

(١) إبراهيم خليل علاف ولد في مكة المكرمة عام ١٣٥٠هـ عمل مدرساً ، صدرت له الامال الكاملة لشعره في مجلد ضخيم . يميل شعره لمعالجة القضايا الاجتماعية . انظر : معجم الأدباء والكتاب .

(٢) الديوان : ٢٤٧ .

وإذا عثرت فلا تخف من كبوة
والفارس العداء إن بلغ المدى
شوط السباق يطول في مشواره
والكادحون على الطريق نجاحهم
لا خير في الدنيا لغير مناضل
نعم النجاح بعزمه يتوطد(١)

فأنت ترى أن شعراء تلك المرحلة يلحون على الطموح والتفاني ، والتصدي
للعقبات التي تعترض السبل فالمضمار طويل ، والسباق يحتل مساحة جوهرية
وزمانية ليست بالقصيرة ، فلا خير في الدنيا لغير مناضل جاد في حياته .

والشاعر حمد الحجي(٢) يشدو أحياناً مفردة بمناسبة اشتغال مطابع الرياض ،
وطبعها لصحيفة (اليمامة) ، وعدد من الصحف والمؤلفات ؛ لأن أبناء المنطقة
الوسطى ، والعاصمة الرياض تشوق إلى ركائز النهضة الفكرية والأدبية وأولها
وأهم وسيلة لها هي المطابع ، فالشاعر اهتز فرحاً بهذا الإنجاز ، وحق له ؛ فإنها
كانت البذرة التي كونت ثمراً يانعة للفكر والأدب والصحافة في المنطقة الوسطى،
وتكونت بعدها مؤسسات الصحافة ، ومطابع الكتب ، وأحدثت حركة فكرية
بل إن المنطقة قادت الفكر في بلادنا بعد هذه بفترة زمنية يسيرة .

برزت فكانت دهشة الأبصار
عامان ما مضيا على إيجادها
تلك الطباعة وافها يا صاحبي
حي الطباعة في البلاد فإنها
واطلع عليها في (الرياض) لكي ترى
أحيا الثقافة عندها ما قدمت
بشاعها المتلالي الأنوار
حتى استحالت منية النظر
بتحية نفاحة معطار
رمز الفتاء بنهرها السيار
عجبا من الإبداع والإكبار
من خدمة للعلم والأفكار

(١) محمود عارف : الفردوس الخائم ٤٠ .

(٢) ولد في بلدة مرات عام ١٣٥٧هـ ، وتوفي بالرياض ١٤٠٩هـ صدر له ديوان شعر انظر :

شعراء نجد المعاصرون ٢٠٢ ، ومعجم الأديباء والكتاب .

لو كان (جوتنبرغ) حيا سره ما للطباعة من عظيم قرار
ثم انبرى يثني عليكم فتية قمتم بنشر روائع الأسفار
من كان يعنى بالجميل فإنما حسناته مثل النجوم دراري (١)
وابن سيار (٢) أطلال الوقوف عند الشباب ، لما يعتمل في نفسه ونفوس
معاصريه من ألم المرارة ، وأمنيات التطلع ، والتي لا حياة لها إلا بروح الشباب
وتفانيهم وعلمهم وعملهم ، وكذلك هو معاصر للشباب في ميدان العلم متعلما
ومعلما وموجها ، فهو يدرك أن الشباب قوة العصر وبناته :

أعيدوا إلى الأفق المظلم سنا الشمس أو روعة الأنجم
وبثوا بأرجائه صححة تطير السبات عن النوم
فقد أوشك القوم أن يهلكوا بواد كآفكارهم مبهم
سرت في ثناياه شرس الوحوش وذل أخو الضعف للضيفم
وزمجر كل أخي نعمة على كل ذي فاقة معدم
تفتش فيه على نابسه فتصدم بالفقر والمجرم
وهو يشكو إلى الشباب ضياع أمته ، وتهافت الأمم عليها ، ولانجاة له إلا
بهمة المنقذين الذين تآزهم العزيمة إلى الغاية العظمى ، فإن معالم النهضة أخذت
تشرق بعلمكم وعملكم :

إليكم شباب البلاد الغور تلفت قلب البلاد الظمى
لقد لفتحته شمس الهجر وأضناه سوط الشقا المؤلم
لكم موطن أيقظته الحياة على كونها المائج المضرم
رأى فيكم هممة المنقذين أغذوا إلى الهدف المعلم

(١) عبدالله إدريس : شعراء نجد المعاصرون ٢٠٥ .

(٢) عثمان بن سيار ، ولد في الجمعة ١٣٤٨هـ ، والتحق بدار التوحيد وتخرج في كلية الشريعة في

مكة المكرمة ، عام ١٣٧٣هـ ، وله دواوين شعرية ، منها (ترانيم وآله) ، و (أنه الحب) ، و (

بين فكر وعشق) ، انظر : شعراء نجد المعاصرون لابن إدريس ٢٢٩ .

فأشرق مبسمه منذ أطلت
طويتهم بهمساتكم ليله
صريير (يراعساتكم) نغمة
بها صوته سوف يغزو الدنيا
فيعلم أن الشباب الطموح
عليه جمعكم ترتقي
وما كان إلا بكم يحتمى
بأذنيه رفاضة المبسم
سيدركه في الغد المعتم
به نهضة الوطن المقدم(١)

والشاعر ابن سيار يصف إقبال الشباب في زمنه إلى ميادين العلم ، وهم
يتنظمون العمل بالعزيمة الصادقة التي تنشده الآمال ، ويتخطون العقبات ،
وينهضون من العثرات ، وهم يدأبون الليلي في السهر ، ويقذون النهار بالمشي ،
يقول في العمل :

رجع البشري ، فقد نلت الوطر
واستعد ياقلب ذكري (سمر)
أي بشري تلك ؟ ما أروعها
أشرقت كالشمس في ضحوتها
ومثينا في اعترام صادق
ليس منا من تشكى نصبا
لا ، ولا من هاب إدلاج السرى

وهو يدعو الشباب إلى مدارج الجهد ؛ كي يرتقوا في همة عالية ، ليواصلوا

أجداد الأسلاف ، يودوا بالعمل أمانة الوحدة والتوحيد المعاصر :

طو هذا الليل مزق حجيبه
إنه العلم وحسبي حافزاً
كي نرى الصبح الجديد المنتظر
ما أرى في كل شعب مزدهر

وهو يشير إلى الغرب الذي تسلح بالعلم وأفتخر علينا ، واستثمر ثروات

البلاد الإسلامية ، فيدعو الشباب إلى العمل بالعلم كي ينافسوا أولئك .

إنه العلم بأحلى مظهر
وها هو الغرب علينا قد فخر

(١) ابن إدريس : شعراء نجد المعاصرون ٢٣٨

سام في روضك لم تحفل به يجتني ما طاب من حلو الثمر
ومضى في كل حين يجتلي من جديد العلم ، ما يعيي البشر
فلم اخزت التواني راضيا بحياة الهون ما بين البشر
هل على الدنيا محال يتقى بعد أن راموا وصولاً للقمر^(١)
نعم أنهم بلغوا القمر ، وما زلنا نتمنى العلم النافع والعمل الصالح .

وابن سيار يدعو الشباب إلى النهوض من الكبوة ، وتحطيم جيوش الجهل
بعزيمة صادقة ، حتى ينفذ الخمول والكسل ، ويبنى فكره أولاً ليعمل ثانياً :

حي عني الشباب إما تسامى ، قوة تحطم القيود اعتزاما
قبس إن دجا الزمان، وسلوى وطن كاد أن يهون مقاما
عاش ما عاش مستتيماً خلي البال في أمة تضج اختصاماً
آن أن ينفذ الجفون عن السهد ، وأن يشرع البيان حساما
جيه هو يستقيم صفوفاً أيقظت همه الأمانى جما
كل ما ازداد في الحياة مضياً وجدت نفسه الطموح مراما
كل ما شام بارقاً من أمانى شعبه ازداد عزيمة واحتداما^(٢)

والشعراء يرون أن الشباب يدرك العلا ، فهو سياج الأمة ، والأمة ترجوه
لترتفع ثناء وقوة ، فهو الذي يصرع الجهل والخمول . يقول سعد بن إبراهيم
أبو معطي^(٣) :

غنها في مهدها أغرودة سكرت منها الروابي والدنا
غنها فالنور من ميلادها قد أشاع الفرحة الكبرى - بنا-

(١) ابن إدريس : شعراء نجد المعاصرون ٢٣٥ .

(٢) ابن إدريس : شعراء نجد المعاصرون ٢٣٧ .

(٣) سعد بن إبراهيم أبو معطي ، ولد في بلد الشعراء ١٣٤٨ هـ ، وتخرج في كلية الشريعة عام
١٣٧٣ هـ ، وتعين مديراً للمعهد بعنيزة ، ثم التحق بوزارة المعارف ، انظر : شعراء نجد
المعاصرون لابن إدريس : ٢٣٩ .

ياشبابا رام إدراك العـلا
منك نرجو أمة طامحة
وعلى جهـدك نبـي نهضة

وهو لا ينسى أن يذكر بالصبر والجلد ، والعمل في منهج وتخطيط إسلاميين ،
وأن يتمتع بالسلوك المستقيم والسيرة الحسنة :

فادرع بالصبر وارسم خطة
وعلى الأخلاق أسس ركنها
ويرتني أن الشباب ذو همة عالية ، ولا يقنع بالعيش الذليل ، ولا يكون
خاملاً ولا تخائر العزم :

أي فخر لشباب خـامل
خائر العزم يرى من جهله
وحطاماً يقتني زائله
إن دعا المجد اكفى أن له
ليس يجديك الذي فات فقل
يا رعى الله صروحاً شيدت
يرد النـشء إليها ظامناً
ويصاغ المسره فيها قـوة

وهو يدعو إلى الوحدة والتحاب والتواد ، وأن يكون مجتمعاً له غايات

سامية ، كل يذل من أجلها فكره وجهده :

اخوة نحن شعور واحد
لا يفركك أننا أمم
أمة واحدة في رأبها

والشعراء أدركوا تخلف أمتنا ، وضعف مكانتنا ، وحاجتنا إلى السبل المؤدية

(١) ابن إدريس : شعراء نجد المعاصرون ٢٤٥ .

إلى التقدم والقوة في كل مناحي الحياة وصالح العثميين^(١) يصور الأمة بـ " الموكب
الظامئ " فهذي الصورة توحى بالجهاد في حياة المعاناة ، فالإبل الهيم إذا ما
عطشت فإنها تحث السير إلى موارد المياه ، وهكذا نحن أبناء الأمة يجب أن نتمسح
بسلاح العمل في طلب العلم ، والعمل للقوة الاقتصادية والحرية :

ظمنا إلى نور الحياة ونور الكفاح القوي العتيد
ظمنا إلى الحق يا موطني وأنت تعيش بذل القيود
تطلع إلى الجيل من أمة أبت أن تذلل لعسف الوجود
ستهض رغم ظلام الخطوب ورغم القوي العتي المريد
وتبني الحياة وتجنّي الهناء لتخفق أرجاؤها بالعود
ظمنا ولكن ظلام العصور سيأتي عليه الصباح الجديد
ويسحق من رام في أفقنا مرابع كانت منار الخلود

وهو يشير إلى بعث العلم وبعث البناء ، تلك الحركة التي دبت في الشعوب
العربية كيما تنفض غبار الجهل والذل والخنوع ، وتبني وتدافع :

تقدم إلى البعث يا موطني فإن الحياة صراع مبيد
فقد آن أن تستعيد الجهاد وتفتح للنور هذا الصعيد
وتلوي بهيكل تلك المآسي وتقذف بالظلم أني تريد^(٢)

والشاعر محمد سراج خراز^(٣) يحكي روح الشاب المتلبس بإيمانه ، الجاد في
حياته ، الذي يبذل جهده في العمل مهما وقف في وجهه من عقبات ، يحطم

(١) صالح الأحمد العثميين ، ولد في عنيزة ، عمل في التدريس ، له ديوان (شعاع الأمل) انظر :
شعراء نجد المعاصرون ١٨٠ .

(٢) ابن إدريس : شعراء نجد المعاصرون ١٨٧ .

(٣) ولد بمكة المكرمة ، عمل مديراً لمدرسة تحضير البعثات ، ثم مفتشاً مركزياً ، انظر : الموجز في
تاريخ الأدب العربي السعودي ١٥٧ ، ويلاحظ أنه اكتفى باللفظ الأخير سراج ولم يذكر محمد
الذي يوردونه للشريك

الأشواك ، ويخوض صراع الحياة ، كما يصارع القارب الأمواج ، وهو يعث
روح التنافس ، ولا يبالي بالحقد والغيرة :

أنا مهما حارب الدهر جهودي وطلايبي
ورماني من زواياه بألوان العذاب
وكنت دربي أشواك كأسمان الحراب
وطغى البحر على الزورق صخاب الثباب
وتبدت لي دنيا الحظ شوهاة النقاب
وتخطاني الذي كان ورائي في الركاب
وتناساني الألى ضحيت فيهم بشبابي
ورأت عياني من صحتي أشباه الذباب
أنا مهما أترعت كأسى من مر الشراب

وهو لا يدعن لليأس ، ولا ينسى عزمه ، بل يعلن إخلاصه في صراحة
ووضوح . كل ذلك في سبيل الله ، ثم في سبيل أمته الإسلامية التي يتمنى علوا
شأنها :

لست بالمدعن لليأس ، ولا عزمي بنابي
لا ، ولا غشّي سنا ودي مريد الضباب
دأبني السمي ولسو أني لم أبلغ رغابي
في سبيل الوطن المحبوب ، والنشء غلابي
مبدئي مد كنت مزهو الصبا ، غص الإهاب
ورجاني أن أرى شمي يسمو بالثباب
وأرى الشرق قد أصبح مرموق الجنسب (١)

ونحن نلاحظ في هذه الأشعار الالتزام بالشرعية السمحاء ، والدعوة للعمل

(١) غناء وشحن ٩٨ .

والتلاحم في ضروفها . والأشعار تلك غيض من فيض في دواوين الشعراء الذين عاصروا تلك المرحلة . وشعرهم هذا يمثل مرحلة زمانية محدودة اتسمت بالتنادي من أجل التكوين الاجتماعي والنهوض الحضاري بمساربه جمعاء . وهو يمثل فكراً اجتماعياً لا مندوحة عنه لكل طالب تقدم وازدهار ، ومثل هذه الأشعار أشبه ما تكون بالشعر الحماسي زمن الحروب .

وهذا النداء والتداعي للعمل لم يجد منه ضعف الأجر ، أو تأخره بنضوب الموارد المالية وقتها ، فإن المجتمع كان يعمل بما يقيم أوده في بداية تشكيل المجتمع والنهضة وقبل استخراج الموارد والثروات الأرضية ، فالراتب لا يتجاوز عدداً من القروش ، وهي لا تأتي في زمن محدد ، فالتأخير أكثر من الانتظام في صرفها ، وربما تعذرت وانعدمت ، فيصرف عنها ألواناً من الطعام ، وربما تدفع التيوس والأغنام وملح الطعام ، والمتقدمون في السن يذكرون هذا وقد سجله السويدي في شعره وربما عايش وعاصر الشاعر تلك الحالة :

ومرتبي تلك القروش أعدّها	ومتى أتت فانا الشكور الحامد
من بعد بضعة أشهر من حينها	إن أقبلت حلّت علي فوالد
وإذا تعذر دفعها في وقتها	فمن الطعام أو الشراب عواند
ومن التيوس أو الجفار بدائل	حيناً ومن ملح الطعام مزاود(١)

وتلك الحماسة والنداء إلى التعليم والعمل والإثارة الوطنية نفتقدها في هذه المرحلة ؛ لأن التوجه اختلف عن سابقه ، فمرحلتنا تتطلب تفكيراً متولداً عن قضايا معاصره ، وهذا الشعر يمثل الواقعية الاجتماعية ، فهو يتحدث عن قضاياها تأثيرها . تلك الأشعار تبلور وظيفة الشعر الفكرية المتجددة .

(١) السويدي : هواجس ٥٠ .

البطالة :

ما نيت الأمة الإسلامية بشر أكثر من البطالة . وقد دب هذا المرض في الجسم العربي من بعد القرن الأول الهجري ، وتزايدت أعداده حتى أحل بالتوازن الاقتصادي والاجتماعي ، وأضعف كيان الأمة ، وسخرها لمن يملكون ذلك . فأصبحوا محتاجين ، عالة على غيرهم ، مع زرع النفاق والتلق ، فأدرك أديباؤنا الأوائل هذا المرض الفتاك ، فأخذوا يحذرون منه .

فالشاعر عبدا لله بن عثيمين^(١) يصور حالة البطالة الموجودة في عصرنا الحاضر وعصورنا السالفة ، تلك القضية التي عاجلتها الدول المعاصرة بعد ما أضنت الشعوب والدول الغابرة . فالبطالة أمر مرفوض ، حتى البطالة المقنعة عليها من القيود التي تمنعها عند الشعوب الواعية . وهذا الشاعر يصور لنا أحد العاطلين عن العمل ، الذي مل الحياة ومله الناس ، حتى نفسه تأذت منه ، فالإنسان خلق ليعمل وينتج ، لا ليستهلك ويكسل . يقول :

أنا عالة

همسة جاد بها فكري وأبداها لساني
واعتراف خطئه في مطلع الطرس بناني
ملني صدر الحياة الرحب ، أسامت زماني
وتحاشت مقلة التاريخ كبراً أن تراني
لم أعد أثبت في الدنيا وجودي وكياني

فالشاعر يتحدث بلسان العاطل عن العمل ، فيعلن أنه أساء لزمانه باستهلاكه بلا إنتاج ، فهو عالة على المجتمع ، فليس عنده تطلع للمعالي حتى يدون الذكر

(١) ولد في عنيزة عام ١٣٥٦هـ حصل على الدكتوراه في التاريخ ، يعمل في جامعة الملك سعود وهو أمين جائزة الملك فيصل العالمية ، وله أبحاثه التاريخية ومؤلفاته المطبوعة ، وهو شاعر له ديوان (عودة الغائب) انظر : معجم الأديباء والكتاب .

الحسن مآثره ، ثم هو يتأمل أسباب هذا التخاذل فيعود بها إلى استكاته وعدم
مزاولته العمل ، فهو خامل بمكانه فيتغذى من كدح غيره ، بل يطلب ذلك في ذلة
وخنوع .

أنا عاله

مستكين لم أزاول أي جهد بيديه
مستقر لم أحرك أي طرف قدميه
مستدرّ أتغذى من فتات البشريه
هانفق الأيام بحثاً عن يسد تحنو عليه
عن أكف تصنع القوت لتسديه إليه

وهو يدرك ملل المجتمع له ، بل إنه أخذ يطلب منه الارتحال لأن من قيم
المجتمع أن يرفض من يكون عالة فلا يقبله ، ويعرض عن الأعزل الذي لا عمل له؛
لأنه يأكل من قوت المتفاني في عمله ؛ لهذا فالكل يكره وجوده ، وهو من
الثقلاء ، ومع ذلك لم يعتبر ويتأمل ضرر الاتكالية والجمود .

أنا عاله

كل ما حولي يدوي صوته : عني ترحل
أنا للعالة من بين البرايا لست أقبل
أنا لا أقبل مخلوقاً من الإنتاج أعزل
غيره يعطي ويحيا هو كالطفل المدلل
يطعم القوت من الأيدي التي تبني وتعمل

أنا عالة

أي شبر فوق وجه الأرض لم يكره وجودي
وأنا المثلث تفكري بحمل من قيود
وأنا الفارق في بحر اتكالي وجمودي

وأنا الموهن آفاقي بأصفاة الركوند!

يالوجه الأرض من مثلي وآفاق الوجود^(١)

وبعد مرحلة الطفرة ظهرة ظاهرة الشباب الاتكالي ، المتقاعس عن العمل الذي أصبح عالة على والديه ، بل يتقلهم بمطالبه الكمالية ، وهو يقبع في الدار ، ولا يظهر إلا ليطوف في المعابر والطرقات بلا غاية أو هدف ، أو يلتقي بشلة تشاكلة في الحال ، أو يوذى الناس بالعربات والمخالفات ، والأكثر من ذلك أولئك الذين ينامون نهارهم ، ويسعون فساداً في ليلهم . والشعراء تبهوا هذه الظاهرة وتألوا لها ، وتمنوا زوالها ، وقد لفت ذلك نظر الشاعر محمد حسن العمري ، فنظر إلى الشاب السعودي الذي يدرك أن لا عمل له ، وأنه عالة على والديه فيراه يفتال في عربته ، في ميدان العمل التجاري الذي يجدر به أن ينخرط فيه بدلاً من أن يتقل والده بشراء كمالياته ، فهو مستهلك لا منتج ، ولا يملك إلا التباهي بالجهالة والنظر الزائف :

مر كالتا ووس من سوق الغزاله	دون أن يخفي عن الناس اختياله
يمسك المرأة في إحدى يديه	ويسوي باليد الأخرى عقاله
قلت : من هذا الذي يفتال تبهأ	ويغطي أسفل الثوب نعاله
قيل لي : هذا الذي ليس لديه	عمل غير التباهي بالجهاله
أيها المختال ما بين الملاهي	والمقاهي نافتاً فيها سعاله

والشاعر لم يكتف برسم لوحة لذلك العاطل عن العمل بل أخذ يوجهه ويوجه أمثاله إلى العمل المفيد ، بل يضع له برنامجاً يومياً يشمل العبادة والعمل ، فهو يدعوه لمباشرة يومه بالصلاة ، ثم يتعلم صنعة يقاتن منها ، ويشير إلى مراكز التدريب المنتشرة في المدن ؛ فيشيد بزيتهم المتعارف عليه فهي خير من حلال البطالة، التي تغمر أصحابها الكسل والنوم السقيم .

(١) عودة الغالب : ٢٧ .

وحلية الفتيان جدّ واجتهاد
فقم وصل الصبح لله تعالى
وتعلم صنعة تفتت منها
بدلة التدريب للفتيان خير
استعد بالله من نوم الكسالى
فضلو نوم الضحى في حين قامت
وهو يتمنى على الشباب العاطل أن يحل عمل هذه العمالة الكثيرة التي

تستنزف ثروة الوطن ، وتدخل بعض الأضرار ، فالخذور يقع منها لا محالة .

هذه الأفواج لا تحتاج منها
هذه الأفواج في سوق العماله
التقاليد التي جاؤا بها
قل معي : ما حك جلدي مثل ظفري
كل بيت عنده شغالة

فهو يشير إلى العمالة المنزلية التي عمّ ضررها وتكاثرت بلا مبرر ، فأكثر البيوت تضم سائق للسيارة ، وعاملة منزل تقوم بما تقوم به الأم من خدمة الزوج ، وخدمة الأطفال ، والسائق يعتني بالأولاد ، ويمجالسهم ويشرف على ألعابهم وجولاتهم ، وتنزهاتهم ، والأب والأم في بطالة مقنعة .

ربة البيت لها خدمة
ولرب البيت ياعيني عليه
ربة البيت ورب البيت يامن
طفلكم يا أيها اللاهون عنه
أيها اللاهون من دون اكراث
قل على مستقبل الطفل سلاماً
فكروا في الحل شيباً وشباباً

أصبحت للطفل أمّا بالوكاله
سائق مستقدم يرعى عياله
يصرخ الطفل ولا تدرون ماله
في مهب الريح يشكو ما جرى له
ضل من يسرعى الألعى جماله
وعلى من لا يؤدون الرساله
قبل أن يجاحكم سيل العماله

يا شباب اليوم هذا عصر علم فلماذا لا تكونون رجاله
أتم الأولى بتحقيق الأماني والأمانى مهرها مهر الغزاه
كل من يسعى بجد واجتهاد طيب الله مدى الأيام ماله
ياترى هل قالها قائلها مازحاً أم أن هول الخطب هاله^(١)

فالشاعر يختم قصيدته ببناء للمجتمع بمحاولة حل تلك القضايا ويوجه نداء آخر للشباب أن يفتنموا وجودهم في هذا العصر العلمي ، وأن يكونوا من الرجال الباذلين المنتجين بعلم ووعي ، فهم مناط الآمال للأمة .

استقبال العمالة والحب لله :

إن بلادنا من القدم مهوى أفئدة المسلمين ، فرغم صعوبة الوصول إليها زمن جفاف الأمن في عصور إسلامية متتالية قبل العهد السعودي فإن الناس يفتدون إليها ويستوطنونها ، ويسمون المجاورين ، ولا شك أن الدافع ديني خالص ، ولما نبع الخير في تلك الصحاري القاحلة توافد إليها كثير من أبناء الشعوب والدول من جهات العالم بأسره ، وهم يشتركون مع أبناء المجتمع في الحقوق الشرعية كاملة ، وكذلك الوطنية ، فالسواوة الدائمة ، فالمجتمع ينظر إليهم بضمير المراقبة الإسلامية ، والدولة تحميه بالسلطة الشرعية ، والقانونية .

ومن هنا كان التآلف والتواد ، وتبادل المصالح ، لكن ظهرت بعض الكتابات التي ترمز بالإساءة لدول البترول ودول الخليج من شعر ومقالة ، وقصص ، لكن أبناء الوطن نظروا إليه نظرة فردية من غاضب أو حاقد ، لكن حادثة حرب الخليج أحدث شرخاً كبيراً ، فإن بعض العاملين في البلاد لم يكن لهم أثر لمناصرة البلاد، بل إن بعض القادمين أخذ يفسد في الأرض ، وهجروا البلاد ، ولم يكونوا

(١) اطلع الشاعر على بعض أوراق كتابي هذا ، فقال هذه القصيدة وبعث بها إلي في

عوناً لأهلها في الداخل أو الخارج مما أغضب أفراد المجتمع وأدى الشعر بدلوه على قلة واستحياء ، والشاعر يفخم الأمور ويدخل الوهج الشعوري الفاضب ، فالشاعر يرى أن المجتمع استدعاه ليستفيد ويكسب خيراً ، ويدل حالة الفقر بحالة فيها غضارة وغنى ، فهو يأخذ الرواتب المحزبة ، والخدمات الاجتماعية ، ومع كل هذا فإن بعضهم إذا ترك البلاد وخرج منها قلاها ، وصب عليها جام غضبه ، ولم يصن أو يحفظ حق الود ، وحرمة الجوار ، واسداء المعروف أو الاعتراف به ، بل بعضهم يبالغ بقوله وفعله ويكشف عن بعض المساوي الفردية فيجعلها تعم المجتمع ، ولذلك فالشاعر يخاطب العامل المبالغ هذا ؛ بأنك جئت من فقر ، فاحتضنتك بالمال والأمن ، وتعيش عيشة المواطن ، يقول عمران العمران :

لا ... لست من صلبها داراً ولا نسبا ولست تمى إلى علياتها حسبا
وفدت من سبب ضار ومن هلع فطوقتك وريف الأمن والنسبا
أضحيت تمرح في ألباء معيشة ورحت تجمع من خيراتها الذهبا
وعشت - ما عشت - في حال على دخن " وقيل ما قيل إن صدقاً وإن كذبا"

فهذه النعمة الوفيرة التي غيرت حالك قد بطرت بها عند مغادرة تلك الديار ، ولم تكن لها الود والحسنة بالحسنة ، بل غمطت معروفها ، وأخذت تنفث سمومك بدل الثناء والشكر ، فخابت آمال هذا المجتمع الذي آثرك على غيرك ، وأنصفك ولم ترد الجميل .

فأبطرتك - وأبسم الله - نعمتها فما رعبت من المعروف ما وهبا
وكان أن عفتها حتى أدت لها ظهراً .. وكنت لها مستبطناً أربا
غادرتها لتبني في غيرها وطناً وقد ركبت الهوى واللؤم والهربا
لكنت سواتها إن رمت (منتجعاً) وكنت خيبتها إن حادث لدبا
واقبح الناس من تأبي الطباع له رد الجميل إلى أربابه .. أدبا

والشاعر يتمنى على قومه أن يتحققوا من صدق القادم ، ومصداقته كي لا

ينخدعوا بالأوباش الذين لا ولاء لهم ، ويشير إلى حادثة حرب الخليج وكيف أن

كثيراً من العمالة لم يقدم العون ، ويقف بجانب هذا المجتمع الذي احتضنه .
 ياليت أنا نحل المسرء منزله وليت أنا نغيز الصدق والكذب
 كم قد خدعنا بأوباش فما صدقوا لنا الولاء إذا ما حازب حزبا
 من يئذ الحب في ملحاء مسخرة يحصد هباءً ويلف الهزء قد وجبا^(١)

وهذا لا ينطبق على عامة الشعوب العربية والإسلامية ، ولا على جميع الأفراد ، فهناك من تعاطف وتعاضد مع أبناء الخليج غير أن الشاعر يحكي ظاهرة من الظواهر ، كأنه يتمنى حلاً لها .

والواقع أن بلادنا تستقبل ملايين من البشر ، فيجب أن يكونوا رسل محبة ، فيكونوا عوناً لنا لا علينا . يجب أن يوجد جو القناعة لهؤلاء كيما نفرس حينا لله في نفوسهم ، فهم ينضمون إلى لوائنا بالقول والعمل في بلادهم ، ويتفانون لنا في بلادنا ، بل يجاهدون معنا في جهادنا ؛ إذا ما وقع علينا اعتداء عن محبة في الله وطلب للأجر له .

ومثل هذه القناعة بالحب لا تنفرس إلا بجهد ، كما نجهد أنفسنا بالزراعة ، ومن ذلك الجهد أن نستدعي تلك العمالة بالنية الحسنة التي تكون لله ، فنحن نستفيد ، ولكن بقصد أن نفيد ذلك أيضاً ، ومن أولى من العربي المسلم إذا كان صالحاً ، فهو أقرب ديناً ورحماً ولغة وتفاهماً ، ثم يأتي المسلم في أي مكان ، شرقاً أو غرباً ، شمالاً أو جنوباً . إن الدولة الغنية والفرد الغني يجب أن يعمل على ذلك من أجل التكافل الإسلامي . فهؤلاء إذا عادوا بأموالهم إلى بلادهم قوة للإسلام ، قوة لعضو من أعضاء الجسد الإسلامي .

أما استقبالهم فيلزم أن يكون بسلوك إسلامي ، وبشاشة عربية ، ثم بتوجيه منهجي تطبيقي للعمل ، يوضع فيه العطاء المتبادل بين الطرفين ؛ لأجل العمل والحب لله . وأن يحرص المستقبل على إظهار السلوكيات الإسلامية طيلة التعامل

(١) المجلة العربية السنة ١٦ ، ربيع الأول عام ١٤١٣ هـ ع ١٨٢ ص ٢٣ .

معه ، وأن يدفع له أجره قبل أن يجف عرقه .

وأن يحرص على تأدية أركان الإسلام الخمسة ، ويعين عماله على ذلك ، بل أن يقوم بالعظة والإرشاد أو يستدعي أهل العلم لذلك ، أو يصحب العمال إلى مواطن الوعظ .

وأن يعمل لغرس محبة تلك الديار المقدسة في نفسيتهم بزيارتها ، وتبيان مواطن الخير والمقاصد الحسنة لأهل البلاد ، وأن يطلع تلك العمالة على مناحي الخير في البلاد ليفيدوا منها ، ولتعينهم في مصاعب الحياة وتستحوذ على قلوبهم ، وليتخذ حواراً هادئاً في مناقشة تلك الآراء مع احتفاظ كل بشخصيته .

وأن يكون الإنصاف إسلامي الحكم والهدف ، ويكون الخصام في غير تجاوز أو فحش . فإذا لم تفعل تلك السلوكيات فعلها مع العامل فالخلاص منه بإحسان (ولا يكثر الفضائح ما دام العامل رائح) فإنه سيعود إلى صوابه ويدرك الحق فيندم هو وينال رب العمل الأجر .

إذن يجب على كل فرد منا أن يحمل هذه الرسالة ، ويكون واعياً بها من أجل العمل والحب لله .

والمجتمع يجب أن يهيء الجو هؤلأء ، فهم اخوته في الله ، وهم عضده ، وهم كيان الأمة الإسلامية . ويكون ذلك بأمر ، منها :

- حسن الجوار ، فهناك التواصل والتراور والتناصح وتبادل الهدايا بنية صادقة عاملة بتوجيه رباني .
- الخير والنصح الرفيق ، وإعطاء السلوكيات السليمة ، وأخذها من أولئك الوافدين ؛ ففيهم خير كثير وصلاح وافر . فهم أمة الإسلام وإن نقص بعض السلوكيات فهي عن الجهل المطبق في العالم الإسلامي بأسره .
- مسجد الحي منطلق لفعل الخير ، والكثير يعمل به ، والله الحمد ، لا سيما في رمضان ، فإن المساجد يوجد فيها الكثير ، ويجتمعون بألوان

الأطعمة . ومن الأفضل المشاركة في ذلك بالحضور أيضاً . والأفضل أن تكون هناك لقاءات في كل أسبوع للتعارف والتحاب والتواد ، شريطة أن لا يظهر فيها التعالي والتكبر . إنما التباد والبحث عن ميادين الخير والتواصل والإفادة المشتركة .

• أن يكون هناك مراكز في الأحياء الكبرى لتدريس اللغة العربية وتوزيع نشرات الخير ، كما هو في المساجد ، وأن نستفيد منهم لنذكر مجتمعاتهم ومتطلباتها . ويدركوا مجتمعنا ويعملوا لصالحه . فهذه الدول الخارجية تعمل جاهدة من أجل أن يبحث الطالب في مجتمعه ، بل إنها تعطي الزمالة في بعض الجامعات كيما يلقي الأساتذة بحوثهم الاجتماعية ، ويفضون بحيراتهم عن بلادهم .

• يجب أن نشعرهم أننا لا ندعي الفوقية ، أو أننا على حق وسوانا على باطل . بل ننصح برفق ، وبالحنى ، فالحق ينبج للعيان بلا تشهير وتعال .

• وكل هذه الأمور لا تكون إلا بنية صادقة محبة للمسلم ، فإذا صلحت النية جمل العمل ، واكمل . فاللهم ارزقنا النية الحسنة . والنية الحسنة لا تغيب الوعي والحبطة والحذر ، ولا تفسد التعامل ، إنما هي تزينه وتجعله يسمو للمحبة في الله .

والشعراء أدركوا قضية العمالة الخارجية ، وكونهم يتعمون بالأمن والعمل والاستقرار والكسب الحلال ، ثم يخرجون من البلاد وبعضهم قلاة لها ، ولم يتحذر في نفوسهم الحب للذين صحبوهم رداً من الزمن للشاعر محمد سعد المشعان^(١) مقطوعة بعنوان (جزاء سنمار) يقول فيها :

أصبحت - يا ضيف البلاد ذميمها

(١) ولد في الرياض عام ١٣٥٢هـ شاعر وكاتب صحفي صدر له الدراوين الشعرية : ١ - نشوة

الحزن ، ٢ - إضاءات ، ٣ - ومضات . انظر : معجم الأدياء والكتاب .

من بعد أن أهدت إليك نعيمها
 أهدت إليك غبوقها وصبوحتها
 فطفقت - جهلاً - بالعذاب تسومها
 خيبت ظن سرراتها وبناتها
 ورشفت في وجناتها قُدُومها
 حتى حدود الله لم تحفل لها
 وصنعت من ثمر البلاد سمومها(١)

فإن مثل هذا إذا عملنا له عملاً حسناً فإننا نلنا الأجر وحمل هو الوزر
 ونكران الجميل ولعلهم قليل .

والعمالة المنزلية اتخذت مظاهر متعددة ، فمنها من استقدم لقيادة السيارات ،
 والخدمة المنزلية ، وهي من الذكور والإناث ، ونحن نستعيد ما ذكره الجاحظ في
 الخدمة ، وما يحدق منها من مشاكل التي طرأت من تكاثر الرقيق بعد الفتوح
 الإسلامية وأثرها على التربية ، والمجون ، وما يداعب النفس من شك حيال
 الذكور والإناث معاً . وما طرأ بعد الطفرة ، أصبح شائعاً لكن بنظرة واقعية هل
 هناك إسراف ؟ فيه : أرى أنها تكثر ، لكنها في أحيان كثيرة ليست بحافية للواقع ،
 فإن المؤسرين تكاثروا في هذا الزمن الرافه ، وكذلك فإن النساء دخلن الوظائف ،
 وخدمة المنزل أمر متعارف عليه قبل الإسلام وبعده ، ومن هنا فإن الظاهرة ليست
 بجديدة ، غير أن توظيفها في التربية أو الإسراف في كثرتهم في المنزل الواحد أو
 الاتيان بها بلا مبرر ، فإن ذلك فيه مضار منها استنزاف ثروة الفرد والوطن
 وتأثيرها على لغة الأطفال وسلوكهم : وقد أكثر الشعراء من معالجة عاملة البيت
 واصفون تشوق المرأة إلى الخادمة ، وإلحاحها على الزوج باذلة أغلى ما تملك ،

(١) ومضات ١١٥ .

متوسلة بشتى الوسائل ، ويتألم الرجل لذلك لا سيما وإن المرأة غير عاملة ، وهو العامل الكادح، ما على زوجته إلا النوم والتهاون ، فهي لا تشاطره المعاناة إذا حلت العاملة في الدار ، فالشاعر يصف المنزل المهمل في انتظار الخادمة:-

للدار عباد متعباً	من بعد يوم دوامه
سرح طرفاً حوليه	رأى السماء غائمة
إذا بطفل عابث	عليه طير حائمة
والبيت صار مزعجاً	بهملات عائمة
وطعام بكميه	والأواني جائثة
الزوج ثار هائجاً	لأن أنت نائمة!!؟
قد غادرت فراشها	تنفض الرأس بازمة
وقد رمته نظيرة	تزور عنه ناقمة
صوتك صار مزعجاً	فاليوم كنت حاملة
حاملة بأني	تكون عندي خادمة
تطيع أمري دائماً	مسرورة أو راغمة
أديرها بأصبعي	كمن يدير خاتمه

فهذه الأمنيات للزوجة يقابلها تدبير الرجل في المصاريف المالية :

لا تفرحني لا تفرحني	فالحلم يغري حالمه
والمال صعب دفعه	بسات النضوب لازمه

ومع أن أدوات الحفظ تساعد المرأة في تنظيم الوجبات الغذائية وتعينها

مازالت تلح عليه وتفتعل الغضب .

مالت إلى ثلاثية	من وجبات " والمة "
ألقت عليه زاده	وهي غضوب باجمة
ترمقه بنظيرة	تصرف طرفاً ساهمة
ثم مضت طريقها	باليهت تسعى هائمة

تثارت دموعها
حظي تيمس هانسا
الزوج سار مفزعاً
فشاركتني لقمتي
وهي تحسد لاطمة
يألت أنسي سائلة
ما بك صبرت واجمة؟
بالحبال أنت عالمة

لكن علمها هذا لا يعذرنا ؛ فهي تيرر بالاقتصاد المنتظر ، وبما تدفعه من
قيمة زينتها وتعلل بالاكتفاء بالكفاف .

فلا تحاول غصبي
ما دمت تحفني رغبتني
من أجل مال تافه
والدخيل يكفي نصفه
وذا مصاغي جـاهز
بضع منات عدها
الزوج هم حائقاً
وحيدة في منزلي
شغالي خـادمي
فسوف أبقى صائمة
تلقني علي اللامة
تساكل منه السائمة
قوتنا وروحني سائلة
إن لزمك اللازمة
هذا معاش الخادمه
تلك لظهري قاصمه
والكلمات دائمة
أذناي منها وارمة

والشاعر يجلو داعي عاملة المنزل ، ويجدها في عمل المرأة ، ويجدد الدواع
بالعاهة أو تقدم السن ، أو العمل ، وهي ليست من هذه الأنواع :-

لا حاجة تدعو لها
لا عاهة لا كـبير
لا عمل في مكتب
أنست بهذا عالمة
من الأمراض سائلة
تضطرك المداومة

وهو يقارن عمل المرأة اليوم بعمل المرأة في الزمن القريب الماضي ، فهي تقوم
بأعمال المنزل من بزوغ الفجر إلى هزيع من الليل ، بين تنظيف وطبخ وطحن
ورعي ، وحطب ، وإعداد كل ما تقدر عليه ، ومع كل ذلك فلا تفكر بالخدمة.
أمك كان دأبها تقضي الليالي قائمة

وكم نهار صاغها
يفلق صخرأ عزمها
في نشاط كحلولة
شيدت صرح بيتها

ولكن المرأة المعاصرة تدعي كثرة الأعمال من تنظيف وغسل وكي وولائم

متكررة ، ثم إن الواجهة تستدعي الخادمة

لا تقسني بوقتها
فصداعي يعودني
تطبخ الأكل تعني
تلقني حنانها
تكس السندار تجلسي
غسلاً وتكوي تارة
وفوق هذا كله
وجاهتي في ذاتها
إذا تباهت رفقتني

لكنه يحاول الإقناع بأنها لا دين لها ولا صدق عندها ، وهي معول هدم

للمنازل تضر بلغة الأطفال وسلوكهم .

لئن أتت خادمة
فهي لصرح معول
فلا خلاق عندها
تجمل طفلاً مسخرة
مقلداً رطينها
مجتياً غراسها
يسرك أمماً خلفه

تصبحين النادمة
ولليوت هادمة
ولا بدبين عالمة
وقد محت علامه
ملقناً وسسائمه
من كل عجفا قائمه
من غير ما مزاحمة

يا بشس جيل ضممه في النشء حضن خادمه!!
 وحين لان جلدهما واكتنرت غلاصمسة
 رأيت سوء طبعها مصطحباً جرائمه
 تسرق كحلاً خلصة من رمش عين ماهمه
 بالفحش طال صوتها موزعاً شائمه(١)

ووزارة العمل هي المشرف على سير العمل الذي يؤدي إلى التنمية والنهضة وامتداد الحضارة ، والعمل هو جوهر الحياة والبناء ، ووزارة العمل فهي أمانة الأمة ، فهي الراعية ، وهي مسؤولة عن كل مؤسسة ، بل هي راعية الراعي لكل مؤسسة .

والناس في مجتمعنا ينقسمون إلى ثلاثة أقسام :

- ١ - عمالة داخلية من أبناء الوطن .
- ٢ - عمالة من أبناء جنسنا ، لكنهم لا ينتمون إلى الوطن .
- ٣ - شريحة صالحة للعمل لكنها لا تعمل .

فلو نظرنا للشريحة الأولى لوجدنا أن عملها يكاد يكون مكتيباً ، فلا هم الخبراء القياديين ، ولا هم بالعمالة المنفذة الفاعلة . فالمصانع تفتقدهم ، والحرف المهنية تتوجد عليهم ، والمحاسبة تمنى أمانتهم ، وعمالتهم المكتبية والإدارية والتربوية أحوج ما تحتاج إلى خللة وتحريك يكون فيه توتر نسبي يقدر الحد والتنافس . فمثلاً تناول الشعراء المحاسبة ، وتحدث عما يدور حولها من أثر العمالة وابتعاد أبناء المجتمع عنها :

كنت فيما مضى أعيش غريبة مهنة حسرة ولكن سلبية
 يتولى الغريب كل شؤوني ويريني من الحساب عجيبه
 أخلص البعض لكن البعض كالوا في أمتهاني محمل شك وريبه

(١) السويداء : هواجس من ١٥٩ حتى ١٦٤ .

غرسوا في نفوس قومي أموراً
زرعوا الزيف والتهرب حتى
غيروا لون صورتي شهواني
كنت أهفو إلى القريب وأنى
سعودوني لكنهم تركوني
تركوني أعيش بين حبيب
يصرف الوقت بعضهم عند غيري
في مجال الأعمال كانت رهيبه
من فروض الزكاة ثم الضربه
أظهروني بعين غيري معيه
لقريب ألا يشوق قريبه
ويح قلبي بدون عين رقيه
يظهر الصد لا يراعي حبيبه
فكلانا لديه ينعى نصيبه^(١)

وأمام كل ذلك فإن دور وزارة العمل أن تبني عاملاً بروح إيمانية ، كالتربية المستمرة . فهناك موجات إعلامية لإحياء الضمير ورقابته ، والتوجه به لله ، وفيما ينال الأجر والثوبة ، إضافة إلى ما يناله من الأجر المادي .

ويكون ذلك أيضاً بالعدالة والإنصاف . فالعدالة تكون بالحزم لتنفيذ ما للعامل وما عليه . فتكون هناك إدارة لا مداراة فيها . والوظائف لا تكون محصورة في المكاتب ، بل هناك تنظيم العمالة وتحديد الأجر في المصانع فلا ضرر ولا ضرار .

وربما تكون المعادلة خاطئة في كون العامل الأجنبي أقل كلفة ؛ فنحن لو أحصينا الخدمات العامة له من الدولة ، والخدمات الخاصة من صاحب المؤسسة ، من أجر الأسفار ، والمعيشة والسكن لو وجدنا أن ذلك يؤدي إلى تقارب أجر الوطني والوافد .

ثم إن الوزارة مسؤولة عن تكوين ذهنية العامل ومنهجته وسلوكه ، فعليها أن تفتح دورات تدريبية قليلة التكلفة ، محدودة الزمن لتلك العمالة ، حتى تعليم النظافة والنظم العامة والخاصة لذاته .

وعليها أن تقوم ببرنامج واسع للمراكز الصيفية للطلاب ؛ ليتعلموا مبادئ

(١) ابن سبيل : نقوش على صفحة المجتمع ٨٢ .

الحرف من إصلاح المواد الصحية ، وإصلاح ظواهر الكهرباء والعربات ، فهي تفرس العمل في الناشئة ، وتوهل لإصلاح الأشياء السهلة التي تستقطب كثيراً من العمالة ، وتحمي الوطن من الخسارة المادية وإهدار الزمن أصف إلى ذلك أجرة العربة ذهاباً وإياباً .

أما العمالة من غير الوطن فإنهم أحوج ما يكونوا إلى العدالة والإنصاف ، ويكون ذلك بدقة الاختيار والتدريب المشترط . ويكون عقدهم متوجهاً بالدعوة إلى العمل لله ، ومراقبته في كل صغيرة وكبيرة ، والحزم في إنصاف بمائل الحزم في مراقبة إنجازهم وإتقانهم .

وأن يكون هناك برنامج إعلامي لهم في الصحافة والإذاعة والتلفاز والنشرات يولد الحب لوطننا ، ويدعوهم للأخوة الصادقة ، وينشر فيهم حب الفضيلة . ونحن نستقبلهم ضيوفاً ونودعهم إخواناً ، ولا إخالهم إلا أن يبادلونا حباً بحب ، وإن لم يكن ذلك فنحن نعاملهم بما يرضي الله ، وكفانا حسيباً .

أما دور وزارة العمل للشريحة الوطنية غير العاملة فمن واجبها استقطابهم لمراكز التدريب ، وتوظيفهم بعد التوجيه لحب العمل ومهمته الخاصة للفرد والعمالة للمجتمع . ثم إيجاد توازن لهم عند المصانع والورش ، والمؤسسات ، وتحديد الأجور ، وتحديد السعودية في كل مؤسسة صغيرة أو كبيرة ، مع مراعاة الإنجاز الفعلي . وتكون هناك حملة إعلامية دائمة للعمل والإقناع بتدرج الأجر .

وللوزارة الرقابة الشاملة على العمل في المدن والأحياء والقرى والبوادي ، وأن تزرع روح التعاون بينها وبين المجتمع .

وعلى الوزارة أن تعنى بالتوجيه والوقاية من البطالة ، وأن تكون لها القدرة على احتضان الشباب ، والأخذ بأيديهم توجيهاً وتدريباً وتوظيفاً ، بأن تكشف مصروفات الإصلاح خير من أن تكشف مصروفات العقاب .

وإني أقترح على وزارة العمل أن تعنى بدور الملاحظة ، وتجعلها مدارس

إقليمية كبرى تقوم على :

- ١ - أنظمة شبه عسكرية ، ولا بأس بالاستعانة بوزارة الدفاع من ناحية أنظمة السلوك .
- ٢ - تقوم على غسل المخ عن كل فاسد ، وزراعة الخير والفضيلة بالتوجيه الإيجابي إن لزم ، ويكون ذلك بفصلهم عن أقرانهم واجتماع لمدة سنوات ثلاث، يسمح بزيارتهم ، ويندر خروجهم إلا بتوثيق الإعادة .
والمدرسة لا نظنها سحناً أو تكون نائجة عن حكم محكمة ، وإنما نجعلها مؤسسة إصلاح لمن أعلن مخروجه عن المدارس التربوية العامة ، وعجز أهله عن انضباطه ، ولم يلتحق بعمل .
- ٣ - أن تقوم دور الملاحظة الإقليمية بتدريبهم على شتى المهن ، ويكون ذلك بدراسة نموذجية يعد لها إعداد جيداً من أنواع المهن . وأرى مساهمة الشركات والمؤسسات في هذا العمل الخيري والوطني ؛ لتصلح أبناء الوطن .

العمل والرواتب :

كان العمل محدوداً في الأزمان الغابرة ، ويخضع للوالي والوزير وديوان الإنشاء . أما عالمنا اليوم ؛ فإن الدولة مسؤولة عن إيجاد العمل للمواطنين ، ومن هنا فهي تكثر من الوظائف المدنية لكي تستوعب شريحة كبرى ، ثم الوظائف العسكرية من الجيوش ورجال الأمن ، ثم الأعمال الخاصة للشركات وغيرها . وكلها في تنظيم راتي جيد . يقول عنها ابن هليل^(١) في مقطوعة بعنوان (الراتبية) :

(١) محمد بن عبدالعزيز الهليل ولد في (الدلم) عام ١٣٣٤هـ . تولى القضاء ، ثم محققاً شرعياً ، ثم قاضي تمميز مات ١٤٠٠هـ ، له زاهي الأزهار ، ونفع الأزهار في سجع الأشعار . وهو من الشعراء الظرفاء . انظر مقدمة ديوان زاهي الأزهار في ملح الأشعار .

يحب مزيد الخير والخير أنفع
وأعماله والحظ يدني ويشفع
رواتبها في كل شهر توزع
وهذا وفي قدر الكفاية مقنع
لمرتبة أعلى وربك يرفع
له الحمد والتدبير يعطي ويمنع
نظاماً وإن النفس للقفز تطمع
إلى غاية فيها رخاء ومرتع؟
تدرج إلى أقصاه والصبر أنجع
هيناً مريئاً دائماً ليس يقطع
معالي ففضل الله أبقى وأوسع
قريب مجيب للدعاء ويسمع (١)

تساءل عن حال الرواتب سائل
فقبل له كل على قدر حاله
مراتب في كل الوظائف حددت
فأدنى وأعلى والتوسط بين ذا
وقد يسمح التعديل في نقل بعضهم
ويخفض ربي من يشاء لحكمه
وآخر في المربوط أوثق ربطة
لهل يمكن إرخاء ربط توصلا
وإن لا فتكفيك (العلاوة) يا أخي
عسى الخير للأخبار يجري مضاعفاً
ومن يغنه الرحمن من فيض جوده
فنسأله الإحسان والعفو إنه

والشاعر باعطب يعبر عن شريحة اجتماعية كبيرة ، هم أولئك الموظفون
الذين يخدمون في الدولة ، أو في المؤسسات الكبرى ، فهو يصور تلهفهم على
الراتب ، ومعاناتهم مع المستلزمات الشهرية ، وانتظار الزوجة له ، وتقديمها
كشفا بالمتطلبات التي لا يغطي الراتب كثيراً منها :

وشم الجيب رائحة المعاش
باسماء الجديده من القماش
لنزها العتيق من الرياش
أصب بسمها مر النقاش
على قلق يؤجج لي فراشي
إلى الصندوق تركض كالمواشي
وزهو في السريرة وانتعاش

إذا ما أدبرت عشر فعشر
أعدت زوجتي كشفاً مليئاً
وقائمة بما ترجوه حتماً
وأغلقت الطريق على كيلا
وتمضي بعدها العشر البواقي
وإن ما هل يوم الصرف طرنا
وأستلم النقود بكل بشر

(١) نوح الأزهار في سبع الأسماء ١٢٠ .

أكرر عدها بيدي حريص ووجه مشرق البسمات بإش
وأشرق حين أبصرها بريق وتصطك المفاصل لارتعاشي
ونرجع والحفاظ متخيمات كما تأتي الطيور إلى العشاش^(١)
فالمصاريف الشهرية تستلزم الدفع اليومي للأغذية ، وضروريات الأطفال،
وكماليات المدارس والألبسة ، إلى جانب الأجور الشهرية للدور والعقار ،
وإصلاح الآلات الكثيرة التي يستخدمها المنزل فهي كثيرة لا بد من الاقتراض أو
الصبر حتى يأتي الراتب ، لذا فهم يتشوقون إليه .

غرور الموظفين :

ظهرت في هذا العصر شرائح اجتماعية نتجة النظام العالمي للخدمة ، فهناك
وظائف إدارية يكون لها بريق ، وتقوم على خدمة العامة ، فيهبو إليها الناس
زرافات ووحدانا ، فيصاب أولئك الذين يحتاجهم الناس في مثل هذه بالغرور
وتعالى الذات ، ويعظمهم الناس استنزالا لخدماتهم فيزداد تعاضهم ، ويكون
الشأن في نظرهم فقط ؛ لمداينة المحتاجين لهم ، لكنهم يعاملون الناس بترفع
فيتناقص قدرهم ومكانتهم ، حتى إذا تحلل من سحر الكرسي أصبح وحيدا مقلبا
وقد وصف هذه الشريحة ضياء الدين رجب^(٢) بهذه الأبيات :

يشد إلى سحر الكراسي حياته ويرجع بعد الفوت ينشد ذاته
فلا ذاته ولا مجد واهم بأن حياة الوهم تبقى حياته
تلمس في تلك الأرائك نشوة تخيلها صحوا فكانت سباته
وأغرق حتى لا يرى غير نفسه سواها وإلا لاته (ومناته)
وفاق على سر الحقيقة صارخا فأجهش إثر الركب والركب فاته

(١) الروض الملهب ١٨٦ .

(٢) من أبرز شعراء جيله ، ولد بالمدينة المنورة عام ١٢٣٥هـ ومات ١٢٩٦هـ ، كتب بالصحافة ،
وعين عضو بمجلس الشورى ، وله ديوان مطبوع . انظر آخر صفحة في الديوان .

لقد مات في الموتى وزاد عليهم وأحلف أنني قد نسيت وفاته (١)

الكلية الحربية :

ومن أنواع العمل المعاصر ، الألتحاق بقطاع الدفاع ، وفيه معاهد للتدريب ، وكليات عسكرية ، ينتظم الطالب فيها لمدة ثلاث سنوات ، يتعلمون العلوم العسكرية ، ويعملون بالتدريب ، والشاعر علي الفيقي التحق بالكلية الحربية وتخرج فيها ، وهو يحكي شريحة الطلاب وهم يجتمعون ويأكلون ويسخرون ويتدربون ، فيصف الطابور الجامع والجزاء الإضافي :

الذكريات لم تزل	في مهجتي مسطره
يوم النوكيل واقف	أخلاقه مكدوره
يخاطب الطلاب والـ	نفس أبنت أن تعذره
إذا مشى تراه يـ	مشى مشية المنزرة
نجهه لكتـ	لمشى كثيراً خطره
يجول في (الميز) تـ	راه قد أجال بصره
قال أظن أنكم	من مارج لا مدره
من يوم جتتم هاهنا	الله كيف مطره
وقال : نحن - لا الـ	مان - قد أشينا شعره

فهو يصف هيمنة رقيب الكلية الذي يسيطر على الطلاب ، فهو في الميدان وحول مناضد الأطقمة ، ويشتكى من عبث الطلاب الذي أشابه قبل المشيب ، فالأصوات تصرخ في كل مكان ، وتقليد الحيوانات عادة لهم ، فلا يستطيع الرقيب الذي كان يسمى سابقاً وكيلاً ، فلا قدرة له على ضبطهم ، لذا فإنه يجازيهم جزاء جماعياً بالإضافة في الميدان العسكري .

(١) الديوان ١١٩ .

أصواتكم على الطــــ
وقال : إن عنــــده
وعنــــده (إضافة)
كم نكــــة جاء بها
قد سار لنا سيرة
يريدها أخــــوة
ينفذ النظام حرفيــــا
والطاعة العميــــا عليــــ
ولــــو رأى مرشــــحا
لم يحضــــر (الطــــابور)
عقابــــه مضاءف

عام كمــــواء الطــــوره
دواء داء الـــــــ
بعد الفداء منتظــــره (١)
لطفــــة مبتكــــرة
حميــــدة ميــــوره
ولا يريــــد الــــيطره
وما مسن معــــلره
نا أصبحت مقــــوره
ورجلــــه مجــــبره
هيهات له أن يعــــلره
لو وجلــــه مكســــره (٢)

فالطاعة العمياء يدرّب عليها الطالب لأنها من سمات تنظيم الجيوش
قديمًا وحديثاً .

(١) الإضافة : نوع من الجزاء أو العقاب .

(٢) رحلة العمر ٧٣ .

الأسواق :

والأسواق من ميادين الأعمال التجارية ، وتختلف أنواع البضائع ، لكن أسواق المزاد العلني من القديم والمباع حديثاً لأمر طارئ ، وقد صور الشعر شيئاً من ذلك ولا سيما ما يخص الثقافة ، فهذا عمران محمد العمران يذكر مكانة الكتاب في حراج ابن قاسم ، وهو أكبر الأسواق الشعبية في الرياض :

وجنت بلا قصد (حراج ابن قاسم) فادركت ما لم يخطر ببالها
يعاع به (العقد الفريد) بأربيل (١) وأقدم (منفاخ) (٢) بألف ريال (٣)

الهفوات الإدارية :

وقد ظهرت بعض الهفوات الإدارية ، كتهاون الموظف ، وتكبر المدير وتعالیه ، وعملية اختلاس الأموال العامة ، أو التهاون في الحفاظ عليها ، وتلك مقدرات المجتمع وأموال عامة فيها قوة الدولة والمجتمع ، وصلاح الفرد وبناء الوطن ، وقيام الصناعة .

فالحفاظ على الأموال العامة واجب ديني ، ومطلب اجتماعي . ومن يتهاون في الحفاظ عليها أو يختلس منها فإنه مطالب أمام المجتمع بعدد أفراده . وقد أحس الشعراء بهذه الظاهرة ، فشانوها وشتنوها ، وحذروا منها ، ومنهم محمد جدد الذي يقول في قصيدته (سارق الأموال) :

سرق الأموال نذل حاقده غر أضل
حسب الموهوم جهلاً سرقة الأموال نبل
فمضى يسرق سراً وهو بالسرقات فحل

(١) أربيل جمع ريال ، وهو جمع قلة لا يتجاوز التسعة .

(٢) المنفاخ : اسم لآلة صغيرة تنفخ بها النار لتزيد من اشتعالها .

(٣) الأمل الظامن ٢٧٠ .

بغية الإفسادات مما
 وخسيس الطبع قد
 وخسيس الطبع لا
 عاش بالشر وللـ
 يأخذ الاموال جهرا
 عادة يمضي عليها
 فبسي الله فالست
 يفضح الجاني بوقست
 خذه يارب وطهر
 خذه يارب لتصفو
 يقتضي بالردع عدل
 عاش لثيماً لا يكل
 يعرف حقاً ويضل
 شرر دؤوب لا يمل
 م حين في السرقة يفلو
 لا يريد النذل عقل
 عنه أجماد وفضل
 وهو بالناس يفسل
 منه أوطاننا تجل
 هذه الأرض وتحلو (١)

وهذه من سوء الإدارة وضعف المدير ، إلى جانب ضعف الوازع الديني ،
 ومن هنا ؛ فالدولة وضعت عليهم الرقابة السرية التابعة لإدارة المباحث العامة ،
 وتعاونت مع كل من يبلغ عن هذا ، وتم القبض على بعض المختلسين ، وأودعو
 السجن تأديباً لهم .

التملق الاجتماعي :

ونتيجة لحاجة الناس ، ولضعف التربية ، وللتواكل لا التوكل ، وفقدان الحياة
 العملية الجادة التي تزرع في الفرد من صغره ، فإن ذلك دعا بعض الناس إلى
 التملق والتزلف ، وقد سبق أن أشير إلى هذا في الأدب العربي ، وهذا حسين
 عرب يتحدث عن هذه الفكرة :

تزرع بالتزلفي لئيل طلابه غرير ، وما التزلفي دليل إباء

(١) المجموعة الشعرية الكاملة ٣٩٤ .

ورام المنى من حظه ، لا غلابه
إذا الحق لم يبلغك صرحاً إقامه
وما الحظ إلا حيلة الضعفاء
لما القول مسموع ولا الجهد نافذ
لكل فتى غايي الجنان مراني (١)

فهو يذم التزلف ، فلا يدل على مروءة وإبا وإنما مذلة وخنوع ، وهم يدعون
أن الدنيا حظوظ وهذه حيلة العجز المستكين ، فإن الدنيا غلاب ، يحصل عليها
من يكدح ويكافح ، ويسعد من لا يدل ولا يخضع .

وبى من ظنون سوء ما يستحقه
يدس زعاف السم في عذب حبه
سواي من الأوشاب والبلداء
ويخفي الجوى في شيمة الخلاء
ويصدع بالدعوى تقمصها الهوى
من الزور لا عن خيفة وحياء
وليست أبايها ولكنني أرى
صراع الأفاعي ، محنة الشرفاء

وهو يرى الصراع على الحياة من أولئك الذين لا يعملون بنزاهة وشرف ،
وإنما يتغون الديننا بطرق ملتوية ، والإداري الناجح الأمين هو الذي ينصف ولا
ينزك للواسطة مجالاً عنده ، ولا يقرب من أجل الأطماع ، أو القرابة :

إذا الحر اعته الاماني صاغها
رجاء ولا دعوى وحق ولا هوى
رجاء فؤاد ثم عن خيلاء
ورب رجاء شف عن برحاء
ورب مني في الحق أيقظها الهوى
إلى كلف بالحق كهف رجاء (٢)

(١) الأعمال الكاملة (الديوان) ٣٤/٢ .

(٢) المرجع السابق : ٣٥/٢ .

الشيخوخة :

والعمل سر السعادة في حياة الإنسان ، فهو يحاوله دائماً ، فيغضب إن لم يجد عملاً ، ويغضب إن حالوه للتقاعد ، بل يبحث عن ميادين أخرى للعمل ، ويتحسر ويتألم إذا عجز عن ذلك .

والشاعر أحمد السالم^(١) يعالج قضية الذين تقدمت بهم السن ، فهذا رجل قد زوج أبناءه ، وأسكنهم بالقرب منه ، فأنس بحياة أطفالهم وسلا معهم ، ولكن ما لبثوا أن ارتحلوا عنه ، وتركوه وحيداً في داره . فهو يعاني المرض ، ويعاني الوحدة. ولعل هذه الظاهرة على قلتها لفتت انتباه المسؤولين ، فكون الأمير سلمان سلمان بن عبدالعزيز آل سعود جمعية تعنى بهم ، والآل يبني قصرًا معداً لهذا في مدينة الرياض . يقول السالم في هذه القصيدة :

وماذا أقول وقد ضاقت بي السبل	وعن حرارة بشي ضاقت الجمل
أفريت عمري في كد وفي نكد	حتى ينير خطي أولادي الأمل
كان كفي إلى العلياء قد ثبتت	وخلفها الفم بالأذكار يتهلل
وقد مضت سنة الرحمن في ولدي	أن يكبروا وبنفسي يكبر الأمل
فكم سكبت دموعي من شكائهم	والناس إلاي قد أبكاهم الظلل
وكم جلبت لهم حلو الطعام وكم	جردت رجلي من نعل ليتعلوا
كم اثرت من الأثواب أجملها	وطال يبني وبين التاجر الجدل

ذلك يوم كان قادراً على العمل ، فإنه يستلذ بطعامه وإطعام أولاده ، ويجلب لهم الخبز ويحرم نفسه ، فإذا لم يجد ما يليه طلبهم ، تذرف دموعه ، ويحترق ، فيسعى لهم نهاراً وليلاً حافياً عارياً إلا من الأسمال .

درجت نحو منامي وأضطجعت به ورب غاف عليه تفتل الخيل

(١) ولد في دومة الجندل عام ١٣٧٣هـ نال الدكتوراه في النحو عام ١٤٠٧هـ ، ويعمل أستاذاً في كلية اللغة العربية بالرياض .

لكنه بعد أن تقدمت به السن ، وعجز عن العمل ، وتمنى من أولاده أن
يقتلوا عشرته ، ويرفعوا شأنه ، ويصدوا عنه نواب الدهر يفاجا بهم يرتحلون عنه
وعن داره تاركينه وحيداً منفرداً ، فأجهش بالبكاء ، وتذكر ماضيه الغابر حين
كان يكدح لهم بسعادة غامرة .

لما تبهت إلا والضجيج على سمعي يجلجل والأولاد قد رحلوا
فأطرق الخاطر المكسور يرقهم والدمع من حسرة تجري به المقل
كل بدا كفه في كف زوجته وكف والدهم بالريح تفتسل
فالأولاد هم سند للأب والأم ، حين يعجزون فإن الأبناء يودون الواجب
عليهم ، نظير تربيتهم ، ولإبناء سعادة الأباء ، فهم الذين يشدون من أزرهم حين
الهرم ، ويسهرون عليه وقت المرض ، ويحملونهم للعلاج ويصرفون عليه ، لكن
خابت آماله ، بدعوتهم إياه لدار العجزة .

كانوا سلاحاً وظهرا لي ومنتكا
هرمت والدود يسعى حول جمجمتي
نفسى تمنى وفيها للمنى همم
وهي التي قد مشت في كل ناحية
أنام فوق فراشي لا أبارحه
هل كنت أقبل لولا الله ملتجني
مقطع بسيف كنت أحميها
وإن شكوت لهم ضعفي وضيق يدي
لم يمنحوا لأبيهم عشر ما منحوا
لكن تجربة الدنيا تؤكد لي
وصار يفتالني في قلبي الوجيل
وصار في ضعف جسمي يضرب المثل
والرجل تدرج من ضعف فلا تصل
حتى تيرم منها السهل والجل
والخوف يقتلني والهـم والملل
أو كنت أصير لولا أنه الأمل
أقيم إن طاب لي مكث وارتحل
قالوا الرعاية دار كلها أمل
زوجاتهم فأجيب السؤل هل عدلوا
بأنهم سيقاقون الذي عملوا(١)

(١) ديوان مخطوط .

ظاهرة التقاعد :

وظاهرة التقاعد من سمات هذا العصر ، فعمر الوظيفة محدود ، لكن القانون المعاصر أعطى للموظف حقوقاً ، فإذا أتم الخدمة فإن له شيئاً من راتبه حسب مدة بقائه في العمل . فإذا طالت خدمته وبلغت الأربعين فإنه يستحق جميع راتبه . ويقول ابن هليل في ذلك :

متى قمت بالمجهود طبق المواعيد	فما أنت بالمحرورم ظل التقاعد
أكيد وقد أوليت حقاً فلا ترم	إطالة مكث في التزام المقاعد
لزومك كرسي الوظيفة فانصرف	عزيزاً متى يحمده فسيح التباعد
تسبح إذاً والمسح مجالاً لتقدم	سواك جديد بالكفاء وارد
فما ضاق في الدنيا مجال لحازم	له في ابتغاء المجد همة ماجد
ونفسك لا تحرم لذيتك اربياحها	على أنر إعياء وجهه مكابد

فهو يرى أن التقاعد حق لمن أمضى زهرة عمره في الوظيفة الحكومية فهي من التكافل الاجتماعي ، ولأن الوظيفة أشغلته عن تأسيس تجاري أو زراعي أو صناعي .

والتقاعد الزمني فيه إتاحة الفرص لكفاءات أخرى تحمل مكان ذلك الذي قضى ردهاً من الزمن في العمل ، فليغيره الحق كما له الحق ، والتجديد فيه إبداع للعمل يتناسب مع التطور ، وفي التقاعد راحة من عناء العمل ، وفيه تجديد لعمل جديد يتناسب مع السن والفكر .

وما كل عزم يستمر استطاعة	تجشم أخطار الصعاب الشدائد
ومن غير تهيد المضي لقادر	فما النصح في خير المضي بزاهد
ويلزم بذل الجهد في كل لازم	بصدق وإخلاص الدؤوب المجاهد
وإعفاء مسؤول وإنهاء وضعه	يتم بحال نافذ الأمر عائد
إلى الصالح المنشود في كل موقف	هو السر في المعنى الصحيح المقاصد

وقد يسبح التمديد تكليف خدمة
إلى العمل المطلوب عند احتياجه
فأكرم بمن يرضى الأمانة حقها
لفيرك دع ما قد كفت مسامحاً
وقد يمكث المسؤول في القيد فترة
ورب اقتدار مستمر ولانثق

كما جاز إجراء بشكل التعاقد
أكيد التزام نحو عقد التعاقد
ويحظى بحظ طيب الذكر خالد
كمعفى بلا بطاء عن العزم حائد
قراة نصف القرن أجهد جاهد
مدى العمر للإنجاز والنجح رائد^(١)

والاعفاء من العمل للمصلحة العامة ، فإن الوظيفة تحتاج إلى قدرات عالية
متجددة ، ومتغيرة ، وهو يعرض بأولئك الذين يطلبون تمديداً للعمل ، ويوصي
بترك العمل للآخرين ، وهذه ظاهرة يدلف إليها من تقدمت به السن طالباً
التمديد ، متخذاً طرقاتاً لهذه الغاية مع أنه لم يقدر مكوثه الذي يقارب خمسة
وعشرين سنة في الوظيفة الواحدة ، فهذا مضر بالمصالح العامة ، وأما القادم فإنه
يعمل في مجالات أخرى .

والهليل مع ميله إلى التفكه والظرف إلا أنه عاجل قضية التقاعد معالجة عقلية
كما رأيت آنفاً ، لكن السويداء تناو لها اجتماعياً ، وقد قدم للقصيد مناسبتها
ذات الدلالة وهي :

(في صباح يوم ١٤٠٩/٢/١ هـ - ١٩٨٩/٨/٣ م توجهت لفرع المصرف
العربي الوطني بحائل لبعض شأني فوجدت صفا من الموظفين المتقاعدين بانتظار
الصرف لهم ، وسمعت أحدهم يتحدث إلى رفيقه مبيناً له أن مخصصه التقاعدي هو
(٨٠٠) ريال بينما منزله يحتوي على أكثر من عشرة أشخاص من أطفال ونساء
وتصورت مقدار هذ المبلغ الذي انتهى إليه ومدى كفايته لمتطلبات الحياة الحاضرة
التي قد تحتاج مثل هذه الأسرة إلى (٥٠٠٠) آلاف ريال على أقل تقدير لتفي
بالتزاماتها ، من هنا ولدت هذه القصيدة)) :

(١) ديوان نفع الأزهار في سجع الأشعار ١٤٦ .

قالوا كبرت وكلُّ منك الساعد
ستون عاماً قد طويت شهورها
هتكت خيوط الفجر أستار الدجى
ودنا إليك من المعاش تقاعد
أو أربعمون قضيتها ياراشدا
وتجمعدت فوق الجبين مدائدُ

فهو علل التقاعد بتقدم السن ، وبلوغ الستين - وهي إشارة إلى عدم القدرة على العمل والإنجاز في نظر الكثير ، بينما التقاعد لإتاحة الفرصة لجيل الشباب لذا فإن الشاعر يعارض أن هذه السن تؤدي إلى التكلل من العمل .

قلت اصبروا فلقد نضجت وأينعت
مني الثمار يناهن الحاصد
والشاعر يذكر حقيقة أن العقل يزيد وينضج ، ويدرك مالا يدركه غيره ، ومن هنا كانت المطالبة بتأخر سن أعضاء هيئة التدريس في الجامعة ، وقد أخذت به مصر .

فلقد بلغت من الحياة تجارباً
وبنات أفكارى يشع بريقها
أوما ترون الكسون في أرجائه
قد جاوزوا سني إلى ما بعدها
قالوا : وهمت وما نخالك صادقاً
لا تكثر الأقوال فيما تدعي
تغني الليب ويغنيها القاصد
عضلات أزنادي يراها الشاهد
حكماؤه علمائه والسائد
وتعانقت في الحالفين فرائد
ما كل ساعة رماها الصائد
سيف النظام على المنافذ راصد

ثم هو يعود للأعمال التي تناسب سن التقاعد من مثل الأسفار والإشراف الزراعي ، والمهني ، فهو ينصح بمواصلة العمل وعدم الإنقطاع عنه ، وهذه سنة الحياة .

وإذا بصوت هاتف بمشاعري
تلك السوانح فتقت أزهارها
لما طوو قيد السجل تحركت
ترتاد أرجاء البقاع وتجسي
قم فانطلق إن الحياة عزيمة
لا تجزعمن إذا أتاك تقاعد
وتألفت فوق الأديم خرائدُ
منك الجوارح والخطى تباعد
من خير ما يجني الحكيم الرائد
وتقدم وتكاتف وتساند

هذي زحاب العلم في أرجائها هذي الصناعة يتغيها العائد
هذي الزراعة أينعت أثمارها لتجود بالخير الجزيل حصائد
إن الحياة فسيحة أرجاؤها ليها السابل والمنى تصاعد^(١)

والشاعر يوضح مشكلة الفراغ التي تفاجأ المتقاعد والتي لم يروض نفسه عليها ، فيحس بطول الزمن ، والفراغ الطويل ، ويستقل المكث في الدار .

وأتى الفراغ يجر ظلاً مقللاً والسالبات رياحن رواكد
كيف السيل لنزع وقت جائم؟ يجتاح صدري وهموم شواهد
أبقى قعيد البيت في حجراته يلتف حولي صيبة وولائد
طوراً حديثي للنساء وتارة تسأتي إلي مجلعة وجرائد
ويعطر طرفي هازناً بسرابها فيكل ذهني والرؤى تصاعد

وهو يشير إلى بعض مظاهر التسلية في المقامي التي يتواجد فيها الشلل ، ويتحادثون ويلهون ، ويلعبون اللعبة الشائعة الذائعة في هذا المجتمع وهي ما تسمى (بالبلوت) ومن الواجب أن لا تشغل عن الأعمال ولاعن العبادات ، وتؤدي إلى الاجتماعات ، فهي من عوامل التسلية للشباب والشيوخ معاً .

فأحب للمقهى القريب مسارعاً بين الرفاق يمر وقت نافد
نجر من غث الحديث تليده ونرى كأن الماضيات عوائد
أو نفرد الأوراق في ميدانها ومن " البلوت " جائل ومصائد
نرجي بهن الوقت من أعمارنا ونسير حيناً والظروف تعاند
وإذا يؤذن للصلاة مؤذن حفلت بنا بين الصفوف مساجد
نرجو من البر الكريم نواله دوما وفي ظل النعيم مقاعد^(٢)

والشاعر أبو العلا^(٣) يرى في التقاعد الراحة بعد العناء ، والمكافأة للعمل

(١) هواجس ٤٧ ، ص ٥٢ .

(٢) المرجع السابق ٥٢ .

(٣) هو علي بن حسن أحمد أبو العلا ، ولد في مكة المكرمة عام ١٣٤٣هـ وعمل في عدد من -

البناء ، وفيه صفاء للنفس من الشقاء ، والصراع الوظيفي ، وفيه اختبار للناس الذين يتكاثرون حول صاحب الجاه الآتي من الوظيفة :

حقة مرت بها كان البناء وابتدا فجر الأمانى والرجاء
حيث تصفو النفس من أدرانها بين فكر وصلاة ودعاء
مر بي عهد مليى بصراع بين أحلام وكد وعناء
فضحوت اليوم والنفس مناها أن ترى ما قدمت للأصدقاء
والموظف الذي بذل الكثير لمن حوله يظن ذلك ادخارا عند الناس يحفظونه
بعد القاعد له لكن الواقع أن الناس ينفظون من حوله ، ويعرضون عنه
ويتزكونه في فراغ .

وتلفت ومن حسولي لسراغ وبه القلعة منهم أولياء
ذاك شأن الناس في الدنيا وكل حول رب الجاه مدح ورياء
وغريب أن أرى من خلته خل أيامي جبان في العداء
بينما الصفوة من كان بحق صادق الود نقيساً في حياء
هو من تلقاه حصناً في حياة خلصت بعد كفاح وشقاء(١)

=الوظائف الحكومية كان آخرها وكيلاً لإمارة مكة المكرمة ، وهو عضو في عدد من الجمعيات صدر له ديوان (سطور فوق السحاب) ، انظر : حائمة الديوان ٢٦٨ .

(١) سطور فوق السحاب ٩٣ .

المبحث الرابع

ثقافة المجتمع

- مدخل .
- التعليم .
- الامتحان
- المعلم .
- العام الدراسي .
- التعليم الجامعي .
- محور الأمية .

مدخل :

عندما نتأمل في التغيير الاجتماعي نجده يقوم على التعليم السلوكي ، أو لنقل التعليم العملي ، وذلك ما نجده في التعليم ، الأول للإسلام ، فمعلم البشرية الذي لا ينطق عن الهوى ، كان يعلم الصحابة ، يعلمهم العلم للعمل به عبادة عملية ، وعبادة سلوكية ، وعبادة عمرانية كل هذه المسؤوليات تقوم على العمل بالعلم ، ولذلك قامت الدولة الإسلامية الأولى على العمل حتى توج هذا العمل ببذل النفس للجهاد .

ولكن لما توسعت الدولة الإسلامية ، نجد أن العلم اتسع أفقه ، وتكاثرت معارفه ، وتكاثره رجاله ، وقلّ العمل به ، حتى أصبح العلم هو الغاية لذاته ، فتفرق المجتمع الإسلامي إلى مذاهب كلها تنفك عن العمل ، وتدور في فلك العقل ، أو الروح مع أنهما يجب أن يجتمعا ليؤهلا العمل إلى الإنجاز ، فالأربعة لا بد منها مجتمعة ، العلم ، والعقل والروح والعمل . لكن التربية الإسلامية حدث فيها إنفصال كبير ، ففي العصر العباسي طغى علم الكلام ، فكان الناس في جدل عقلي ثم جاءت حركة التصحيح بقيادة السلاجقة والأتابكة والزنكيين والأيوبيين ليتم التحول إلى الاعتماد على الكتاب والسنة والإعراض عن علم الكلام ، ولولا انزلاق الناس إلى التصوف في هذه المرحلة ، وانفصال المجتمع عن العمل الإداري لكان لها دور ، وظهر عند بعض أهل السنة مقولة أن الجهاد بالقلم يكفي عن الجهاد بالسيف ، ومن هنا فإن حركة التصحيح هذه لم تنتبه إلى الارتباط بالعمل مما أضعف الأمة من ناحيتي الاقتصاد والجهاد .

ورجال الفكر الذين يتغنون التغيير ، يغلب عليهم جانب دون التنبه إلى الجانب الآخر ، فهذا الأفغاني كان همه التغيير السياسي ، فهو المنطلق لتغيير المجتمع ، فأما محمد عبده فهمه التغيير الفكري للفرد وكلاهما يحتاج إلى

جوانب أخرى^(١) .

لكن لما نقف عند التغير من رجال ليسوا بعمالقة فكر إنما مارسوا العمل بجدهم أقرب إلى الواقع ، فهذا محمد علي باشا يبعث البعث لتعلم العلم للعمل به ، بل إنه يتابعهم ويراقبهم ، ويطلب منهم العمل وترجمة العلم الذي تعلموه ، وبنى مدارس علمية عملية لكن اتجاه التعليم العام فيما بعد لم يسر على هذا المنهج إنما توجه إلى التنظير ، والدليل على ذلك كثرة المتعلمين من الجامعات الذين لا يجدون عملاً .

ونحن حين نظرنا لحركة التعليم في الجزيرة العربية وجدناها قامت على الدعوة السلفية ، ورائدها الشيخ محمد بن عبد الوهاب يرحمه الله ، اتخذ منهج الدعوة الأولى سبيلاً له ، فهو اعتمد الأصول الإسلامية المأخوذة من القرآن الكريم ، وحديث الرسول ﷺ ، وصنفها في رسائل قصيرة ، وعلم الناس هذه الأصول ، ولم يتشعب إلى التفصيل والجدل والخلاف .

ومن هنا فإن أثر التغيير الاجتماعي كان واضحاً وسريعاً ، فهو انتقى ما هو ضروري لبناء العقيدة ، وما هو ضروري للعبادة بالعمل ، وليس هذا فحسب بل إنه ربط ذلك بالعمل وظهر في مظهرين هما : قيام الناس بالأعمال اليدوية والحرفية والزراعية في الدرعية ، واندفاع الناس للدعوة والجهاد في سبيل الله . وكل يُعلم ما تعلم ، وهذا المبدأ أخذ به الأخوان المسلمون فيما بعد :

والعملية الأخرى التي صحبت الملك عبدالعزيز هي الدعوة إلى العلم للعمل ، فتجد الكتاب والشعراء في الصحف السعودية يدعون للعلم من أجل العمل ، فغايتهم النهضة ، والنهضة تطلب العلم ، ويمثل هذا في جل الآيات التي أوردتها شواهد في فصل العمل ، لكن اتجاه التعليم العام فيما بعد أدى إلى غاية كبيرة تنشدها وزارة المعارف ، وهو نشر العلم والمعرفة ، وتوسعت الجامعة

(١) انظر : التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي ، لعلي القرشي ١٥١ .

فاستقبلت الطلاب حتى كان التعليم النظري رجع على التعليم المرتبط بالعمل ، وهذا شأن الدول العربية والإسلامية ، فقد أحدث التعليم تغيير فكرياً لكن لم يحدث تغيير سلوكياً كما نأمل وتتمنى ، ومالك بن نبي يرى أن عيب التعليم العربي المعاصر يعود إلى أنه يركز ((على الذكاء دون الوعي ، وعلى التعليم دون التربية))^(١) ، وتنبه أن العلم الذي انتشر لم يرتبط بالفاعلية ، فهو يركز على المعرفة والعلم بها وجدل الفكر ، ((فالعلم في الأعم الأغلب لم يكن آلة للتغيير بقدر ما كان زينة وأسلوباً وترفاً))^(٢) .

♦ ومالك بن نبي يخالف الاتجاه الأوربي الذي يرى أن التنوير للعالم العربي أتى من الغرب عن طريق البعث المبتعثة ، والدارسين من المهاجرين المغاربية ، ((فهم لا يفتنون بالأشياء الحديثة ، وبالتالي بمنطق الفعالية من غير تمييز بين حدود توافقها مع المهام التي يريد المجتمع أن ينهض بها دون أن يفقد أصالته))^(٣) .

حتى المدارس التي بنيت بتوجيه غربي لم يكن لها دور فهي لم تكن ((لتهم بنشر الثقافة الأوربية بقدر ما تحرص على توزيع نفاياتها ، فهي لا تسعى لاكتشاف ذكاء تلاميذها ، أو دفع مواهبهم ، وإنما تسعى إلى خلق آلات منهم ذوي كفاءة محدودة))^(٤) .

ومجتمعنا السعودي وإن لم يؤسس مدارس مستغربة لكنه ليس بمنأى عن التأثير عن طريق البعثات والرحلات ، والإعلام ، وجميع ألوان التواصل الإداري والإجباري ، ولا سيما بعد تدفق الخير على المجتمع السعودي نتيجة ارتفاع سعر البترول والواقع أن التبعية الفكرية ، والاقتصادية والسلوكية لقيت في المجتمع بعض

(١) المرجع السابق ١٥٢ .

(٢) المرجع السابق ١٥٣ .

(٣) المرجع السابق ١٥٧ .

(٤) المرجع السابق ١٥٧ .

القبول عند بعض الشرائح كما لقيت قبولاً لدى المجتمعات العربية الأخرى .

((وبناء عليه فقد أدى هذا الموقف الضعيف إلى التبعية ، واستمثال غير واع انعكاسا في كثير من السلوكيات والقيم والأفكار والمواقف حتى المرأة بدلاً من أن تتعلم حياة ملابسها ، وتذوق جمالاً هذا الفن ، صارت تكتفي بشراء الموضات الأوربية ، وتقلدها ، وكلما زادت الفئة المتخرجة في مدارس الغرب عدداً نمت هذه السطحية في المجتمع))^(١) ، وهذا الظاهرة تكاثرت في الطبقة الوسطى بعد أن عملت المرأة وتواجهت النقود في يدها . وابن نبي يرى أن المستغرب فكرياً لم يتأمل الفرد الأوربي في الإيجابيات العملية التي تؤدي إلى إنجاز العمل والتفوق أو الكفاح العملي الذي يعرئ حقوق الفرد ، ولا طبيعة مجتمعه ، وكذلك طالب بحقوق للمرأة انطباعاً حضارياً ولم يراع طبيعتها وبيئتها ، ومعتقداتها ، أو يرى إنجازها المعتدل وكل ذلك موجود فهو ((لا يرى المرأة التي تجمع قبضات العشب، وإنما يرى تلك التي تصبغ أظفارها وشعرها وتدخن في المقاهي والندوات، وهو لا يرى المصانع ... ولم يعد يلاحظ الطاقات الخفية التي تخلق القيم الأخلاقية والاجتماعية ، بل لن يلاحظ كيف يتعلم الطفل معنى الحياة، واحترام الحياة ... بل لن يلفت نظره ذلك الفلاح الكادح ، وهو يقف نهاية خط محراثه ليحكم على عمله متفاعلاً مع التربة ، تفاعلاً هو الخميرة التي تصنع منه الحضارات ... بل لن يرى المرأة الأوربية تغادر مسكنها لتكسب بعرقها كسرة خبز في جو يهدر كرامتها فيحرمها أنوثتها كما يحرم الرجل رجولته))^(٢) .

فهذه نظرة متدبر ، يتأمل بواطن الأشياء ، ودلالاتها ، فهل تأمل أولئك

كتأمل ابن نبي !؟ .

• والتربية الاجتماعية تهدف إلى إعداد قيم ومهارات وتوجهات فردية تؤدي

(١) المرجع السابق ١٥٨ .

(٢) المرجع السابق ١٥٨ .

إلى غاية البناء ، وقد جعل المفكرون للأسس التربوية ثلاثة أسس^(١) هي :

١ - الأساس التاريخي ، وكل معاصر يقوم على أساس تاريخي يختلف تقدماً وقوة وتأخراً وضعفاً . ويعيننا مجتمعا في الجزيرة فإني أرى أنه ينقسم من ناحية التاريخ إلى قسمين ١ - التاريخ القومي ويتمثل في منطلق الإسلام وحمل رايته وقيام الدولة الأولى والخلافة الراشدة ، وتلك تمثل التاريخ الأمثل والقذوة ، والجدوة الطبيعية الباقية في النفوس ، وهي التي تمثل قاعدة البناء للمجتمع في بلادنا لكن هذا قد انحرف عن سلوك الفرد والمجتمع والدول مما أدى إلى القسم الثاني .

٢ - التاريخ القريب العهد الذي تشكل منه المجتمع الجديد ، وهو مجتمع مفكك يقوم على صراع تقابلي حربي ، وفيه ضعف روابط المجتمع وأسس بداية من الدولة ، فلا دولة تظله وتحميه ، وإنما دويلات متصارعة ، إلى جانب نضوب الفكر والعلم والمعرفة ، وضعف حياته الحضرية .

والفكر التربوي لبلادنا أدرك هاتين الخاصتين وانطلق منهما وأخذ يشدو بالتاريخ السلفي المجيد ، يعلن التخلص من التاريخ المتفكك الأخير .

فهو ينتمي مفتخراً إلى عهد الإنطلاقة الإسلامية الأولى التي غيرت وجه المجتمع العربي ، والمجتمعات المجاورة ، فابن إدريس يقول عن تلك الأمة وتاريخها :

رسمت على وجه الزمان سماتها	مجدولة الأضواء من هالاتها
شاء لم تحن الجبين لفاصب	أوطامت أحداثها هاماتها
تضفي على الآفاق كل فضيلة	من عطفها الفياض من خفقاتها
تملي على التاريخ كل عظمة	من مجدها وتيل من خيراتها
نبتت على طيب الأصول فروعها	وتمايزت عن غيرها بشباتها ^(٢)

والشاعر محمد حسن الفقي يدعو إلى التحلي عن تاريخ التخلف ، ويدعو إلى

(١) انظر : التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي ٢٣١ .

(٢) في زورقي ١١ .

التغيير الاجتماعي

بني العروبة والإسلام إن لكم
من السماء أناكم غير مرتقب
فلا تضيعوه بالشحناء تدفعكم
واستمسكو بكتاب الله إن لكم
ولا تصيخوا إلى التجديف يسلمكم
ما في الشقاق سوى الأرزاء كاسعة
فجانبوه وكونوا إخوة صُبراً
عند اللقاء وصونوا الدين والحسبا (١)

وهذا الأساس التاريخي بشقيه أدركه الفكر الأدبي إدراكاً واضحاً عند أكثر

الشعراء السعوديين وغيرهم من شعراء العربية .

٢ - الأساس الاجتماعي : أن تشكيل المجتمع قام على هدف اجتماعي

ينتظم أفراد المجتمع وجماعاته في أهداف مشتركة تؤدي إلى تحقيق رغبات شاملة ،
ثم تؤدي إلى شبكة من العلاقات الاجتماعية التي تستوعب النشاط الفردي
والمشترك ، فهذا الشاعر خالد الفرج يحاول توحيد صفوف الأمة :

صعدت إلى قمم الجبال جدودنا
نمنا فقام الأخرون وأسسوا
ياقوم إن مرضت بكم أوطانكم
ومتى أنت فرص القيام فشمروا
بالعلم نقدر أن نفيد تراثنا
والاتحاد هو الأساس وأنه
فعلام صرنا في حضيض الوادي
بالعلم مجدداً شامخ الأطواد
كونوا من الآسين لا العواد
عن مساعد الإقدام باسعداد
حتى لرى الأحفاد كالأجداد
كاختصر المبدوء بالتعداد

فهو يدعو إلى الاعتماد على العلم الذي يوهل المجتمع في ذاته وعمله ؛ ليكون

وحدة متشابكة متأخية تعمل الخير ، وتدفع الشر وهو يخاطب الشباب لأنهم مبدأ

التربية الاجتماعية ، ومنطلق التغيير :

(١) الديوان : ١٠ / ١٧ .

أنت النواة لكل غرس يانع من مصلح أو مرشد أو هاد
 وذباله فيه الشيبة هالكة نور التزقي في سناها بساد^(١)

٣ - من الأسس التربوية الاجتماعية ((تنظيم الطاقة الحيوية للفرد ،
 وتكييفها ضمن شبكة العلاقات الاجتماعية ، والانشطة المنبثقة عنها))^(٢) ومنها
 تقوم التربية الاجتماعية على مبدأ استيعاب خصوصية المجتمع ومعرفة ظروفه
 وواقعه وما يتطلبه ، وتلتزم التربية بأن يتناسب ما يحتاجه الفرد لذاته ، وما يتلائم
 مع مجتمعه فهو مفيد لذاته ومفيد لمجتمعه ، فهي تعلم الفرد العمل ، وكل فرد لبننة
 في مجتمع عامل ، والوعي بالعمل يستلزم إدراك المعرفة والوعي والسلوك والإنجاز
 فزراعة هذه الأسس في شبكة المجتمع تؤدي إلى تطوره .

أن يكون غاية التربية التطور إلى الأفضل إلى بناء حضارة حضرية ، ونجد أن
 هذه كانت غاية من غايات الفكر ، وفكر الشعر بداية النهضة ، فالدولة شرعت
 إلى توطين البادية ووزعت عليهم الأراضي ، وحفرت الآبار ، وأقامت المدارس ،
 وأتاحت فرص العمل والتوظيف مما أوجد هجرة عالية من البادية إلى الحاضرة ،
 وكان التوجه الفكري والتربوي لهؤلاء أدى إلى الوعي بوظيفة الفرد ونشاطه
 الإيجابي لذاته ومجتمعه ، وتلك أعجوبة في المرحلة الأولى من بداية النهضة .

• والفرد هو البذرة الأولى لتكوين المجتمع وبنائه ، ومن هنا فإن العناية تتمثل
 الرعاية بالقاعدة الأولى للمجتمع أو كالمادة الخام التي يصنع منها بناء المجتمع ، فهو
 وسيلة لإعادة بناء المجتمع ، والتربية الاجتماعية التي تقوم على الفرد يجب أن تنظر
 إلى الروح والجسم والعقل ، وما يبنى كل ذلك بناء سليماً . فيجب أن يشترك في
 عمل الفرد حماسه الشعوري وقوة جسمه ، ووعيه ثم معرفته ثم الأخلاق التي
 تنظم السلوك .

(١) ابن ادريس : شعراء نجد المعاصرون ٨٣ .

(٢) د . علي الفريشي ، الغير الاجتماعي ٢٣١ .

والأهمية الأخلاق وكونها تبيت مع نشأة الطفل وتلازمه مدى الحياة ، فإن مالك بن نبي جعلها المنطلق الأول لتربية الفرد اجتماعياً ، فهي الدافع لتنظيم العلاقات الشخصية بما يلائم المصلحة العامة ، وأشار ابن نبي إلى وجوب إدخالها ضمن البرامج لتمثل القدوة الإدارية والأخلاقية كالسلوك الوظيفي ، فوظيفة كل فرد لها علاقتها بالفردية وبالمجتمع من حوله ، فإذا فقد الاتقان والإخلاص ، والإيثار ومراقبة الضمير فهذا ضعف في المبدأ الأخلاقي ، ضعف في الإيمان ، ضعف للفرد ذاته فيعود عليه بالنقص ، وهو خيانة للمجتمع ((فالفرد للجميع كمنشأ أخلاقي اجتماعي يمكن للتربية الاجتماعية أن تبثه في العقل والوجدان لتقضي به على أمراض الفردية والأنانية والعزلة والسلبية ، وتجعل الفرد يعي مسؤوليته وواجباته تجاه مجتمعه (١) .

والفرد يجب أن يتكيف مع مجتمعه ، ومن أهم موجبات التربية لهذا التكيف أن يجعل المجتمع نفسه كوسيط مرب بالقدوة العملية والسلوكية وبالحوافز النفسية ، وبزرع روح التنافس للمبدع في عمله ويرى ابن نبي أنه ((إدماج الفرد في شبكة اجتماعية عملية تنمية ، وهو في الوقت ذاته عملية انتقاء ، وتتم هذه العملية المزدوجة في الظروف العادية أي في حالة المجتمع المنظم بواسطة (المدرسة) وذلك ما يسمى بالتربية ، أما إذا كان المجتمع في طريق التكوين فإن العملية تبدأ تلقائياً في الظروف النفسية الزمنية التي تتفق مع الظروف الاستثنائية التي توافي مع ظهور المجتمع (١) .

ومصدق ذلك ما نجده أثبت في روع شعرائنا ؛ فكل منهم يتدافع بشعره نحو اليقظة بالوحدة الجديدة والدعوة الشاملة إلى التكامل والتآخي والإخلاص .

يقول إبراهيم الدامغ :

(١) المرجع السابق .

(٢) د . علي القرشي : التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي ٢٣٥ .

أبشري تلك ما أروعها
أشرقت كالشمس في ضورتها
ومثينا في اعترام صادق
ليس منا من تشكى نصبا
لا ولا من هاب إدلاج السرى
أبشري تلك ما أروعها
أشرقت كالشمس في ضورتها
ومثينا في اعترام صادق
ليس منا من تشكى نصبا
لا ولا من هاب إدلاج السرى

الواجب فوق الحقوق :

• ومالك بن نبي يرى أن الواجب فوق الحق ، فيجب على الإنسان أن يؤدي ما يجب عليه لمجتمعه ليبني المظلة الصالحة له ، وأن لا يكون أنانياً مطالباً بما له أو ما يتصوره أنه له وينسى ما عليه ، ويدرك أن العمل يكون مردوده أفضل ، فالحق الذاتي ينجم عن العمل في كثير من الأحيان ، فالأعمال يكون لها جزاء فهذا الجزاء هو الحق ، والعمل هو الواجب ، فيجب أن يؤدي الواجب أولاً ، والمجتمع يسعى إلى تنمية الشعور بالواجب ، ويجعله قمة أخلاقية فالواجب عند الإداري والاقتصادي ، يجب أن يفوق الحق (٢) ، وأيضاً فإن الواجب على الفرد أن يزيل العقبات المعنوية والحسية التي تقف في وجه أداء الواجب الاجتماعي ، وليس معنى ذلك ذوبان الشخصية أو المتطلبات الذاتية ، وإنما الاعتدال بل ليس هناك تعارض بل هناك تكامل ، ومن هنا يجب على المجتمع أيضاً متمثلاً في مؤسساته وإداراته أن يتمثل هذه النظرية فما دام الفرد خدم العمل بالواجب ، وآثره على المطالبة بالحق ، فإن تلك المؤسسات يجب أن تقدم الواجب عليها للفرد المتفاني المبدع ، فإذا تم تشجيع الفرد بالحوافز بإعطائه الحق نظير عمله بعدالة ومساواة ، فإن الانتاج الفردي يفوق الاستهلاك ، فيزيد نمو المجتمع ، وهذا يتمثل في الإيثار

(١) ابن إدريس : شعراء نجد المعاصرون ٢٣٥ .

(٢) انظر : التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي لعلي القريشي ٢٣٨ .

عند خالد الفرج :

لا أريد المال أكداً لجيناً أو نضار
أو قصوراً شامخات أو نخيلاً أو عقار
وأنا أنظر حولي
لا أريد الشمس تسيبي بأنوار الشروق
غادتي لا تحسبي صدى جفاء أو عقوق
وأنا أنظر حولي
أيها الليل مهلاً لا تغرد في الغصون
لا أريد الأذن أن تهجس نغماً أو شجون
وأنا أنظر حولي
لا أريد السعد أن يدخل بيتي بالهاء
صحتي سقم إذا المرضى يعانون البلاء
حينما أنظر من حولي
في بنوك عامرات أو خزانات كبار
أو رفاها من نعيم العيش ما شاء اليسار
كم عليها من فقير
أنا لا أنظر للروض بالحفاظ الشفوق
كل حسن أو جمال أو بهاء لا يروق
كم عليها من ضرير
قطع الأوتار بإعازف وأهدأ في سكون
لا خريراً لا عزيفاً لا رنيناً لا حين
الصم في الدنيا كثير
لست يا هذا سعيداً وأرى حولي الشقاء
غير أنني باسم للموت إن جاء الفناء
إلى الموت يصير^(١)

وهذه الروح يجب أن تقوم بها التربية الاجتماعية في مؤسساته المختلفة ، وتنظيمها إدارتها وتفرض ذلك بالأعمال المشتركة الذي تكون في مؤسسات المجتمع ، ولو داخلها الاحتساب الصادق من جميع الأطراف لكان في ذلك خيراً ، أما أن يطلب المدير أو رئيس الإدارة الاحتساب وهو منه براء فهذا تزييف يدمر ولا يبني ، يولد الفرقة ولا يجمع الشمل . ويتمثل هذا في الأسابيع المنظمة ، كأسبوع الشجرة ، أو أسبوع المساجد ، والأفضل أن يكون في وتنظيف تنظيم المدرسة اليومي وتنظيف المسجد من أبناء الحي وهكذا .

(١) ابن ادريس : شعراء نجد المعاصرون ٧٤ .

المنهج العقلي والزمني :

والتربية الاجتماعية الوطنية يجب أن تدخل فيها بناء العقلية المنهجية ، والزمن المنهجي ، فإننا نبني عقولاً قادرة على التأمل والتدبر والبحث عن أسباب القضايا، وتجسيد العملية العقلية كاملة بنظرتها الشمولية ، ثم إبراز الحلول .

ومثل ذلك غرس المنهج الزمني ، فيجب أن يشترك المجتمع في بناء المنهج الزمني في الأسرة ووسائل الإعلام ولا يكون هناك انفصال بين المجتمع كما هو سائر الآن فإن شرائح كبيرة تسهر الليل ، وأخرى تنام مبكراً بل إن هذا الوضع يكون داخل البيت الواحد يجعل الناشئ في حيرة من أمره .

فيجب أن يعطى الطفل منهجاً لضروريات عمله وصحة جسمه ونفسه ، وربما يرتبط بالواجبات عليه والحقوق التي ينالها .

ويجب على المجتمع أن يربي أبناءه على عدم السهولة ، وهي أن يرى كل أمر سهلاً ، فلا يستهض العزيمة ، والعوامل المساعدة على الاتقان .

ومنها أن يُربي الفرد على الإدارة لا المدارة ، فالإرادة هي سبيل الإنجاز ، والمدارة هي الكمون والخمول والتأجيل .

• وثقافة المجتمع في بلادنا متميزة عن المجتمعات الأخرى بخصائص ذاتية ، وفي طبيعتها تمسكه بالمعتقد الإسلامي الذي يوطر حياته ويتجذر في سمات موروثاته ومكونات وعيه الفكري والمادي . والمجتمع السعودي له موروثه وتجاربه وخبراته الخاصة . وتجذر الثوابت الروحية في مكوناته الثقافية - وإن تفاوت داخل الأقاليم - يجعل ثقافته تمثل أطراً لجميع أنشطة الحياة . فهي مؤثرة في الفرد ، ويتفاعل معها ، ويمتلكها . فتنتقل أعماله من وحيها ، ومعارفها تتراكم ويكتسبها الأبناء عن طريق التعليم .

والثقافة تستوعب كل ما ينجزه الإنسان وتستوعب الطرق المنظمة للتفكير

والشعور والسلوك ، وكل ما يتنامى ويتطور . وشخصية الفرد انعكاس لثقافة المجتمع ، والمجتمع صورة متكاملة للثقافة في أي دولة من الدول .

ومهما اختلفت الأنماط السلوكية في مجتمعاتنا فإنها تتواصل مع الثوابت الإسلامية والأسس الاجتماعية المنبثقة عن العقيدة . ومجتمعنا المعاصر الذي وحد شمله الملك عبدالعزيز (رحمه الله) يقوم على عقيدة واحدة ، ولغته العربية التي يحفظها القرآن الكريم وتحمل شعاعه .

ويسير المجتمع وفق عبادات ومعاملات وحدود شرعية وأنظمة تراعي العقيدة . وقد أرست الدولة نظاماً تربوياً متحذراً من الروح الإيمانية ، ومتطلعاً إلى استيعاب العلوم التقنية المعاصرة . تلك مكونات الثقافة العامة التي تنسرب في جميع شرائح المجتمع ، ويقوم ببذرها مناهج التدريس في الابتدائي والمتوسط والثانوي ، وعلوم الثقافة الإسلامية في الجامعات .

ولكن هناك ثقافة فرعية لكل شريحة من الشرائح ذات الاختصاص ، كالأدباء ، وكالأطباء ، والمهندسين ، والاقتصاديين ، والإداريين ، وغيرها عنيت بالتكامل الثقافي الذي يوحد الأمة ويوحد الغاية ، ولا يجعل هناك ثنائية متعارضة، بل ثقافات فرعية متكاملة تنبثق من معتقد واحد ، وقيم ثابتة ، وتنطلق منها مبادئ متحذرة في كيان كل فرد من المجتمع .

والشاعر أسامه عبدالرحمن يرى أن الثقافة مشاعة ، ينهل منها كل فرد لتكون غذاء لروحه وعقله ووعيه وعمله .

لن الثقافة ؟ للشعوب جميعها فالكل في تحصيلها شركاء
هي للتقدم روحه ... وهي التي يمينها التعمير والإنشاء
وهو يدعو المجتمع إلى الوحدة ، والتطلع إلى المعالي ، وأن يحس بالآلام
والأمال وأن يتعاضد في وجه العقبات ، ويدعوه إلى الترقى ، والابتعاد عن
التخلف وأسبابه ولا معين له بعد الله إلا العلم والوعي به :

البذل من ذم الكرام وإنما
والكون في طلب الثقافة وحدة
وطن يوحد التطلع للعلا
وتشده مهما نأت أطرافه
للخير أهداف بها تمحى غداً
ويزول ليل التخلف شفها
ويعمها للعلم فجر مشرق
ومتى نرى الكون الكبير حياته
ومتى نرى الكون الكبير حياته

وثابت مجتمعا الإسلامي الثقافية تفتح له نوافذ لاستقبال الجديد ؛ فالحكمة ضالة المؤمن . ومن هنا تدخل عناصر جديدة إذا ثبتت فائدتها ، وتستعير عناصر ثقافية لا سيما التحريية منها . ومجتمعا بفضل الله ، ثم هذا التكوين الثقافي تخلى عن عناصر فاسدة مثل الثأر وغيره .

ومع كل هذه المظاهر فإن الثقافة لكل مجتمع أشبه ما تكون بالرياح التي يتخللها الخير وتحمله ، ولكن تهب ریح وعواصف يجب التيقظ لها . ونحن سنتناول بعضاً من عناصر الثقافة بالدراسة من خلال الإبداع الفني .

التعليم :

إن التعليم يمثل العنصر الثاني بعد الأمن لتأسيس القوة الفردية والجماعية ، فهو يزرع الإيمان ، وهو الذي ينمي الوعي ، والعلم روح البناء والفكر والاقتصاد وال عمران . فأدرك الجيل الأول من المنفذين والمفكرين والأدباء والشعراء تلك الأهمية فنادوا بالتعليم ، وتآزرروا في البناء العلمي . وقد تعددت أهداف التعليم بتعدد ضرورياته في الحياة ، كما حددها التربويون ؛ لكي تكون فاعلة في تنامي

(1) شمعة ظمأى ٤٨

المجتمع في جوانب الحياة جميعها وهي :

١ - " نقل حصيلة المعرفة العلمية من الأجيال السابقة إلى الأجيال اللاحقة" (١)، وفي ذلك استفادة من التراكم العلمي القديم ، وتواصل مع الجذور الحضارية للإلتقاء الذي يؤدي إلى البقاء والتعاون والروابط الوشيقة .
ويعدوا الغزاي إلى تواصل النسب الماضي مع الحاضر لا من ناحية القبلية والوطنية وحسب بل من حملهم لأعظم رسالة هي رسالة التوحيد ، وحملة لراية العلم والمعرفة :

أفق السماء إلى الغايات ميداناً	ماذا يحول بناء عن درك من جعلوا
الناهضين زرافات ووحداناً	لا خيب الله ظني في بني وطني
من الجزيرة أشياخاً وفتياناً	فهم أولئك أبناء الأولى برزوا
حتى استباحوا مناط الحب أكتانا	واستلهموا الله بالحسنى فمكثهم
علماً وفهماً وانتاجاً وعمراناً	من ذا يصارعهم من ذا ينافسهم
في كل فن وكانوا فيه برهاناً	تقدموا كل أهل الأرض قاطبة
بمسح الطير إذ قد طار إعلاناً	هذا ابن فرناس لم يسبقه مخترع
من ضئضي العب قد كان نشواناً (٢)	والجوهري وما يدريك كم بطل

نعم فإن المجتمع مطالب باستلهم الشرع الإسلامي والتراث المفيد ليتواصل مع الحاضر والمستقبل .

٢ - التصدي لمشاكل المجتمع بالبحث والتحليل مع محاولة اكتشاف الجديد من الوسائل والأدوات التي تخدم المجتمع وتساهم في تقدمه " (٣)
وأدباؤنا تقصوا قضايا المجتمع وحددوا أسبابها وبلوروا ماهية القضية ثم عاجلها في موضوعية وصدق لهجة . وكان لتوجيههم الفاعلية في تلاحم مجتمع أبنائنا

(١) عمود سفر : إنتاجية مجتمع ١٢٩ .

(٢) الديوان : ٦٦٨/١ .

(٣) عمود سفر : إنتاجية مجتمع ١٢٩ .

وتفانيهم . وهم عاجلوا قضايا التعليم والتدريب المهني والبعثات ومراحل التدريب والتعليم ، حتى تكونت الجامعات ، ونادوا بالعلم من أجل العمل ، وعاجلوا قضية الاعتزاز في الفكر والسلوكيات ، والتخلف في العادات والتقاليد التي لا تقوم على أساس ديني .

٣ - " تنمية مواهب الأفراد في المجتمع مع محاولة توجيه ميولهم الوجهة التي تخدم قضايا المجتمع الأساسية ، وتمثني مع أهدافه " (١) وهذه القضية أولها الأدباء جل تفكيرهم وكتبوا عنها نثراً ونظماً ، فتحددت الاختصاصات في الثانوية علمياً وأديباً ، ثم في الجامعات أيضاً . إلى جانب تواصل التطوير في الثانوية الآن ، حيث يوجد عدد من التخصصات العلمية .

٤ - " تربية الاتجاهات والقيم المرغوبة بين المواطنين مع المساهمة في تكوين شخصياتهم تكويناً يتفق مع الاهداف النامية في المجتمع " (٢) .

ونحن لما نقرأ النصوص الآتية نجد إسهام الشعراء في ذلك متبلوراً . لكن قضية تكوين شخصية الواعي العامل المنهجي المنتج أمر لم يصل إليه المسلمون في بلادهم، ولا العرب في أقطارهم . وتلك قضية قليلة المعالجة على مر الدهور وتعاقب الاحقاب عبر التاريخ الإسلامي ، غير أننا لا نعدم الإشارة إلى العمل .

اعتزل ذكر الأغاني والغزل وقل الفصل وجانب من هزل
اطلب العلم ولا تكسل فما أبعث الخير عن أهل الكسل
قيمة الإنسان ما يحسنه أكثر الإنسان منه أو أقل
واكتم الأمرين فقراً وغنى واكسب الفلوس وحاسب من بطل (٣)

أما عصرنا الحاضر مع بداية النهضة فإن الدعوة إلى العمل قد خاضت تجارب

(١) المرجع السابق ١٢٩ .

(٢) د . محمود محمد سفر : إنتاجية مجتمع ١٢٩ .

(٣) ابن الوردي : الديوان ، تحقيق أحمد الهيب ٤٣٦ .

الشعراء وتمخضت عن إبداع جيد .

فإن العمل عند شتى المستويات والشرائح المعرفية تسوده البطالة . ولو قارنا بين عمالة أوربية ويابانية وكورية وفلبينية وبقية الدول لوجدنا الفارق كبيراً . ولو كانت العمالة عربية قادرة على الإنتاج لكان في ذلك قوة لهم وللمسلمين . ثم لو كانوا من المسلمين لكان في ذلك قوة إسلامية أيضاً ، ولكان هناك تكامل . ولذلك فالعالم العربي أحوج إلى تربية تقوم على غرس المنهجية ، وحب الإنتاج ، والمنهجية الزمنية المنظمة للحياة اليومية العلمية ، ثم المساحة الزمنية القرية المدى وبعيدة والشعر يعالج هذه القضايا ، ولكنه ليس بدقة الباحث ، إنما يضيء الفكر ، وحسبه ذلك .

والشعراء في بداية العهد السعودي استشعروا المسؤولية ، وتطلعوا إلى بناء مجتمع يتسم المعالي ببناء الوطن ، والإصلاح الداخلي . ويدركون أن كل تقدم لا يقوم إلا بالعلم ، وأن ما يعتمل في نفوسهم قد ظهرت بوادر تحقيقه على يد القائد الباني . فانفجر الشعر بفيض تجاربهم ، يطالبون الملك عبدالعزيز بوصل المساعي في سبيل الحياة المستقرة ، وبناء الحضارة الراقية .

فيطالب الغزاوي الملك عبدالعزيز (رحمه الله) بصراحة ، بل بفعل الأمر على غير أسلوب المدح ، ويتقبل الملك عبدالعزيز مطالبه بإشادة المعاهد والمصانع لينهض بأمة طال رزؤها تحت ستار الجهل ، ويضرب مثلاً بتقدم الغرب ، ويدعو لمناقشة الشرق الذي تحفز للنهوض :

وصول المساعي في سبيل حياتها	حتى تكليل بالحضارة ساحها
وشد المعاهد والمصانع والصوى	وأزح عما طال منه رزاحها
والشرق صاح والشعوب تحفرت	وأزاد منها في الخطوب إحاحها
فأعد لأكناف الجزيرة عزهما	أيام تجري بالسعود سناحها
وانهض بها نحو التقدم والعلى	فمش يملك يجتلي مصباحها

واشف الصدور من الكسوم فإنما زالت بطبك للنفوس جراحها^(١)
وتبادر الدولة السعودية قبل إعلان التوحيد ببناء المعهد الإسلامي السعودي ،
وما يلبث الأمير فيصل الذي أصبح ملكاً للبلاد أن يرضى هذا المعهد ويقوم
بزيارته، فيهتبل الغزاوي تلك الزيارة ويرحب بها ، يوح بما يستكين في فواده
الذي يشاكل همة ذلك الأمير الشاب . يقول :

زار المعاهد فازدهت بالفصيل دور العلوم وضاء صدر المحفل
دبت به روح النشاط وإنها لحريصة بحلوله أن تعتلي
أبدى الأمير بها مآثر عطفه وأبان فيها عن ضحى المستقبل
وأباح عما يستكين فواده من كل خير للبلاد مؤمل
وارتاح ناظره بالعادة بما رأى ولسوف يرضى بالنهوض المقبل
والقارئ لهذه الأبيات يرى الواقعة فيها ، فهو يرى أن النشاط بدأ يدب
فيها، ولم يكتمل بعد . وهي لم تعتل بعد ، وإنما حرية بذلك ، ولم يظهر إشراقها،
وإنما تنبئ عن ضحى المستقبل ، وهو يأمل في المستقبل بالنهوض .

وهذا الأسلوب التقريرى الواقعى أخرج ما تحتاج إليه الأمة في أزماتها ، ولما
تحقق بها المخاطر . فالصراحة تصحح المسارات ، والشعر من المسارب التي
تسكب في وعى الحاكم ، فيدرك أن مطلب الشاعر مطلب الأمة . وأيضاً فإنه
يتأثر بما تتأثر به الأمة التي يخاطبها الشاعر ، فيندفع إلى ذلك ، وحماسة المنفذ فيها
خير كثير .

ويسجل شعر الغزاوي تدرج البناء التعليمي ، فهو يعدد مدارس البلاد في عام
١٣٤٧هـ ، ويشير إلى همة المجتمع وإقباله على التعليم ، وقد أسست في مكة
والطائف والمدينة المنورة :

(١) الديوان : ١ / ٦١٧ .

هذي المدارس أشرفت أنوارها
غصت جوانبها بنشء ناهض
يمو إلى حيث الحياة هنيئة
هي نهضة عمت جميع حياتنا
ما بين قروة^(١) والعقيق^(٢) وجرول^(٣)
عاف الجهالة وارتقى للأفضل
والعيش حلولا يثاب بمنظّل
وبها استبان سيلنا في القطل^(٤)

فقروة في الطائف ، والعقيق في المدينة المنورة ، وجرول في مكة المكرمة .
وهذا يشير إلى استهلاك التعليم . فهذه المدن الكبيرة في البلاد تفتخر بمدرسة
واحدة ، فألف خطوة تبدأ بواحدة .

والشعر يسجل الاحتفاء بعودة أول بعثات مدارس الفلاح عام ١٣٢٥هـ .
يقول الشاعر عبد الله بلخير في طلبه البعثية العائدة من الهند :

تجشتمم الأخطار في طلب العلا
وهاب بكم داعي (الفلاح) أن أقبلوا
فليتم الداعي سراعاً وسرتم
وفارقم الأوطان والأهل كلهم
ولم يتكلم عما ترومونه عذر
فهز قلوبا كان يعمرها البر
كان طريق الهند في عينكم شبر
ومن رام مجداً كان ديدنه الصبر^(٥)

وليس في البلاد في عام ١٣٥٨هـ ، ١٣٣٩م مؤسسة تعليمية أكبر من المعهد
العلمي السعودي ، فهو يمد الوطن بالموهلين نسيباً ، والذين يتخرجون منها يتعث
أكثرهم إلى الخارج في شتى التخصصات . فهو المنارة التعليمية المتألقة . لذا بادر
الشعراء إلى الإشادة به ، ومنهم فؤاد شاكر الذي يقول في احتفال عام ١٣٥٥هـ
مادحاً نائب الملك الأمير فيصل بن عبدالعزيز في تلك الأيام ، الذي صار ملكاً بعد
أخيه سعود يرحمهما الله .

(١) قروة : حي بالطائف .

(٢) العقيق : واد في المدينة المنورة .

(٣) جرول : حي من أحياء مكة المكرمة .

(٤) الديوان : ٦١٨/١ .

(٥) وحي الصحراء ٢٨١ .

معهد العلم يحضي بنصيره
شلتة عناية الفيصل الفذ
هو غرس غرسته فتوالست
قد تمشت مخائل الفكر فيه
فإذا العلم مشرقاً من أميره
فأرخی عنانه لجوره
قطفات الحصاد بين زهوره
وازدهى العلم يانعاً في سطوره
كل نور يفيض من بعض نوره^(١)

في الاحتفال ذاته يتحدث الشاعر حسين عرب^(٢)، فيرى أن المعهد ميدان للمعارف ، وبه وفيه تزهر الحياة ، وهو شر على الجهل ، وخير للعمل . والشاعر لا يحضي تطلعه إلى ما هو أعلى ، فيرى أنه بذرة الخير :

يا معهداً كان للعلم
فيسه الحياة تبدي
نشأت تدعو إلى الجهد
فكنت للجهل شرا
فكنت قطرة غيث
يا معهد العلم مرحسى
الجهد ما بتغيه
لم والمعارف ذخـر
بها جلال ويسر
والمعارف نـمـر
والجهل للناس شراً
وأول الغيث قطـر
غناك للعلم قدر
والجهد سعي وصبر^(٣)

والغزوي يشيد بالعلم ، فهو يصحح العقائد ، وينمي الإيمان ، ويثبت اليقين . وهو أكبر عوامل البناء الحضاري . ويقول في احتفال المعهد السعودي عام ١٣٥٥ هـ :

وما العلم إلا أن تصح عقائد
ويسلم إيمان لنا ويقين

(١) من قصيدة بعنوان (أي فضل نعمة للملك) أم القرى ع ٧٨٣ السنة الخامسة عشر في ١١/١١/١٣٥٨ هـ ص ٥ .

(٢) ولد في مكة المكرمة عام ١٣١٨ هـ ، بلغ درجة الوزارة ، شاعر له ، ديوان ضخم في مجلدين مطبوع . انظر : الموحز في تاريخ الأدب العربي السعودي ١٤٩ .

(٣) من قصيدة بعنوان (تحية المعهد السعودي) ، أم القرى ع ٧٨٣ ، السنة الخامسة عشر ، في ١١/١١/١٣٥٨ هـ ص ٥ .

ولست قصاره كلام مزخرف ولا هو وهم باطل وظنون
ولكنه في حومة البحث حجة وبين ميادين الكفاح حصون
ثم يشير إلى ميادين العلم في شتى مناحي الحياة ، فهناك العلم الزراعي ،
والعلم الصناعي ؛ فهو يرمز إلى الاكتفاء الذاتي بالبناء الاقتصادي والصناعي .
ويهب شباب الأمة إلى التفاني في طلب العلم :

وفي معرض الانتاج حرث ومنجل به الجذب خصب والهشيم غضون
ونسج وتعدين وحذق صناعة تلوذ بها أمثالها وتدين
وفوق اعاصير الرياض بواشق وتحت أعجائب البحار منون
ومنها :

فأحرى بأبناء الغد اليوم وثبة إلى الأمل المشهود وهو حرون(١)

وأهب الشعراء الأمة بدعوتهم للحياة العلمية ، والنهضة الوطنية ، فهي تمثل
الهاجس المتفاعل في صدور أدياننا . وقصيدته الهائية بعنوان وتضم قصيدة بعنوان
(من بين مدرسة أعلق السجن وراه) (٢) سيلاً متدفقاً من الشعور الوطني تجاه
شباب الأمة يستنهض المجتمع والشباب إلى طلب العلم والعمل معاً .

فالغزوي يستلذ بأن يرسم مسرحاً مشاهداً حياة الطالب في إقبال مبكر ،
وتحصيله في ضحاه ، وسهره بالليالي . بل يطرب لجهده وكده في ليلة . فهو نجم
في الحياة يضيء كما يضيء النجم ليلاً ويهره العزم المتألق ، وينفض عنه الخمول
والكسل . وهذا يهبوه لحمل العبء الثقيل :

(فجره) ثم (ضحاه) ناشئ يهوى الحياه
حالف السهد طويلاً فتشكى نساظراه
ورعى النجم وأحيا ليلسه رغم دجواه
وانتضى للدرس عزمها رعباً أضنى قواه

(١) الديوان : ٩٢٠/١ .

(٢) ألقى الشاعر هذه القصيدة في احتفال المعهد السمودي وتحضير البعثات .

ونضى ثوب حمول
ومضى شوطاً بعيداً
في سبيل العلم ضحى
حمل العباء تقيلاً
ثم لم يلبث قليلاً
وهو يلور أهمية العلم في أسلوب سهل مؤثر في المجتمع . فالعلم ضياء وأمل

وعقل راجح ، وجلال وجمال ، فهو جاه ومال :

ومنأه أن يجلي
إنما العلم سلاف
وهو نور وأمان
وجلال وجمال
وهو حوض لم يردده
ظلمة الجهل سقام
إنما الجهل بلاء
إنه حق صحيح
من بنى مدرسة

وهو يرحو أن يزرع العلم والصلاح ، والسلوكيات الحسنة . ويعمل الفرد بعلمه في طموح وكدح دائم . والعلماء هم أطباء المجتمع يعالجون قضاياها ، ويأخذون به إلى الإصلاح والسلامة ، وبهذا يملكون الدنيا ، ويظهر وعي الشاعر بجمع الطالب للعلم والعمل والإخلاص ، والوعي بمتطلبات المجتمع ، وإدراك أهمية السلوك الإنساني :

حفلكم هذا صباح
ولقد نرجو جميعاً
أن نرى النشء قويماً
وحملاً في تقواه

بمجد القوم سراه
ولكل مساهم
وحملاً في تقواه

وبه (الاخلاق) سمو
لهي كسبح وطموح
وهي ما يصبوا اليه
إنها الأس الذي
إنها شأن الألى
ملكوا الدين بها
يسوم لا ضغن ولا
إنها والله ككنز
وهي بشر وسمح
وهي بر وصلاح
ويكأنى خلقت أنى
أو كأنى وفؤادي

وهو يحدد أمراض المجتمع ، فالذي يجري وراء هواه ويميل نفسه يكون مجتمعاً

لاهيأ تفتك به الدواهي ، وهو لا يعلم أسبابها :

رب شعب قد تلاشى
وهو لاه في لهاه
ليس يدري وهو يهوي
كان مزهوا فأمسى
ما شجاه غير آثا...
فنعاه ويكسناه
أيها الأبناء مرحسى
قيمة الإنسان ما
والفتسى كسل الفتسى

وتردى في هواه
وهو غاف في كراهه
ما دهاه واعزاه
عبرة مما شجاه
...م تدنت بنهاه
من بكاه ونعاه
غربكم دان جناه
يخسناه لا ما ادعاه
من نمناه (أصغراه)

وهو يحدد وظائف الشباب المتعلم ، فمنهم القادة ، ومنهم القضاة ، ومنهم

المتألقون في البناء الاجتماعي ، والاقتصادي ، ومنهم قادة الجيش والأمن :

أتمم اليوم شباب
ورعاه وقضاه
وجنود وبنود
وعليكم واجبات
يتهادى في صباه
وأساءة وحملاه
هن أسباب الحياه

وأخيراً فهو يوصيهم بأن آمال المجتمع معقودة عليهم ، فليحملوا المسؤولية

ويردوا الجميل للقادة الذين هياؤا لهم السبل ، ويلبوا نداء المجتمع :

إنكم آمال شعب
ولكنم ماض مجيد
فاحمدوا الله عشياً
واشكروا (الملك) الذي
قدس الله حملاه
نتغنى بعلاه
واشكروه بالغداه
طوقتكم متاه (١)

فلنحظ في هذه القصيدة توظيف الأسلوب الأدبي الإبداعي للفكر الاجتماعي

فالتعليم أمنية وبناء عقول ، وهو محور التفكير لأولئك الذين بنوا الديار بالعمل والفكر . ومعاني القصيدة واضحة قريبة المتناول هاجس لكل فرد من المجتمع ، مما أضاف ذلك على الشكل ذاته ، فهو نبضات شعورية في لغة سهلة لينة التركيب .

والشاعر إبراهيم علاف يغتبط بالعهد الجديد للتعليم على يد سمو الامير فهد بن عبدالعزيز (خادم الحرمين الشريفين الملك فهد حالياً) عندما تولى أول وزارة للمعارف عام ١٣٧٣هـ ، ويرى أنه فاتحة عهد جديد . ويعرض عليه مشكلة بقايا الكتابيب لتضاف إلى موكب الوزارة ، فقد أدت دورها وحان الآن الاستغناء عنها بالمدارس الحديثة ، فقال في ٥/٥/١٣٧٣هـ :

ماذا أرتل من فخر وتوبه حسب الثقافة ما قد رحمت تنويه (٢)

(١) الديوان ٩٧٠/١

(٢) (تنويه) الأولى : الإشادة بالذكر والثناء

عهد جديد به الإصلاح مفتبط
 †
 هذي الكتابيب قد أدت رسالتها
 †
 يشكو الصغار إليكم سوء حاضرهم
 †
 أولى الرعاية بالإشفاق ليس لهم
 †
 للوراثة عسرق لا تدب له

وهناك مدارس ليلية لمكافحة الأمية أهلية يطالب أن تضم إلى المعارف ؛
 ليكون لها القدرة على مواصلة رسالتها :

وشد بفضلك للطلاب أبنية
 واشمل بعطفك واستصلح (مؤسسة
 شعبة)
 ضمت شباباً أراد العيش طلبتهم
 كم بينهم من ذكي الفهم ذي هبة
 ثم هر يعرض لتحديث المناهج ، ويرى أن تلامس الواقع ، وأن تخضع
 لدراسة تنأى عن الفوضى :

وللمناهج فوضى لا نبوح بها
 لغيركم ، تتحدى أي تنزيه
 عقل الشباب وأبلى في تلويه
 ويدعو إلى ادخال تعليم اللغات الأجنبية في التعليم العام :

وللغات لدينا نظيرة شجبت
 وما لأضيافها يت توليه
 وهو يعرض على الأمير قائد التعليم رجاء يطالب فيه بتعليم الفتاة السعودية ،
 فالإسلام لم يجرمها ذلك ، بل دعا إلى تعليمها . ويدعو إلى الالتزام بالشرع

(١) اشرايت : مدت أعناقها إليه متطلعة .

(٢) من وقت حواشيه : كناية عن الفقر .

(٣) المؤسسة الشعبية : مدرسة ليلية أهلية في أجياد ، ويشرف عليها مجاناً بعض الجامعيين .

(٤) طلبتهم : بكسر الطاء ، أي طلبهم .

في تعليمها :

وللفقاة رجاء لولا الحجاب لما
والعلم في شرعة الإسلام مشرك
وأفضل العلم ما يرعى أوثقها
والأمهات إذا ما كن في سفه
وقفت عنها لديك الآن أبديه
ما كان وقفا على بعض فيحويه
حذار أن تبلى فيه بتشويه
فاحكم على الجيل أن النقص حاديه

ويتقبل الحماسة التي يديها الشعراء للتعليم ، فهو يرحب بقول الشاعر :

أنا نحس فراغاً في مرافقنا
إننا لنرغب عهد البعث في ثقة
وتحت أعصابنا فيض نغابيه (١)
وحساطك النجع فيما أنت تنويه (٢)

والشاعر محمد سراج خراز الذي يعمل في التربية من عام ١٣٦٩هـ ، شهد رعاية خادم الحرمين للتعليم ، وتكوين أول وزارة للمعارف عام ١٣٧٣هـ ، وسطر تلك الحادثة في قصيدة . وهو يتمنى تطوير مرفق التعليم بقيادته ، فينبغي تأسيس جامعات ومبان للتعليم ، وحركة علمية مزدهرة ، وحركة صناعية . ويتمنى أن يعطف على المعلم .

وأمنيات الشاعر قد تحققت على يد قائد التعليم ، فأشيدت المدارس وانتشرت في كل حي وقرية . وأشيدت أول جامعة تحت ريادته ، تلك جامعة الملك سعود في عام ١٣٧٧هـ . والشاعر حتماً شهد الحركة الصباحية من فتيات وفتيات ومعلمين ومعلمات ، كل مهطع إلى التعليم ، فهو يقول (٣) :

ياسمو الأمير إننا عقدنا
قد قطعنا في العلم شوطاً ولكن
بك آماننا شيوخاً ومردا
منك ترجو البلاد أبعد قصدا

(١) فيض من النشاط المهمل الوفير .

(٢) الديوان : ٧٩ ، وما بعدها .

(٣) من قصيدة ألقى في الحفل الذي أقامته مديرية المعارف - سابقاً - تكريماً لسومه بمناسبة توليته وزارة المعارف .

جامعات تشع بالنور دفا
وقصور تزينها روعة الفن
لا كتلك الطلول قد سئم النشء
وضجيجاً من الشوارع صحابا
من صعود إلى هبوط على
غرف بعضها يزاحم بعضها
فقنا اليوم شرّها وأذاها
وأعر عطفك المعلم فالدهر على
كل أيامه وكل لياليه
إن تذق أعين الورى هادئ
او هفت أنفس إلى اللهو
حرم المجد والغنى وتوالت
ما رأى الناس مثله يحرم

ونحن نشهد الآن في كل حي من الأحياء أمنية الشاعر قد تحققت ببناء الصروح العلمية للمدارس في كل حي من مدننا. فالمباني ضخمة، والحجرات فسيحة . ذلك شأن وزارة المعارف ورصيفتها الرئاسة العامة لتعليم البنات ومباني كلياتها .

الامتحان :

ومن قضايا التعليم قضية الامتحان ، حتى قيل عنه شر لا بد منه . فهو الوسيلة الوحيدة للتفاضل ، ومقياس التعليم ، وفيه رهبة تستحوذ على قلوب الطلاب :

تفشي الخوف والقلق وراح الجسد والأرق

(١) محمد سراج حراز : غناء وشجن (شعر) ١٣ .

وهب العزم منفضاً
 وخف النشء يستيق
 فكل يد محملة
 وصائف تشغل القلب
 وتؤذي العين كثرتها
 ويشقى هضمها اللبا
 وأضحى الوقت محسوبا
 وللإنقاذ مطلوباً
 وكان يمـر منسياً
 وبالإهمال مصحوباً^(١)

والتهاون عن متابعة الدروس وشرحها ومذاكرتها ما زال موجوداً عند الطلاب حتى في الجامعة ، فإذا أقبل الشهر الأخير فإنهم يبدأون لعلهم ينجحون . لكن الاختبارات الشهرية وأعمال الفصل خفت من هذا ، وجعلت الكثير من التلاميذ يتابعون أولاً بأول .

المعلم :

المعلم هو صانع العقول ، وهو الذي يبني شباب الأمة ، وبه تتأثر وهو يتفانى في عمله ، محبة لوطنه . لكن المجتمع لم يعطه حقه من التقدير والبدل ، حتى الجاد حرم منه . والناس يعظمون من يحتاجون ، ويلي رغباتهم . فأى وظيفة معاصرة أكثر جاهاً من المعلم .

لكن دولتنا - رعاها الله - تنهت لهذا فأجزلت الرواتب للمعلمين ، مما جعل جل الشباب يتدفقون إلى هذه المهنة .

وقبل هذا أدرك الشعراء مكانة المعلم ، ومايذله لبناء العقول ، بل هم القاعدة لبناء الشعوب والمجتمعات ، لكن المجتمع لم يقدر جهدهم ، وعطاءهم ، ولم ينظر إليهم نظرة الإعجاب ، والتبجيل ، بل كان مرتبهم متدنياً ، مع أنه رافع مصباح الضياء للشباب ، غارقاً بين الدفاتر ، ومتلونا بالمحابر ، عاكفاً على الكتاب ، باذلاً خلاصة عقله وقلمه لفتية المستقبل ، زارعاً في نفوسهم حب الثقافة

(١) إبراهيم خليل علاف الديوان ١٦٧ .

وأسس المعرفة .

يا رافعاً بيديك مصباح السعادة للشباب
يا غارقاً بين الدفاتر والمخابر والكتاب
يا فاتحاً للطامحين من الثقافة كل باب
لا تلق نفسك للوساوس يستبد بها العذاب

فالشاعر يدعو إلى التفرغ بذاته ، ويتعد عن منغصات الحياة وأن يستشعر
السعادة ، فهو المحطم لقيود الجهل والمشاكل ، فكيف يرسف فيها .

رفقاً بقلبك لا تذقه مرارة العنت الكبير
أنت المحطم للقيود فلا تكن أنت الأسير
لا تشك من كيد الزمان وسوطه القاسي الميرير
حر الشكاة يذيب شعة عمرك الحلو القصر

فهو يحث على خوض عباب الحياة القاسي ، ويضرب له المثل بالشمعة التي
تذوب وتحترق من أجل إنارة الآخرين ، بل هو الضياء للسالكين ، يجلو ظلمة
الجهل البهيم ، وهو صانع قادة الأمة ، وعلماتها ، ومفكرها .

أنت السراج يشع إشراقاً لسكان الظلام
أنت الطريق إلى الفخار وأنت ينبوع السلام
فانشر رياحين المحبة بين نشئك والوئام
واسلك بهم نهج الفخار ورد بهم نبع الكرام

وهل هناك فخر أعظم وأفضل من بناء العقول ، وزرع العزائم وينير السبل
فهو رمز الكمال وتحقيق الآمال .

يكفيك فخراً أن ليك تبلورت همم الرجال
تبني الشعوب بهمة وتحرك أبواب الجمال
وتعلم العمى الطريق فيدركون بك المنال
ستظل في سفر المفاخر رمز عشاق الكمال

ثم هو يوصيه فهو الذي حمل الأمانة ، وأي أمانة إنها أمانة العقول فهو الذي يزرع الإيمان ، والنية الحسنة ، والإخلاص في العمل ، وحب المجتمع .

هذي الحضارة يا أخي من واضع لبناتها؟

من ناسخ خطط الحقيقة والهدى لبناتها؟

أنت الأمين على الشعوب وأنت سر حياتها

بيديك ترعى نشأها والنشء جوهر ذاتها(١)

الشاعر عبدا لله الشبانة(٢) ، مارس التدريس ، وهو يسعد به ، فتهفو نفسه لحوار طلابه ومناقشتهم لكنه ، يذكر المنقصات عليه ، ومنها عبث المشاكسين – والأحمق أو الجاني الجاني ، أو الغبي البليد .

أنهيت مرحلة الدراسة كي أرى نفسي أدرس هذه اللبنيات
وأعيش أوقاتي سعيداً بينهم فتمر بي في سرعة أوقاتي
هذا أسائله وذاك أجيبه بالنفي أحياناً وبالإثبات
ما أحسن التدريس لولا الإتيلاء بمشاكس أو أحمق أو عاتسي
أو ذي غباء ليس يفهم دراسته ولديه نثر القول كالأبيات

لكن المدرس يتهيج بالتابعين من طلاب العلم ، الذين يتألقون فهماً ووعياً ، ويتقبلون النصح والتوجيه ، ويتابعون المدرس بالتدوين والمذاكرة ، ويحفظون نفاثس الشعر ، ويعقلون المسائل العقلية :

أما إذا وجد المدرس فتية فيهم من الأوصاف خير صفات
من رغبة في العلم ثم حماسة للدهم ثم تقبل لعظات
ثم اجتهاد للحصول عليه من شرح المدرس أو من الورقات

(١) باعطب : الروض المنتهب ٢٢٨ .

(٢) عبدا لله الشبانة ، ولد في الجمعة عام ١٣٦٧هـ ، تخرج في كلية اللغة العربية عام ١٣٨٩هـ ،

شاعر ، موظف حكومي في دار الإفتاء ، وهو الأمين العام المساعد لهيئة كبار العلماء صدر له

ديوانان : ١- الزفرات الحرى ، ٢- تحية للوطن ، انظر : ظهر غلاف ديوان الزفرات الحرى .

ومع التجاوب للمدرس فطنة
ويتزين ذلك كله عقل فلا
فلسوف يرتاح المدرس بينهم
وهو يرى أن المعلم مريباً يصلح الفرد ليكون متشجاً بالعلم النافع ، والعمل
الصالح ، والشعور الصادق ، وأن يحمل راية الإيمان ، والفكر ليصلح به أبناء
المجتمع ، أو يكون داعية لله حافظاً للقرآن ، مستلهماً حديث الرسول ﷺ .

ولسوف يحرص أن يكون مريباً
ولسوف يرهاها ويبقي دائماً
ولسوف يسهم في بناء حياتها
ويعدها لتكون جند للهدى
ما أعظم التدريس من عمل له
وما دام أن المعلم ، يرث العلم ، ويذله فهو ينتمي لأشرف مهنة ، مهنة
الإيمان ، ومهنة العقول ، ولكي تتم الرسالة فعليه تقوى الله في عمله ، ومع كل
هذا الفضل فإن الشاعر يتمنى على المجتمع أن يرفع من شأن المدرس ، ويعلي
قدره:

إنني أرى التدريس أشرف مهنة
فليتق الله المدرس دائماً
ولترفعوا شأن المدرس كي نرى
جيلاً قوياً صالحاً ومثقفاً
وإلى المدرس والمدرسة التي
ولمعيض البخيتان^(٢) قصيدة بعنوان ((من مذكرات معلم)) يسرد فيها حياة

(١) الزفرات الحزى ٢٣٧ حتى ٢٤٠ .

(٢) ولد في تليلت بالجنوب عام ١٣٧٠هـ تخرج في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، قسم التاريخ ، شاعر له عدد من الدواوين منها ، المحجر ، وشموخ القرية ، وشلال قلب ، وثرى

المعلم من بداية رحلته الشاقة لطلب العلم في إحدى المدن الكبرى ، وأنه يغترب من أجل التحصيل ونيل المؤهل ، يجالذ الزمن ، فيكدح نهاره ويكب ليله في حالة من الإعسار ، وقلة ذات اليد ، فهو غارق في همه ، يكتنفه مجهول المستقبل ، ثم بعد كل هذا ينتقل إلى التدريس في مدن أو قرى نائية أو يتابع الأبناء في بواديهم ، ويجاورهم في خيامهم ، وليس هناك من عائد يعود عليه بكسب يدخره :

تغرب مثلول الجناحين مضطرا	وأب فلا نفعاً جناه ولا ضراً
وماذا على ذي اللب أن ذال سره	وقد شرش الأعراب والقلب والفكر
وبات فلا عزما يجالده الأذى	ولا صاحباً يشكو إليه ولا قدرا
ولم يبق منه الوهم إلا حشاشة	تازعه اثر النوى كبد حرى
عذيري من الأيام نفس أبية	ودرب هو الإيمان لا المين والغدرا
أشك بأنني في البيطة واحد	أغاصها عيشي وأحيا بها قفرا
وأعمل فيها محرماً ومقدساً	وغيري يجاها على وهمها مغري
فلا الليل يطويني أحاديث حالم	ولست على ما فيه قد احمد المسرى

ومع هذا البذل والعطاء ، يقابل بالجحود ، وربما درس أشقياء يشقى بهم مجتمعهم ، أو خائناً لديته ، ومجتمعه أو يميل إلى الفجور والفساد ، والأكثر من يعلن العقوق ويخفو مدرسه ، ويمزق بأسواط لسانه ، بل يرى معالم التكران ماثله عند بعض الذين بذل لهم نفسه وجهده

وغيري قد ينسل جهلاً بسحره	إذا شف من أطيافه الهمس والعطرا
وكيف أحبي فاجراً ينفخ الذعرا	ويمسح وجهاً من عوالمه كفرا
أضيق به والحب ينشر أضلعي	على سركنه الغيب والروض قد يعرى
ولا الصبح منداح الجناح مكلل	بهيته يجلوأ ما ربي الأخرى
يفرق ندماناً ويكشف بانساً	ويحشر فينا من غوائله حشري
وهل يعلم الإنسان أن خلاصه	عقوق يشق اليد أو يقضم الجمرا

الشوق ، انظر : ديران (ثرى الشوق) ، ومعجم الأدباء والكتاب .

إذا كان لا عيش يطيب ولا هوى يذيب ولا خلا يشاطره المرأ
خلياً من الأعوان يرضع جرحه وحيداً ولا أهلاً يريده ولا قصراً
وهذا الكفران قليل لكن الأكثر منه الاعتراف بالفضيلة والمعاملة الحسنة ،
والأفضل من كل ذلك الاحتساب بطلب الأجر والثواب من الله عز وجل .

ومع تسلية النفس بالأجر والثوبة ، فإن الحياة وظروفها تدفعه إلى إن يساير
مجتمعه ، ويرغب أن ينال ما ينال أقرانه من المال والجاه ، لذلك فإنه يئن تحت
وطأة المعاناة ، فهو وإن كان قانعاً لكن يحس بالقهر من قلة المال ، وتناسي المجتمع
له ، وهوانه عليهم :

وبس الفتى يسعى ليملاً بطنه لئيم دنيء النفس من يعبد التبرا
خذ الرزق لا يطغ عليك ولا نزرا ولا تكتب هناك قل وذا أثرى
ومن عاش في التعليم يسفح روحه سيقى فتوعاً بالقليل ومسزرا
غريب فما ينفك يستمرئى القهرا وينفر من أحشائه عيئه نغرا
ويجذب من بلواه آلاف آهة يحمل منها اللؤم والهون والوزرا
بام على أوضاعه وهو سادر على البخس لا خيرا يرجى ولا شكرا
دعوه فقد لا يستنيم على القذى سوى الرخو والمدخول لا يركب الوعرا!!
دعوه فقد مل المواعيد والصبرا وردوا السذي كافتقروا جهده أجرا

لكنه ينتصر للمعلم فهو قد مارس أعظم مهنة ، ورعاها حق رعايتها ،
وأخلص لها ، وأفنى فيها عمره ، تلك هي رعاية فلذات الأكباد ، فهو يغذيهم
بروح الإيمان ، ويفتق عقولهم ، ويربي فيهم السلوك الحسن ، فيهدبهم ، ويرفع
شأنهم ، ويعلي قدر مجتمعهم ، فهذه رمز الفخر والإخلاص .

فقد نال في التاريخ أعظم مهنة رعاها وأولها النفانس والعمرا
وهل منبت الأكباد وهي عزيزة على دمه الغالي غاظله مكرا
يقادح من فوديه جوهرها فدى لأجياله حراً يقود هوى حرا
يهذب أرواحاً ويفتق السنأ ويبني من العدم - الحياة سناً يترى

فلسواه ما جس الحكيم مريضه
ولا رامت الدنيا حقيقة مبصر
ومن حاز هذا الفخر دون مدافع
يصاغ له التمثال من كل خافق

المدرس الذي رأى واقع حياته من ضعف المال ، وهوان على المجتمع ، ألمه
ذلك . وهذه الحالة مرّت على المدرس قبل عام ١٤٠٢ هـ ، أي قبل زيادة مرتبه ،
وكان المجتمع ينظر للموظف الحكومي الصغير أفضل من نظيرته للمدرس ، لأنه لا
حاجة له عند المدرس يأمل قضاءها ، ومن هنا ضعف شأن المدرس

وما خاف يوماً أن يجوع وأن يعرى
ولكنه نادى جهاراً بحقه
ومن يسبق التاريخ في خطراته
كفى جديلاً أنسى ولدت لغاية
وذو مرة مازر برديه عابثاً
وأخلد ما يروي الأديب تأملأ
فيا قارئ: فيما ؟ وعم أنت سائل ؟
ولم يبق مني في تضاعيف دفتر

ولا مسح القيطون كي يأمن النمرأ
وذو الحق معذور إذا كشف الصدرأ
سبحذق مظل الدهر والأين والعذر!!
تؤج مدى جنبي تحفرني حفرا
حوى الخير ، أو سار الذي يتغني شرا
يموج هوى الإحساس لا الزيف والهدرا!!
وقدجرت الأحداث من حرقتي سفرا؟؟
تخونه الأيام أسفع مغبرا

إذن فهو يطالب بحق من حقوقه ، أو بمقدار أدائه ، فهو يجتز آهاته الحرى
ويكابد البوس والضر ، ولا نتيجة له ، وهو يتألم حسرة حين ما يكون أهل
الطرب واللهم أفضل حالاً منه .

سوى آهة حرى وتفكير ناقم
تحلب من شطري دناة وليجة
انظلمه أن صاغ صدقاً حياته
أمانة ما يبني وينك من هدى
ابن لي متى تنصف من الحقد ملهما

يكابد من غراته البؤس والضرأ
وعاد حسير الطرف صفراً ومصفرا
ودبجها نغماً فصيحاً لكي تقرأ؟؟!!
تناقله الألواء من مهجتي شعرا
وتستأصل الأضغان والنظر الشزرا

وتمضي وحيداً في الحياة فرعاً
فإن كنت ذا قلب يرق وناظر
وإن كنت مأموناً على سر أمة
وإلا فذع هذا وذاك ولا تكن
غدى البيت معموراً بسكانه قبرا
يدق ، فطبل وانشد الرقص والزمر!!؟
فكن صادقاً مع فكرها تفهم الدهرا
أقولاً فللإنسان وحشية تضرى!! (١)

وكان لقله مرتب المدرس فإنه يبحث عما يدعم حاله من ممارسة الحرف
والتجارة ، أو الزراعة بل حتى تجارة المواشي أو الجزارة .

فيما مضى كان المعلم مقلداً
تلقاه حيناً في المعارض دائراً
أو كان في الدكان يعرض خضرة
والبعض يذهب للميعة دائماً
ومعاشه المسكين كان قليلاً
بين (المواتير) مارس التديلا
أو قد يبيع مطبقاً ولبيللا
متسبباً يشري شياهاً حيلاً
أو في الجزارة قد يكون عميلا
وبيعها للناس يبغي مكسباً

ومنير العلم بالأفضال شاهدة

وما تقاعد لكن جدد في الأدب

حيوا معي عالماً أجياله شهدت

بفضله والعطا في سالف الحقب (٢)

لكن بعد زيادة الرواتب في عام ١٤٠٢ هـ تغيرت حال المدرسين المادية إلى
الأفضل ، وأصبح ينعم بحياة جيدة تفوق الكفاف قليلاً ، وأخذ يتجه إلى التجارة
العقارية ، من بيع وتأجير ، وبناء ثم بيع ، فانشغل كثيراً ، وفي ذلك ضرر على
مهنته وتحصيله العلمي :

واليوم أضحي دخله متوازناً
لكن أطماع ابن آدم جمّة
وتذللّت حاجاته تذيلا
فتراه يبقى للريال خيلا
ويظل طول حياته مشغولا
قد خاض ميدان العقار مساهما

(١) المحجر : ٥٠ إلى ٥٥ .

(٢) ديوان : هاتف الصحراء ٤٨

يمني يؤجر يشترى ويبيعه
وقت الدوام تراه يخرج خلسة
أو قد يغيب لكي يراقب (صبة)
يا إخوتي إنني أعارض مسلماً
فالعلم والتعليم أشرف مهنة
لكن عبدالمال ليس معلماً

ويعارس الإغراء والتهويلاً
ليقيس أرضاً عرضها أو طولاً
حتى ولو غاب الدروس الأولى
يقي ريب العلم فيه ذليلاً
أكرم بإنسان يرهب جيلاً
كلا وليس موجهاً ودليلاً (١)

لكن معانات المعلم لم تنته بحل مشكلة المان ، وإنما تضاعفت مسؤوليته ، نظراً لما يعانيه من التقلت ، وعدم المبالاة من الطلاب ، فقد كثرت الوقاحة نتيجة لعدم احترام المدرس داخل مدرسته ، لفقد التوجيه من المجتمع والأسرة والإعلام والمدرسة ، ولرفع العقوبة والحزم في المدارس .

والشاعر يقدر مكانة العالم ، فيجعله أمين حسين منير للمعلم ، وهو يرفع من همته ، فهو حين بلغ الستين ما زال جاداً في تأليفه كجدده في شبابه .

وتقدير المدرس لم يكن على المعلم في الابتدائي والمتوسط والثانوي بل تجاوز ذلك إلى عضو هيئة التدريس في الجامعة ، فهذا الدكتور محمد الدبل يشارك الجامعة في حفل التكريم للدكتور / محمد بن سعد بن حسين حين أحيل للتقاعد بعد أن تجاوز الستين ، وحفل التكريم هذا تقدير من الجامعة لأحد أعضاء هيئة التدريس ، ومن أشهر المؤلفين في بلادنا ، فالشاعر يعلن أنه يكرم حبراً في الأدب، وشاعراً مبدعاً ، ومولفاً قديراً ، وهو حين يودعه فإن ذلك بقوة النظام لا قلى فيه، وإنما يعني التواصل والحب :-

ما ودع الروض لكن طار في أفق
يا سائلاً عنه والتكريم يجمعنا
بناه من درر الإبداع في الأدب
حسب البيان جواباً غير مقتضب
بنات أفكاره يخطنون في الكتب
في الضاد حبر وفي آدابها علم

(١) إبراهيم السبيل : نقوش على صفحة المجتمع ١٣ .

محمد بن حسين والملا سبب .. لأن يكرم في جمع من النجب
سعون عاماً قضاها في تجاربه.. موصولة بعطاء غير منجذب
وما جذناه لكن سنة لزممت ليمنع الفضل والأسنى من الرتب
ليس التقاعد خفضاً في عزائنا لكنما هو خفض العيش والرغب

والشعراء يقدرون العلماء الذين حرصوا على تنشئة أبناء الوطن ، ولا سيما الذين يمكنون ربحاً من الزمن ، ويكون لهم تميز خاصاً لعلمهم وخلقهم ومنهجهم وتأليفهم ، فهم يذكرونهم بالذكر الحسن بعد وفاتهم ، فكم رثوا كثيراً من المدرسين العلماء ، ومنه رثاء الشيخ صالح آل صالح من أوائل رجال التعليم في عنيزه .

رحلت عظيماً بالفضائل تذكر فأنت مربى الجيل والجيل يشكر
عهدناك في سن الصبا خير رائد تناضل من أجل العلوم وتسهل
وما كنت إلا الجد في كل مسلك يحوطك إخلاص عليك يسيطر
رحلت وما نساك في كل موقف وكل عظيم في المقابر يكبر
فهو قد قام بتزية جيل بجد وإخلاص ، فكان لرحيله الأثر الحزين في نفوس طلابه وجميع من يعرفه .

وفيت وما جدنا وجدت تسامحاً وحسبك أن الله يعفو ويغفر
فمن كل قلب قد أنرت طريقه دعاء وفاء بالموودة يزخر
وما مات من أعطى الفضيلة حقها وما مات من للعلم يسمو وينشر
نذاؤك في الدنيا مبادئ جمة علوم وأخلاق ودين مطهر
أقدم للفيحاء تعازي مخلص دعاء من الأعماق والله أكبر
لعش في جوارى الله بمطرك عفوه وذكراك بين الصحب مسك وعبر(١)

إذن فالشاعر قد صحب المعلم في سائر حياته في مراحل تعليمه ، وفي معاناته مع قلة الراتب ، ومع تنقله في المدن وتغربه ، ومع معاناته في الفقر ، ومعاناته مع

(١) التقيدان : ترانيم الرمال ١٢٦

مشقة التدريس ، وأعلن الفرحة حين نما مرتبه ، ودعا إلى مسانده وتكريمه ،
وتقديره ، وراثه فور وفاته .

العام الدراسي :

وظاهرة العام الدراسي لها مكانتها في نفوس المجتمع عامة . فلكل أسرة ابن
أو ابنة أو أكثر ، ويرتبط الناس بدراسة أبنائهم ، فيمكثون من أجلهم . حتى
الإجازات ، الأسفار لا تخطر على من له أبناء داخل المدارس . وتريد على ذلك
الأفراح واحتفالات الزواج ، فإنها لها علاقة بعطلة المدارس . وهذه الإجازات
تكون في الربيع بعد انتهاء الفصل الدراسي الأول لمدة أربعة عشر يوماً . ومنها
في عيد الفطر المبارك ، وأخرى لعيد الأضحى وموسم الحج . وابعها وهي
الأطول حيث تقارب الشهرين تكون بعد انتهاء نتيجة السنة كاملة في نهاية
الفصل الثاني . والدراسة خلال الأسبوع ما عدا يومي الخميس والجمعة . وهي
تبدأ من الساعة السابعة صباحاً حتى الساعة الثانية بعد الظهر . يقول النقيدان (١)

أقبل العام فهشت أنفس	تلقاه بروح سامية
وهي ترنو للعلا في كل ما	قد خطته من مساع نامية
حملت فيه بجد علما	لحو علم مسخض رابية
كل نفس للمعالي سمقت	والأمانى في خطاها بادية
تطلب العلم وفيه قبس	وشعاع للحياة الهائيه
لم تذق للنوم طعماً إنما	في بناء المجد ظلت ساعية
عرفت للعلم اسمى نهضة	وثمار من قطوف دائية
لن يكمل العزم منها أبداً	لتخطى عقبات دامية

(١) عبدالعزيز بن محمد النقيدان ، ولد في بريدة عام ١٣٥٨هـ تخرج في كلية الشريعة بمكة المكرمة
عام ١٣٨٣هـ . يعمل موجهاً في إدارة التعليم بالقصيم . صدر له ديوان (ترانيم الرمال) انظر :
معجم الأدباء والكتاب .

تلك روح لشباب يقظ يعرّبي ذي نفوس باليه
فأهنا بالعلم وجدد نهضة أنت فيها كجذور راسية^(١)

التعليم الجامعي :

وأول من تحدث عن التطلعات للجامعة الشاعر حسين سراج^(٢) في قصيدة الجامعة الوطنية ، ورمز إليها بأمناء الخنون ، وقد أوحى إليه بها دراسته في لبنان :

صاح إن تبغ نهضة قومية وحياة تزينها الوطنية
وشابا يهب إذ يتأدى الـ عرب للذود والدفاع حمية
فإلى أمناء الخنون أرسل نشء هذي المواطن العربية
روضة تزدهي بأسنى علوم زيتها أنقى الصفات السنية
ويقول :

ليس يجدي الكلام ما لم يجمل بجليل الأفعال مناسوية
أحرثوا الحقل وأسسوا الشركات وتردوا الملابس الوطنية
وابذلوا ما استطعتم جهاداً كي تموت المصانع الغربية^(٣)

وفي تأسيس جامعة الملك سعود في عام ١٣٧٧هـ قال الشاعر محمد السنوسي^(٤) قصيدة نشرت في الديوان الذي طبع عام ١٣٨٠هـ ، مطلعها :

(١) ترانيم الرمال ٧٨ .

(٢) حسين بن عبدالله سراج ، ولد في الطائف عام ١٣٣١هـ ، صار مديراً لرابطة العالم الإسلامي ، وهو كاتب وشاعر له مسرحيات شعرية ، منها : الظالم نفسه ، جميل بثينة ، غرام ولادة ، الشوق إليك ، وديوان شعر : (إليها) . انظر : معجم الأدباء والكتاب .

(٣) محمد عبدالمقصود ، عبدالله بلخير : حي الصحراء ٢٠٩ ، ٢١٠ .

(٤) ولد في مدينة جازان عام ١٣٤٢هـ . عمل مديراً لجمارك جازان ، ورئيساً لنادي جازان الأدبي . توفي عام ١٤٠٧هـ . جمعت دواوينه في الأعمال الكاملة . ناقشت رسالة ماجستير عن حياته وشعره تقدم بها الطالب / محمد القسومي بكلية اللغة العربية بالرياض . انظر : الأعمال الكاملة ، ومعجم الأدباء والكتاب ، والسنوسي حياته وشعره للقسومي ، (مخطوط) .

العلم أقوى سلاح في يد الأمم
فاصرع به (الجهل) تحيا خافق العلم
ويقول :

هذا هو الأمل المنشود مندققا
وهذه نية الأحلام مثالة
ومنها :

فاخشع فإنك في أرجاء (جامعة)
في كل كلية منها وزاوية
سنا القرائح في أنحائها شعل
وجوهر الفكر في أرجائها درر
والدرس والبحث والتحليل رهنة
دينا تموج وأرواح مرفرفة

ولأن بناء الصروح العلمية من المعالم البارزة ذات التأثير الاجتماعي فقد
سجل جمع من الشعراء أيضاً تأسيس جامعة الملك سعود ، (وسميت فترة من
الزمن : " جامعة الرياض ") فلإليك قصيدة لحمد الحجي قيلت يوم افتتحت
الجامعة بالرياض :

في موكب البعث عن الشعر تغريداً
واسمع الكون أنغاماً مرتلة
لقد رأيت بأرض العرب (جامعة)
تلقن العلم تبدي رفع مشعله
وتدفع الجيل منساقاً بعزمته
العلم أضحي لكم مصباح داجية
هذا الشواهد أنا سيرنا أمم
شباب يعرب هذي فرصة سنحت

وأرسل اللحن في دنياك ترديداً
وامنح خيالك أفقاً ليس محدوداً
قد شيدوها على الإيمان تشيداً
لتبعث الفكر إيجاداً وتجديداً
كيما يساير ركسب العلم مجدوداً
ومنهلاً للشباب الخي موروداً
ولم نعد نستغيغ العلم تقليدا
لكي توصل نحو العلم مجهوداً

(١) ديوان : الأعمال الكاملة ٢٩٠ وما بعدها .

ويومك اليوم لا تركز إلى كسل
وابن إدريس يشيد ببناء المدن الجامعية ، فهو يترنم بتأسيس مدينة جامعة الملك
سعود في طريق الدرعية عام ١٣٩٦ هـ :

اليوم يبدأ تأسيس جامعة
فالجوامع مصابيح لظلمتنا
تمطي المعارف للإنسان والألقا
ومنهل لشباب هب مصفقا
هي المصانع للأجيال تتشلهم
كما يراد لهم أن يلبغوا الألقا (٢)

ويخص جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية بقصيدة أخرى يسجل فيها
تنامي الجامعة وحصاد ثمارها ، وتفاعلها مع المجتمع ، وبناءها للأجيال القيادية في
الوطن . وهي منهل يغذي الأرواح ويبني العقول ويرسي دعائم العقيدة :

مرحى لجامعة الإمام محمد
وتسر درب العابرين إلى الدرى
مرحى لها أرست حقائق فكرنا
ومشت على السنن القويم شعارها
منحت لأجيال البلاد مناعة
بل جاوزت أرض الجزيرة بتغني
من أرخيل الشرق من (جاوا) ومن
حتى جناح العرب في أفريقيما
في كل صقع من منابت مجدها
وبكل ركن من زوايا أرضنا
تفجرت منها النايح لرة

تبنى العقول بمنكة وسماح
وتقودهم طوعاً لكل نجاح
وحته من زيغ ومن أشطاح
العلم في الإسلام خير سلاح
ضد المحراف في العقيدة ماحي
فتح العقول بمبضع الجراح
يابانها الموسوم بالطمساح
زرعت بشنقيط شروق صباح
أثر يزيل معالم الأتراح
علم يضيء كنجمة الإصباح
وخصية كالفيقد السحاح (١)

فهو يشير إلى افتتاح المعاهد في (أندونيسيا) وفي اليابان ، وفي موريتانيا ،

(١) الديوان : ص ٥ ، وعبدالله بن إدريس ، شعراء نجد ٢٠٦ .

(٢) في زورفي (شعر) ١٢٢ .

(١) المصدر السابق ١٣٤، ١٣٦ .

وجيوتي ، وأمريكا ، وفي كل مدينة من مدن بلادنا الغالية .
والشاعر علاف يسجل عملاً من أعمال الملك فهد بن عبدالعزيز ، ذلك
العمل هو وضع حجر أساس لبناء المدينة الجامعية لجامعة أم القرى في مكة المكرمة
في ١٤٠٦/١/٨ هـ ، يقول في قصيدة بعنوان (جامعة أم القرى) :

حجر الأساس وضعتَه يتألق	ومغرب إشعاعه ومشرق
(أم القرى) استوفى به ميزانها	مجداً جديداً في السورى يتعمق
يا (فهد) يارمز الثقافة إنها	تهديك شكراً بالموودة يعنى
وعوالم الإسلام أيضاً ضوعفت	منها التحايا ، والقلوب تصفق
ومن الحضارة لها ومن الهدى	تحصيلها يعطى ، وليس يلفق
عظمت مكة والمشاريع التي	أنجزتها فيها بما هو أليق
صم الجبال بها ثقت ميسرا	صعب المرور وكان قبلا يخفق
والطائرات على المشاعر أعين	إنجادهما مستعجل وموفق
لا زلت للحرمين أسمى خادم	متزلف لله قلبك مثقف
واها (بعبدالله) ثم عقيه	(سلطان) كل للحمي يتأرق (١)

محول الأمية :

والقاري لشعراء بلادنا يندهش من متابعتهم للأحداث ، وتطلعهم الفكري
ووعيمهم ، وإلحاحهم على الإصلاح . فلم يحض على توحيد البلاد تحت قيادة
الملك عبدالعزيز (رحمه الله) ست سنوات حتى نشر التعليم ، بل أخذ الشعراء
ينادون بفتح مدارس محو الأمية لمن فاتهم قطار التعليم فالشاعر حسين عرب
يدعو إليها في عام ١٣٥٧ هـ ، فيعد الوحدة يدرك أنه آن الوقت لكي نستثمر
الأمن واليقظة ، ونتصدى للجهل ، في صراع مرير . ففي قصيدة بعنوان (محو

(١) الديوان : ٥٣٣ .

الأمية) يقول :

آن أن يتمسـر الشـجر
وانعموا بالحياة بسـ
فاجتـوا أينع الثمر
وأنشـدوا في حياـتكم
مجامـة الثغر ، بالوـطر
مجد ماضيكم الأغـر
غالبوا الجهـل ، فالحيـا
ة غـلاب لمن صـير
وانشـروا العلم إنغـا
ساد بالعلم من ظفر

ويشير إلى أن المدارس في المملكة قد افتتحت فأقبل إليها عدد كبير من الذين تجاوزوا العاشرة أو شبا عن الطوق ، فمكثوا فيها بضع سنين ثم مارسوا العمل نهاراً والدراسة ليلاً ، أو هو بدأ الدراسة في المدارس الليلية وما أكثرهم ، وجلهم ينتمي إلى وزارة الدفاع . وقد أجبرتهم الحياة على ذلك ، لأن كل منهم مسؤول عن أسرة :

إن في الشـعب أخـوة
فاتها العلم في الشـبا
فانبـرت تكـدح الحيا
قطعت صيف يومها
ترتجـي العيش في جحـير
وإذا الشمس أدبـرت
عكفت عن سـبيلها
أنفقت في طلابه
حظها في حياتها
كم لنا في الحياة
نالنا من شـرورها
ذكريات لنا توا
شأنها الجهـل وابتـسر
ب ، وفي معية الصغـر
ة ، شـقاء وتضطـر
والتظـلت فيه بالجهـر
م ، من الكـد ، مستعـر
وإذا أشـرق القمـر
تنشد العلم في الكـبر
كل غـال ومدخـر
عرق الكـد والكـدر
عبرة بعدها عـير
ما بقـي ، وما اندثر
لي ، بأضرارهـا ، الضرر

ويحث الفرد ليطلب العلم ، وينادي المجتمع ، ويشير إلى مسئولية أولئك

القائمين على التعليم ، فيجب عليهم أن يهيئوا سبله ، ويشرعوا موارده للناهلين منه ليلاً ونهاراً :

شادها الجهل لا رعى الله	سه في الجهل ، من عذر
علموا النشء وانشروا العلم	م ، في البدو والحضر
لا تنالوا بلومكم	جاهلاً ، ضيع العمر
إنكم سر جهلسه	وتفانيه ، في المندر
إنما يرجع الملا	م عليكم ، مدى الدهر
واقفوا الله في الألى	آدمسعاهم ، القندر
خطر الجهل شأنهم	فادرؤوا عنهم الخطر
فمن العلم ما أعـ	ز شعوباً من البشر

والعلم فيه درء للشر ، وبناء للوطن ، وصلاح للمجتمع ، ويختم قصيدة بالدعاء للمسؤولين الذين بادروا إلى افتتاح المدارس :

ومن العلم ما تهلـ	ل ، عن طيب الأثر
إن في العلم للبلاد	د عن الشر ، مزدجر
ولفق الله عاملاً	بندر الخير فابتر
ورعى العصبسة الألى	غرسوا ذلك الثمر
في سبيل الحياة تبـ	م ، والمجد يزدهر
وجزى الله محسناً	نصر العلم فاتنصر (١)

والشاعر المعلم يوسف عبداللطيف أبو سعد (٢) يتحدث عن نحو الأمية ، في يوم نحو الأمية الذي يذكر بها في كل عام :

(١) الديوان (المجموعة الكاملة) ٢٢٦/٢ حتى نهاية القصيدة.

(٢) شاعر ولد عام ١٣٥٦هـ بالاحساء صدر له عدد من الدواوين منها : أغاريد من واحة النخيل ، وتقاسم على زوارق الأيام وما زال يعمل في التدريس ، انظر : خاتمة ديوانه تقاسيم على زورق الأيام ص ١٥٥ .

تراه من الأسفار يستخرج التبرا
 من المجد تحيي في القلوب له ذكرا
 لمن في سبيل العلم قد لعق الصبرا
 ونال ذرا العليا إذ ذلل الوعر
 بعزم رأى الدرب الطويل غدا شيرا
 من العلم أزهارا لتكسبنا عطرا
 ودام على جهل فموت له أخرى (١)

وقد فاز بالذات من عاش طالبا
 يعرجه علم ربيع بهالة
 لقد رفعت بالعلم هامات عزة
 تبوأ بعد الجهد في الدرس رتبة
 ومن سار في درب طويل لغاية
 تعالوا بنا نحني الثمار ونقطف
 فمن لم يسرم جنى العلوم لنفسه

(١) أغاريد من واحة النخيل ٥٢ ، الطبعة ١٤٠٦ هـ .

المبحث الخامس

قضايا المرأة

- ♦ تعليم الفتاة .
- ♦ الأمومة .
- ♦ الزوجة الصالحة .
- ♦ الزوجان .
- ♦ مشكلات الزواج .
- ♦ الناشز .
- ♦ الطلاق .

تعليم الفتاة :

القضية التعليمية استحوذت على عقول الكثير من الأدباء الأوائل في بلادنا ، فدعوا إليها ، ونظروا لها ، وعالجوا مشاكلها ، ورسموا خططها في مقالات متعددة . ومن ذلك تعليم المرأة ، فقد طرح الأدباء الفكرة في وسائل الإعلام . فهذا أحمد سباعي يناهض بتعليم المرأة في مقالة في كتاب صدر عام ١٣٥٥هـ ، ويعالج القضية بقوله :

" يتناول بعضنا فينادي بالثبور ، ويصم أنصار الفكرة بوصمة التفرنج والخروج على الدين ، وينسى أن من مبادئ دينه فريضة طلب العلم على المسلم والمسلمة ، ثم يتناسى تلك الصفحات من التاريخ المفعمة بأخبار خطب السيدات العربيات المسلمات المتعلمات "

ويقول : " وتهلع قلوب فريق عندما تحدثه عن مدارس البنات ، كأن بدعا من الأمر أن يكون للبنات مدارس ، وما مدارس البنات سوى كتابات (الفقيهات) القائمات اليوم ، مع تعديل في طرقها المتتوية ، وأساليبها ، وقواعدها الضاربة في الفوضى إلى أبعد حد ، وسن مناهج جديدة تدرج بالعقل فتريه تربية صحيحة ، وتعدده لتفهم مبادئ على حقائقها ، ومحاربة الخرافات والخزعبلات ... ومن ثم تهينهن للحياة العائلية ، وتعدهن لسياسة البيت ، وتخصصهن في أصول التربية القائمة على أسس من المنطق والعقل " (١) .

وأمين العقيل عالج قضية التعليم كاملة وطرائق التدريس والمناهج (٢) .
والشاعر ابن حميس (٣) من أوائل الداعين لتعليم الفتاة ، فهو يقول تقديرا

(١) محمد عبدالمقصود ، عبدا لله بلخير : وحي الصحراء ٩٣، ٩٤، ٩٥ .

(٢) انظر : المرجع السابق ١٣٨ وما بعدها .

(٣) عبدا لله بن حميس ، ولد بالدرعية عام ١٣٣٩هـ ، مؤلف قدير وشاعر . نال جائزة الدولة -

لقصيدته " الأم مدرسة " من أوائل الدعوات الصريحة التي نادى بتعليم البنات في زمن كانت الدعوة إليه جريمة ، قيلت بمناسبة تولي الأمير فهد بن عبدالعزيز آنذاك وزارة المعارف السعودية في حفل أقيم له بالحجاز في نزل مصر بجياد (١) يقول فيها :

يا نصر العلم هل من شرعة	تمنع التعليم عن ذات الخبا
إنها في ذاتها مدرسة	إن خيئاً أنجيت أو طييا
فمعاذ الله أن تبقى بنا	دميسة للهوليسنا نجبي
وإذا مسا ثقفت فيانا	أعلنوا ضد النساء الحربا
وانبرى كل يقاسي دهره	ويعيش النساء فينا أعزبا
كيف يرضى عالم جاهلة	تقلب البيت جحما ملها
يخرج الأطفال منها صورة	إن ينالوا العلم ضلوا الأدبا
أنا لا ادعو لأن نخرجها	لتحاذي بالرجال المنكبا
أو تنادي بعقوق أو تُرى	هتكت بين الرجال الحجبا
إنما الإفراط فيها خطل	وكذا التفريط في ما وجبا
سنة الإسلام فيها وسط	شاء من يغبي التعدي أم أبي (٢)

فقد تولى الملك فهد وزارة المعارف ١٣٧٣هـ ، وتمنى الشاعر أن يكون شرطاً من الوزارة يُعنى بتعليم البنات . لاسيما إن الدين الحنيف لا يمنع ذلك بل يوجب على الفتاة قراءة القرآن وتعليم الدين ، وما يؤدي إلى الخير ، والشاعر يدعو إلى الحيلة والحذر ، وأن يقوم نظام التعليم ومنهجه على تعاليم الشرع ،

- التقديرية . أسس عدداً من الصحف بالرياض . له ديوان (على ربي اليمامة) ، وما زال يتمتع بقوته ، زاده الله صحة . انظر : معجم الأدباء والكتاب السعوديين ، والموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي ١٩٠ .

(١) على ربي اليمامة ٢٣١ ، الطبعة الأولى .

(٢) المصدر السابق ٢٣٣ .

ولا يخرج عن هذا الإطار

وهذا طاهر زمخشري^(١) يصدق بشعر في مستهل تعليم البنات بقصيدة :
 من وراء الخمار ألمح نوراً فاض بين السطور بجري ثمرا
 في (حراء) الغراء في الأمل المشـ سرق أهدى إلى الحياة بكورا
 والنباشير في الملاءات لفتت في الثيابا من الخرائد حورا
 سكبته حرائر تحرس الورق ومنها الصدى يروي البحورا
 والقوافي مرجعات لما تمقن سحرا ورونقا وزهورا

فليس الغاية المظهر بالاحتجاب ، وإنما غاية التعليم أن يشرع في طلب العلم
 النافع فيبدعن ويتكرن ، ويتزين بالأخلاق الفاضلة ، ويجتنب المظاهر السيئة ،
 فينمو الوعي ، والعقل ، كيما تختار الفتاة ، ما يلائم دينها ومصحتها وصالح
 مجتمعها ، وكى تمارس حياتها المنزلية بوعي وعلم ، وقدرة على التدبير المنزلي ،
 وأن يكون لها دور في الحياة ، ينتمي إلى دور أسلافهن من نساء الصحابة
 كعائشة وأسماء ، فقد كانت أسماء ذات النطاقين لها دور كبير في إخفاء أثر
 الرسول ﷺ عند الهجرة .

من وراء الخمار ألمح إشعاعاً أعاد الماضي إلينا نصيرا
 مشرق الصفحتين يزهو بمن قمن يناقسن بالعلوم الذكورا
 ما تزين بالذي يكسب الإثم مجونا وبهرجا وغرورا
 بل تحلين بالذي يجعل الدور جنانا والمخضات بدورا
 وتمنطقن بالذي زان أسماء فكانت أولى الشمس ظهورا
 عرفت دورها الخطير وأدته فكانت للصاحين نصيرا
 تتوقى العداة قد أشهروا الموت وتخطو على القناد وثيرا

(١) ولد عام ١٣٣٢هـ ، مكة المكرمة . شاعر صدر شعره في مجموعات شعرية ، من شعراء المملكة
 العربية السعودية ، نال جائزة الدولة التقديرية . مات عام ١٤٠٧هـ ، انظر : الموجز في تاريخ
 الأدب العربي السعودي ١٣٧ .

ثم تمشي للغار في قمة التل ، وتجتاز بالثبات الوعورا
تحمل الزاد للنبي وخذن عاش بالحب عند طه الأثرا
وهو أصل لها فأكرم بفرع طاب من الجني وطابت جذورا
والحمراء اختها ، وهما الصنوان طهورا وعفة وعبرا(١)

وتعليم الفتاة استهل رسمياً عام ١٣٨١هـ ، ولم يتهياً لها الالتحاق بالجامعة إلا متأخراً ؛ لقلّة المتقدّمات لها ، مما جعل الشاعر محمد المغربي (١) يعث بابتها أميمة إلى جامعة جنوب كاليفورنيا ، والقصيدة تفيض بوجدان الأب ، فهي بعض من القلب ، بل هي دائمة الحضور :

أستودع الله ما أغلى وديعته بعضاً من القلب تشجيني مواجعه
لم يعرف البين لم يخبر مواجده حتى استحر لما ترقى مدامعه
فارقته وهو ملء المقتلين رضا وملء قلبي وما ضمت نوازعه
هذا القلب الذي يتفطر وهداً على ابنته ، والذي تنقله غربتها وبعدها ، وما تحمله من إرهاق ، ما تعانیه الفتاة البعيدة عن والديها ، فهذه الأبيات تمثل قلب الأب المشفق على ابنته ، ولولا الأمل الذي يعقده عليها لتكون رائدة لبنات جيلها في ميدان العلم لما بعث بها إلى تلك الديار النائية وهو يوصيها بتقوى الله وطاعته، والمحافظة على إيمانها وسلوكها .

كم نازح وشغاف القلب مسكنه وحاضر كاللقى لم يسدر موضعه
يامن تحملت منه بعد فرقتيه شوقي إليه وأشواقاً تنازعه
ومن تميت أن تشفى مواجعه لو كان يحملها قلبي وتفعه

(١) مجموعة النيل ٤٩٧ .

(١) محمد علي المغربي ، ولد بجدّة عام ١٣٣٣هـ ، رأس تحرير (صوت الحجاز) اتجه نحو التجارة والأعمال الحرة . له مؤسسة ضخمة . وله نشاط علمي منها التآلف ، فقد ألف عن (أعلام الحجاز) في ثلاثة مجلدات ، ويكتب الرباعيات مات في عام ١٤١٧هـ الموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي ١٣٤ .

هذا الدعاء ، لباب الله نرفعه
تهديك في الدرب عيناه ومسمعه
مبسوطة لك بالتوفيق أروعه
من ذا يسراع وباب الله يمنعه
♦
تهفو إلى العلم تصيها روانعه
فؤادك الحر - إن العلم ينفعه
لنخبة من بنات العرب مشرعه
فتحا يدل به الرائي وسامعه
من الفضائل تهدينا مطالعه
ثلاثة وعماد البيت يرفعه
إلى المكارم . هذا المجد أجمعه (١)

يا حبة القلب يا أغلى لآئه
يصونك الله ترعاك عنايته
تقوده يمناه يمناك وراحته
فلا تراعي وعين الله ساهرة
♦
يا زهرة في رياض الدرس ناضرة
عي من العلم أروى من مناهله
شقي إلى المجد درباً أنت رائده
حتى تمدن إلى أحضان أمتكم
تهضن بالوطن الغالي عن سنن
الدين والعلم والأخلاق أعمدة
فاستمسكي بعمود الله واستبقي

في أول حياة تعليم المرأة كان هناك اندفاع قوي ، عملت وسائل الإعلام -
لا سيما التمثيل منها - على بلورة هذه المغالاة ، فأخذت تلك الوسائل ترسخ
فكرة الجامعة أولاً ، ثم الزواج ثانياً ، فأخذت الفكرة تنغرس في نفوس الكثير .
يقول إبراهيم خليل علاف :

تنأى عمن التزوج
رييفة التـدرج
بصدرها المـزوج
قد عـف عن تسـرج
وملتقى التـسـارج
تسلحت بأدعج
بخدم المـسـرج
بانفها المـسـرج

وشبكة التـخـرج
بكفها حقيفة
كطفلسة عزـزـزة
هي الريبـع موكبـا
يفنيك حسنا بعضه
أجل بها من طلعة
فيها الحياء حسالم
والطهر هـسب شامخا

(١) المنهل ، ع ٥ السنة ٢٥ مج ٢٠ جمادى الأولى ١٣٨٩ هـ ص ٧٠٨ .

ويقول :

ما أنت إلا واحدة محاطة بعوسج
أزهارها آثارها تعصي على التدحرج
موفورة مذخورة لسقطاب المنهج (١)

فنحن لا نشك في نزاهة الجامعة ، ولا ريب في ذلك إذا أتيح لها دراسة منفصلة ، وفي كليات وجامعات تجعل تدريس المرأة منفصلاً . أما إعجاب الشاعر بإعراضها عن الزواج ، ذلك في عام ١٣٨٤هـ ، في مستهل التعليم فكان نتيجة ذلك أن برزت ظاهرة العنوسة لأن مجتمعنا يحرص على الزواج مبكراً ، والجامعة لا تنهي دراستها إلا بعد أن تتجاوز العشرين ، الأمر الذي أوجد عدداً من العانسات .

والذي أراه أن لا تعارض بين الجامعة والزواج . فالأولى أن الفتاة إذا بلغت سن الزواج فإنها تزوج لمن يرضى دينه وأمانته ، مع المحافظة على مواصلة الدراسة . أما إذا وقفت مواصلة الدراسة في طريق الزواج فهو أولى .

وقد طرحت القضية على بساط البحث مراراً في الصحف المحلية ، منهم من يرى أن سبب العزوف عن الجامعات يتأتى من جانبهن ؛ لأنهن يرغبن في الكفاء الثقافي ، ولأن نظرة التعالي عنهن لم يحصل على مستواهن تتبلور فيهن .

لكن الواقع أن هذه حالات فردية ، فقد أقبل الشباب على التزوج لكثرة المتكافئين ثقافياً ، ولأن الجامعة لم تلزم نفسها بالجامعي ، وللوعي الذي تنامي في المجتمع . فقد أخذت المرأة السعودية على عاقتها القيام بالعمل التعليمي للبناء في جل شأنه ، والعمل المنزلي ، والتربية . فالقادرة على الوفاق بين هذه الأمور هي تلك التي تنال الحياة الزوجية السعيدة .

ونتيجة لهذا الوعي وتأخر التأهيل الجامعي إلى ما بعد العشرين فإن كثيراً من

(١) الديوان : ٣٢٣ .

الفتيات يتزوجن في مراحل الجامعة الأولى ثم يكملن دراستهن ، فتأخذ بالحسنيين معاً .

والشاعر الفيقي^(١) يصور لنا حياة الطالبة التي التحقت بالدرس والتحصيل بافتتاح رئاسة تعليم البنات عام ١٣٨١هـ ، وقد دأبن على مواصلة التعليم في مشاورة وجد ، وأخلصن لطلب العلم ، في عفاف وطهر ، وهو يوضح روح التنافس والانتماء إلى الدين والعادات السليمة :

جمعت خير الصفات	وتخلصت بالثبات
ثمرت عن مساعدتها	فأنت بالمعجزات
ومشت في الدرب سعيًا	رغم كل العقبات
قطعت شسوطاً بعيداً	بالجهد الخبيرات
قالت الجهل سأرميـ	به يحجر الظلمات
أطلب العلم بعزمي	واجتهادي وثباتي
وإذا أهملت يوماً	في أداء الواجبات
ومضى وقتي هباء	في سماع الأغبيات
ودخلت الفصل كالعمياء	ء بين المبصرات
دون أن أهتم بالدر	س اهتمامي بالصلاة

فهو يشير إلى فضيلة تعليم المرأة فقد كانت تقضي وقتها في ملل أو سماع لهو وطرب ، لكنها اليوم تحرص على تنظيم وقتها ، فهي تشاير على حل الواجب ، وحفظ المطلوب حفظه ومعاودة المادة من أجل الامتحان خشية الرسوب الذي يهز كيان الفتاة وأسرتها ، وما أشد وقعه عليهن ، وكذلك تتعلم أمور دينها وديناها .

(١) علي بن حسين الفيقي ، شاعر يعمل بوزارة الدفاع ، من موسمي نادي الطائف الأدبي ، صدر له : أجراس ، ورحلة العمر ، وأزهار ، والذكريات ، وزائر المساء . انظر : معجم الأدباء والكتاب .

وأسى يوم امتحاني
وبكت أمي وفي عيني
ورأيت الحزن في وجهه
أي معنى لوجسودي
غير أني سوف أبقى
وأريه من بساتني
وبأخلاقي وعلمي
وحياتي وابتعادي
سوف أحظى باحترام الناس
في عهد الراسيات
منات العسرات
أبسي والأخوات
وأي معنى لحياتي
قدوة للطلاب
من خيمار الفتيات
وعفاف المؤمنات
عن جميع الشبهات
في كل الجهسات (١)

وهو يدرك أن العلم ينمو بجانبه الخلق الفاضل ، الذي يقوم على الحياء والعمل الصالح والابتعاد عن الشبهات ، حتى تحضى بالتقدير والثناء .

فالقصيدة بعد أكثر من عشر سنوات من بداية تعليم البنات ، وقد رأى الشاعر معالم نهضة التعليم في البلاد ، وقد اقتنع الجميع بتعليم فتياتهم ، وازدهت الأحياء بالمدارس . والآن مدارس البنات من الابتدائية والمتوسطة والثانوية تتناثر في أحياء المدن والقرى في تصاميم مطابقة للعمارة الإسلامية ، وتنظيم يمنع الاختلاط، فلا تخرج الفتاة إلا مع ولي أمرها . ويتفرع من الرئاسة وكالة الكليات، وقد افتتحت عدداً من الكليات في مدن المملكة أشبه بالجامعات الصغيرة ، وهناك عدد من كليات إعداد المعلمات أيضاً إلى جانب التحاق الفتاة بالجامعات في أقسام خاصة بهن .

والشعر وصف صحب الأطفال في المنازل ، والتنافس بين الأخوات ، وما يثيرهن ويؤدي إلى الصراع ، والتنافس ، ثم يصور حالتهم في الصباح عند الاستعداد لليوم الدراسي ، فهذه تسرح شعرها ، وهذه تبحث عن حذاتها ،

(١) الفيضي : رحلة العمر ١٩ .

وهذه تشتم أختها وغيره مما يتبرم منه الأب والأم في حينه لكنه يستلذ به بعد ذهابه :-

وللقأ ، وأعباء ، وأطفالا	وكما تركت البيت ما زالا
حلّم النظام بهنّ أطلال	و ((معاركاً)) بين الصغار غداً
شدّت يدي ، قفزت على ظهري	أخذت كتابي ضيّعت قلّمي
عما كرهت ، ولحسن لا ندري	ذات الحياة ... وربما اختلفت
حرباً يكون وقودها أختي	فإذا الصباح أطلّ خضاهها
زُلّقى تسائلُ : أين مريّلي؟	هدى تقول : حذاؤها ضاعا
وتصيحُ ليلى : لم أجد قلّمي	وسهام تبحث عن حقيبتها
وأنا صحت فلم أجد كتي	فتجيها نجلاً بدمعتها
ويجدُ أهل البيت في الطلّب (١)	فإذا انصرفن تقوم معركة

الأمومة :

أكثر الناس إحساساً هم أولئك الشعراء ، فهم يصورون المآسي تصويراً شعورياً ؛ فينطقون بلسان المصاب ، وقلوبهم تستشعر الواقعة . حتى الأمومة يصفونها في مسرح مأساة احتراق ولبدها فهذا الغزاوي يصف مشهداً حزيناً ، حيث يحكي احتراق طفل لإحدى بناته :

أحاط بها مثل الإطار (صغارها)	وقرته بهم عينا وطاب نهارها
ولي (حجرها) طفل غريب كأنها	تقسم فيه روحها (وفقارها)

فمشهد الأم وقد أحاط بها أطفالها ، هذا يجبو وآخر يعبت ، وثالث يزاحم ، وكل منهم يجذبه حنان الأم الذي لا نظير له ، وكيف وهي ترنو إلى ابنها بين أختيه الذي لم يتجاوز الثالثة من عمره ، ويكتمل فيه الصفا .

(١) حمزه شحاته : الديوان ٣٣٨ .

رضيع كصفر العطل لم يعد (ثالث) (١) وكالعين يستهوي القلوب احورارها (٤)
تناغيه (٢) جذلي (٣) وهو يرقص غبطة ويمضي يديها حوله ويسارها
واخوته صفرى وكبرى لقاءها يدا عينه والأم يملو الفزارها

وهو يسجل ظاهرة كانت جديدة متطورة ثم أصبحت قديمة ، تلك وجود الغاز وإشعاله تحت قدر كبير من الماء ، لتغسل به الملابس ، ويستخدم الماء أيضاً للطبخ ، وغير ذلك . وفي ذلك خطر على الأطفال ، فإنهم يعشون ، ويرتطمون به كما حدث لهذا الطفل ، وقد سمعت بحادثة مثلها .

تطلعن يبغين الحليب وأنه لبالقدر يغلي كالغمام (بخارها)
ومن تحتها " فوار غاز " كأنه صدى (ديمة) يروي الأديم انها رها
♦ ♦
مشت نحوها (زحفا) وضمت حفافها فمالت بها واشتب فيها أوارها
♦ ♦
هنالك لم تملك من الأمر حيلة وألقت (حشاها) واستعز خيارها
رقت طفلها بالنفس حيث رمت له بعيداً وراعها على الأرض نارها
وبالرغم منها والقضاء مسلط أصيبت وأعيها عليه اصطارها
فضج وضجت بالبكاء وأقبلت إليها هياماً والخنان حمارها
♦ ♦
تقولوا ألا اسلم (فلذة الكبد) ولأمت فداءك والآلام يذكو استعارها
إذا انطلقت من قلبه (الغض) آهة عدت (صرخة) منها عميق قرارها

فهذا تصوير لمعاناة الأم التي يتلوى طفلها من شدة الألم بل يخامرها فراقه للحياة فما أشد تلك الحالة؟! إنها نقلت لنا تشخيصاً لتلك الأم الحزينة .

وتجهش حسرة أمها (وقرينها) ووالدها إذ هم عليها سوارها

(١) ثالث : لم يتجاوز السنة الثالثة من عمره .

(٢) تناغيه : تحادثه بما يمجبه من أصوات .

(٣) جذلي : فرحى .

(٤) احورارها : الحور في العين بياض شديد مع سواد شديد .

يودون لو كانوا الفداء وما عسى تفيد المنى والأهليات ابتكاراً (١)

فالجدة والجدة يحملان همّ الأم ووليدها فهما يودان لو فدياه بنفسيهما .

• وحياتنا المعاصرة ضمت ظاهرة الدلال للأطفال من ناحية رغيد العيش

ووفرة المال ، وغياب الزوج في عمله ، وأضحت مراقبة الطفل من قبل والدته التي

يغلب حنانها له وإدلالها على جانب الحزم ، وكذلك تفضل خدمته على جانب

اعتماده على نفسه . وزاد تحكم المرأة في المال من الثريات والمعلمات ، فهن

يغدقن على أولادهن ، وهذا يولد الاتكالية ، ولا ينشئ الناشئة على التطلع

والتنافس ، فيصاب بالخمول . يقول محمد إبراهيم جدع في قصيدة (الأمومة) :

أماه قد أمعنت في إيذائي بحنانك الفياض في إنشائي

فورطت في كل الأمور محاذرا حد المخاطر فافتقدت هنائي

وبقيت لا أقوى على نيل المنى وأميل للأوهام في أهوائي

أماه لو كبرت بناء مقاصدي ونشأت بالتوجيه في إنشائي

نشأت بين العاملين بهمة فياضة ترمي إلى إعلائي

ونشرت بين العاملين رسالتي وفرضت نفسي في طريق رجائي

وعلوت عن سخف النفوس ووهمها وبقيت حرا لا يهد بنائي

أماه ما نيل الفخار طراوة وميوعة تجني على الأبناء

لكن جهداً وارتقاء مصاعب تسمو بأمتالي إلى العلياء (٢)

والشاعر إبراهيم فوده يتحدث عن أمه وهي في مرضها :-

لأول مرة أحسست دمعني كجمر النار حرقني لظاء

على أنات والدة رؤوم براها الشوق بالغ منتهاه

ومنها :

وإن أحيأ لخدمتها فحسني رضى يضفي على قلبي سناه

(١) الديوان : ١٢٦٦/٢ .

(٢) محمد إبراهيم جدع : المجموعة الكاملة ٦٧

فصبراً أم إبراهيم صبرا
علي بعد يطول بنا مداه
هي لي من دعائك كل زادي
للا زاد مع التقوى عداه^(١)
وله قصيدة في رثائها ومطلعها :
أمي ومن فقد الأمومة
شبه من فقد الحياة
هي شحنة الحب التي
بلغ الوجود بها ذراه^(٢)
والشاعر الدكتور عبدالرحمن العشماوي^(٣) يستلهم شعره من حواء في ديوانه
(إلى حواء) ، وكانت الأمومة النبع الذي يتدفق زلالا صافيا^(٤) ، فالشاعر
يقذف بنبضات قلبه في تموجات وجدانية ، فيقول في قصيدة (دمعة علي
سماعة الهاتف):

بعث الصوت كامن الأنجان
مثلما سرني فقد أبكاني
نقل الهاتف الحديث المرجى
فسرى الدفء والرضا في كياني
أي صوت هذا الذي خالط النف
س وأحيا النشيد فوق لساني
إنه صوتها نشأت عليه
نغم فيه قصة الإنسان
صوتها لم يسزل يعانق قلبي
فيه فيض من عطفها والحنان

(١) مجالات وأعماق (شعر) ١٤٥ .

(٢) المرجع السابق ١٤٦ / أ .

(٣) ولد في الباحة عام ١٣٧٥هـ ، وتخرج في كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، والتحق بالكلية معيداً ، وقد نال الدكتوراه في النقد ، وهو عضو هيئة التدريس في الكلية ، وهو شاعر إسلامي ، بل يتصدر الشعراء الإسلاميين المعاصرين له . وصدر له عدد من الدواوين منها : إلى أممي ، صراع مع النفس ، مأساة التاريخ ، رواية شعرية ، وله حوارات فوق شراع الزمن ، وقصائد إلى لبنان ، وبائعة الريحان ، ونقوش علي واجهة القرن الخامس عشر ، إلى حواء . وله كتاب الانحياز الإسلامي في آثار باكثير ، ومن ذاكرة التاريخ . ورسالة الدكتوراه : (البناء الفني للرواية التاريخية الإسلامية) . انظر : معجم الأديباء والكتاب ٢٣٨ .

(٤) د عبدالرحمن العشماوي ، إلى حواء ٣٩ ، مكتبة الأديب الرياض .

والشاعر فقد أباه صغيراً ، فتولت أمه تربيته ، فعانت الأم تربية الأبناء
وعرضتهم العطف والحنان ، وهو يتألق سروراً وفرحاً لما يرى أمه تتجهد ليلاً :
وفي ترانيمم ابتهاجاتها
صدي يفك الدمع من أسره
كانها سر الهسدي كامن
وقد طسواه الليل في صدره
ثم يفيض في ذكر معاناة الأم في تربية أطفالها ، ناقلاً الوفاء للأب الذي يتألم
الشاعر لفراقه المبكر ، لكنه يتسلى بملء الفراغ بهذه الأمومة الحانية :

أبي وقد صرت بعيد المدى
وهل يسرد المرء من قبره
ليتك تصحو - يا أبي - ساعة
لكي ترى الإخلاص في قدره
لكي ترى مرتع أحلامنا
نسروح الآمال من زهره
لكي ترى أمي على عهدا
ترضعنا الإيمان في نهره
أبي لسو شاهدتنا نقضي
من جها السامي سنا فجره
أمي وضحت بالشباب الذي
سرنا إلى الأجداد في نوره
كم ذاك صعب يا أبي أن يرى
ساع ويعطي الناس من عمره (١)

والشاعر محمد بن سعد المشعان يهتف بأمه قائلاً :

أحبك حباً يليق بما
أضاء به الصبح في مفرقك
أحب حنانك حباً لأنني
أرى ألق العطف في ناظريك
وترعبني خطوات السنين
ومر الزمان على وجنتيك
أحبك .. أماه ، من لانمي
وألثم كتفها يديك (٢)

فهذه التي أسلفت نماذج من الشعر عن الأمومة ، فقد وصفوا عاطفتها عند
حوادث الأولاد ، وكيف تفديهم بنفسها ، وتفطر أسى وحسرة ، وصفوا
رعايتها لأولادها بعد فقد والدهم وكيف تتلبس الحزم والعزم ، والمعاناة في سبيل
تربية أبنائها تربية حسنة ، مع التزامها بالقدوة الصالحة لأولادها ، واستعانتها بربها

(١) المرجع السابق ٥٨، ٥٩ .

(٢) ومضات (شعر) ٧٩ ، النادي الأدبي بالرياض .

الذي تدعوه متهجدة خاشعة .

وهم قد رثوها رثاء حاراً ففاض شعرهم بمشاعرهم الحرى ، ودموعهم الحارة، وهم قد أحسوا بثقل السنين عليها حين تتقدم بها السن ، وتتراحم عليها الأمراض .

البنات :

ولع الشعراء بالمرأة ، وتأثرهم برقتها وملحها ، ولطفها فإنهم داعبوها طفلة أكثر من مداعبة الأبناء ، بل جعلوها أنسهم ، ورياضتهم في دورهم ، ومصدر سعادتهم ، فهي نور عيني الشاعر ، وراحة باله ، وهي سالت همومه بمداعبتها ومرحها الذي ينبع من طفولة بريئة ، فالأقوال والحركات والمحاذثة من البراءة تجلو الثقل من جد الحياة وهزلها بل هي شفاؤه من مرضه إذا مرض .

يا جوار الحبيب يرتاح بي
أمنحيني سوية من بهار
عني اسريح جسما وروحا
قد بلوت الحياة جداً وهزلاً
فإذا كل متعة لا تساوي
يا ترى من يكون أغلى حبيب
يا دواني إذا شرفت بدائي
يا سروري في صحبتي واعتلالي

والشاعر يتدفق حباً وحناناً وشغفاً بابنته ، فهي أنسه وهناؤه ، وملاكه التي تغرد في البيت ، فالطفولة نعمة من الله سبحانه وتعالى ، ينعم الله به على الأسرة كي يستشعروا حياة جديدة ، فالردود المعنوي أعظم مما ينتظر منهم من الخدمة والمال فوجودهم في المنزل يملأ الحياة على أهله ، مداعبة ، ومكالمة وإحساساً بهم، فهم يشغلونه عما عداهم ، فكأنهم بمثابة المتزهات والرياض الغناء ، فهم أقرب إلى الطبيعة الجميلة ذات المنظر الجميل ، والرائحة العطرة ، والجداول المتدفقة .

يا ملاكاً بدولها البيت خمالي
بسمات على شفاه الليالي
باشتيق لشربة من زلال
غبت شهراً عن الحبيب الموالي
عن يميني وثرة عن شمالي
حطمت كل لعبة بانفعال
بعثت كل ما تراه حيالي
عن مضايقتي أوان انشغالي

أنت أنسي وراحتي وهنائي
أنت في نظر المحب المعنى
طفلتي إن ظمنت عُدت إليها
وإذا غبت بعض يوم كأي
حركات برئية تصوالي
كلمما غضبت علي منالي
كسبي ودفاتري مزقتها
وإذا قُلت يا منى القلب كفي

ثم يتدبر حركاتها الطائشة راحة لنفسه يحتملها فهو يقبل غضبتها ، ولعبها
بل تمزق كعبه وتلك يعاني منها الباحثون . بل يستمتع برفضها ودلالها واختيالها
المعاند ، حتى إيقاظه من النوم بعد الجهد فإنه يراه حسناً مع أن التنظيم أحسن
في نظير .

واستمت الشعراء بعث الأطفال ، فهذا يخطف عقل ، وهذا يسقط غزوة
ويخطف ما في جيبه لكن كل ذلك ينجلي بيسمة من الطفل واعتذار متكسر
الكلمات ، أو بدلال ورقة .

أطاحت ((بغزتي وعقالي))
أيقظتني بصوتها المتعالي
بينما تستمر في الاختيال
عاصف وتراشق بالنبال
واعتذار برقعة ودلال

أمعنت في العناد قولاً وفعلاً
وإذا غمت بعد جهد جهيد
فأضيق بها وبالسبب ذرعا
ذاك دأبي ودأبها فصراع
أو سلام متوج بابتسام

ثم هو يعود إلى مطالب الأطفال الأشد وقعاً على الأب إذا لم يكن قادراً ،
فطلباتهم تتوالى ، وتظن أن والدها قادر على كل شيء ، فما عليه إلا تلبية الرغبة
الجائعة أحياناً ، وهم لا يقبلون لمعاذير ، ولا يفهم لغة العوز وقلة ذات اليد ،
والانتقال على الآباء في هذا المجتمع الممتزج ما يراه الأب عائق بنفس ولده من

رؤية لزميله وقرينه في المدارس ، والأب عاجز عن تلبية تلك الرغبات ، وهذه حالة ظاهرة ولاسيما عند البنات .

يا لها من صغيرة تمادى
كل شيء تريده من أيها
طلبات في إثرها طلبات
ليتها تنتهي إذا قلت مهلا
أشرح الحال مرة بعد أخرى
حسبت أنني على كل شيء
طلب المستحيل سهل عليها
سألني من كل قلبي وحمي
أطلبني مهجتي فليس لدي

وحدث الشعراء عن البنات كثيرا ، وفي المقابل لم أعر إلا على النزر اليسير من شعر الشاعرات عن الأبناء ، فلم أجد مثل هذا اللون إلا في شعر الشاعرة سلطانه السديري ، ومريم البغدادي .

فسلطانة السديري تقول عن ابنها (فهد) :

قميت لو الحديدك بعمري
حضنتك طفلاً .. يلوذ بصدري
وتغفوا وترعاك عيني بسهدي
لأنك يافهد نور الوجود

وتشير إلى غيرة الأم من زوجة الابن :

فإن شفتك الحياة بغيري
ساحضن طيفك بالنور بغيري
وأنتك صدراً يصون العهد
وأدعو لك الله كيما تسود^(٢)

أما الدكتور مريم البغدادي فقد تحدثت عن ابنها (عدنان) في طفولته ،

(١) يناير الربيع ١٠ .

(٢) على مشارف القلب ٣٧ .

وفي غربتها عنه ، تقول عن مولده :-

قد جئت نورا في الأركان يهدينا
ما عاد شيء يا عدنان يَكِينَا
(١)

عدنان أهلاً قد أزهرت واديننا
يا من ملأت علينا البيت يا ولدي

وتقول عنه في الغربة :

وأهنا ممن يحياها
يعد للحضن يرعاه (٢)

متى يا رب ألقاه
لقصد طال الزمان ولم

وننقل للقارئ قصيدتها (نداء القلب) لتنقل لنا عواطف الأمومة تجاه الأبناء

التي تماثل عواطف الآباء تجاه البنات :

حياة الروح والقلب
حديث السعد والحب
ويهنأ القلب بسائقرب
تعالى أمكث على الرحب
سعادة قربك العذب
بل أنت النبض في قلبي
فدأبك في الهوى دأبي
كي ألقاك في الدرب
فعمري أنت يا حبي
بقربك يخفسي كربي
أجد في قربكم طمهي
تحمّد عن درب ذا الصب
نداء القلب للقلب

سيأتي اليوم عدنان
سيأتي كي يشاركني
سأحضنه والتمسسه
منى نفسي فيا ولدي
حيبي أنت تمنحني
الست أبني وجوهرتي
صغيري يا ضيا عيني
وها انذا أغتة السرير
فسر لحوي وخذ عمري
لأنت البهجة الكبرى
وإن داء ألم بنينا
صغيري جيء وعجل لا
ينادي القلب هيا أسمع

(١) عواطف إنسانية ١٠٠

(٢) المرجع السابق ١٠٥ .

بُنِي أَرْفَقَ بِأَمِّ لَمْ يَعْذِبَهَا سِوَى الْحُبِّ
وَبَعْدَ ظُلْمٍ يَقتُلُهَا يُضِيفُ الْكَرْبَ لِلْكَرْبِ
وَهَاهِي ذِي يَشَاغِلُهَا هَوَاكُمُ ذَاكَ مَا يُسِي
لِذَا عَجَلُ بِهَذَا الْقُر بَ إِنْ السَّعْدُ بِالْقُرْبِ (٣)

التقليد :

هيمنة الغرب المادية والتقنية ، والهجوم الفكري والسلوكي أغرت كثيراً من المجتمعات إلى إقتفاء أثرهم . فالغرب اتخذ من الحرية باباً أوسع من الحرية ذاتها ، فالحرية الإنسانية محددة بالإطار الديني ، ومحددة بالإطار العقلي . وكثير من علماء النفس يرى العقلاء الأسوياء لا يخرجون عن إطار الأسس الاجتماعية .

وكان بين المسلمين والعرب من نادى بمتابعة الغرب وتقليدهم في السلوكيات ؛ لأنه في نظره القاصر لا تكتمل إلا بذلك . ونسي أن العاقل - فضلاً عن المسلم - يجب أن ينتقي الأصلاح ويأخذ به ، ويعرف ماهية الطالح ويحذر عنه .

وقد كان للشيطان ميدانه الفسيح في هذا ، فأغرى بعض الفتيات للتبذل والتقليد في الملابس البعيدة عن الروح الإسلامية ، والخارج عن التقاليد المحافظة التي تحمي المرأة وتصونها ، وتكون لها احتراماً . ومن هنا اندفع الشاعر محمد إبراهيم جدع في حماسة يقارن بين المرأة المستغربة وبين المرأة الملتزمة ليلبور صورتين تختار الفتاة أفضلهما طريقاً . ويقول في قصيدة بعنوان (المرأة الصالحة) :

لا تنظرون إلى التي كشفت رداء حياتها

وتعطرت وتبخرت في مشيها وبهاتها
وتأودت أعطافها بين الرجال بدائها
وقضت على أخلاقها ومشت على أهوائها
بذت تقاليداً لها بمجونها وغيابها
وتبدلت في خسة أدت إلى إقصائها
من في الرجال يريدونها زوجاً يسوء رداؤها

فالمرأة الصالحة تلتزم بالتوجيه الرباني الذي يحرم سفورها ، فمتى خلعت الحجاب ، فقد زال حياؤها ، فكيف وهي تعمل ما يغري الرجال عن طريق التطيب والتمايل في المشية وتلبس أفضل الأزياء ثم تسير بجانب الرجال ومواجهتهم فهي تشبه سير الماحنات فتلك التي يتعد عنها الشباب ، فهم يحشون عن ذات الدين ، وذات الخلق ، وعن المرأة العفيفة .

وإذا التقت بلداتها سخرها بشرب بلائها
وتهمكوا من نزعها بمجديتها وهرانها
خرجت عن العادات ما عاشت على أدوائها
وإذا أتى لزواجها تهفو لسوء وفائها
خانت عشيراً وانتهت بالخزي في أبنائها

فليس الرجال من يعيب هذه المترجة وحسب وإنما قريناتها يسخرن منها ويتهمن من نزعها وطيشها وفقدان حياتها ، وتلك هي التي يفتقد الزوج عندها الأمانة ، والعشرة الحسنة ، وصون العرض والمال .

انظر إلى تلك التي ترعى جمال ضيائها
وتصونه في بيتها وتعيش في أجوائها
ترعى حقوقاً في الزواج على طريق بقائها
في أسرة مزدانة بصلاحتها ونقائها
وإذا مشيت لنضائها عملت لرفع بنائها

شـتـان بـين شـريفة
بـكـما هـا وروانـهـا
و حـقـيرة ضـاعـت مـع
الأبـيـام فـي إعيانـهـا (١)
ثم بعد أن كشف عن معائب تلك التي تخلت عن التعاليم الشرعية ، فإنه يثني على الفتاة الملتزمة ، وأنها تحمل الأمانة ، وترعى حق جمالها ، فتصونه ، وترعى حقوق الزوج فشتان بين شريفة وحقيرة .

الزوجة الصالحة :

تتمكن الزوجة الصالحة من التأثير على زوجها المبدع ، فهي أنسه الذي يأوي إليه ، وهي رياض السعادة في البيت ، وهي التي حملة أمانة المال والبنون ، وصانت العرض ، فإذا منحها الله ملاحه ، ولطفاً ، وحسن تدبير وتقدير فإنها تكون ملهمة لزوجها ، مؤثرة في وجدانه ، وهو حافظ للود ، مستشعراً الحب ، وفي بلادنا كثير من الزوجات الصالحات ، فكأن مثار إعجاب يظهر ذلك كثيراً في رثائهن ، وقل من ييوح بعاطفة هن في صراحة .

والشاعر إبراهيم فوده (١) أكثر شعرائنا انصافاً لزوجته ، فقد كتب عن حبه وتعلقه بها ، ونظم عن مرضها ، وبعده عنها ، وكتب عن بناته وسائر أسرته في عدد من القصائد والمقطعات ، منه قصيدة (الزواج) ومطلعها :

رغم طول المدى ، ودوم التلاقي
لم نزل عاشقين في إغراق
والزواج الصحيح ليس سوى الحـ
ب وثاقا قد شد حول وثاق
يلتقي العاشقان فيه على العهـ
د كرميا والمنهل الدفاق
ومنها :

(١) المجموعة الشعرية الكاملة ٥٩٢ .

(١) ولد في مكة سنة ١٣٤٢هـ والده من كبار علماء مكة ، كان مديراً عاماً للإذاعة ، وله خمسة دواوين ، وهو مشهور بعلمه وفضله ، رأس نادي مكة الأدبي فترة من الزمن ، انظر : اللوجز في الأدب العربي السعودي للساسي ٢٢٠ .

وإذا قوتان قد ألف الحـ
لتشق الطريق في مهمة الدنـ
وهو قد قال عدداً من القصائد فيها ، ومما قاله :-

أليفة الروح ما أضناك أضناني
ويقول في مرضها :

عبث الهوى المكنون بين جوامحي
النفس نفسي لم أكن أنكرتها
لكنني انكرت بعض خلافا
فوجدتني قلقاً أروح وأغتدي
وهو يرثي زوجته حين أرخت :

عبث الوليد بمهجتي ورشادي
بصفائها وشعورها الوقاد
وعهدتني جلدأ طويل النجاد
لا انتهى لهدى ولا لسداد(٢)

إني إلى أعماق قلبي ووجداني
بروحي وإحساسي وكل كياني
حجاب زماني أو حجاب مكان

ومن أولئك الشاعر محمد العمري : الذي أهدى إلى زوجته قصيدة شعرية بمناسبة إكمال عشرين عاماً على زواج يظلمه الحب ، والود . وحسن العشرة ، فما دام أن المرأة تسعى إلى إسعاد زوجها وأسررتها فإن ذلك يمد ظلال الراحة على البيت ، فالرجل في أيامنا مرتبط بعمل يومي يقضي فيه ساعات طويلة ، يعود إلى داره متعباً نكداً ، منشغلاً بهمومه ، فإذا ما وجد الابتسامة ، والقول اللطيف ، وتجهيز ما يحتاجه ، وتهئية سبل الراحة فإن في ذلك سعادته ، ومن هنا ، فهي تحمل في قلبه وتستقر ، ويسود الحب .

أهدي إلى القلب ألحاني وإنشادي
أهدي سلامي وأشواقِي وما ملكت
إلى التي دائماً تسعى لإسعادي
يدي إلى حرة من نسل أجماد

(١) مجالات وأعماق ١٥٥

(٢) المرجع السابق ٤٩ .

ياراحني من هموم الدهر قاطبة
حللت قلباً خلياً فانفردت به
يا مالكاً مهجتي ماذا صنعت بها
أهواك أهواك والأشواق صادقة
أهواك أهواك والأيام باسممة
أو غير باسممة يا أم أولادي

وهو يصف خلق الزوجة المحمود ، فهي تستقبله بكلمات موجزة ، تحمل مضامين الود والصفاء والترحيب والتخفيف بصوت شجي ناعم وهي بهذا تنسيه همومه ، وتجلبو نفسه ، ويفتبط بها ويستريح في منزل هادي البال ، وبهذا تملك مهجته ، وتلك الأبيات بعد عشرين سنة مما يدل على حياة زوجية سعيدة ، تسود جل البيوت في بلادنا والله الحمد .

أو كلمتني بإيجاز طربت لها
أنسى همومي وآلامي بجانبها
أنسى هموم الليالي رغم كثرتها
يا مالكاً مهجتي ماذا صنعت بها
عشرون عاماً مضت والروح مشرقة
عشرون عاماً مضت والدار عامرة
مودة ما لها حد ورحمة
كما طربت لصوت البلب الشادي
وأستجير بها من كيد حسادي
وأستريح بظل المنزل الهادي
حتى أحبتك حباً غير معتادي
شروق شمس الضحى من ضفة الوادي
أنت بها قمر يهدي لإرصادي
جاءت مؤكدة في شرعة الهادي

وما دام الزوجة تقوم بشؤون البيت ، وتدبر مصاريفه ، وتعدده إعداد أنيقاً ، إلى جانب البشاشة ، فهي حفظت الأمانة ، واستحوذت بأخلاقها على قلبه ، فتلك وسيلة المرأة لامتلاك القلب ، وهي ليست من الصعوبة بمكان ، بل سهلة ميسورة .

تالله ما زاد مصروف العيال علي
ما عدت من عملي والنفس متعبة
من لي بإنسانة جاد الزمان بها
كريمة النفس في فقري وإيجادي

مرت سنين وعمري لست أحبه وكان يوم المنى تاريخ ميلادي (١)

الزوجتان :

الشاعر النعمي (٢) يصور الحياة الزوجية وآمالها ، ويفضي إلى زوجته الثانية بحبه ، ويسدي إليها النصح ، ويرسم لها السبل السليمة ، ويحذرها من الغيرة ، فيقول في قصيدته (في قلب زوج زوجتان !!) :

محبوبتي يا زوجتي الثانية	يا فرحتي في العمر يا غالية
من أجلك اشتقتُ لبيب الضنى	وفيك عانيت الخطى القاسية
منحتك الحب نقياً كما	منحتني ، والحب كالعافية
ورحمتُ أرضيك وقد شدني	ما شدني ... إذ كنت بي راضية
وحقق الرحمن أحلامنا	وضمنا يبت باصفي نية
زوجين عصفورين إن غردا	للحظة الميمونة السامية
يخضلُ غش الحب حوليهما	ودفقة النور به ناديهما

فالشاعر في أبياته السابقة يحكي بهجة الزواج ، وسعادة اللقاء ، في ليليه الأولى التي تكون موشاة بالعاطفة ، والأمل الباسم ، وتكون توتيجاً للقاء طال انتظاره ، فكل منهما يهمس بالحب والشوق ، ويتفانى في إرضاء صاحبه ، تلك الأيام باسمه مشرقة لكل مقترنين ، فقل من الأزواج الاختلاف في الأشهر الأولى ، فالكل منهم جذلان مفرد ينعم بلذة العهد الجديد ، الذي يطرأ فيه الجديد على

(١) يناير الربيع ٥١ .

(٢) علي بن أحمد النعمي ، ولد في منطقة جازان ، تخرج في كلية اللغة العربية بالرياض ، ١٣٨٩هـ - عمل في الصحافة بالرياض ، ثم عاد إلى جازان يعمل مديراً لإحدى المدارس . وصدر له من الدواوين : ١ - عن الحب ومنى الحلم ٢ - الرحيل إلى الأعماق ، ٣ - الأرض والعشق ٤ - حراح قلب ، انظر : دليل الكتاب والكتابات ٢٦١ .

كليهما ، وتلك متعة لا مثيل لها .

ثم يسترسل الشاعر في رسم أنسه ، فأيامهم هائلة ، ويراها زهرة غضة تنعم بالأنفاس الجديدة ، وهي في نظره درة يزهر بها ويفاخر ، فكأنه حصل على لؤلؤة ثمينة تضيء له حياته ، وتزيد في نعمائه ، وتارة يصورها بالروضة الغناء طيبة الروائح ، تلك الصورة تمثل سكرت الفرح بهذا الزواج الجديد .

ومرت الأيام يا زوجتي	بسامة مشرقة هانية
أراك فيها زهرة غضة	تتعشني بالنفحة الدائنة
وذرة يزهر بها خافقي	كالنجمة الوضاء الصافية
وروضة طابت وطاب الجنى	قطولها من راحتي دالية
وقلت من شدة حبي ومن	شيء بنفسي نعمت العافية
إن كان للأولى بقلبي هوى	فمثلته أعطيت للثانية

لكن هذه الأفراح تتأثر بما يعتمل في نفس الزوج من ذكر زوجته الأولى ، فهو يتغني العدالة ، والبعد عن المنغصات ، وما يثير المشاكل ، لذا فهو فرح بالنفس الطيبة من المرأة الجديدة لعل المودة والتآلف تسود الدار ، فكأن هذا الأمل مصدره إعجاب بزوجه الثانية ، فهو يدعو لها بالتوفيق ، لأنها ما زالت تسلك سلوكاً يرضيه .

يارب وفقها فإني بها	راض ومثلي في رضاها هي
يازوجتي حسبك مني الوفاء	في عشرة ممتدة بالية
يعمرها الصفو ويسمو بها	عن التدني في ثفاء الهاوية

والشاعر يمثل الزوج الناصح للفتاة الجديدة الحديثة عهد بالحياة الزوجية ؛ فهو يحذرها مما يثير النفوس ، ومن اعوجاج الطبع ، من الشر القاتل في النساء تلکم الغيرة المدمرة ، فهي كالرياح الهوجاء ، ويحذرها من الظلم والتجاوز على حقوق غيرها ، ومن الخداع والتباكي ، والقذف والشتم للضرة التي لا علم لها بالدساس

والمكر ؛ فهذه الطباع في المرأة ، تنخر الحياة الزوجية كما تفعل السوس في
الأحشاب ، فالمشاكل تلك تؤدي بالحياة السعيدة التي نتمتع بها :-

قالت : فما الأمر ؟ قلت : احلري
إن اعوجاج الطبع حال النسا
وهضم حق الزوج لا عن قلى
والقذف والشم بلا موجب
والدس والنم وبث الأذى
وتلك لو فكرت في أمرها
تفعل فعل السوس ، تسلى في
لكنى الداري بها ، والذي
من عاش في أوحافا أجهزت
ومن توقاها ولم ينزلق

وهو يحذرهما من سوء استقبال الزوج ، ومن الوجه المكفهر ، وعليها أن
تكون روضة حنان وعطف له ولأولاده ، وأن تعينه في معاناته وقساوة الحياة التي
تعترضه في يومه ، والزوجة الثانية في مرحها ، ودلالها ، تعيش في جذل وآمال
عريضة لمستقبل زاهر لكن الشاعر يوقظ عندها التأمل في الحياة مملوة بالأباء
تجتاحها الرياح العاصفة ، مما يجعلها تزقب الحوادث في حذر وحيطة من أصحاب
النفوس الشريرة ، فإن أنتِ أعرضت عن تلك الدسائس فتستكون لك القلبة على
قلبي والهيمنة على حياتي عندما تنالين ثقتي :

يازوجتي إياك أن تسلكي
إن حضر الزوج اكفهرت له
ولم تبادل له الهوى حينما
ولم تهبه كل ما يتغني
بل تتلقاه ، وتصفي إلى

مسلك كل امرأة باغية
ولم تنله البسمة الحانية
يسمى إليها بالرؤى الطاغية
منها ، ومن طبتها الضافية
همسته في رقعة زاكية

وليله من شدة عاتية
نجيا بها عابثة لاهية
فيها حياة الأنفس الراقية
منى ، ولا تستغري ماهيه؟!
روحي ، حتى تصبحي عالية
في ماله ، في حبها السامية
عن رسمها ، إن كانت الغاية

نسيه ما عاناه في يومه
يازوجتي إن الحياة التي
مالم تحاذر شرها لم نعش
خذي فؤادي في الهواء عنوة
حتى تنالي لثقي يسامني
تعرف حق الزوج في آله
وأنها المسؤول عن نفسها

وهو يحذرهما من الاستبداد بأمواله ، ومن طاعة أمها وأخواتها ، فرعما يشرن
عليها بغير صالحها ، أو ما يكون ثقيلاً على زوجها ، فيجب أن تعرف حق
الزوج في السلوك والمال ، وأن تنظر لمصلحتها ومصلحته ، وتدع رغبة الآخرين
ونقدهم ، فإذا لم يجدها حريصة على تدير منزلها ، وحفظ ماله ، فإنها ستفقد
الثقة من شريك حياتها ، وهذه صفة يجب أن تتحلى كل ربة بيت بها ، فهي
تحمل الأمانة كاملة .

رايا لمن يلقيك في داهية
علاقة القربى من الحاشية
يسمى لها بالقدم الخافية
في أن تكوني الزوجة العاصية
آمنة في عيشة راضية
قلبي ، وبيتي البرة الراعية
لعالمي سوء الخطا القاسية
فلا تكوني الزوجة العاتية

يازوجتي إياك أن تسمي
أمك أو اختك أم من لها
أو من له في شقوتي غاية
ممن يود الشر ما بيننا
صعب عليهم أن تعيشي معي
وأن تكوني دائماً في حمي
فأنت من عانيت في ضمها
وانت ممن الحب أغلبتها

فهو يحذرهما من أولئك الذين يتمنون لها الحياة السعيدة من الأب والأم
والأخوات وعموم الأقارب ، فإن هؤلاء يرون عن بعد ولا يدركون الحقائق ،
ولا يأمر أكثرهم بالتأني والاعتدال إنما يشعلون نار الفتنة والأحقاد ، ويشيرون

الطلاق :

والبحث عن الزوج المكافئ أمر في غاية الأهمية ، والمغريات من الماديات تدغدغ وتغري الناس والآباء ، مما يجعلهم يزوجون فساتهم إلى غير كفيء ، فتعرض للطلاق مرات ، وتجعل لها أولاداً عند كل زوج يفقدون حنان الأمومة وتوافق الأبوين ، وهي تفشل في زواجها :

أرى الشوق والحزن في ناظريك
وما زلت في مستهل الشباب
أبي كل عام زواج جديد
وقد زوجوك إلى تاجر
لما كان حظك يوماً سعيداً
فلم تلبثي عنده غير شهر
تقولين : زوجك شيخ كبير
وزوجاته لا يردن فتاة
وجاء لكم خاطب ثالث
وقال له قهوة في الطريق
وغر ذووك بابتساماته
وتم الزواج وحل الفراق
ولم تكرهيه ولم تعطفني
ففارق واصطحب الطفلتين
يصيحان أمي أمي أمي
فإن كان جرحك أضحى عميقاً
وذا موسم العاطلين فلا
واسمع نهدتك الهادييه
تحطمك القصص الداميه
ولبت به أبدا راضيه
يريدون ثروته العاليه
رهي بك حظك في الهاويه
فأروى لنا السرُّ ياراويه
وثمة مسسر بأعماقه
فواحدة عنده كافييه
وقال سأبذل أمواليه
يكسب في اليوم فوق اليه
وأسنانه الذهب الصافيه
كما صار في السنة الماضيه
عليه وأدعه جاريه
ولم يبلغا السنه الثانيه
ونفسك حائرة باكيه
فما ضمدته يد حانيه
تعيري هم أذن صاغيه(١)

(١) علي الغيني : رحلة العمر ١١٣ .

والدكتور أحمد السالم يعالج قضية الطلاق أو لنقل : يحذر منه بعد أن تعيش المرأة ربحاً من الزمن ، وتنجب أطفالاً ، ويتقدم بها العمر ، فتغضب من الزوج لزواجه ، ويحدث الشقاق الذي يؤدي إلى الفراق . والرجل سائر في أمانه، عازم على تنفيذ مراده ، يريد فتاة ممشوقة القوام ، وثم تذهب السكره وتأتي الفكرة ، ويعيش بين نارين :

هل نقضي حياتنا في شقاق
نتخلصي إن كان في الأمر جد
سوف تمضون كلكم لو أخذتم
نحن من قيد الحياة فاضحي
نحن من ينشر الجروح على الأجساد
وباعطائنا النفوس هواها
نلد النشء كي يكون معنا
كم سهرنا من الليالي ليغفوا
كيف لا يهتدون والله أحرى
قد رأينا الأنعام من غير عقل
نحن مستهدفون من أمم الأثر
كل ما قد يجيء منهم إلينا
زوجة اليوم أي شيء هو الس
وهو يشير إلى تكاليف الزواج ، ورغبة الفتاة في الأسواق والافتخار بمظهر تلك الليلة :

أي شيء ينبي بأنك حقاً
فأجبت أما علمت تكاليف
فلأعش ليلتي ولو عاش زوجي
ذاك ألسي كزهرة في جمالي
بلدت الأجداد باستحقاق
ف زواجي أو ارتفاع صداقي
في قيسود اللبسون والإسلاق
التقى من نفائس الأسواق

وسألنا الزوج العزيز ليعط — لنا جواباً لسر ذلك الشقاق
قال : إنني أمّلت أن سألاقي في زواجي بغية المشقاق
كسواد العينين مع حمرة الخدّ والقى في القدر كل امتشاق
ليقولوا : إنني تزوجت سُماً في جهاها مصارع العشاق
يرتق الناس كل ما أفداه ليعودان في أحرر عناق
ثم ما تلبث العواطف أن تجب ليعودان في أحرر عناق
ذاك أن الأساس خو وهـل يامن من فوقه من الإنزلاق(١)

فهذه القصيدة نظرات واقعية ليست مشبوبة بعاطفة ذاتية ، إنما هي عين راصدة لوقائع اجتماعية متعددة في قضية المرأة .

قصور الأفراح :

من مظاهر الزواج في الأيام هذه ليلة الزفاف ، وهي حفلة كبرى تقام في أحد قصور الأفراح التي أعدت لهذه المناسبة ، وهي متناثرة في مدن المملكة يخصص فيها مجالس للرجال ، ومجالس للنساء ، وبينهما حواجز تحجب الرؤية والسمع .

ونظراً لكثافة الناس وسهولة المواصلات ، وحضور المغنين والمغنيات فإن الناس يتكاثرون عليها . وقد حدث أن وقعت كوارث في قصور الأفراح تلك ، فحدث في جازان ، وآخر في الطائف . والأخير تحدث عن مأساته الشاعر علي صالح الغامدي(٢) . والشاعر يجعلنا نرى المفارقة ، فهو يصور أولاً معالم الفرح

(١) الديوان : مخطوط ، تسلمت من الشاعر صورة من القصيدة .

(٢) ضابط من الأمن العام ترقى حتى رتبة لواء ، أحيل إلى التقاعد ، له دواوين منها (حنين) و (زوارق الآمال والدوامات) و (عواطف هائمة) ، انظر : غلاف الصفحة الأخيرة من ديوانه زورق الآمال والدوامات .

والبهجة والأغاني والرقصات :

هفت بالمنى عيون الملاح
وانتشى الفكر للمجبة لنا
ومشى السعد في ركاب التهاني
فالعذارى في جينة وذهاب
يتسابقن للفسوق حسنا
فإذا الجو عابق يتالألأ
إنه العرس فرحة واجتماع
نحن في القصر يا زمان فدعنا
إنما السعد نادر وهو طيف
كنت ياليل في شهر و كانوا
في خضم السرور والبشر عاشوا
بالفسوا في تزين واحتفال

وفي هذه النشوة وعلو البشر والمسرات ، وإذا بالحادث الجلل ، فقد انهار
القصر على النساء والأطفال ، فتعالى الصراخ ، والعيول ، وكتمت الأنفاس ،
وظهر الأتین والعيول ، واختلط الدم بالعطر ، واغبرت الوجوه ، فتدافع الناس
للإنقاذ ، وتعالى هدير سيارات الإسعاف :

فإذا بالقضاء بالموت يجري
فجر الماء فالسفائن غرقى
لم يعد للشراع ثم مكان
مادت الأرض فانتشى القصر حتى
أخذت منه كل جسم نضير
كان تحت الأنقاض مختلط الأ
وثياب الأفراح صارت هي الأك

فجسات في تجهيم واجتياح
بين أمواجه وهوج الرياح
أو لمجدافهما ولا الملاح
قبل الأرض حيث نرف الجراح
وأناثه زاهق الأرواح
صوات يدعو في هفة ونواح
فان قسراً في وهدة الأكرح

بين ردم الخطام والألواح
لا بفعل منا ولا بصلاح
والتصدي بالفعل أو باقتراح
هل على العاجزين أي جناح
رب عون يحول دون النجاح
نجدات تسمى بكل سلاح
خففت وقعته بفعل المتاح
والنايا جياشة الإفصاح

دافع بالقلوب للإصلاح
وجحور لليوم والأشباح
رقصة الموت فوق حد الرماح
الضحايا بعفوه والسماح
في غدو بمثلها أو رواح^(١)

والمرائي تكلى تؤزك رعاب
يا إلهي لطفاً فأنت المرجى
لم تعد تنفع الدموع وتجدي
راح مسن راح فجأة وتولى
بذل المنقذون عوناً سريعاً
وأنا من كل حذب وصوب
ما استطاعوا رد القضاء ولكن
وجم الجميع للمصيبة ذعراً
والشاعر يتنبه للدرس والعبرة :

ربما كان في الكوارث درس
صرت يا قصر للمقابر رمزا
رقت منك للنايا جحور
للضحايا الدعاء أن يرحم الله
وكفانا شر الفجاءات تجري

غلاء المهور ومشاكل أخرى في الزواج :

في خضم التمازج الاجتماعي ، وانتقال العادات ، وطغيان المادة ، وهيمنة الإسراف والتبذير والمظاهر طرأت ظاهرة غلاء المهور عند شرائح قليلة من المجتمع، تتفاوت في المناطق . ونادى أهل الخير بتيسير الزواج ، وقد حاولت الدولة أن توجه ذلك توجيهاً سليماً لا إجبارياً . وأذكر أن بعض المناطق حدد فيها المهر ، كمنطقة تبوك ، في ولاية الأمير عبدالمجيد بن عبدالعزيز ، وأيضاً في مناطق الجنوب ، وعند كثير من القبائل . وكل ذلك خشية عزوف الشباب عن الزواج ، وخشية العنوسة ، وأيضاً لضمان الحياة الهادئة التي لا تثقلها الديون

(١) زروق الآمال والدموات ٩١

في مستهلها .

وهذا الشاعر محمد جدع يعلن رأيه في تسعيرة الزوج ، وأن لا قطع للحكم الشرعي في ذلك ، إنما يمكن أن يكون ذلك بتراض العقلاء في المجتمع ، والتعاون مع الأفراد في ذلك ، وتوجيههم ، والدعوة إلى التنافس ؛ ليكون في ذلك صلاح لبناتهم وأبنائهم :

أتاني حائر يوماً بأمر
وقال الناس قد شطوا وجاروا
فقلت طبيعة الإنسان تغلو
فما دام الزواج له رواج
ويطلب ما يعز بغير حد
فقال : أليس في الأحكام حكم
وينقذنا من الإرهاق حتى
فأتى للبيوت وقد عرفنا
فقلت له وقد أبدى بياناً
أترجو أن يمدد مهر زوج
إذا حددت للحاجات سمرا
فطالب حينذاك بكل عزم
وتعرف قصة الأسعار فينا
تسير بدون تحديد رزينا
فهل تغلو المطالب عن بنات
وترخص نسوة فينا وتغلو
فأحوج ما نكون إذا عقلنا
وتقدير المهور يجيء حسنا
هنالك يظفر الزوجان حقاً

يطالبي بتسعير الزواج
بتضخيم المهور على ازدواج
لتضمن حظها عند الزواج
فأحرى أن يبالغ في اعوجاج
ويسرف في الطبيعة والمزاج
يحدد في المهور بلا لججاج
لذوق العيش في غير انزعاج
بقائمة تكاليف الزواج
ضعيفاً في المحجة والعلاج
عزيز نيله ما أنت راجي
رخيصاً لا يضر مع احتياج
بتسعير الزواج على المزاج
على عذب أو المالح الأججاج
عليها أم رفضنا في احتجاج
كسين بعفة تفري المناجي
تكاليف الحياة لدى الرواج
بتيسير المطالب في ابتهاج
يساير وضعنا عند الزواج
برغد العيش في غير ارتجاج

فبقى فرحة عمراً طويلاً وسعد بالتبصر والعلاج
ودنيا الناس تصلح ما رشدنا إذا الأبواب جادت بالتاج (١)

ومع توالي الخيرات والثراء عند شريحة من المجتمع ، وتمازج الناس تبلورت بعض العادات تثقل كاهل الشباب في مستهل حياتهم الزوجية ، فهناك المهر ، وهناك طلبات لا مبرر لها . والأنكى من ذلك عادات الاحتفال بالزواج والزينات والولائم ، وصالة الاحتفالات ذات الأجر المرتفع ، والاستسلام لميل النساء ، والاستجابة لرغبة الأهواء ، والتفاخر في المظاهر والتنافس في الإسراف .

فالشاعر باعطب يصور أنين الزوج ليلة زفافه ، بعد أن تركن الفتاة في نوم هانئ ، فهي لا علم لها بالتكاليف ، وما يعقب ذلك من ديون . وأهلها الذين أثقلوه بمتطلبات كمالية لا أساسية لم يستشعروا واقعه ليققتصروا على الضروريات:

باتت تغط وست رهن شجوني	أحصي بألفاسي على ديوني
نامت وطيب العيش ملء جفونها	والحزن يجرح بالسهاد جفوني
يأيتها تدري ويدري أهلها	بمصيبي بعد الزواج وهوني
قد كنت أحلم بالزواج حديقة	غراء من ورد ومن نسرين
يجري بها نبع السعادة سلسلا	وبظلمها ساقي الرضى يرويني
تسى الفؤاد بنور وبنورها	وبصوت بلبل دوحها تشجيني

ثم وضَّح الأمر لزوجته كي تتعامل وفق الحالة البائسة ، فلا بدمن عيش الكفاف، ويقتصر على الخبز والزيتون ، فإن لم تقبل هذا الواقع فترحل إلى أهلها ، لكنه ينصحها بالتحلي بالصبر ، ونصيحة أخواتها ، حتى لا يقعن فيما وقعت فيه من حرمان (١) .

يا زوجتي إنا ضحية عادة	نكراء لم نحسم بنصح أمين
يا زوجتي إن الحياة مريرة	لن نعلمي زمناً لدي بلين

(١) محمد حدح : المجموعة الشعرية الكاملة : ٧٣٠ وما بعدها .

(١) انظر : بقية القصيدة ١٩٠ .

سنظل نحزم بالكفاف بطوننا
فإذا سئمت العيش في أكنافنا
واستمسكي بعمرى أيبك وصممي
كوني لأختك قبل ليل زفافها
لقتات من خمير ومن زيصون
فخذي متاعك وارحلي ودعيني
حتى يطهر بالولفاء ديونى
درساً لتعمم بالغد الميمون^(١)

وهو يرى أن أسباب التعمس تعود إلى الإسراف وإقامة الاحتفالات ، وتلك تعقب الفقر والحرمان للزوجين معاً :

ماذا جنيت من الزواج سعادة
وملذة مزجت بممر ندامة
البذخ في عرس الفتى قبر له
الفقر والحرمان عاقبة له
ثكلنى بقلب موجع محزون
وسهام إسراف وقبح مجنون
تباً له من مطلق مسجون
كالس كالسرطان كالتدخين^(١)

والغزاري يحدد أسباب العزوف عن الزواج ، وتكاثر العزاب في المجتمع ، فيرى أنه لمرض اجتماعي ، فالأب والأم والفتاة يتفون زوجاً ثرياً ، والزوج يطمع في زوجة ثرية أيضاً . وكل غير صالح النية ، وإنما يسعى سعياً مادياً :

كيف السلامة تبغى في (أمة)
من أين جاء به الحرام محلل
حتى الزواج فلن يكون موفقا
و (الزوج) يطمع أن يفوز بزوجة
وبدورها هي لا تريد سوى الذي
كل وراء خداعه مريض
أما (الديانة) و (الأمانة) و (التقى)

فالشعراء كانوا وما زالوا يناقشون المشاكل الاجتماعية ، ويحاولون التنبيه لمخاطرها ، ويسخرون من العادات البائدة التي لا تنفع فيها بل تكمن خلفها

(١) أحمد باعطب : الروض الملتهب ١٨٩ وما بعدها .

(١) المرجع السابق ١٩١ .

المنفصات للحياة .

والعلاف يفرد مع الفرحين في حفلة زواج الأقارب فيشارك الفرحين
بهذه الأبيات :

ومعادة للأهل والخللان	اعظم بفرحة عادل وحنان
للدين والإخلاص خير ضمان	كسل تخير نده متطلعا
◆	◆
قد لذ في الأسماع والأجفان	أمل أتى يخال بعد تشوق
يسري إلى الأرواح والأبدان	فهو الربيع بسحره متغفلاً
منه القلوب طريدة الأحزان	تغريده شذو وعزف مبدع
في سامر يسمو على الإيسوان (١)	وزهوره الغيد الحسان تناثرت

واللفحات الأسرية تعبق بنسمات في أحاسيس الشاعر ، فتميل به طرباً
وسروراً ، ويفرد كالعصفور بلله القطر ، فالشاعر على زين العابدين (٢) يتواصل
مع أسرته في ميلادهم وأفراحهم وزواجاتهم ، ومع أحفاده أيضاً في ديوانه (
تفريد) ، الذي استمد تسميته من اسم ابنته الكبرى (تفريد) وقد سطر مولدها
في قصيدة ، وحفل زواجها (٣) ، وسجل زفاف ابنته (نجوى) في قصيدة فيها
نفسية الأب ، والعادات الاجتماعية :

أرايت حسن بهائها وقوامها	نجوى تزف إلى فنى أحلامها
بالأبيض المسحوب من هدامها	أرايتها مجلوة مختالمة
بجياها كي لا تشي بهيامها	أرايت بسمتها الخجولة تردهي
خجل فيحجبه شفيف لثامها	ما أجل الفيداء حين يزينها
كم كان يطربني رقيق بغامها	كانت نجية خاطري وصفيقي

(١) إبراهيم خليل علاف : الديوان ٥٧٧ .

(٢) ولد بمكة المكرمة عام ١٣٤٣هـ . أحيل للتقاعد بعد أن بلغ رتبة لواء ، شاعر وصدر له من

الدواوين : ١- تفريد ٢ - صليل ، ٣- هديل ، انظر : دليل الكتاب والكتابات ١٣٢ .

(٣) انظر : تفريد : القسم الأول الوجدانيات .

واليوم أبصرها يشابك كفهها
ارغبتني عني والسداً وتركتني
أم ألهما سنن الحياة وشرعها
طابت لها الدنيا وأسعدتها أفنها
صبراً أبا نجوى فتلک شرعية
لا تجزعسن لفرقة موصولة
لا تستقر لنا الحياة بدولها

والشاعر يوصي ابنته بعدم الاغترار بريق الدنيا الذي يصادف الفتاة في
مستهل زواجها . فالحياة أطوار يجب على الفتاة أن تروض نفسها للتعامل مع هذه
المنحنيات . والحياة تحتاج إلى قوة عقلية في حالتها المسرة والمأساة ، فيجب أن
تعتبري في حالة السرور فلا تسرفي ، وأن تحملي مصاعبها :

ابتسي ، إن الحياة غريبة
هي قوة فهارة جبارة
فإذا ابتست بوجهها ألفتها
وإذا عبست تجهمت وتمردت
هي لا تطيق تجهماً وبرما
هي إن نظرت فما بعين تفاؤل
وإذا نظرت فما بعين تشاؤم
فإذا عرفت طباعها فبسمي

وهو يوصي ابنته بالحنان والعطف والطاعة لزوجها ، وعدم إثقاله بمطالب
الحياة الكمالية ، فعليها الترفق بزوجها ، والتحسس لما يعيل إليه ، فذاك يزيل
سقام نفسه :

أبنتي هل تسمعين نصيحتي
كوني له السكن الذي يأوي له
كوني لزوجك جنة بسلامها
فيقيه من فتن الحياة وذامها

لا تغلبه بما ينوء بحمله
والنفس تهطع للحنان وتنثني
فلزقي يا فلذتي بمشاعر
وتحسي من نفسه ما تشتهي
وجهه يفيض بشاشة وتوددا
أحلى لئديه من المنى ومرامها

ثم يوجه الخطاب لزوجها فيوصيه بها ، فهي فلذة كبده ، وقد رعاها
وصانها ورباها، ثم أسلمه الأمانة فليحافظ عليها :

نجوى ستصبح في الغداة لـ (مصطفى)
هي فلذتي هي مهجتي هي مني
يا (مصطفاها) هل عرفت هديتي
هبها لـ زادك مخلصاً بـوداده
إنني وهبتك درة مكنونة
يا ابن (الملاكمة) (١) الذين عرفهم
نجوى ملاكي أزمعت وتهيات

ثم يجمعها في نصيحة عامة شاملة تفيدهما في مسيرة حياتهما :

ولديّ ، إنني ناصح بنصيحة
إن الحياة مليئة بشروورها
وحذار من كيد يحاك ولتنة
لوذا إلى الرحمن من فنن طففت
وتعوذا بالله من صناعها
أوصيكما بالدين والتقوى فمن
نهج السعادة ألفة وتسامح
إنني لأدعو الله أن يوليكمما

فتمسكا بنظامها وسنامها
فحذار من أوغادها وطغامها
ولع الحسود بعثها وقيامها
وتأججت بجحيمها وضرامها
إبليس يدلعهم إلى إضرامها
نشد الهداية عاش في إنعامها
ومحبة فياضة بسلامها
ذرية ترضيكمما بونامها (٢)

(١) عائلة الزوج مصطفى .

(٢) تغريد ٢٥ وما بعدها .

العنوسة :

العنوسة قضية اجتماعية برزت ظاهرة تورق كثيراً من الأسر ، واستشعر بها العلماء والمنفذون ، وأهل الفكر والأدب . ورأوا أن من أسبابها عزوف الشباب عن الزواج إلى سن متأخرة ، وكون الفتاة تلح على مواصلة الدراسة حتى تحصل على الجامعة ، وذلك مما يؤخر سن الزواج ، والمجتمع يرغبه في سن مبكرة .

ومنها أن الجامعة لا ترغب إلا بالكفاء لها ، وربما لا يوجد في محيطها ومنها غلاء المهور ، وأيضاً الإسراف في الاحتفالات ، والحلي ، مما يتقل على الشاب ، ويجد نفسه عاجزاً عن تحصيل المال الذي يفني بتلك الكماليات . ومنها رغبة بعض الشباب في الزواج من الخارج . ومنها رغبة الفتاة في أن يجمع الخاطب عدداً من الصفات ، وغيرها .

والشاعر إبراهيم خليل علاف يسطر أسباب العنوسة ، ومنها أن هناك شذاذاً في المجتمع يتنفون كسباً من وراء بناتهم ، فهم يزوجونهن بمهر مرتفع ، أو ينشدون ذا جاه وذا مال . فهو يقول على لسان عانس :

أيرضيك بالله هذا العذاب	تعانيه أنسى بفعل الشباب
فعمشرون عاماً مضت لم أذق	لتلطيف شوقي غير السراب
ولم يك ذاك لنقص الجمال	ولا لغريب السلوك يعاب
سوى أن أهلي قد ساوموا	بجسني حتى تلاش اختطاب

ومن الأسباب أن كثيراً من الآباء يخطئون في التربية ، فيدللون الفتاة ، وتصاب بالغرور والكبر ، وتتطلع إلى غير الواقع ، فلا ترضى بمن حولها ، وولي الأمر لم يوجهها توجيهاً سليماً يجعل ابنته تلامس الواقع وتستشعره :

وأخرى اشتكت في أسى مؤلم	سعادتها فهي لم تسلم
وعقدتها أنها دلت	وقد أعنت من حجاج معتم

وأخرى قد رفضت التمسك بالسلوك الإسلامي ، وسارت في موكب

المتبرجات ، فأعرض عنها هذا المجتمع الملترزم :

وثالثة أسرفت في السفر
وتخفيف زي وتضييقه
وفي بهرج للغرب مستحكم
وعن غيرها أمس لم تفظم (١)

والشاعر الشبانة يستولي عليه هاجس العنوسة ويتبصر به طويلاً حتى أنه تحدث بلسان الفتاة العانس التي تزهر بنفسها وتتمنى فتى أحلامها ، لكن يطول الانتظار وتقلب في أتون الوحدة ، وكأنها تستجير بأخيها ، لعله يدرك حالتها ، لكنه يتيه في حياته وتلبية رغباته . ويأدر إلى الزواج فيزيد الهم ، لما يأوي كل من الأب والأخ ، أو تأوي إليهم نساؤهم ، وهي تظل فريدة وحيدة :

نهدي يسألني لمن أنا أكبر؟
والخذ يسألني خلقت لمن ؟ فلا
وشفاهي الظمأى تقول بلهفة
ويظل جسمي حائراً في حائر
أعيش في التيه الذي لا ينتهي؟
أنا لا أريد سوى الزواج لعيني
أبني به للحب صرحاً عالياً
حمام قمضي بي الحياة وحيدة ؟
لا أستطيع العيش رغم هنائه
ألمي تحطمه مساوة والدي
وهما يعيشان الحياة مبهجاً
وكلاهما يأوي إلى امرأة له
والحب بينهما حلال إنفا
حتم يا أبتي أظل حبيسة
وأنا مثيلتكم أحس بما به

وتقول لي عيني لمن أنا أنظر؟
أدري الجواب وليس لي من يجبر
حتى متى سيظل فوقي السكر؟
أو كل أترابي كذلك تحيروا
أم أنني من أعلم أصغرا؟
بيت سعيد بالهناء يعمره
وأظل في أليائه أتبحر
والقلب مني بالكآبة يعصر
والكل من حولي ينام وأسهر
وهو يقاتله أخي المتجبر
لا تنتهي ولذاتك لا تحصر
فيكاد من شوقها يصعر
هو للتي لا تشتكي متعذر
وعليّ دونكم السعادة تحظر؟
غيري يحس ومثله أنا أشعر

(١) إبراهيم عطيل علاف : الديوان ٢٩٧ .

لإلام تحرمني اجتناء للذلي في ظل زوج للعفيفة يسر؟
والأم تركني أسيرة وحدتي نهياً لأحلام عليّ يسيطر؟
فأغرم شبابي اليوم قبل رحيله فعداً عليّ إذا ذوى تتحسّر؟

والشاعر مفرح السيد يتحدث عن ظاهرة نادرة في مجتمعنا السعودي - والله الحمد - . لكنها قضية عددها من الفتيات اللاتي لم يعرفهن نسب ، نتيجة للخطيئة المحرمة ، واستشعار الشاعر لها عيرة وعظة ، لعلها تكون ستاراً دون الحرام ، ومعالجة لتلك الحالة وما يماثلها .

والشاعر يرى أنها تمارس الحياة ، فهي بريئة من وزر غيرها ، فلا ذنب لها . ثم يستطلق الفتاة التي تعرض بطيش الشباب والإغراءات للفتاة حتى تنداعى للرديلة ، وتظن أن الروابط الغرامية السبيل إلى الزواج . والشاعر يحكي قصيدته على لسان لقيطة :

قالوا لي : يا بنت الخطيئة وتكسرت لي كل بينة
حاولت أن أحياء حياة بيضاء كالشمس المضيئة
فحرمت منها ، يا حظي! وكأنني كنت المنيئة
وأردت أن أحياء حياة صفراء في ديبا وبينة
ففشلت في عملي لأنني لست المعطرة الوضيئة
يا رب ، ما ذلني لأرعى رمي النواة بلا خطيئة
أكنن أمي أنجيتني خطياً وما لي من مشيئة
ألقى المهانة في حياتي وأظلل أحمل للديئة
يا رب ، إنني لست وحدي فبمثلي الديبا مليئة
إننا ضحايا الجليل هذا جبل السراجين الجريئة
كم من فتى بالمكر يسمى لينال بانسه بريئة
فإذا تمكّن واحتواها يرمي بها ، باللرزيئة!

لتجرّ الآلام طـوالاً ويعيش عيشته الهنيئة^(١)

إذن ففضية العنوسة ، وما ينجم عنها ، ظاهرة تستحق البحث الاجتماعي ، والشعراء صارحوا بتفشيها ، وأعلنوا رفضهم لأسباب ، ودعوا إلى تذليل العقبات ، ومساعدة الشباب ، وقد قامت عدداً من الجمعيات لمساعدة المتزوجين ، وهناك مجهودات فردية ، لجمع الروابط بين الفتيان والفتيات ، بطريقة شرعية ، تدل وتفصح ، وتعمل على التعاون بين الأسرتين . ويكمن الحل في التوجيه الأسري ، والالتزام بالتوجيه الرباني ، وعدم المبالغة في المهور والتكاليف ، والوعي الاجتماعي ، وعدم التمتع في انتظار فارس الأحلام الذي تصوره أحلام اليقظة .

(١) المنهل ع ٤ ، السنة ٣٥ مجلد ٣٠ ربيع الثاني ١٣٨٩هـ ص ٥٧٢ .

المبحث السادس الفقر

وهم ينظرون إلى الفقر بمنظار الشاعر المصور لحالة شعورية تداخلت في ذاته عن طريق تبصره في حالة شيخ تداعت قواه ، وارتجفت أعضاؤه ، أو طفل يتيم يهيم في صحراء الفقر ، فلا أب يرعاه ، ولا أم تعطف عليه ، فيصاب بالوحشة المذهلة .

أو هم يتبعون سيرة فتاة تربت في تربة الفقر ، وانتقلت إلى تعاسة زوجية من بعل فض غليظ القلب ، لا يعري حرمة الإنسانية ، ولا يعطف على ضعفها . ثم يرمي بها في وجه أبيها الضعيف المتهالك .

وهم بذلك يصفون مشاهد لعلها تحظى بحل من المشرفين على النواحي الاجتماعية ، وقد استحابت الدولة فأنشأت مؤسسة تعني بهذه النواحي ، وأطلقت عليه (الضمان الاجتماعي) ، وبهذه المناسبة فقد أمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز بزيادة مخصصاتهم في جمادى الآخرة عام ١٤١٣هـ في زمن كتابة هذا البحث .

وهناك الجمعيات الخيرية ، وجمعيات النساء الخيرية في حل مدن المملكة ، تقوم برعاية الفقراء ، فتدفع لهم إعانات شهرية ، وتستأجر لهم الدور ، وتشترى لهم أثاثاً .

والشاعر الغزاوي في قصيدة قصصية بعنوان (فاطمة)^(١) ، يحكي معاناة فتاة بائسة يتيمة الأم ، أبوها رجل فقير ، فزوجها لرجل بخيل سقاها علقماً وشواها بالشطايا الآتمة حتى استبد بها المرض ، فأطلق سراحها ، فعادت إلى الأب الفقير ، فاجتمع على الأب مرض الفتاة ، والفقر ، وتقدم السن ، فأصبح في حالة يرثى لها ويستهل قصيدته بوصف تلك الفتاة التي نشأت في ظلال الفقر ، وترى أترابها يرفلن في النعيم ، وأبوها ذلك الفقير الشيخ المتقدم في السن :

(١) البلاد السعودية ع ٧٠١ ، السنة ١٣ ، في ٧/ جمادى الأولى ١٣٦٧هـ - ص ٣. ووردت في كتاب

الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد للفرزان ٨٠٢/٢ .

نشأت تحت سماء غائمة
عالمها حينما فلما أينعت
عاد (كهلاً) يعثر الخطوبة
ورأت أترابها من حولها
يحتسين (كؤوساً) قد صفت
وهي في (ريعانها) مبهورة
(طفلة) تحيا وتقى (صائمة)
واشرابت للأمانى الخائفة
وهي تشدو في رؤاها واهمة
يتنافسن (المروط) (١) الناعمة
ويداعبن (الثغور) الباسمة
تارة تسلو وأخرى نادمة

ثم أخذت تحس بالواقع الأليم ، وآثرت عدم الشكوى لأبيها الذي لا حول
له ولا طول ، فكانت تتجلد ، وتخفي ما بها :

وهي من نسج المنى كاسية
راعها (لقر) أبيها فبكت
كبرت في صدرها (أشجانها)
كل ما تملكه من شأنها
تلاقى في السدجى أسرارها
وهي من سؤر (المآسى) ناعمة (٢)
وانطوت تشكو الهموم الجاثمة
وهي في الخدر (الفتاة) الحاملة
أنها في (عقرها) كالسائمة
وهي حتى عن ذوبها كاتمة

ظهرت عليها سحابة الفقر ، فاندحرت في الزوايا تتوارى عن القوم ، وتمسح
بأطمارها دمة ساخنة تفيض من قلب حزين ، فلا أم لها تواسيها وتمن عليها ،
ولم تجد قلباً رحيماً يرأف بها :

ذبلت أوراقها وانصهرت
تفمر الأستار في كلتها (٣)
يتمت من أمها يافعة (٤)
كلما مرت بها صادحة (٥)
وتوارت في (الزوايسا) القائمة
بالدموع الساخات الساجمة (٦)
ومشت بين (العوانى) ساهمة
من بنات (الأيك) أنت (باغمة)

(١) المروط : الثياب .

(٢) البيت لم يورده الفوزان في كتابه .

(٣) (كلتها) : الناموسية التي توضع فوق السرير لمع البعوض .

(٤) يافعة : صغيرة .

(٥) صفه للحمامة الصغيرة .

(٦) الساجمة : المنهرة .

يهمس الشجو بأذنيها (الهوى) وهي عنه في حروب (قائمة)
شفها السقم طويلاً وارتمت حين لم تلق (القلوب)^(١) (الراحة)
ومع حالها الأليم فقد زوجها أبوها رجلاً ظالمًا بها ، يعتسفها اعتسافاً
ويذيقها مرارة العيش مما زاد حسرتها ، وتداعى إليها المرض :

أين منها ذو لؤاد خالفق أين الدمع وبخشي اللائمة
أين منها شطرها الحاني لها أين ذات (العطف) أي (الرائمة)^(٢)
أجلب الضنك عليها (خليه) وتفشاها وأغضب واجمة
ثم أراها (أبوها) غلية (بقريين) ذي قيود ظالمة
لم يسعها وهي في عصمته غير أن ترضى وتمضي راغمة
زوجت من (مقرر) معتسف
عاث في إحياتها شيطانه يحسب الزوجة منه (خادمة)
مد بنى منها سقاها علقماً فهي منه في شرور واهمة
فاستبد (الداء) في أحشائها و (شوها) بالشظايا الآثمة
غرقت في لجة من (بأسها)^(٣) وتمطى في الليالي القاصمة
تندب (الحظ) وتشكو ضعفها وطفنت فوق الرزايا عائمة^(٤)
يا هول البؤس ! يا للقاصمة
يا هول البؤس ! يا للقاصمة !
ثم يهجرها زوجها ويطلقها فتعود إلى الأب الفقير الذي لا قدرة له على

علاجها ، وهي مريضة ، وهو أنهكه الزمن ، فكلاهما يتن :

وجفاها (الزوج) في لأوائها^(٥) بعد شهرين وريعت (فاطمة)
و (أبوها) معسوز ذو عيلة أكلت منه الضروس القاصمة

(١) وردت في كتاب الأدب الحجازي الحديث للفوزان (الأبيدي) ٨٠٧/٢ .

(٢) وردت عند الفوزان (بوسها) .

(٣) الرائمة : المختونة وهي هنا صفة لموصوف محذوف تقديره : الأم .

(٤) الرزايا : جمع رزية ، وهي المصيبة .

(٥) لأوائها : شدتها .

بلغ (السن) به أقصى المدى
 آهة مكبوكة يرمـلها
 وتراه حين يـسدو في غنى
 غرب بين الناس في مظهره
 وإذا ما الليل أرخى سـره
 حمل الأعباء قد ناء بها
 بنيت الدنيا وما أهونها
 (قصة) لم أروها تزجية
 فهو يحكي (المومياء) (١) النائمة
 إثر أخرى من ضلوع جاحمة (٢)
 مشرق الجبهة رغم الفاقمة (٣)
 وامرت فيه الظنون الراجمة (٤)
 ذرف الدمع سيولاً عارمة
 فهو يستعمل (حسن الخاتمة)
 إن قضى غمأ وتلك (الفارمة)
 لفراغ في فواف كاظمة

فهذه القصيدة نفثة من قلب الشاعر ، يصور بها جانباً من جوانب الحياة الاجتماعية ، فهو يصور أسرة فقيرة أضنتها المعاناة من حيث لا يدري عنها الأثرياء ، ففي غيبة أهل الخير يعثر الفقر بعدد من الأسر البائسة .

إنها الواقع لا يدري به
 أيها المـثرون ما أغفلكم
 فاتقوا الله وآتوا حقه
 وأعينوا كل نفس هائمة (٦)
 لو درينا لا تقينا (الحاطمة) (٥)
 هل على الأرض ظلال دائمة

والشاعر محمد السنوسي لا يتدبر أمر مواطنيه وحسب ، بل إنه ينظر إلى كل فقير من البلاد ، أو وافد نظرة إنسانية ، فيعيب على أولئك السائلين عن جنسيته ، وإنما يدعو إلى المبادرة إلى غوثه وإغاثة أولاً ، فهو يرى شيخاً متقدماً في السن قد حارت قواه ، تكسوه سحابة من الأسى والحрман . وقد تبصر في ذلك الشيخ

(١) المومياء : الجسد المنط الذي كان الفراعنة يمنطونه بمواد يعرفونها .

(٢) جاحمة : فيها من حرارة الجحيم .

(٣) الفاقمة : المصيبة الكبيرة .

(٤) الراجمة : القاذفة بالظنون دون اليقين .

(٥) الحاطمة : يوم القيامة .

(٦) الديوان ١١٨/١ .

الهرم الذي يتكى على عصاه ، ويمضي النهار سائلاً ، ولا من يجيب ، ثم يجد من
يسخر منه ويزيده ألماً ، فيسال عن موطنه وبلده :

خارت قواه وخانه جلده	وانهار من آلامه جسده
شيخ يجر وراءه منكبسه	عمراً تكاد خطاه تفتقده
في مقاييسه وفي ملامحه	صور يخط رسومها لكده
البؤس مانجحة غواربه	في شية متدلسق زبده
والفقر هائجة عواصفه	في وجهه مازيد لبده
أبصرته يمشي وقد شخصت	عيناه واعتمدت عصاه يده
تهوي به رجلاه حيث هوت	والدرب يلفظه ويزدرده
في كل زاوية له أمل	يقتاده من محسن يجده
مدودة يده متممة	شفتاه ما يوحيه معتقده
يمضي النهار ولم تنل يده	يا للأسى - شيئاً ولا كبده

والشاعر بإحساسه الرقيق يقف وقفة متألمة عند موقف السخرية والاستهزاء
والتقريع لهذا الفقير المتقدم في سنه ، فيزداد ألمه ألماً من جاء يستحير بهم ، فإذا هم
يزهون عليه ويتكبرون ، ويسألونه عن موطنه ونسبه ؛ ليلحقوا به العار وبأهله ،
فيرد عليهم - ووقع الكلمات يجري الدموع في عينيه - بأن الأهم تغذيته من أجل
الإنسانية :

حقره فانتهروه وابتدعوا	رأيا هدى الإسلام ينتقده
سألوه في زهو وخطربة	ماذا هويته وما بلده؟
فأجابهم والدمع يخنقه	عبراته والجوع يضطهده
بشريتي بلدي وكل ثري	في الأرض يغذوني أنا ولده
وهويي الإنسان ما خفقت	أحشاؤه وتحركت غدده(١)

والشاعر طاهر زحشري يتحدث بلسان السائل الذي يعاني من العوز

(١) الأعمال الكاملة (شعر) ٣٧٨

والفاقة، ويصف رحلته اليومية مستجدياً طالباً ، بين جموع البشر ، وفي ردهات القصور ، وهو يسرد حكايته في شكل قصص توحى بجانب من جوانب الحياة ، غير أنه لا يعبر عن شمولية بل ولا عن كثرة . ورأى أن أهل الخير موجودين في كل زمان ومكان ، غير أن ظاهرة الإلحاح في السؤال (الشحادة) ظهرت ، لا لفقر ، وإنما عن شجع ورغبة في الاستزادة ، مما يعمي الحقيقة فلا يدري أهو سائل محتاج ؟ أم من أولئك الذين يتخذونها مغتماً ومكسباً :

بعد لأي ، وبعد جهد جهيد	وضياع الأيام في التيهيد
وصراع مع الحياة عتيد	قدفتني بصارخات النكود
في لؤادي من الحياة ندوب	وبلونني من الشقاء شحوب
وعلى البؤس أو تفشي الدروب	حيث تعشى من ناظري الخطوب
في الشتاء الثلوج سري وسقي	وأنا منهك أنوء بضعفي
وحياي الأوضار من كل صنف	ثائرات تقود رجلي لخصفي

فالشعر يرسم لوحة للفقراء الذين يتضورون جوعاً ، وتكسوهم أسماً لا تقيهم الصيف ، ولا قر الشتاء ، وهم يأوون إلى رصيف يلتحفون السماء ، ويفترشون الأرصفة . يجعلهم الشاعر يستظلون في ظلال القصور المنيفة ، إشارة إلى المقارنة بين حياة إنسانين أحدهما يرفل في النعيم والآخر يرسف في شظف العيش .

كما يشير إلى معاناته من أطفاله أيضاً ، أولئك الجياع الذين ينتظرون قطعة من رغيف :

وإذا الصيف بالحرور ترامي	ورماني بالداء يلبى العظاما
وهي تقفاد للنفاء الزاماما	رحمت أرجو لدى العراء مقاما
كم توسدت في الليالي الرصيفا	تحت قصر قد شيدوه منيفاً

يرامى منه التعميم صنوفاً
 *
 والرغيف الذي أريد لزادي
 فهم الآن في أكف العوادي
 *
 وأرى القصر صاحباً بالسرور
 وإلى رحبة تناهى مسيري
 *
 ثم يصف مشهداً آخر للفقير مع حارس العمارة الذي بطر بعد أن شبع ،
 فتاه وتكبر ، وأخذ يدفع به مدعياً أنه لص يحاول الاقتحام ليعيث ، ولم يرحم
 منظره ، ولم يتبصر في مخبره :

ثم ناديت سائلاً بزفيري
 *
 لاح بالقرب حارس في إهابي
 أشبهوه فعاد كاشر ناب
 *
 أرهف السمع فاستشاط وثارا
 أيها اللص لا وقت العشارا
 *
 قلت - والجوع قد أذاب كياني - :
 يارفيقي الذي أراد هواني

أنت لم تدرك حادثات الزماني

ثم يفضي بحالته للحارس فيروي أنه صاحب ثراء ونعمة ، لكن عوائد الدهر
 فتكت به لتزبه العقاب في الدنيا ، فشأنه شأن الحارس الذي يدفع الفقير ، فهو
 أيضاً كان يزجر على الفقراء في غناه ، وها هو ذا ينال جزاءه بعد أن تقدمت به
 السن وكثر الولد ، فهو لا قدرة له على الكسب :

كنت بالأمس في ثراء وفير
 كل همي في أن أعب سروري
 *
 كنت أخشى من أن تمس يميني
 وإذا لاح بالنس في الدجون
 *
 أنهادي في روض نصير
 لا أبالي بيؤس أي فقير
 *
 أي عضو من جسم أي حزين
 رحمت مزججراً في جنسون

فهو بهذه الأبيات يعيب على الإنسان فقد إنسانيته في ترفه وبطره ، وهو يعلن اعترافه بسخريته من الغنى لما تحولت حالته إلى الفقر . والأبيات تصوير دقيق لحالة نفسية تتزأى عند بعض الأثرياء ، وهذه الموجات المتبادلة بين أفراد المجتمع تولد أدباً فياضاً بمضمونه وشعوره .

طالباً منه أن يكف النواحا	إنه الشؤم للمسرة لاحا
وأنا أكرع الهناء قراحا	وهو بالنوح قد أضاع المراحا
♦	♦
فرمت بي للموجعات الليالي	وأحاطت مناعمي بالزوال
بعد أن كنت تانهاً في اختيال	كبتني المسروف بالإذلال
♦	♦
وشجاه ادكاره للنعيم	بعد أن صار طعمة للكسوم
عاد في حاجة لكف رحيم	لتواسيه في الشقاء الأليم
♦	♦
والبرى يذرف الفؤاد دموعا	وارقى في الطريق يلهق جوعا
ثم مد اليدين يرجو الجموعا	وهو لم يلق للرجاء سيمعاً
♦	♦
ورآه البواب في حال بؤس	فدعاه ضميره للتأسي
فجرى راكضاً إليه بفلس	فلقاه في مرارة ياس
♦	♦
وهنا هب ضاحكاً غريدا	إذ سبتاع للعيال ثريدا
بعد أن نال من كريم نقودا	فغدا صوت هاتف أن يعودا
♦	♦
صاحب القصر قدر رآه فظنا	إنه جاره استحال معنى
قال : يا جار ، كنت تسخر منا	فانظر الآن كيف صرت وكنا(١)

هذه القضية إنما هي أدب اجتماعي يسمو لدرجة الجمال الفني ، فقد صاغها في شكل قصصي لمضمون إنساني ، وهي خاصة اجتماعية لا مندوحة عنها في

(١) مجموعة النيل ٤٥٧ .

كل زمان ومكان . وهي تفاعل بين الشاعر وعوامله الخارجية ، وإحساس بحال أولئك الفقراء ، بل عيرة وعظة ؛ فإن الحال لا تدوم ، فيبدل الله اليسر عسرى لمن يطر ولم يشكر ولم يترك ماله بالصدقات ، ويبدل العسر يسرى لمن ثابر وصابر وشكر .

ومضمون القصيدة الاجتماعي لم يتنزل بها عن مستوى الشعر الفني ، بل زاده بهاء وجمالاً . فنجد التصوير الجميل ، وسلامة الألفاظ وورقتها ، ورقة التركيب ، وقدرته الدلالية ، فهو يصوره تائهاً في الخيال ، والصروف تكبله بالقيود ، وهو يلهث أمام العابرين ، ويمد يده أما أنظارهم ، ولا من يجيب ، حتى يشفق عليه الحارس فيعطف عليه .

وهو لا يقف عند هذا وحسب ، بل يستدعي الحالة النفسية ، فالإحساس بالألم من المشاهد حتى بلغ أن يطلب الكف عنه .

ثم إن صاحب القصر كان أيضاً فقيراً معدماً يطلب القوت عند ذلك المسكين ، فسبحان الله ! وتلك الحالة تكاد تفقد صاحب القصر الصواب ، وهي صورة متكررة ، فالكل يذهب عند الأمر المستغرب الذي لم يعهد . إذن فالقصيدة من باب الأدب الاجتماعي الرائع .

ونظر الشعراء بمنظار اليتيم واستلهموا حالته ، وتبعوا واقعه ومسيرة حياته ، وتألّموا لألمه ، ويتنون لأنينه . ويصورون حالة اليتيم والبوس وفقدان الحنان والعطف ورعاية التربية ، ويرسمونه متضوّراً جوعاً ، يتلوى من شدة البرد حتى أليسته البالية الممزقة يصورونها .

والقرشي^(١) يرسم لنا لوحات متتابعة عن اليتيم :

(١) حسن عبداً لله القرشي ، ولد بمكة المكرمة عام ١٣٤٤هـ ، عمل بالإذاعة ، وكتب بالصحافة ، وهو شاعر من الشعراء المعاصرون في البلاد العربية . له شعر مسرحي ، ومجموعة قصصية ، وعمل سفيراً في السودان . وما زال يتمتع بصحة جيدة أدامها الله عليه ، انظر : الموجز في تاريخ

لفه الليل مكفهـر السـتائر
ملء أجواته اللطـي والهـاجر
ـران في لجة الخضم السـائر
حافلات وهو الغريب المحاذر
ح جهام ترعى الوحيد المسامر
هب في عمره الصغر المبـاكر
ل غريقاً في هـوه جد سادر
كبلته بالدعر أيدي المقادر
حرت في الناس لا أرى غير كاشر
ء بجسمي وأرقتني المأسر
ومهادي هنا مدى وخـاجر؟
كيف أحيا أنا العديم الذاكر
غير تـريف ضونها المتـائر
واقهرا قسوة الزمان الجائر

فالأبيات تـزى بالصـور المتلاحقة لهذا الطفل البائس الشريد . فهو فرد بين
مواكب بشرية لا تحس به . بل هو في مركب يصارع الأمواج العتية ، وهو يتألم
غارقاً في ظلماته ، يستصرخ أباه وأمه لو كانا يجيبا :

فامضيا حيث النعيم المبادر
بعد برد عاتي الطيعة جائر
فني ولا تحوي فؤادي المخاطر
لا أرى في الحياة بي غير ساخر
م أصمتهما رجـام المقابر
جف معنى الجواب من فم عاذر

أي عان مشرد الفكر ساهر
الصبا الغض طي برديه لكن
يتظنى الحياة زورقه الحيـ
ويرى الناي في مواكب بشر
شاخص والرؤى لعينه أشبا
ويح قلب طوى على الألم اللا
روعته الآلام والكون مازا
ياله الله من وليد غريـر
كم ينادي : أبي تعال فباني
آدنى البأس يا أبي ونوى الـدا
أو يحلوا لك المنام قريـرا
وينادي : أمي الأرحمة بي
ليس تدري طعم الرقاد عيوني
ليه ، أمي ، أبي ، تعالا خـداني

أتما أصل شقوتي وابتاسي
حيث يسري الدفء اللذيذ بنفسي
حيث اشدو كالطير لا هم يضـيب
أيظل الصدى يراود أذني
غير أن الأب الذي يتاديه والأم
لا يحيران للسؤال جواباً

الأدب العربي السعودي لعمر الساسي ٢٠٩ .

قبات الحنان عزت على الطفل وكم هدهدت شجى في السرائر
والعيون اليقظى تحفظها البس بين وكانت عليه جد سواهر!
من له بالوديع من سحرها الحما لي وبالقد من هوى مطاطر؟
كم تمنى لو يستجيب التمني لدموع قد رقرقتها المحاجر! (١)

والفقر ظاهرة لا بد منها في حياة المجتمع مهما تقدم أو تكاثرت الخير فيه ،
اللهم إلا نادر . وإن كان نادراً في أيام عمر بن عبدالعزيز فهو كذلك في زماننا
المعاصر هذا ، لا سيما بعد تدفق الخير على بلادنا في العهد السعودي الزاهر ،
ومع ذلك نجد أن هناك حالات تغيب في ركاب المجتمعات ، ومنها تصوير يجيب
توفيق لإحدى البنائات :

وبائسة تكفها الشقاء وأذبل ورد خديها الكساء
تكفكف بالدموع دموع طفل وقد جاع الصغير ولا عشاء
وتبكي من فؤاد بات مضي ولا عيش هنالك ولا كساء
وتحبو بالضلوع على رضيع وقد جار الشتاء ولا غطاء
وتقضي الليل تلحف السماء فلا بيت لديها ولا خباء
وتشكو من سقام راح يسري بمهجتها وقد عزّ الدواء (٢)

وقد عالج البوس والفقر الشاعر الدكتور عبد الله العثيمين ، فقد استشر حالة
امرأة تسربت بسر بال فقر وعقد معها صحبة ، فهي دائمة البوس والشقاء ،
تعيمة حياتها ، فلا غذاء ، وكساء ، فهي عرضة للأمراض ملازمة للفراش ، ولا
دواء . وتشتد كآبتها لما ترى الأثرياء من حولها وهم لا يعطفون عليها ، فيستنكر
الشاعر هذه الخصلة من منطلق إسلامي ، فهم لم يراعوا حق الجار والتكافل
الإسلامي :

لبؤس للألم المروع للتعاسة للشقاء

(١) الديوان : ٢٢٢/١ وما بعدها .

(٢) أودية الضياع ١١٦ .

لكآبة المستضعفين لمربؤس الأشقياء
خلقت على هذى الحياة تذاق أنواع البلاء
الداء يلزمها الفراش وليس في يدها دواء
ومصائب الأيام تدنفها وليس لها شفاء
كانت وما برحت حسرة بين الضلوع
ترنو فيغمض مقلتها منظر العدل الصريع
فنة تظللها السعادة بين أزهار الربيع
سبت وشابت في النعيم وحوها تلك الجموع
وهي (تفتش) عن فتات العيش بالدم والدموع (١)

والدكتور أحمد السالم يعالج قضية الفقر الذي يؤدي إلى الضعف في عيون
الناس في ذات الفرد ، والناس من حوله يتندرون به ويعللون ذلك بأسباب واهية ،
والفقير في عزه يرفل ، وفي ضعفه يقوى :

فصافحت المخاطر والظلاما	عيوني ما رأت في الكون نوراً
أحقق ما تعذرني احتلاماً	سأخفي في جناح الليل ضعفي
إلام أظل في ضعفي إلاماً؟	علام أعيش ؟ كيف أقيم صلي؟
كأن عليّ من ضعفي وساماً	وكل الناس تدعوني بضعفي
وأبدي الساخرون بي اهتماماً	وإن أخفوا تدرهم بضعفي
وقد سمعته آذاني كلاماً	فقد نظرت عين الصدق رسماً
نحيل الجسم لا يجد الطعاما	وإن أقبلت قالوا باحتقار
تعجل مرضعوه به الفطاماً (٢)	ومنهم من إذا أقبلت قالوا :

وهذا اللون من الشعر الاجتماعي يترقى إلى درجة الإنسانية التي تتآزر
وتتعاضد ، بل تتبادل الإحساس . وتلك القصائد نبعت من شعور صادق مما

(١) عودة الغائب ٣٤ .

(٢) د . أحمد السالم : الديوان ، مخطوط .

أكسبها وهجاً وحرارة في التعبير ، وتبادل دلاليّاً بين الشكل والمضمون ، والتدفق العاطفي ، فهي ومضات شعورية فكرية أدبية . فإن موضوعاتها مترابطة الوشائج، تتلاحم في روابط الوحدة الإنسانية ، وهي تحمل أفكاراً حية عبر الأحقاب الإنسانية ، فهي حية بحياة الإنسان . فالقصائد صور حية موحية تفيض بتجارب محددة ، في لغة تشع بالدلالة .

المبحث السابع الجمعيات والشركات

المجتمع في حاجة إلى التأزر والتعاون ، لا سيما في مستهل تكوينه ، حيث لا موارد . ولكن المجتمع النابه المتيقظ ذلك الذي يبني كيانه واقتصاده . وقد دأب مجتمعا في بداية تكوين النهضة على الاستعانة بنظام الجمعيات والشركات والمؤسسات . فهل هناك همة أعلى من تكوين شركة طيران في عام ١٣٤٩هـ ، في مثل مجتمع آباتنا ، في ذلك الزمن .

ثم هم قاموا بتكوين شركة للسيارات ، ثم جمعية الإسعاف ، وهكذا حتى استقام للدولة كيانها ، ورزقنا الله خزائن الأرض (البترول) ، فتعهدت الدولة بالبنية الأساسية للبناء الشامل من تعليم وطرق ومشاريع .

ثم بعد مرحلة الطفرة تكونت الجمعيات الخيرية التي تتعهد جمعية كل مدينة برعاية الفقراء والمعوزين ، وتسهم في التثقيف العام . والجمعيات الخيرية النسائية تعني بالمرأة السعودية تعليماً وثقفاً وتوعية وتديراً منزلياً .

ومن أكثر الجمعيات نشاطاً جماعة تحفيظ القرآن الكريم التي تألفت في المناطق والمدن الكبرى ، وعمّ خيرها وأخرجت لنا حفظة للقرآن الكريم ، وأئمة يحفظون كتاب الله ويمجدون تلاوته . والدولة تتعهد بتلك الجمعيات بالإعانة والرعاية . وقد كانت ترعاها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ثم انتقلت إلى وزارة الشؤون الإسلامية .

ولما رأت الدولة أن الاستغناء الذاتي للغذاء أمر بالغ الأهمية أوصت بتكوين الشركات الزراعية كشركة نادك ، والشركة الزراعية في حائل ، وشركة تبوك الزراعية ، وشركة القصيم ، وشركة طيبة ، وغيرها .

ومثلها الشركات الصناعية الكبرى ، مثل سابك ، وشركات الأسمت . وقد عبر الشعراء عن دور هذه الجمعيات ودعوا إلى الاكثاب فيها .

إذن فالتعاون هو عماد البناء الحضاري . فتيقظت الدولة له في أوائل عهدها لتأسيس الشركات الوطنية في مناحي شتى ، كشركة الطيران ، وشركة

السيارات، وجمعية الإسعاف وغيرها . ذلك في مستهل النهضة ، ثم تبنت الدولة تلك المشاريع وطورتها ، وقد دون الشعراء تلك الجمعيات ، وليس هذا وحسب ، بل جعلوا من أشعارهم نداء وطنياً ، فدعوا المجتمع إلى المساهمة في ذلك . يقول الغزالي في ١٣٤٩هـ في شركة الطيران :

دعا الداعي - فلبته الجموع
ونافس كل ذي سعة أخاه
تباروا في (اكتاب المجد) حتى
وجاروا في المفاخر كل شعب
كأنني بالجزيرة وهي تزهر
تري فتياها في الجوحما
تقر عيونها - مما أبرت
أخذنا في النهوض وما انثيا
وآلينا الحياة بكل باب
واقمنا على أن لا نبالي
وله قصيدة أخرى عام ١٣٣٥هـ :

واكتاب يستوي فيه معا
والفني الشهم في ثروته
ولنا فيكم رجاء ساطع
هو بذل وسخاء من رضا
فتيات الشعب يسبقن الذكور
والفقير النذب والنشء الغيور
قد عقدنا فيه لله النذور
واعقاد واقتصاد وولور^(٢)

والشاعر محمد أحمد العقيلي عاصر توحيد البلاد ومعاناة القائد عبدالعزيز ، وأدرك أهمية الأمن وظلاله الوارف على الجزيرة ، وأحس بتطور التعليم ثم بناء النهضة العمرانية وبناء المدن . وتحول القرى إلى بلدان ، والبلدان إلى مدن .

(١) أحمد الغزالي : الديوان ١/٦٧٠ .

(٢) الديوان : ١/٨٠٦ .

والمدن توسعت وتألقت ، وقد أضيئت بالكهرباء وتألقت ضياء ، وأشرفت
 أنوارها ، فهو تصور لنا تطور المجتمعات في مدن المملكة العربية السعودية ، يقول:
 النهضة السماء فجر تقدم وصباح عصرنة تقيض سناء
 طلعت على وطن العروبة شمها فمحت بسافر صباحها الظلماء
 وحضارة طرأت تبدل كل ما قد كان يقعد بالحياة وراء
 تجري على سنن التطور فازدهى فيها التقدم والعلوم وسواء
 سمت إلى أوج المعالي والعللا في سرعة الضوء المشع مضاء
 سير شائخة يواكب ركبها ثقة النجاح تطلعاً وبناء
 والشاعر يسطر الفكر الباني لهذه البلاد ، فالتخطيط للحاضر والمستقبل ،
 والنظر الثاقب لموارد البلد ، وظهور معالم النهضة في كل إقليم ومدينة وقرية ،
 حتى بلغ قرى تهجير البوادي وعمران الصحاري الجرداء :

خطط محكمة توظف للبناء والازدهار حصافة وذكاء
 فجرى بها العمران بحراً زاخراً متسربلاً - برد الرخساء - رداء
 فإذا المعالم في (الجزيرة) غيرها بالأمس إن عرفتها أسماء
 لا (وجرة) مثوى (الظباء) كعهدا أو في (زرود) ترى (المها) والشاء
 وإذا الحظائر والطلسول تبدلت قصر أشم و (دائرة) زهراء
 خفيت بها الأشباح لا غيلانها عزفت ولا ظلماؤها الظلماء
 وهو يشير إلى أهم المظاهر المعاصرة في المدن ، تلك الإضاءة بالكهرباء التي
 أضاءت مدن المملكة ومعايرها :

غسلت بضوء (الكهرباء) ظلامها تذررت غلب الجنان كساء
 والواقع أن التقدم المذهل لتكوين المدن وبناء الأحياء والطرق أمر لم يعهد
 من قبل ، فهذه الصحراء ازدانت بالمدن :
 مدن على متن الزمان تواجدت في سرعة قد غطت الصحراء
 بتت كمانحة الخيال تألقاً من شاعر هز الوجود غناء

جمعت إلى فن العمائر روعة الإبداع والفن الجميل طلاء
من كل ناطحة السحاب تغلغلت في الأفق نافست النجوم بهاء
أغفى الجمال على سنى غرفاتها توشد الصالات والأبهاء
وهو يحكي قصة المصانع وهدير الآلات ، وعالم التجارة وعوامل الزراعة ،
وإنشاء الموانئ والمطارات :

وإذا الفيافي الريد رجع مصانع وهدير آلات تصمم نداء
كشفت بساطع نورها سز الدجى وأحالت الصبح المبين مساء
وترى المصارف والسدود تخالها شمّ الصروح متانة وبناء
بحر يمور وراءها وأمامها برقموج خضرة وغماء
ويصور صروح العلم من الجامعات والجوامع والمعاهد التي شمخت بها المدن،
وتناثرت في القرى ومناكب الكلاّ وقمم الجبال :

وترى (الجوامع) والمعاهد شيدت أنسى أتجهت تخاليت شمّاء
ضمت لأعلى الكليات وهينت للعبقرية والنبوغ رجاء
وترى الوسائط والوسائل غيرت بساجل منها راحة ورفاء
طرق ممهدة يزل النمل في أرجانهم ملاسة وصفاء
قد ذللت أعتى الذرى في شامخ ورعان أصيد لا ينال سماء
سبل مسفلنة تخال متونها وهج الزجاج يكسر الأضواء
تساب في أجوازهن وسائل عصرية ، جري النسيم رخاء
ومئات آلاف من الأميال في شرق وغرب تربط الأجزاء
نظمت مرافقها المدائن والقبرى نظم العقود لرائداً عصماء
وموائناً في كل ثغر رصفت حجرت أتى الموج والأنواء
مدت إلى عمق البحار لسهلت أعمالها الإقلاع والإرساء
فتوافدت سفن التجارة نحوها من كل مملكة صباح مساء
ومؤسسات للمشاريع التي تولى الفنى وتجلت النعماء

تهنأ بها بين الشعوب ميادة
 ما بزومين ولا مصاع قد جرى
 ومؤسسات الجو إلا بعضها
 خدمات صدق في مجالات سمّت
 وعناية طيبة مجانية
 ورعاية وضمنان تأمين لمن
 ومؤسسات للشباب تكفلت
 دنيا مؤهلة العطاء لكل ما

وصناعة وتجارة وغناء
 ليها الحديد صنائعاً عذراء
 وكفى بها فخراً لمن قد شاء
 للشعب فات عديدها الإحصاء
 شملت شعوب الضاد والغرباء
 لم يستطع أو شارف الإعياء
 علما وتمربناً - هم - وغذاء
 تسمو الشعوب رعاية ورخاء(١)

والجمعيات تحولت إلى شركات تفيد المساهمين ، وتدعم الاقتصاد الوطني،
 وتوفر العمل لأبناء المجتمع ، وقد يدعى إلى الاكتاب فيها بقروش معدودة في
 ذلك الزمن ، حيث لا سيولة نقدية ، فتتراكم تلك القروش فتكون مصنعاً كمثل
 مصنع النسيج الذي أشاد به طاهر زحشري :

هز في كفه الخراع ولكن
 وتصدى يغالب الدهر حتى
 لبنى المجد في الحياة فعلاً
 تبارى حياله وتنادي
 منبع اليمن و (السرور) بكفيـ
 فإذا ما البلاد فاضت ثناء
 أرضعتني اللبن منها حرام

في جوار الخراع عزم حديد
 صرع الدهر واجتني ما يريد
 جندها : القول والسدى والنشيد
 أنه قائد ، وأنا جنود
 هـ ، ومنه على النبوغ شهود
 قال : إني بجهها معمود
 إن أم دون يلهها ما تريد

والشاعر يكشف لنا عن كيفية تكوين الشركات ، فهي تحتاج إلى رائد يدعو
 لها بلسانه وقلمه ، وجهد يئذه ، فهذا محمد سرور الصبان ، يدعو لبناء شركة
 النسيج ، فيعلق ذلك في الصحافة ، ويجمع لها الأموال ، ويكون جمعية تشرف

(١) فاويق الغمام ٢٠

على العمل ، وصاحب الفكرة يسر بهذا النجاح لأنه يسهم في بناء وطنه، وليس هو الوحيد في هذا الميدان ، فإن الجموع الكثيرة من أبناء الوطن يتدافعون حول البناء مساهمة بأموالهم ، وجهدهم وفكرهم ، وهم يتنافسون في دفع التبرعات أو ما يدفعونه من الأسهم ، وهذه العزيمة على تكوين الشركات وبناء الصناعة في زمن شحت فيه الموارد ، وقلت الكفاءات ، وصعب فيه المواصلات ، لكن عزيمة أبناء الوطن كانت أقوى ، فتصدت لتذليل جميع العقبات .

ضم في ساحة الجموع فاروا	وعليهم من الوئام بنود
يتسارون في ابتساء المعالي	كلهم جاهد ، وكل شهيد
ويؤدون واجباً من طريق	نثر الزهر حولها والورود
وطريق الألى يشيدون مجداً	شائك ، والصعاب فيها قعود
غير أن الثبات يلتهم الصعاب	ب ، ويلوي قناتها ويبيد
فإذا ما الجهود ضمت نطاقاً	كان حتماً لأوجها التصعيد

والشاعر يلفت انتباهه ذلك المبلغ الزهيد الذي يدفعه الباذلون ، إنه القرش ، فإذا تكاثرت القروش فإنها تكون المبالغ ، وعدد هذه القروش هو عدد المساهمين في هذا البناء ، فإن التعاون والتعاقد يكونان القوة ، ولا نهضم قيمة الرجل الإداري القادر الأمين فإنه يستطيع أن ينجز إنجاز كبيراً ، ولولا القدرة الإدارية لما نجحت الشركات بهذه المبالغ الزهيدة ، فإنهم ينظمون العمل ، ويدفعون الأجر لمن يقدم العطاء ، ويعدون المحسوبة من عملهم ، ومن هنا تربح وتنجح الشركات .

ومشى (القرش) في زهو إلى أن	صار يني بصرحنا ويشيد
جاهد بصرع الحوادث حتى	أدرك الفوز ، واحتواه الخلود
فهو الآن زاهياً يتغنى	كل عام لنا يناديه عيد
وخطاه على الزمان ثبات	حقها من (رئيسنا) التأييد
كان (قرشاً) لكنه عاد ليضاً	عند ينوعه يطيب الورود

لبدى فارعاً يصالح فتحاً
وإذا ما النجاح صادف أمراً
فهي (وفرة) غناها (اقتصاد)
وتجلت عليه من مسحة الجـ
لأليادي محوك تنسج لكن
ولنا منه كل يوم جديد
تبعته الآمال وهي عيب
منهما اليوم في الحياة تعود
مد معان قد صافحتها الجدود
سدنة الخيط بالحجى مشدود

فالأليادي تنسج نتاج الفكر ، ونتاج العلم ، ممزوجة بعزيمة الرجال المخلصين ، والأمة ما أحوجها للبناء الصادقين المؤمنين المخلصين الواعين بمتطلبات الأمة ، القادرين على البناء الاقتصادي فإن المجتمع يتغني من يرعى حقوقه ، والواجب على كل فرد أن يبذل قدرته وجهده كل حسب طاقته لكن يجب على المجتمع أن يحق حقوق الفرد المخلص العامل ، فيعطيه المكافأة حسب ما بذله ويرفع العامل الأمين المخلص المنجز ، ويجله تقديراً ، وأن تكون رقابة الدولة على إدارته الإنجازية فتدلل للجداد ، وتعاقب المخالف ، حتى يرتفع اقتصاد الوطن .

مصنع للنسيج شيد نواة
هو في حلبة المشاريع طفل
في سبيل البلاد أصدق عزم
وخطى الأمة الفتية هون
إن أغذت فليس إلا نجاح
وكأنني بمن يشيد علاها
فناديه (يارئيس) لتحييها
سوف يحميه طارف وتليد
ومن الآن نفعه مشهود
في سبيل البقاء هذي الجهود
ومداها إذا استدامت بعهد
أو توانت فليس إلا ركود
إن يؤيد فعاله التمجيد
إنما أنت في البلاد عميد(١)

والشاعر طاهر زمخشري يرقب تأسيس الجمعيات الخيرية النسائية ، ويمجد القائمات عليها ، ويعجب بأهدافها ، من رفع مستوى المرأة السعودية ، ومكافحة الأمية ، وتعليمها فنون الخياطة ، والتدبير المنزلي ، وهو يشيد بالجوهرية بنت محمد

العنقري ونشاطها في الجمعية الفيسلية النسائية بجدة :

سورت بالسماوات وجه الليالي
لا تقولوا : كما الثريا ، فقد لاق
ولها (دارة) تجمع فيها
بسمات المنى تشع حوالها
يمنح الحب للرعاية بالأم
فراينا كيف الجمود الذي ران
طرفها لا يربش إلا سهاماً
حدها الدين والمضارب أخلاق
وعليها من الحياء كساء
عقري الشعاع ، في معزف العف
زادها فتنة .. تيرهن أن الحس
وتساءت عن زخرف القول للفعل
بالذي في إنطلاقها من معان

فارتنا طريقنا للمعالي
ت لجوم السماء بالأعمال
عشرات من الدراري الفوالي
بها حسناً مغردات النوال
وييني معاقل الأبطال
توارى من فعل ذات الحجال
نالفذات تصيب دون قتال
ونجلوا حميدها في الخصال
لم تتركش أطرافه باللآلي
سه حاكته أنمالات الجمال
من أبهى الروانسه في الكمال
لكان الجنى بلوغ المنال
لفها النور في جليل الفعال

والمرأة تمثل نصف المجتمع ، والمرأة العاملة في حدود التوجيه الإسلامي تفيد ذاتها وأسرتها ، ومجتمعها ، وربة البيت عاملة ، والمرأة أخذت تبادر إلى الإنجاز ، ومنهن من قامت بتأسيس جماعة لتوعية المرأة ، ومساعدتها في شؤون حياتها ، إما بتعليمها ، أو تدريبها ، أو تقديم الإعانة لأسرتها ، والجمعيات النسائية تديرها المرأة ، وهي عضوة في إدارتها ، ومنهن الجوهرة بنت محمد العنقري التي بذلت جهداً للجمعية النسائية في جدة ، فهي تهدف إلى تكوين الأم المثالية ، والفتاة العاملة ، التي ترعى حقوق الأسرة وتنجز أكثر مما تستهلك .

فراينا مشاعل الدرب ربـ
في صميم الحياة تقشع بالإفـ
وينرن الطريق بالأمل الضاحي

سات بأيمانهم أقوى نصال
سناع ما للظلام من أسدال
تساعت أطياره في الجمالي

وتصديين للجهاالة كانت
حركات في الدماء فينا المروا
فإذا بالزمان يشهد أننا
قد أقمنا الصروح للأجيال (١)

والشاعر حمزة إبراهيم فوده يحكي مآثر جماعات تحفيظ القرآن الكريم ،

ويشيد بالجهود المبذول في سبيل الله لحفظ القرآن وتلاوته تلاوة صحيحة :

... حفظوا الكتاب ، ورتلوا القرآنا
هذي العقول ، تنورت بضائه
والحق بين يمينها وشمالها
غفر الإله لهم لما قد قدموا
فشفاة القرآن خير شفاة
ترويه من ظمأ بري من رضى
والمداوي الأرواح منح حكم الكري
فلطالما داوى الكتاب جراحها
قد أشرقوا بضائه فمثلوا
وقضوا حقوق الله في قرباتهم
عرفوا الإله فأسلموا لقياده
روح بآيات الكريم ولفظه
مرحى بأهل الله في بلد الهدى
مرحى بأهل الله في خير البقا
مرحى بأهل الله من حملوا الكتا
مرحى وإن عز البيان بأهله

فحولت منه القلوب جنانا
فضلألت إشراقه وبيانا
يجري على مسرى العروق كيانا
للمسلمين وعظموا القرآنا
للعبد جلّ إلهه رحمانا
رب كريم بالرضا يرعانا
م وآية ما يرفع الإنسانا
والدين يعد باهدى حيرانا
خلقاً به وساحة وعيانا
وتلمسوا نور السما إمعانا
أرواحهم ونفوسهم عبدانا
حيران واملأ صدره عرفانا
فاضت مشاعرهم به أشجانا
ع تجلياً للحق إسراراً بها وأمانا
ب فعزهم في المسلمين مكانا
وتلمسوا الإيجاز عنه بياناً (٢)

(١) مجموعة الخضراء (شعر) ٦٤٦ ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ، نهامه جدة

(٢) لحن قلب ٢٤

والشاعر مسلم العطوي^(١) يسطر سجل الشرف للملكة العربية السعودية بقيادتها النهضة الزراعية في الشرق ، لا سيما العالم العربي والإسلامي ، حيث أخذت تلك الصحراء تكتسي حلاً خضراء من حبوب القمح والأعلاف ، وتصدر إلى دول العالم ، وتمتد يد العون للدول العربية والإسلامية في قصيدة بعنوان (مناجاة حادي العيس) :

يحضي سريعاً تقود العيس وجناء	يا حادي العيس تستهويه ببداء
ارفق خطاك فهذي الأرض خضراء	مهلاً رويدك إن اليد معشبة
تكسو البطاح ووجه الأرض صحراء	إن كنت تمهد تلك اليد مقفرة
يزهو بها الزرع والأغصان غناء	فاليوم أضحت بحال لست تمهدها
في لحة العين زانت فيه المنحاء	اهتر منها أديم الأرض مفتبطاً

فالشاعر امتطى سفينة الصحراء شأن آباته الأوائل الذين يجبون الصحاري القفار ، فلا ماء ولا مرعى ، ولا أنيس بل مخاوف تسلم إلى مخاوف ، أما اليوم فإن الراكب يتمتع بصره بالنسيج الأخضر الذي اكتست به البلاد ، فقد تغير الحال من الجفاف والقحط إلى المناظر الرائعة والرياض الخضراء ، وهذه تبوك التي كانت محطة للحجاج من الشام ومصر حين ينتقلون منها إلى المدينة فإنهم يمرون بوادي الأخضر تلك الصحراء المهلكة التي استعاذ منها ابن بطوطة وروى أن أحد الحجاج اشترى شربة ماء بأربعة آلاف درهم فمات البائع والمشتري^(٢) .

والشاعر يضرب بمزارع تبوك المثل بل إن الزراعة كست تلك الصحراء المهلكة فهي أفضل مكان للزراعة في منطقة تبوك .

(١) ولد بتبوك عام ١٣٧٢هـ ، تخرج من كلية اللغة العربية بالرياض ، درس عدداً من السنوات ، ثم التحق بإمارة منطقة تبوك ، وهو الآن سكرتير نادي تبوك الأدبي . انظر : تبوك قديماً وحديثاً لمسعد العطوي ١٩١ .

(٢) انظر : رحلة ابن بطوطة ٦٨ .

يا حادي العيس هل لجواي تسمعها
إن كنت تحسب هذا القول معجزة
فانظر تبوك تباهي اليوم منظرها
تلف الحقيقة للأبصار واضحة
فرش رقيق من الديقاج زينها
هلا رأيت فجاج الأرض إذ كسيت
أما تمننت تلقى كل سنبلة
إذ ما غشاها نسيم ثم داعبها
بجر تلاطم في اليداء لجته
حين القطف إذا الإيناع أبدله
وللقارئ أن يتصور موسم الحصاد الذي يجنى من آلاف الهكتارات ، فإن
تلك الصحاري أثمرت الخير والبركة بفضل الله ثم ببذل الجهد من الدولة
والمجتمع، فكل يؤدي دوره ، والشركات أثمرت زراعة الحبوب لا سيما القمح ،
وكانت الدولة تشتريه ، وتقوم بتسويقه .

أكرم بيوم بدا والحفل يشهده
يوم الحصاد وذا يوم مآثره
تشدوا تبوك هذا اليوم من طرب
من جد فاز وراعي الزرع يحصده
إن السواعد تكسو الأرض خضرتها
ويشير إلى رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز ، وسمو
الأمير عبد الله بن عبدالعزيز ، ولي العهد ، والأمير سلطان بن عبدالعزيز ، النائب
الثاني ووزير الدفاع :

الفهد دوماً إلى العلياء قائدنا
يبنى ويعطي وعبد الله نائبه
فاضت على الشعب من أيديه آلاء
ما يتتيه من الأمجاد علياء

للخير معاه وسلطان ساعده
سارت تبوك بدرب المجد قائدها
تزهو بفخر ففيها اليوم " تنمية "
زادت بها أرضنا الخضراء رقعتها

وراكب المطية بمتع بصره وبصيرته بتلك المناظر ، ومن يمتطي السيارة ، فإنه يعجب بهذه الكيلات الطويلة المكتسية بالخضرة عبر مسيره في ذلك الخط الطويل الذي يمر المزارع من حدود الأردن إلى تبوك ، ويستمر ما يقارب خمسين كيلاً جنوب تبوك ثم يلتقي بمزارع تيماء في حدود ثلاثين كيلاً ، ثم يمر مزارع متعددة متباعدة ، لكن يستمر تواصل المزارع من حائل حتى بريدة فيما يقارب ثلاثمائة كيلاً ، ففيه شركة التنمية الزراعية بحائل ، وشركة القصيم الزراعية ، أما راكب الطائرة فإنه أمام تلك الدوائر التي تملأ الأرض فالمشاريع على شكل دائرة .

يا حادي العيس سر فالدرب مؤنسة
أمرر بحائل يرضي العين منظرها
فالفهد ينشر في البلدان عزتها
أبناء قومي ، ابنا اليوم نهضتها

والشاعر يستنهض الهمم ، ويشيد بمن يذل للمجتمع ، ويدفع إلى الخير ، وهو يتمنى أن يتواصل البناء ، وأن يقوم عليه رجال مخلصون ، قادرون على العطاء ، يحملون الأمانة ، ويرعون حق المجتمع ، وهذا ما يجب على كل فرد في المجتمع ، فكيف بأولئك الذين يديرون مؤسساته واقتصاده فيجب عليهم الرعاية بالإدارة ، ومتابعة الجديد ، والأمانة في حفظ ثروات المجتمع حتى ينهض المجتمع ، ويزداد خيره ، ويقوى بنيانه ، ولا سيما أن الشركات ناجمة عن مساهمة من الأفراد فلهم حقوق يجب أن يرهاها المشرف ومجلس الإدارة .

إنا لدينا لنيل المجد مطلبه
الجد واليد والإخلاص ثروتنا
لا تلهكم عن دروب المجد أهواء
والمال والآلة والأرض والماء

هوا ، فلا عذر بعد اليوم ينفعكم
سيروا وأعطوا فبذل الجهد إعطاء
شيدوا مع الزرع للتصنيع أمكنة
كيفا يكون لهذا الشعب إكفاء
بغى الحضارة تبنى من قناعتنا
لا نستكين لما يمليه أعداء
لا مجد يرجى إذا الأقوام قانعة
ذكر الحقيقة لا يلفيه إخفاء
سيروا على النهج فالإسلام شرعتنا
لا عجز إن صار للإسلام إقصاء (١)

قبل فترة قصيرة من الزمن كنا نستورد جل الأشياء الضرورية والكمالية ،
وفي المرحلة الأخيرة نهضت البلاد بالصناعة ، فأخذت المدن تزدهي بالمدين
الصناعية ، وأخذت المصانع تنبعث مواكبها للاحتياجات الضرورية .

ثم فتحت المصانع للمواد الحديدية ، والبلاستيكية ، والأواني ، والأطعمة ،
وضروريات الحياة ، وكمالياتها . وقد رعت الدولة الرشيدة ذلك ، فقدمت
القروض وسهلت الدروب ، وساعدت على التسويق ، وفتحت معارض صناعية
تجمع فيها وتباع بأسعار معتدلة . والأمراء في المناطق يراعون هذا المهرجان ،
ويتكاثرون فيه أناس ليشترؤوا حاجاتهم ، ويفد إليه الرجال والنساء في انتظام ، لكل
منهما يوم معروف . واللواء علي الغامدي يتجهج بافتتاح المعرض للصناعة الوطنية
في مدينة الطائف في ١٤٠٥هـ :

يارؤى العزّ بهجة وانبهارا
جددي الذكريات والافتخارا
زغردي للعلا هوى واعتزازا
بدواعي العلا إباءً وابتكارا
وارقصي في دماننا بسيوف
لمها السعد يخطف الأبصار
كم عشقنا سرا وما ظل فينا
من فؤاد يخامر الأسرار
وصبرنا وللعلا زفارات
وشكونا الحظوظ والأقدارا
وطوانا التاريخ عهداً طويلاً
في زواياه كم فقدنا الخيارا
لم يكن عجزنا طبيعة خلق
إنما كان في الملا أطوارا
فالفرحه التي تغمر الفرد المخلص لمجتمعه تتألق حينما يرى معرضاً متكاملأ

(١) د . مسعد العطوي : تبرك قلباً وحدثاً ١٩٤ .

من جهد أبنائه ، وصنع في وطنه ، ذلك أمر افتقدناه في الزمن البعيد والقريب نتيجة لفقدان الوعي والتقدم اللذين لم يكن لهما وجود قبل بناء المجتمع وقيام الدولة السعودية ، والشاعر يتدفق بأحاسيس أبناء المجتمع الذي يعلن شكره لله أولاً ثم تقديره لأولئك الذين يراعون تلك الصناعة ، ويعملون جاهدين لإنشاء المصانع وتطويرها ، والواقع أن الصناعة ما زالت تخطو خطوات جيدة ، لدقة التنظيم والقانون الذي يصلح شأنها ، ولاعتمادها على إدارة الأعمال الأكثر إنجازاً والبعيدة عن المحسوبية .

واذكرونا ما كان يا للمعاني	أي مجد كنا له الأقمارا
واحتملنا عنف الهوى في عباد	عن ذرى المجد نلعق الأعذارا
وإذا بالإنه يمنحنا العو	ن لتجري أرزاقنا أنهارا
وسعت جهدها الحكومة تبني	في جهود مشكورة آثارا
وامتنينا في عصرنا سهوات	في ميادين سبقها لا يجارى
وعلى اسم الرحمن سرنا فمرحى	بمسير العلامنى وانتصارا
إنما الأذرع الصناع لخير	تمنح القوم نهضة وازدهارا
فاهضي يا شمس فالعز أت	يتحدى الظلام والانتظارا

وهو يزهو بهذه الصناعة ، وازدهار التجارة ، ويشير إلى البداية ، وهي أساس لما سيكون عليه المستقبل ، وفي هذه الصناعة أمن واستقرار وقوة :

فهو علمٌ وصنعة وتجار	وصراع يجدد الأفكارا
كيف لا ترقص النفوس اختيالاً	وتغني بداهة وجهارا
ولإنتاجنا وجوه العذارى	مسفات بحسبها تبارى
ها هو المعرض الذي تبدى	ألف لون يذكي قلوب الحيارى
كل شعب مستورد صنع شعب	غيره لن يعيشها استقرازا
فهو في الحائنين سلما وحربا	في الضحايا قلباً وأسعارا

فهذه إشارة للتنافس الصناعي والتجاري العالمي الذي بواسطته هيمن الغرب

ونور الشرق على مقدرات الشعوب ، ونحن في أيامنا هذه في أتون تلك الحرب الاقتصادية :

كم جميل شهادته وبديع
هو أعراس أمي تتجلى
كان هذا وهماً ومحض خيال
ثم أضحي حقيقة رأي عين
يا لها من مهاج توالي
كم حمدنا للمتجدين صنيعاً
نحن في الطائف الجميل نُباهي
ونقيم الصروح في كل حفل
واصلوا السعي للعلي في كفاح

فالشاعر يدعو رجال الأعمال لبذل الأموال ، وإدارة الأعمال ، والعمل على قيام الصروح الصناعية كي نكتفي بالإنتاج ونستهلك من إنجاز الوطن ، فيكون الفائض التجاري لصالح المجتمع ، فهو العامل والخبير والإداري ، والتاجر والمستهلك الذي يدعم التجارة . والشاعر يتمنى أن ينمو هذا الاتجاه ، وأن يتطور وأن يكون عملاً لصالح الدين والأمة الإسلامية والمجتمع .

البتوا للأمام آنا إذا ما
وأقيموا الدليل خلقاً وفعلاً
انثروا الورد والزهور وغنوا
واسكبوا الحب مفعماً في الحنايا
ليس هذا كل الذي في بلادي
ولقد سارت السفينة تجري
ولها الدين راية وهتاف

هزنا الشوق نعبير الأقطارا
كيف نحيا أعزة أحرارا
فالأماني تهزنا استبشارا
واجعلوه طريقة وشعارا
إنما ذاك بعضه إظهارا
في مداها لا تشسني إبحارا
يتجلى لربنا إكبارا(١)

(١) عواطف هائمة ٥٧

وهذه المعارض تستقطب جميع ألوان الصناعات الوطنية في المملكة ، ومن ألوان الأغذية والأشربة ، والأواني ، والألعاب ، والمفروشات ، والملابس ، والأغطية ، وتباع بالجملة والفرق ، وكلها بأسعار منافسة ، وتكون في أسواق خاصة للعرض في المدن الكبرى .

المبحث الثامن
الريف والبادية
الرحلات البرية

الحياة البدوية من معالم الجزيرة ، لا سيما قبل تطور الحضارة المعاصرة ، فالمدن والبلدات تحف بها القبائل العربية ، وبعضهم يستطونها ويهجر حياة البادية. وأصحاب المدن والبلدان يربون الأغنام ، ويمتطون الإبل ، ويركبون الخيل، وتغذيتهم متقاربة ، ومعاناتهم واحدة . كل من قطن الجزيرة مر عليه شظف العيش ونكد الحياة ، والرعب الحربي ، والرعي للماشية ، واستمطر الفرح بالغيث ، وارتاد الرياض ، وشميم الخزام ، والشبح والقيصوم ، واجتمع على الماء مع رفاقه ، وتاه في الصحراء وراء قطيعه وإبله . وكل منهم يحاول الزراعة مستخدماً جماله أو أبقاره أو سوانيه وحداوله .

فهذا الشاعر عمود عارف ينتقل في قصيدة مع حياة البادية كنقل أخفاف الإبل ، يصور تلك الحياة ، ويسجل واقعها الذي كاد أن يندثر . يقول في قصيدة (البدوي والصحراء) :

ها هنا .. مضارب الصحراء	ناهيك مهد العرب العرباء
مطلق الفخار في الآباء	ومجتلئ الأجداد للأبناء
والبدوي في حمسى اليبداء	بشاته يمحرج في هناء
في مرتع الخشائش الخضراء	يتمل القيط من الرمضاء
وقارس البرد من الشتاء	ينعم في التجوال بالهداء

من غير ما زاد له أو مساء

وبعد هذه الحالة يصور أماني البدوي للغيث الذي يروي الأرض ويجيبى الزرع ويسقي الضرع . فهو شديد التلهف للسحب تتراكم ، بل كأنه يشهد زراعتها في السماء ، ويربو صدره وأمله بتراكمها ، وتنفرج أساريه لبروقها ، ويتنهج لتساقط دمعها . والزراعة في البادية تقوم على المطر ، وهي زراعة يدوية ، محدودة ، فيزرع قليلاً من القمح والدخن والذرة والشعير ، ويستدر الضرع ليتغذى ، فيكدح نهاره ، ويرتاح ليله :

ويتشهي بالغيمة الوطفاء
 ليزرع الدخن بلا عناء
 يلتحف السماء كالغطاء
 وفي الدجى ينعم بالإغفاء
 على غيط ناقة عذراء
 على رمال غضة صفراء
 هكذا من عاش في الياء
 معملة في ساحة البناء
 من شمسه الساطعة الأضواء
 من ليلة الحالك في الظلماء
 شعراً ونثراً خالداً الأصدا
 معجزة الأيام للأبناء
 في ساحة الجزيرة العصماء
 حيث مكان القبلة الفراء

والشاعر محمود عارف يستملح حياة البادية ، ويرى فيها حياة أمة بنت أمم ،
 هاجرت فاستوطنت ، وهو يأنس للعيش في تلالها ورباها ، وأوديتها وشعابها :

أرض العروبة مهدي
 مسا أطيب العيش فيها
 وأوسع العمر نعمي
 وأمتع الحطب نجوى
 والحطب عندي معين
 الله يرعى حماها
 لقسرة أحيائها
 بصحبة ألقائها
 في لحظة أرضهاها
 في غداة أهواها

فالشاعر يلجأ إلى عيشة البادية ، في رحلة محدودة الزمان ، كي تنعم بالهواء
 الصافي الذي يورث الصحة ، فهو بعيد عن التلوث الجوي الذي يغمر المدن ،

(١) في عيون الليل ١٠٧ .

وهو يستذكر حياة المناحة بين الأحبة فقيه الالتقاء والتعارف على المياه ، وفي المراعي ، ومن هنا صدر الحب العذري .

هذا المعين بعيد
وفوق أرض بلادي
وجدت بعض فؤادي
آنت قلبي يهفو
والبدر يرسل حولي
وأنجم الليل أغفت
من غلتي ما رواها
ينوعه قد تناهى
عند الحبيبة .. تاهها
ويقضي مسراها
أشعة من سناها
في الخلم ... ما أحلاها

فالشاعر يصور مأساة البدوي لما تجذب أرضه ، ويفور بثره ، ويجف ضرعه ، وتهزل شياحه ، ويثن طفله ، وتسعل نساؤه . أنها الجماعة والسنون العجفاء ، يدب المرض ليفتك ، ويرتحل الشباب ، ويكثر اليتيم والحرمات . إنها حالة الجزيرة الأولى . كم داهمتها من جماعة؟! ولا علم ولا خير بها ، تسفرها السنون كما تسفو الرياح تراب الصحراء :

وروضتي ... وهي عطشى
قد صوحست زهرات
حتى النواعير جفت
الدلو يشكو فراغاً
والثور يقعي خمولا
هنا نرى معزات
ترغو الجمال جيعاً
رأت بقايا هشيم
والذئب جاع فسأردى
وغادة الريف نادت
أن يثمل الأرض غيثاً
لديسة تفشها
من يبل صدها؟
ولم تجدد أمواها
كالبر في شكواها
ويرقب الأشباها
وناقصة وشباها
والأرض قسل جناها
ولم تعد ترعاهها
فريسة يرضاهها
رب السمائم إلهها
سهوها وذراهاها

بكي الرعاية لحال والنفس تبكي أساها
ورمما عباد يسر للنفس يجيبي مناها
لعل الله ينزل الغيث ، تلك المعاناة الدائمة ، هي رحلة الأبياء والجدود في
الجزيرة ، ومع هذا فهي مناط القلوب ، ومغزب الشعراء .

ففي حالة الجذب والقحط ، تنهالك السوائم ، وتضعف سفينة الصحراء ،
ويهلك الإنسان تعباً ومرضاً ، وتسوء حالته كما ساءت بهائمته ، فيمرض لمرضها
ويجوع ويجموع أسرته ، وتضعف أحوال الناس ، فيرفعون أكف الضراعة لباريهم

والله أوسع رحمي ولن تحيط مداها
سـيقلب الله حالاً من بعد حال تراها
أرض العروبة أرضي بها حملت عناهها
قضيت فيها حياتي شبيبي وصباهها
مجمدي وأجماد قومي به المفاخر بياهي
تاريخه في رجـال عزوا مقاماً وجاهها
في مفرق الشمس تاج منه ومنها حلاهها
قلائد مشـرقات زانت طلبي وجباهها
شمت صباحاً وألقت فوق الظلام سناها
هل غداة الريف تسدي هواي ... من أدرأها؟
نجموي لجوى مشوق والحب من لجواها

وهو يصور نشوة الحياة في الريف والبادية بعد نزول المطر ، فالليالي يجلو فيها
السهـر ، والطير يشدوا في الروض الأخضر المزدهر بأزهاره وغدرا نه :

إذا سهـرت الليالي تجددت ذكراهها
والطير في الروض يشدو والشـدو من معناها
حديثها السحر تروى إعجازه عيناها
نمارها في ربيع بسـتانه وجنتاهها

باليثني كنتست نعباً
أو زورقاً من خيال
إن أبحرت أتحدى
أو أصحرت اتقنى
وأهلاً لها من مهابة
ما كان كبيراً ولكن
كالبدر تزهر جلالاً
والحسن فيها غنى

بسه أبلى صداها
أحبط في مرساها
بزورقني مجراها
فوق الرمال خطاها
تجرّ ذيل رداها
بالدل تحفني حياها
سبحان مسن سواها
يزيد من نعمها (١)

والشاعر النعمي يتحدث في مطولة عن حياة الريف ، عن أطفاله ومرحهم ، وعن يوم الفلاح في غدوه ورواحه ، وعن أفراح نزول الغيث ، وعن الأعياد ومظاهرها ، حتى عن الفساد مثل (القات) ، العادة السيئة في الجنوب لكنها اندثرت الآن .

ويصف مشهد الرعاة والأغنام على الحياض والبرك ، وعن تهادي الفتيات وتجاذب أطراف الأحاديث ، وعن الجمال تجوب أطراف الصحراء ، يقول في قصيدة (أشتات) ، فهو يصف الأطفال في البادية ، فهم يعيشون في الأراضي الفضاء ، أو يفرقون رعاة لصغار الأغنام (البهم) ، وهم لا هون عن أثقال الحياة وشروها :

فيك أشتات أمة فتعالي
حديثني عن الصغار وقد تا
عن لغاهم عن الرضا في حنايا
لم تعانق نفوسهم شقوة الدنـ
ياها عيشة تضم شتينا

حديثني عن سرها حديثني
هوا بأفق الحياة مثل الطيور
هم ، وعن بسمة الصفا والسرور
يا .. ولا أدهم هزيم الشرور
عقرياً من لذة .. وحبور

ويصور حياة الفلاح في الجنوب حيث يستخدم الثور في حث أرضه ، فهو
يذر بيده ، ويقود زمام ثوره بيده الأخرى ، وهو في معاناته تلك يفرد كالطير
فوق الأغصان :

حدثني عن عيشة الفلاح	وهو يمضي غدوة ورواح
يبد يمسك البذور وأخرى	تردع الثور عن طريق الجماح
يتنسى وملء أعطافه الحب	ويصفي لوشوشات الرياح
داعياً ربه بأن يبت الزر	ع ليحني منه ثمار الكفاح

والفلاح يرقب تكون السحب ورحلتها في الأفق ، يرنو لها بعينين مشفقتين،
وهو يستمرئ هدير الرعد ، ويشرق مع البرق ، وتربو نفسه مع المطر ، ويتعاوره
الفرح والخشية من دمدمات السيول الجارفة :

حدثني عن موسم الأمطار	واحتجاز السحاب ضوء النهار
عن رحيل السحاب عن بحره الفيا	ض نحو الجبال نحو القفار
عن مسير الرياح تحتضن البشا	رى لتخفي مرارة الإعصار
عن دوي الرعود عن دمعة المز	نه ، عن دمدمات السيول في الأنهار
حدثني عن الأناسي خفوا	لشهود الإنعام والإفضال
أي نوع من السرور علاهم	من فقير وسيد رب مال؟
كيف كانت وجوههم أي صوت	رددوه على ضفاف الدوالي؟
فأجابت ياسيدي ، لا تسلي	أذهب المشهد العجيب مقالي

وهو يصف الأفراح ليلة العيد والخير يمرق كالسهم ، وأزيز الرصاص يردد
لينشر البشري ، وأصوات الشباب تعلق بالأناشيد ، ويصور جموع الناس مندفعين
لمسجد العيد في الصحراء :

حدثني عن مظهر الأعياد في بلادي إنني أحب بلادي

حين كان النجّاب (١) يمرق كالسهـم ينادي بالعيد في كل ناد
عن أزيز الرصاص عن نقرة الد
ف ، ورجع التبريك والإنشاد
عن هتاف الشباب والأولاد

فالمخبر يجري بين الدور والقرى ليخبر بالعيد ، فلا مذياع ، ولا مدافع ،
لكن الرمي بالبنادق يعوض عن المدافع في المدن ، ثم يستذكر توافد الناس في
جماعات متتابعة إلى مصلى العيد ، وما زال هذا المظهر .

حدثني عن ليلة العيد واليو م ، وكيف الأصحاب والأرحام
أشرقت بالسنا لياليه والبشـر وتاهت في مهده الأيام
وتهادى الشعاع في موكب الأفـراح حيا يجلو رؤاه القمام
الق ياسر النفوس فتمضي تناجي .. وقد علاها ابتام

ولكثرة الابتهاج ، وإشعال الأنوار ، فإن الأسواق تشرق بضياتها ، فليالي
العيد لها سميتها الفارسة في نفوس الأوائل بما فيها من الألبسة الجديدة ، والأغذية
الكثيرة ، والألعاب المتنوعة :

وهو يعرج على العادات السيئة يحذر منها ، والقات شجرة خضراء يلوكها
الإنسان في فيه ساعات طويلة ، تذهله وتشغله ، وتخدره ، ويذهب ماله
فيها هدرا :

حدثني عن مدمني القات ماذا وجدوا فيه من هنا وسعادة
عرضوا للضنى بينهم وراحوا يتلفون الأموال دون هوادهة
ما عليهم لو جاهدوا النفس قهراً ثم قووا فيها ملاك الإرادة
ذاك أجدى من التمادي ولكن هل تظن النفوس ترك عادة؟

وتدخلت السلطات فتركت العادة ، إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن

(١) النجّاب : بتشديد التون والجيم : المخبر أو المبشر بحلول العيد .

وهو يصور حياة الرعي ، واجتماع الرعاة ، وألفتهم ، ومعاناتهم ، وحبهم لهذه الحياة ، واجتماعهم حول المياه ، وتواردهم على الحياض :

حديثني عن القطيع عن الراعي ، وعن بركة المياه السخينة
عن سراب الهجير لما تراءى والعيون الظماء ترتد دونه
عن ثغاء الشياه تركض للفيء وصوت الراعي تغني (الحزينة) (١)
إنها صورة تعيش بوجداً لي ، وعهد يا ما أحلى فتونه
وصور اجتماع الأغنام ، والإبل على المياه منظر جميل عند أهل البادية
والقرى ، فالثغاء للماعز ، والخوار للشياه والأبقار ، والرغاء للإبل ، والمناداة
من الرعاة :

حديثني عن الصبايا يردن الـ مماء في وقدة النهار الغضوب
حافيات الأقدام يركضن ذعرا بالجرار الملأى بماء القلبيب
يتمايلن كالفضون ، وفي الأجـ سفان سحر يستل لب الليب
لسن يعرفن في الحياة فجورا طاهرات الثياب بيض القلبوب
فموارد المياه تتوافد إليها رعاة الأغنام من الفتيان والفتيات ، وفيها يكون

الإعجاب والتواد

وهو يشير إلى الانتقال فوق الجمال عبر الصحراء تجارة وارتحالاً ، والناس يحدونها ، ويتغنون بأهميتها ، وأحاديثهم يعلو صداها مدوياً وتارة يتجادبونها في هدوء وتأمل :

حديثني عن الجمال وقد سا رت تجوب الصحراء عرضاً وطولا
حاملات المتاع متظلمات تعمل الدرب بكرة وأصيلا
ونشيد الحادي يردده اللبـ مل كهمس النداء يناغي الطلولا
هادئ اللحن إن يمر بربع صاحبا إن تجاوز الماهولا
وهذا تسجيل لحياة قد تغيرت بالتطور حينما حلت السيارات محل الجمال

(١) الحزينة : موال المواويل التي يشدوا بها الرعاة غالباً .

ويشير إلى الليل والإضاءة فيه ، ومناداة العجايز ، ونباح الكلاب ، وهجوم
الذئاب :

حدثيني فإني مستهام بالحدث الحبيب عما تولى
حين كان المراج تلفحه الريح ، وصوت الشمطاء يدلوا مملا
والعجوز المسن أغرق في التسامح ييح حتى بدا الصباح فصلى
عن نباح الكلاب أفرعها الذئب ب ... وسار أمسي يحاذر صلا
ومسير الليل في عتمة الظلام مما يعاني منه الأوتل ، فهم يتعرضون للأشواك
والأحجار لكنهم يعبقون شذى الأزهار :

حدثيني فكل رفة زهر هي أذن تصفي إليك بلهفته
عن صخور الطريق تثقب أقدا مي ، وزهر الريحان ينشر عرفه
قد أطلت الوقوف ياربة الحسا ن .. وجيش الظلام يحشد زحفه
وأنا شاخص أقلب طرقي في انتظار السحاب يفدق وكفه
وهو يشير إلى آلة الزينة التي تحملها الفتيات في عبايهم من المرءات الصغيرة ،
والعطور المصفاة من الزهور البرية :

حدثيني عن المراسا عن العطس ر حديثاً بنفي الملالة عني
واسكي لي من الرحيق كزوسا مزوعات بالشوق حتى أغني
واحمليني في زورق من بقايا رعشات الألفاس ذات التضني
رعا يسكن الوجيب ، وتلتنا م جروحي ، وينتهي سوء ظني (١)
والشاعر النعمي يصور حياة الريف وما فيه من تماوج الأزهار ، والأشجار،
وثغاء الشاة ، وخوار البقر ، واختلاط الصياح بالنباح ، وتقارب العيشة . وهو
يصور غربة أولئك لشدة العيش ، والتباغض بينهم ، وغرته عن هذا الجو
المتناحر :

في الريف بين نداوة النسمات وتناغم الزهرات للزهرات

(١) الأرض والعشق ١١

ونقاوة الألق المضمخ بالسنا
وحلاوة الأنغام تبعث سحرها
ولذيذ شقشقة العاصفير الذي
هدوء ليل دنرت لمجماته
إلا لباح مفزع ، وصدى لغني
وخوار أبقار تريد عجوفها
وصراخ طفل هدهدته أمه
يحكى جلال الفن بالومضات
قمرية مشبوبة النغمات
ينساب عبر الأيك كاهمسات
ينساب تمر بطيئة الحركات
لقوافل الأحمال في الطرقات
ومواء قط خافت النبرات
كي لا يثير الحني بالصرخات

وهو يأسف على تلك الأيام الخوالي ، والعيشة الريفية التي تقترب من
الفطرة، فهذه الحياة قطعة من وجدانه ، فهي حياة أشبه بالطفلة الوديعه التي
تستميل قلب والدها وهو يتألم لفراقها وبعدها :

يا قريتي يا قطعة من خاقي
يازهرة منسية ، يا غمادة
أهواك ملئ مشاعري لكنني
كم ذقت من ألم البعاد ومره
حتى لقيتك بعد ياس قاتل
يا طفلة مشلولة الحركات
مسلوبة الأطواق والصدفات
أسقي ثراك بواكب العبرات
ما لم تطق تعليقه زفرا تسي
فإذا لقاؤك زاد في حسراتي (١)

تلك الحالة حديثة في الريف المعاصر ، وربما أن لفح الحضارة الحارق قد ظلل
الريف بمشاكله ، مما جعل الناس يزهدون في الريف وحياته ، لما بين أهله من
التباغض والتنافر على الأرض أو غيرها . وقد تقلصت روح التعاون والتآزر
المألوفة ، وانحسرت البراءة والفطرة ، نتيجة للتمازج مع الحياة الوافدة ، وتأثير
الوسائل الإعلامية الخارجية ، لا سيما المذياع الذي يحمله الرعاة معهم ، وكذلك
فإن الشبان الذين عاشوا داخل المدن ، ثم يعودون فإنهم يحدثون تغييراً ، وأخص
أولئك الذين لم يتعلموا ، وإنما يعملون في وظائف عملية وحسب .

(١) الأرض والعشق ٦٠ .

الرحلات البرية :

والشعراء صوروا الشرائح الاجتماعية التي ما زالت تهفو إلى الحياة البرية ،
وتأنس إلى الرمال الحمراء ، والتلال المرتفعة ، والكتبان الناعمة . فالرحلات إلى
خارج المدن ظاهرة بارزة للعيان في جميع أقاليم المملكة ، فائتلى تنفق ، والأقارب
يخرجون بأسرهم مجتمعين . والشاعر الغامدي يصور هذا الجانب :

ولا من هواة الصيد ترمي شباكها	لتخضع قسراً غافلات الفرائس
ولكنني في الشعر لا شك فارس	وأرسم شعراً رائعات النفائس
وإن قلت شعراً في التغزل إنفا	له في معاني العز بحر فهارس
وما ساءني إلا شباب رأيتهم	على حالة أدنى لحال الخنافس
تقاليد من شرق وغرب تجمعت	لنفس أخلاق الرجال الأشاوس
على كل بيت أن يربى صغاره	على العز أخلاقاً وعلم المدارس
فلا خير في أخذ المفاسد منهجياً	من الناس تقليداً وسوء تافس

فالمتزهات تجمع شتى الشرائح الاجتماعية ، فهناك الأسر بأولادهم
وأطفالهم، وهناك الشباب الذين يلهون ويلعبون ويطببخون ، ويبحثون عن صيد
الطيور ، وهناك التجمعات الكبيرة حول وليمة من الولائم البرية . والذي يُشتكى
منه ينحصر في الذين يخرجون إلى تلك المتزهات من ثل الشباب الذين لا يراعون
الآداب والحياء ، فيتمسكون بملابس سيئة ، ويظهرون بمظاهر لا تليق ، ويجوبون
قريباً من الأسر فيؤذون الناس .

هنالك في النادي السياحي عندما	يجمعنا بحر وخضر المفارس
مواهبنا شتى كذلك ميولنا	ونلعب في هو بسري مؤانس
وأغلبنا يهوى الرياضة باذلا	جهوداً ليبدوا كالخبير الممارس
غدونا كأننا أهل بيت علاقة	ومسلمنا آخى ريب الكنائس
وسرب الظبا يجري هناك وهاننا	شريف الخواشي من ظهور العرائس
عليهن من روق الصبا كل مدهش	وأحلى الرؤى من غير حلو الملابس

لمن صفات فانقات نعوتها كطرف كحيل أدعج الجفن ناعس
ولطف سجايا لا نوايا خبيثة كقذّ يفوق الفصن ريان مائس
فهو يصف المنتزهات التي ينتجعها القوم والأثرياء في أوربا ، والتي تسمى
المنتجعات ، وفيها ملاعب رياضية ، ومضمار رياضي ، وفروسية ، ومستلزمات
السكنى لأيام معدودة ، مع الإشراف الطبي ، وكل يمارس هوايته ، ومختلط بألوان
شتى من الأجناس . وتنمايل فيه الغيد الحسان ، ويتربط فيه الأطفال .

وأطفال سعد كالزهور تناثرت تجانسها بالزهر أقوى تجانس
لنا كل أسبوع وشهر محافل تجمعنا في بهجة وتانس
نجاذب أطراف الحديث كسلوة ونبصر أفلاماً وتتميل فارس^(١)
والرحلة البرية عادة قديمة عند أبناء الجزيرة ، بل في العواصم الإسلامية . فإن
السكان يتنفسون الصعداء خارج الأحياء ، فيلجأون إلى الحدائق ، إلى الشعاب
والغابات أو الكهوف في التلاع . وقد عبر الشاعر إبراهيم مفتاح عن هذه الرحلة
بقوله :

في حمى أيكة وتحمت النخيل كنتُ أهر و كان يجلسو مقيلي
كان لي في الصباح شدو العاصير وعند الضحى رخيخ الهديل
ونصبي من الحياة رفاق لست أرضى سواهم بالبديل
فاسموني حياتهم ومناهم وشعور الخليل نحو الخليل
الأحاديث والصبأ والأمانى والرضى بالخفيف أو بالثقل
والنداءات بيننا تتعالى يا علي ماذا يقول (الفطيلي)^(٢)
رددتها النخيل في وشوشات ناعمات وسحر ظل ظليل^(٣)
والرحلات اتخذت مسارب شتى ، فمنها الرحلة السياحية ، أو ثلة من

(١) زورق الآمال والدوامات ١٠٨ .

(٢) علي ، والفطيلي : اسمان لشخصين من مؤدري النخيل .

(٣) احمرار الصمت ، ٦٧ حتى ٧٢ ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ، ١٩٨٩م ، دار الفياض للثقافة .

الأدباء ينتقلون في البلاد الخارجية فيدونون رحلتهم شعراً . وذكر لي الإخوان أن الدكتور عبدالعزيز قارئ من المدينة المنورة له قصيدة مطولة في وصف إحدى رحلاته ، ولم أطلع عليها . وتحدث عن الرحلات كثير من الشعراء ، ومنهم العقيلي (١) ، والسنوسي (٢) .

ومن هذه الرحلات ما يخرج أصحابها إلى البر ، فيستظلون في الكهوف إن كانت الأرض جبلية أو ذات هضبات كحسمي غرب تبوك ، وبعضهم يستظل الأشجار في بطون الأودية . ومنهم من يخرج إلى الحدائق والمزارع المجاورة للمدن ، أو للغابات وذرى الجبال حول أبعها في الجنوب . وكثير من الناس من ينون خياماً قريباً من المدن ، ولا سيما في الربيع ، وهي تكثر في الثمامة حول الرياض . ومن مظاهرها تلك الاستراحات المتناثرة حول الرياض وغيرها من المدن ، ويقلب عليها أن تبنى من الخرسانة والإسمنت ، وتسور وتبنى داخلها بعض الحجرات ، وتجهز بأدوات المطبخ ، وتزرع أفنيتها ، ويكثر فيها النخيل ، وتضاء بالكهرباء ، وتخرج الأسرة إليها في يومي الخميس والجمعة ، وتكون مكاناً للدعوات ، وتلك الرحلات مصدر إلهام لكثير من الشعراء ، لكن الشعراء لم ينشروها في الصحف ، وربما يخرج الكثير منها في الدواوين المطبوعة .

(١) انظر : قصيدة (من إلهام رحلة باريس) ، أفاريق الغمام ٦٤ .

(٢) الاعمال الكاملة ٧٦٧، ٧٧٥، ٧٨٣ .

المبحث التاسع

قضايا متعددة

- ◆ الحرمان الشريفان .
- ◆ الرحلة الفضائية .
- ◆ المرور .
- ◆ زراعة الأشجار .
- ◆ الأحياء السكنية ومطالباتها .
- ◆ أمراض العصر .
- ◆ الكوارث .

الحرمان الشريفان :

جزء من التكوين الروحي والذهني لكل مسلم ، لاسيما من أبناء الجزيرة ، فكل منا يسعد بهذا الانتماء ويفديه ويمثل ذلك الأدباء ، فليس هناك من شاعر من شعراء السعودية لم تدلف نفسه إلى الأماكن المقدسة ، ولم يجعل منها ملهمة روحية ، ومرجعية تاريخية ، وينتمي إلى البقاع المقدسة في مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وليس شعرنا في بلادنا فحسب إنما هو عند جل الشعراء العرب ، لكن شعراءنا أكثر التصاقاً ، فهم يشاركون الآخرين في التقديس ، وتعظيم المشاعر ، ويزيدون عليهم بالانتماء التاريخي للوطن ، وبالاستيطان الواقعي ، فهم يستشعرونها ، ويحملون راية الإسلام ، ويذودون عنها ، ويرقبونها كل يوم في إعلامهم ، ويزورونها يسر وسهولة ، فكيف بأبناء مكة المكرمة الذين ولدوا فيها ونشأوا والتصقوا بترابها ، فهم الأكثر إحساساً من غيرهم ، ونحن لو تتبعنا الشعر في مكة المكرمة لم استطعنا حصره ، بل في الكعبة المشرفة ، وكذلك في المدينة المنورة ومسجد الرسول ﷺ . فهل نستطيع إحصاء الشعر الذين قيل بمناسبة الاحتفال بوفود الحج من عام ١٣٤٣هـ ، حتى يومنا هذا ، نحن نجد الغزارة في شعر الغزاوي ، وفواد شاكر وهما ومن يتاح له الإلقاء مثل زاهر عواض الألمي ، إلى جانب ما قيل بمناسبة الهجرة ، ومولد الرسول ﷺ فما زال بعض الشعراء ينظم فيها فذاك مما يجمل حصره .

وأماننا في المكتبات كتاب جمع عدد من القصائد لمن استوطن مكة المكرمة بعنوان (مكتبي قبلي) ، ففيه قصائد لأحمد قنديل ، وحسين عرب ، ومحمد حسن فقي ، ومحمد جدع ، وغيرهم ، ومن ذلك قصيدة محمد عواد :

مكة الخير والهدى والحفيف واللقاءات كالسنا كالرفيف
يا ملاذ الإيمان ، يا موطن النور تهادي من الإلاه اللطيف

بلدي ، يا رؤى الطفولة يا
بلدي باهوى ، وبالذين والحب
مهد القدامات ، يالواء الزحوف
وبالعطف من أبر عطوف (١)

ومنه وقفة لطاهر الزمخشري عند المروتين :

أهيم بروحي على الرايبة
واهفوا إلى ذكرها غالية
وعند المطاف وفي المروتين
لدى ((البيت)) والحنيف والأخشين
ويجري لظاء على الوجتين
فأرسل من مقلقي دمعين (٢)

وهو يتحدثون عن المشاعر المقدسة ، والأماكن التي درج فيها الرسول ﷺ ،

يقول : إبراهيم فطاني عن حراء من قصيدة طويلة :-

أي مجد وعزة وجلال
أي صوت علا فهز البرايا
من حراء الخلود أعظم بطود
صوت طه يدعو إلى خير دين
ذاكم الصوت لا يزال يدوي
سجلته في محكم من كتاب
لو يزل داعياً إلى كل خير
والشاعر على أبو العلا يقول فيها :

مكة يا قبلة الأرض وحسي
مكة يا منزل الوحي وضيئنا
أن بنى الله كياني من ثراها
غمر الأكوان فإزدان بهاها
أبلغ النفس من الأجر منهاها (٤)

(١) أحمد قنديل ١١٥ .

(٢) المرجع السابق ١٠٣ .

(٣) الساسي : شعراء الحجاز ٣٤١ .

(٤) سطور فوق السحاب ١٠٥ .

وهناك في المدينة المنورة ديوان (المدنتات) لعبيد مدني ، إلى جانب استلهم شعراء المدينة للمدينة نفسها ولمسجد الرسول ﷺ ، وهذا موضوع لاحصر له ، ويحتاج إلى دراسات كثيرة ومتنوعة ، وما يعني هنا أن أشير إشارة واضحة إلى عناية المجتمع السعودي ممثلاً في الدولة بالحرمين الشريفين ، فقد تم توسعة الحرمين في العهد السعودي مرتين إحداهما تم الانتهاء منها في ٥ ربيع الأول من عام ١٣٧٥هـ الموافق ٢٨ أكتوبر ١٩٥٥م في عهد الملك سعود يرحمه الله ، وقد سجلها الشعراء في شعرهم ، وثانيها في عهد خادم الحرمين الشريفين وهي توسعة لا نظير لها في العهود الماضية ولا الحاضرة ، وعمل راسخ البيان ، دقيق التنظيم ، جميل المنظر ، بديع العمران ، فسيح الأرجاء ، كثير المآذن ، كثيرة المواقف للسيارات ، تمتد خدمات الكهرباء والمياه في أنفاق لأكثر من سبعة كيلا ، وكل منهما يتسع لأكثر من مليون مصلي ، أنه عمران قل أن يمثله عمران معاصر مع روعة المعاصرة .

ومن الشعر الذي يمثل روح المجتمع ونظرتة لعمران الحرمين قصيدة عبيد مدني التي استلهمها بقوله :

ماذا نقول إذا وماذا نلهم ؟	هذي (المآثر) وحدها تتكلم
أو أن يحيط بها البيان الملهم	جلت عن التعريف يبلغ شأوها
عجياً ونجد في الشاء وتهم	لكتنا نشدو ونلهج باسمها
سمع الزمان بما يفيض ويفعم	وليتحف التأريخ من أخبارها
هو خير ما في دفتيه وأكرم	فحديثه عنها وعن آلانها
♦	♦
في جهة الدنيا لمن يتوسم	(المجد النبوي) أشرق واستوى
عزم - تنوء به السنون - مصم	كادت ترعزعه السنون فصدها
يعنو لها عاني الصعاب ويرغم	وتداركته (همة ملكية)
بادي السننا فيما يطول ويضخم	فاعاده التجديد مشد القوى

ومشى خطى في الاتساع لسيحة
قامت على هام الشموخ عمارة
واستفد (الفن الرفيع) رواءه
فيه بأحدث ما يجيد ويمكّم (١)

وبمناسبة توسعة عمارة المسجد النبوي قال الغزاوي قصيدة تحت عنوان
(عمارة المسجد النبوي) ، سطر فيها عناية آل سعود بعمارة الحرمين الشريفين
معاً ، فقد تحدث عن مسجد الرسول ﷺ ، ثم أفاض في الحديث عن
المسجد الحرام .

وفيهما يشير إلى توسعة الطرق حول الحرمين ، بعد إزالة كثير من المباني ، ولما
ازداد عدد الحجاج من العالم بأسره اتخذ خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن
عبدالعزیز قراره بتوسعة الحرمين توسعة شاملة لا مثيل لها من قبل ، وقد دفعت
الدولة مليارات الريالات تعويضاً للمالكي الأرض حول الحرمين ، وللبناء :

ولقد تعلم البرايا جميعاً
إنه كالعباب في فيضانه
يجمدي كفه وجود بنائه (٤)
من دنائره ومن عقيانه
كان مقداره على إمعانه
♦
في (تصاميمه) وفي (إيمانه)
ليرى (المشعرين) رأي عيانه
وسوى (الحمد) صاعداً في عنانه
بين (وشي الربيع) أو (أقحوانه) (٥)

وانتحي (المسجد الحرام) حيثاً
زان (أم القرى) فأغنى (٢) وأقنى (٣)
لا (نداء) إلا التهليل فيها
وحقاً فيهما الخمانل عبقى

(١) الديوان ٩٥/١ .

(٢) أغنى : لم يحوجهم لمزيد .

(٣) أقنى : رفع .

(٤) بنائه : رؤوس الأصابع .

(٥) أقحوان : نبات أوراقه مفلجة الأسنان .

ووريف الظلال يمتد رحبا
و (الرواق الفسيح) و (البيت منه)
تهادى الأستار منه اغتباطا
تزاح القصور عنه (بعيدا)
يضم (للحجيج) لو كان ضعفا
ذلكم (واليسوت) لله مشى
كل حي وكل ربع ونجع
لا ترى العين من قذى فيه إلا
(للمصلين) شائقاً باستتانه
(بهجة الناظرين) في (أركانه)
ويفوح العبر من أردانسه (١)
ثم يجني (الضياء) من أفنانه
بعد تحنيدته وبعد احتجانه (٢)
وفرادى أنيرة في (كيانه)
(بالمحاريب) يزدهي (وأذانه)
كل مستبصر إلى (إلى ديانه) (٣)

ويشير الغزالي إلى ترميم الكعبة في قصيدة بعنوان (عمارة الكعبة) (٤) في

عام ١٣٧٧ هـ .

ونظم حسين عرب قصيدة طويلة في المدينة المنورة ومنها :-

إلى طيبة أهدي سلامي وإعظامي
إلى معهد التنزيل والوحي مرسلًا
إلى المسجد المقصود من كل زائر
إلى المسجد المعهود ، تحنو عقوده
وقال محمد الخطراوي في المدينة :
أنا في طيبة أتيه على الدهر
حاملاً مشعل الفخار أغني
هامتي العلى تباهي الثريا
ر وأمشي على رؤوس الليالي
بشموخ في مركب الآمال
ويدي تسبيح دنيا الخيال

(١) أردادته : جمع رذن ، وهو الكم الواسع للثوب .

(٢) احتجانه : يقال : احتجن المال ، ضمه إلى نفسه .

(٣) الديوان ١٣٤٠/٢ .

(٤) المرجع السابق ١٤٠٩/٢ .

(٥) المجموعة الكاملة ١١٦/١ .

عن يميني الشمس تمضي نشاوي
وهو قل يسير من خلف كسرى
يسألان الأعراب عن سر فخري
فتزد الأيام .. هذا فخور

والبدور والوضاء حذو شمالي
عجباً من مهابتي وجلالي
وطموحي روعتي في المقال
بزات الرجال إثر الرجال (١)

الرحلة الفضائية :

والتجربة الشعرية سجلت لنا حدثاً علمياً ، حيث اشترك الأمير سلطان بن سلمان في رحلة فضائية ، وهو أول مسلم وأول عربي في هذا المضمار . وغزو الفضاء ابتكار علمي ، فقد ابتكر العلماء المعاصرون مركبات تصعد إلى الفضاء وتنزل بعضها على القمر ، وأكثر فائدة تلك التي تحمل الأقمار الصناعية ، لتقوم بالأبحاث المرتبطة بالأرض . وقد أسهمت تلك الأقمار في خدمة الاتصالات وغيرها من ميادين العلم .

ورحلة الفضاء التي ارتحل فيها الأمير سلطان بن سلمان رحلة علمية حاست حوالي ٢٢٠ كيلاً ، وأضحت هناك محطات فضائية دائمة للأبحاث يقيم فيها الباحثون لأكثر من ثلاثمائة يوم . وقد فاضت تجارب شعرائنا بصدى هذه الرحلة آملا في إنطلاقة علمية تجرية ، ومن ذلك قصيدة (سلطان الفضاء) للشاعر حسين عرب :

حلق بأجواز الفضاء ، وقل لنا
وسل المجرة ، كم عداد نجومها
والشمس تخفق منذ أن خلق الوري
والبدر ، كيف رأته متهللا
وصف المجرات الكسار تقابلت
بعدت فذق صغيرها وكبيرها

كيف الشمس تسير والأقمار؟
والام لا ينأى بها التسيار؟
وأديمها متلهب فوار
ما أده الإسرار والإبدار؟
وتداورت تضوي بها الأنوار
فبدت لنا وكأنهن غبار

(١) تفاصيل في خارطة الطقس ٧ .

لا العمد يحصرها ولا التكرار
كلت عن استئرافه الأبصار
تهمي على سبحاتها الأخبار
تجدد الأحيار والآثار
فأعجب لنور تقيبه النار!!

♦

عجب تحيط بأمره الأسرار
فأسأل عن الأفلاك كيف تُدار
فيه العقول وتاهت الأفكار
نسب تامي للعلا ، وفخار
وبعرضه لم يشبه التيار
بأليت تعبق منهم الأستار؟
أبواك نعم هما ، ونعم الدار؟
يعتو على جنباتها الكفار؟
شمتته منك سكية ووقار
فما بك الإيمان والإكبار
أن الإله الواحد القهار؟
سرده الخطوات وهي كيار
كلا ، وليس تعوقنا الأسرار
لنناس حين تعلموه وطاروا
وبه استتار العالمون وساروا
سكن الكواكب المجدوا أم غاروا
إن رامها متهوس دعار
ذل العدو بها وعز الجار
سارت بخير أمور الأقدار(١)

ولو استبانت لالجلست بعوالم
والألق أين مداه ما أبعساده؟
والجن تسبح في الفضاء طليقة
وخطى الملائك تقضى آثارها
نور ونار في المرء تلاقيا

♦

سبحان من خلق الخلائق أمرها
الكل في فللك يدور بجرمه
كون تلفع بالجلال تحيرت
سلطان ، والسلطان في أعراقه
يارائداً ذرع الفضاء بطوليه
أرايت مكة والخلائق طوفت
أرايت دارك في الرياض يزينها
أرايت أرض القدس وهي ذبيحة
أرايت كل الناس ترقب مركبا
كنت الموحد بين سائر ركبته
أرايت والتوحيد قمة أمرنا
هي خطوة للعرب في أفق العلا
أيعوقنا العلم الحديث بره؟
العلم ، نحن جناته وبناته
والدين ، نحن دعائه وهداته
والكعبة الفراء قبلة كل من
وشريعة الرحمن نحن حماها
بيضاء أشرق ليلها كنهها
وإذا هدى الإيمان خالط أمة

(١) المجموعة الكاملة (شمر) ٢٧٦/١ .

والشاعر محمد العمري يرى أن عالم الفضاء عالم مجهول أتى الأمير سلطان بن سلمان منه بالخبر ، فهذه رحلة نادرة ، صعبة المنال ، وفتح علمي تحقق بهذه الرحلة العلمية فاستحق التهنئة :

فهنأته ملايين من البشر	جاء من العالم المجهول بالخبر
من دوحة طلعتها من أطيب الثمر	وما عجبت لأن الفرع منبته
سلالة من أبي بكر ومن عمر	ولا نسيت بأن العرب كلهم
باع من العلم تمتد إلى القمر	من شك أن بني الإسلام ليس هم
يشدو بها الطائر الميمون دسكفري	فإن في الماضي الوضاء ملحمة

فهذا العمل العلمي متوارث عن أجداد الأسلاف من بني الإسلام ، فالعلم لمع ضياؤه بإشراقه الإسلام ، وحمل رايته الخلفاء الراشدون ، وأنت أيها الأمير على نهجهم ، وأنجزت مشهداً جديداً من العلم ، فقد ارتقيت إلى الفضاء للكشف العلمي الجديد .

لأمتي صورة من أروع الصور	يا من رسمت بإيمان ومقدرة
مرتلاً فيه آيات من السور	يكفيك أن ترتقي في الجو دسكفري
أجل ما يحمل الإنسان في السفر	يكفيك أن ترتقي في الجو مصطحباً
بما تضمنه القرآن من عبر	يكفيك أن تحمل القرآن معظماً

ثم هو يسجل تلك الأيام التي تمت فيها الرحلة في اليوم المبارك من أيام الأسبوع هو يوم الاثنين ، وعدت بعد أسبوع في يوم الاثنين ، وقلوب العرب والمسلمين تحفقت بهذا الحدث الذي حققه للمسلمين فأنت أول رائد فضاء عربي مسلم يخترق الأجواء فالمسلمون في شوق إلى ما يرفع الأمة .

ولم تكن لحظة تخشى من الخطر	غدراتنا في ضحى الاثنين مبتسماً
نتيجة الجِد والإخلاص والسهر	وجنتنا في ضحى الاثنين منتصراً
من رحلة توجت بالنصر والظفر	كم راقب الناس سلطاناً وعودته

وهو يصور قلب الأم الحاني التي ترقب ابنها يتعالى في الفضاء المجهول ، فهي

بين الخشية والبهجة ، وكذلك الوالد سلمان بن عبدالعزيز الذي آمن بقضاء الله وقدره ، واحتسب عمله ، ورائد الدولة خادم الحرمين الشريفين الذي يرضى الحدث ، ويتابعه ويكلمه في الفضاء ويتمنى له التوفيق .

كم خلت دقات قلب الأم قائلة
لكنها صبرت لله واحتسبت
وهجة الوالد الحاني علي الولد
و ((الفهد)) من موقع المنول باركها
ومن على شاشة التلفاز شجعها
قد كان ((سلطان عند العد مبتسماً
وما توارت عن البسام بسمته
يا أيها الجزء مني كن على حذر
ولم يكن قلبها قد من حجر
قد آمنت بقضاء الله والقدر
لأن فهداً بعيداً الرأي والنظر
بكلمات هي أغلى من الدرر
وساعة الصفر لم يشك من الضجر
لعله في غد يمشي على الأثر (١)

فالبسام هو المرشح الثاني الاحتياطي من المملكة العربية السعودية بعد الأمير سلطان بن سلمان .

المـرور :

ومن القضايا الاجتماعية التي تبلورت مع التكوين الحضري والحضاري في بلادنا قضايا تمس الحياة داخل المدن ، ومنها قضية المرور ، وقضية النظافة ، وقضية زراعة الشجر في المعابر والطرق ، والحدائق . فقد طرأت بعض القضايا من هذه الجوانب ، واتضح أمرها ، فاحتاجت إلى وعي وطني بها ، واهتمام فردي وجماعي ، وتنفيذ حكومي ، وتعاون من المؤسسات ولا نجاح لحل مشاكلها والارتقاء بها إلا بهذا التكامل . ومن هنا ألحت الحاجة إلى قيام أسابيع تنظيمية ، يهدف منها للتوعية العامة أولاً ، والعمل ثانياً . فظهر أسبوع المساجد ، وأسبوع المرور ، وأسبوع الشجرة ، وأسبوع النظافة . ويسلك ضمن هذا المفهوم أيام

(١) شروق الشوق ٩٣ .

عالمية تشارك فيها المملكة ، منها يوم الطفولة ، يوم مكافحة الأمية ، وغيرها .
ومن الشعراء الذين تحدثوا عن تلك الأسابيع محمود عارف ، فقد تحدث عن
المرور وتنظيمه وإرشاده ، فقال :

تحوي الأفويق من فن وإعمار	دار المرور وما أبهاك من دار
نشر النظام بأخلاق وإصرار	ضباط صف وأجناد مهمتهم
في خدمة الشعب من واع وسيار	لم مواقف في التنظيم واضحة
على الطريق بتشير وإنذار	بحكمهم مركزهم أدوا مهمتهم
بالعدل في الناس من غلف وأخيار	أما المبشر منهم فهو ملتزم
إخلاصهم واضح في رد أخطار	والنذرون رجال كلهم تقية
في معلم بارز يزهو بأنوار	هذا هو الرمز تديبه حكومتنا
عبر التطور في علم وأفكار ^(١)	نور التحضر وهاج نواكبه

والشعراء يعالجون أمراضاً اجتماعية تسري في المجتمع ، فالشاعر محمد
المشعان يوظف شعره الساخر لمعالجة قضايا متعددة ، منها التفحيط ، حيث تدور
السيارة بسرعة مذهلة مع شدة احتكاك الإطارات وتفقد توازنها ، فتميل ،
ويؤدي ذلك إلى قلبها وهلاك من فيها . وربما تتعرض المارة أو ترتطم بغيرها من
العربات السائرة أو الواقفة . وهو يصور ذلك في حوار بين الشاب وجندي
المرور :

واكتب (مخالفة) على الأوراق	دعني (أفرط) ما الشباب بياقي
ومكلف بتبعمي ولحائي	يأليها الجندي ، أنت (مفرط)
فأسأل - رعاك الله - كل رفاقي	وإن أظن بأنني متمرس
تبثك عن نوعية (السواق) ^(٢)	وأسأل (ندوب الدهر) في سيارتي

(١) الفردوس الحالم ٧٢ ، الطبعة الأولى ، دار العلم للطباعة والنشر ، جدة .

(٢) ومضات ١٢١ .

ويقول على لسان جندي المرور :

ميل الوعيد بغية الإسفاق
أن سوف يقرن راحتك (وثاقي)
لم تستكن يوماً إلى الإرهاق
سزى (الطريق) وفاصل الأخلاق (٣)

قل (للمفحط) : هاك من أعماقي
قسماً - وإنك عالم - أني لها
يأبها المـرور إن إرادتي
بعضاي لا بتوددي وتسامحي

زراعة الأشجار :

كانت مدتنا وطرقنا أحوج ما تحتاج إلى الشجرة ، ففيها جمال المنظر ، وفيها لطف الجو ، ومنها الظلال الوارفة ، فبادرت الدولة ممثلة في وزارة الشؤون البلدية إلى المناداة بالتعاون لزراعة الشجرة ، واستجابت لها المؤسسات التعليمية ، ممثلة في وزارة المعارف والمعاهد العلمية في جل المدن ، والجامعات في المدن الرئيسية ، وكذلك قطاع الزراعة ، والقطاع الخاص ، وجميع دوائر الدولة ، فتكون أسبوع الشجرة ، ويقام له مهرجاناً ضخماً ، وما أجمل طلاب المدارس يقبضون معاوهم ويفرسون الشتلات .

وكان ذلك في أول الأمر . ونتيجة لذلك تطور الأمر بمعرفة الأشجار الصالحة القابلة للتقلبات الجوية ، بل يتجاوز ذلك إلى العناية بالنخلة ، فهي باسقة في طرقات المدن في مملكتنا ، ويعبر عن ذلك الشاعر محمود عارف في يوم من أيام أسبوع الشجرة في (جدة) :

أسهموا في زراعة الأشجار
فكان الطلاب رمز الشعار
حين وفوح الشذا من الأزهار
وصفوف الطلاب في الانتشار
ت لتحي بالفرس في أكف الصغار

مرحباً بالشباب طلاب علم
ومدير التعليم شارك بالدعم
بلغوا المستوى فكانوا الريسا
جدة أصبحت بهم تسمي
خرجوا والأكف تحمل شتلا

(٣) المرجع نفسه ١١٢ .

هو أسبوعهم مع الشجر الفـ ض فيغري بنضرة الاخضرار
 خضرة تملأ القلوب متاعاً فـ فروق المتاع للأبصار
 نتيجة لذلك ورعاية الدولة بعد توفيق الله أصبحت المدن مزدانة بالأشجار
 والحدائق العامة ، والمداخل ذات الغابات الكثيفة ، في مدن المملكة وقد غلبت في
 الآونة الأخيرة زراعة النخلة ، لا سيما الطرقات الفسيحة والمداخل الرئيسية للمدن
 والشاعر يذكر فضل الداعمين لهذا المشروع ، وعلى القمة خدام الحرمين
 الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز وأسرته آل سعود :

عاش فهد لشعبه هو يهدي دعمه للبلاد بالإيثار
 أسرة سجلت صحائف يضا في كتاب الخلود والأدهار (١)
 والشاعر أبو سعد (٢) يصور يوم الشجرة في بلادنا وقد ازدهت به الطرقات
 وتعالى أغصان الأشجار ، وتسامق النخل علواً شامخاً ، وهو يغرس بأيدي براعم
 البلد الأبرياء ، ويفردون كالشحارير ، ونحن في هذه الأيام نرى روعة الطرقات
 والمعابر ، وداخل المدن ومدخلها ، تقابلنا الخضرة وتحفنا من جميع الجوانب :

يابلادا سلكت نهج الرشاد وارقت للمجد شماء العماد
 أنت ما أنت؟ رياض وشحت باكليل رياحين وجادي
 رقص النخل على أرجائها وانحنت تلثمها مهجة صاد

نعم إن الاتجاه إلى الزراعة والمتاداة بأسبوع الشجرة الذي يمد ظلاله في المعابر
 والشوارع ، فيزيدها جمالاً وروعة ، وتزدان المناظر بأزهاره ووروده ، وتبعق
 الأنف بروائح الزكية ، وتفوح أمسياته بياسمينه وربحانه ، وتصطف الأشجار
 ممتدة في أواسط الطرقات الممتدة ، وعلى جوانبها ، فتكون جمالاً ، وتلطف الجو .

(١) الفردوس الحالم ١١ .

(٢) يوسف عبداللطيف أبو سعد ، ولد في الحفوف عام ١٣٥٦هـ ، عمل في التدريس وهو شاعر ،
 عضو في النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية . له ديوان : ١- أغاريد من واحة النخيل ، ٢- تقاسيم
 على زوارق الأيام . انظر : دليل الكتاب والكاتبات ١٤٠ .

إن هذه البلاد صحراوية في أكثر بقاعها غير أن المجهود الجمعي من المجتمع جعلها حدائق غناء في مداخل المدن وفي أواسطها ، بل واقتطع مساحات كبيرة ، متباعدة فبنى عليها حمائل شجرية .

باكرتنا نفحات عبقث بالشذا المسفوح من ثغر الوداد
فرحة كالعيد في جلوته عمت الحضر وأطراف البوادي
داعبت أكبادنا ربح الصبا فترشفنا الشذا والقلب صاد

ويوم الشجرة كان من الأعياد ، التي تمثل التعاون والبذل للمجتمع ، ويربي في الأطفال والشباب روح التعاون ، أنهم الشباب يحملون الغرسات التي تسمق في أعنان السماء ، إن مناظر التفاني والإخلاص في حفر الحفر ، وحمل الشتلات ، وحمل الماء أمر يدعو إلى العجب .

هذاج الحب لعذراء الخراد ذاك يوم الشجر المزروف في
ليلة العرس ترقبن المنادي شتلات كمداري غرُب
لسباق مشربيات الهوادي أو كارتال مهار رُصدت
بصدى الأنغام من ترجيع شاد إنه غرس هجر حافل
جده العهد لتحقيق المراد فتق الأزهار في الروض وقد
في سيل البذل قداح الزنساد وزنود الجند أورت عزمها
يعجب الزراع في حزن وواد فاستوى الزرع على سيقانه
بجمال رائح فيها وغاد ضحكت (هجر) له واژنت
كحل الأهداب من بعد الرقاد مروود الفجر على أجفانها
رشأ العين وميساء التهادي فهي في جلوتها لاحت لنا
إنما نحن شحارير النوادي(١) فازدهر بالمحفل الزرع بنا

فالشعر يصور لنا روح العمل المخلص لدى الفتية الذين يتآزرون على غرس تلك البذور والشتلات ، وهم ينون مجداً للوطن ، يتمثل في زراعة أرض هجر

(١) تقاسيم على زورق الأيام ١٨ .

الذي ينتمي إليها الشاعر ، وما هي إلا مثل لكل مدينة من مدننا وقرانا ، فجميع أبناء المدارس يشاركون في يوم الشجرة ، وازدانت بها جميع الطرقات داخل مدن بلادنا .

كانت المدن ضيقة الطرقات ، ويكثر فيها تربية المواشي ، وتقل فيها العربات . فلما تكاثرت العربات تكاثرت الحوادث ، وأخذت المواشي توذي الباعة ، وتعرقل السير ، وعرقلت زراعة الشجرة التي تحمل المعابر والدروب ، وتبرم بها رجال المرور . فكانت حادثة اصطدام عربة بسخلة صغيرة على مرأى من الغزاوي شحذت قريحته وأثارت تجربته في قصيدة قصصية جميلة بعنوان (صريعة المرح) ، يحكي فيها واقع الحياة في طرق مكة المكرمة عام ١٣٧٤هـ ، وهو يجعل اللائمة على صاحب الماشية ، فيجب أن يحميها ويسهم في الالتزام بالنظام^(١) :

بين الغداة وقبل الظهر وا حربي أقص ما شهدت عيناى من كتب
أقبلت أذرع خطوي جمد متدد والغمى ضاف ورأد الشمس في الحجب
فهو حدد زمن الحادث قبل الظهر وقت الحركة المتراخمة ، فالتناس يسرون ،
والسيارات تتعاقب ، وتتلاحق والشارع يزدحم وتتلاقى المعابر ، وتتكاثر الأغنام .
وأعرضت سخلة في الدرب سارية تمشي وتقفز من هو ومن لعب
تجبو (الطفولة) منها في قوائمها خشف (أمها) ولها حاد من الخبب
ففاجأتها ولم تشمر مدممة (سيارة) من ذوات البطش والفضب
ألوت بها وهي نشوى من رشاقها (دبابة) ورمهاها الجمح بالعطب
فألصقتها بطن الأرض هامة وطار من (كرشها) البرسيم والعشب
ولم يفنها من (الإنسان) محتسب ولا (الحديد) المدوي أي مضطرب
رايتها وهي أشلاء ممزقة ورأسها ينطوي منها على الذنب

(١) الديوان ١٣١٠/٢ .

في طرفة لم تكن إلا (كلا) ومضت إلى الفناء وباءت شر منقلب
وأقبل الناس شعي ينظرون بها (ضحية) سقطت في غير ما سبب
وطار (بالموتر) الجاني لطيته ولم يرعه امتزاج الدم بالتراب
إن هذه السخلة الصغيرة المرححة التي تلهو في المكان الخطير ، لم تدرك الخطر
ولم تخش السيارات ، وإنما أخذت تجوب الطريق بين مرح ، والتهام للغذاء ، فإذا
بالسيارة تداهما فألصقتها بالأرض ، وتجمع الناس حولها كي يعتبروا ، لكن قائد
السيارة ولى هارباً .

وإحساس الشاعر استلهم حزن أمها ، وهي ترى طفلتها تتلوى من الألم ثم
تموت وترقب حطامها وأشلانها .

وزادني ألماً في (أمها) حزن يكاد صمته يعلو على الصخب
تاووت (ثكلى) حسرى مفطرة (مجنونة) كبدها تشوى من اللهب
أصابها (الرعن) القاسي بفلذتها من دون ذنب ولم يعأ بمنحجب
رحت من دونها أشكو مواجهها في (نقمة) و(حنان) جد مكتب
فليس في ذنبها (عجماء) مرسله أن تستجيب إلى (الترفيه) في الرحب
فالأغنام عجماء فتقع المسؤولية على صاحبها ، وكانت الحسبة في الماضي
تتولى معالجة قضيتها في الأسواق ، أما في العصر الحاضر فإن البلديات هي التي
تفرض العقوبات .

وإنما الذنب كل الذنب مجتمعاً في (المهملين) ذوي الألباب والحدب
ثم يعلن الغزوي أن الخطأ يقع من راعي تلك السائمة الذي تركها تسير في
الشوارع ، ولم يحفظها ، وكذلك يوقع اللوم على المجتمع ممثلاً في رقابة الطرق
عند البلديات التي لم تحزم بمنع هذه الظاهرة .

لما هم لم يوقوها الخوف بما يقضي النظام وما يخشون ما أدب^(١)

(١) الخوف : الغلاك .

تعودوه (أهازيجا) فما لبثوا
وكان من أمرهم أن لا ينفذه
فأين من (حفظها) المسؤول وهوها
وأين منه (الجزاء) الحق يدركه
وكيف تنطلق (الأغنام) سائبة
وحولها دائماً أو فوقها أبداً
فهو يدعو إلى نظام حازم ، فيه جزاء يردع ، ولقد عاصرنا عدداً من
الجزاءات ، فمنها إيقاف الأغنام لعدد من الأيام ثم بيعها ، أو يأخذها صاحبها
بغرامة مالية كبيرة .

لا بأس ما فات يمضي في مرارته فهل لنا عبرة من ذلك العجب
خير المواعظ ما تهدي القلوب به حقاً وصدقاً وشر القول في الكذب
وهذه ظاهرة انقرضت في مدن المملكة عامة ، لكنها على الطرق الطويلة بين
المدن مازالت .

الأحياء السكنية ومتطلباتها :

من القضايا الاجتماعية بناء الأحياء في مدن المملكة ، فتقوم البلديات
بتخطيط شامل للمدن ، منها القائم ومنها تخطيط قريب من العمران . وتوزع
بجاناً ، أو تكون لمالك فيعرضها للبيع ، فتشاد الدور والمنازل ، والعمائر ، فيسارع
أصحابها إلى المطالبة بالخدمات العامة من كهرباء وماء وهاتف . والشاعر
الدامغ^(٢) يشير إلى هذه الناحية بمخاطبة لرئيس البلدية ، فيقول :

(١) السرب : السائل .

(٢) هو إبراهيم بن محمد الدامغ ، ولد في عنيزة عام ١٣٥٧هـ ، موجه في التعليم . صدر له ديوانان
١- شرارة النار ، ٢- ظلال البيادر . انظر : شعراء نجد المعاصرون ، ومعجم الأدباء
والكتاب ، واتجاهات الشعر في نجد .

إلى أخي العزيز عبدالله عبدالعزيز البسام ، رئيس بلدية عنيزة ، تحية فخر

ووفاء وعرفان :

أبا عبدالعزيز ظممت حتى	قلكفي من العطش الدهول
ومثلك من يريف بلا امتان	ويسقي الظامتين ولا يحول
وتصرف المياه - عداك ذم -	علينا مثل حارسه كسول
يجود على أناس حين يدنو	هواهم منه وهو بهم وصول
ويخل عن أناس ليس فيهم	له وله ، ولا قلب سزول
يداه على المحابس كل يوم	لا ثقة ، ولا عدل تجول
فجد يا ابن الكرام بكل بر	لغايبتنا ليرك ما تقول (١)

لما انتظم المجتمع في تشكيله الجديد ، وسار الأمن والرخاء ، وتحضر كثير من أهل البادية والريف ، وتوافد الناي إلى المدن وكثر الوافدون من خارج البلاد ، أصبح الناس في حاجة إلى عمران ، فشرعت الدولة بتخطيط المدن وتوزيع الأراضي السكنية على المواطنين في جميع مدن المملكة ، فأخذ البناء يعلو ويتكاثر ، وازدهرت المدن وهيا الله السكن المريح .

جزا لله خيراً من الفاض لنا الحفرا	وهي له يارب من أمره يسرا
منحنا أراض كي نعمار فوقها	بيوتنا لنا كي نستظل ولا نعري
وهل من تراب الأرض نبي مساكننا	إذا لم يكن ذاك العراب بها تبرا
وإن خفف الصندوق عنا بناءها	فما حيلة السكان بالماء والمجري
وما حيلة السكان إن عز كهرب	وعاشوا لياليهم على وضح (القمر)

وبقيت بعض المشاكل من مثل تعيد الطرقات بالقار ، ووصول الماء والكهرباء والهاتف ، فقد بنيت المباني قبل وصولها ، مما أوجد شكوى من الناس حتى تم ذلك بتوفيق الله .

وظل سموم الحر يشوي جلودهم وغيرهم في الظل لا يشتكي الحفرا

(١) ديوان غلال البيادر ٢٥ .

أللهاتف الرنان مذت كيا بل تكلمهم من داخل الدار أو (برا)
 وإن لم يكن فيها مكان مبيعة فمن أين يشرون الفواكه والتمرا
 وليس لديهم للركوب وسيلة تعز عليهم أجرة الداتسون الصفرا
 ولا يقبل المشوار سائق أجرة ومشواره قد يسلك الطرق الغيرا
 إليك أمين الدار نزجي خواطرأ وأنت أمين الدار لا تجهل الأمر(١)

ونحن عايشنا هذا الزمن وصعوبة المواصلات عبر الشوارع الترابية ، وما فيها من عراقيل بل حتى بعض الأحياء تسمى حارة المسامير لكثرة انفجارات الإطارات فيها .

مع توفر المال اتجهت الدولة إلى وضع نظام القروض ، فهناك القرض العقاري ، وهو يمنح المواطن ثلاثمائة ألف ريال ليبنى داراً من دورين يسددها المواطن خلال خمسة وعشرون سنة .

وهذا القرض كان له دور هام في بناء الأحياء والمدن ، وتطور العمران ، وتأمين السكن ، ولا سيما بعد أزمة الإيجار ، وله تأثيره على المجتمع ، فقد ساهم مساهمة كبيرة في تأمين سكن مريح ، وزيادة في الدخل . ومنه القرض الاستثماري لمن يبنى عمارة سكنية أو محلات تجارية يقوم المواطن بتأجير شققها ومحلاتها .

ومنها القروض الزراعية ، ولها تأثيرها الكبير في تطور الزراعة . ومنها قرض بنك التسليف الذي يصرف منه للدور التي تحتاج إلى إصلاح وتنظيم وتشيد ، أو لمن أراد أن يتزوج .

وهذا ابن سبيل مدير بنك التسليف في فترة من الفترات يتحدث عن معاناة الناس في طلبه ، وطول انتظارهم له .

صدرت الموافقة بتعديل قروض بنك التسليف إلى عشرين ألف ولكنه لم ينفذ

(١) نقوش على صفحة المجتمع ١٦

إلا بعد فترة :

يا قرض طال الإنتظار
كل يعيش مؤملاً
في الصباح يسأتي مسرعاً
فيقال صبراً طيباً
إن كنت تبغي حمسة
أكمل بها نصف الديانة
فما أشد الإنتظار
أن يسبق الليل النهار
للبنك يسأل (ويش صار)
الصبر قد ولى وطار
خذها والله الخيار
كي تجيبك العثار

فالبنك لا حيلة له ، ولا محزون أو دعم يستعين به لتلبية طلبات المقرضين
فيحاول المسؤول أن يرضي المواطن ، بجزء من القرض لكنه لا يفي بالحاجة فيلج
المواطن في شكواه بأنه في العراء ، والبناء يحتاج إلى ألوف الريالات :

يرنو لهسم متسانلا
ماذا يقال ؟ حمسة؟ (١)
إلا إذا أزمعت أن
وأنام فوق الأرض بالبيداء
فبحمسة لا أستطيع
والناس تبني بالألوف
فكسرت في أمر الزواج
فالصوم أفضل جنة
يأمن له أمر القروض
مالي أرى قرض الزواج
بيديك خذ بيديه كي
حقق أماني كل أعزب

ويلوذ منهم بالفرار
أبني بها عشا ودار!؟
آوي لعش مسستعار
أتحفف الغبار
شراء ثوب أو دثار
وبالملايين الديار
فليس لي فيه اقتدار
للمفلسين به يشار
ومنه يتخذ القرار
وقد تعثر في المسار
لا ينزوي خلف الستار
لا يقر أنه قرار (٢)

(١) حمسة آلاف ريال .

(٢) نقوش على صفحة المجتمع ٢٣

فختمها بالإشارة إلى الزوج الذي ينتظر القرض ، فلا قدرة له على تكاليفه أو استحجار الدار ، فهو يلجأ إلى الصوم لعل فيه وجأً لكن الشاعر يتمنى ألا يختفي هذا القرض . فعليه آمال العزاب كبيرة .

قامت نهضة العمران بسرعة مذهلة ، حتى فاقت كل تخطيط ، وسبق البناء جميع العوامل المساعدة ، الأخرى ، ثم أخذت البلديات بتعبيد الطرق قبل اكتمال شبكة المياه ، وشبكة الهاتف ، والكهرباء ، وكبل قطاع يحاول أن يجفر في الشوارع يوصل خدماته مما أوجد حفريات كثيرة في الشوارع ومستمرة لا تنقطع، فعرقل مسير السيارات وأساء لمنظر الشوارع ، فيقول الشاعر على لسان الشارع الذي يشتكي من تراكم الأتربة والضيق ، ومع ذلك التفحيط ، وحال الحفريات اليومي، وتدافع المياه من البيوت :

سودوا وجهي بالتراب ردم	وجيبي وطأوه بالقدم
لم أقل شيئاً لأنني شارع	لو يضيق اليوم عنهم هدم
دائم الصبر على مر الأذى	كم تحملت من الناس الظلم
أشهد المأساة تلو اختها	من ذوي (التفحيط) أصحاب المهم
مبضع الحفار يقري جسدي	لا يبالي ما أعاني من ألم
أقلونني بالبقايا ويلهم	ولأنفاسي (شذاها) قد كتم
يطلقون الماء سيلاً جارياً	فوق وجهي دائماً كي يعدم ^(١)

لكن هذه الحالة أخذت في الزوال بعد اكتمال العمران والعوامل المساعدة له، وظهرت لنا شوارع فسيحة نظيفة جميلة ، طويلة الامتداد ، تخترقها الأنفاق ، والكباري .

وطبيعة التطور تدعو إلى النقلة من الشيء إلى أفضل ، فقد كانت الهواتف ، تدار أقراصها باليد ، وهي قليلة ، ومع ذلك فهي كثيرة الانقطاع والتشويش ، ثم

(١) المرجع السابق ص ٩ .

جاءت مرحلة التطور الهائل في علم الاتصالات ، وجاءت مرحلة الأعمال وقطع الأسلاك داخل الشوارع . فكان الشاعر يسجل هذه المرحلة .

لي هاتف ما أصيره	على الكرام البررة (١)
تراه جمل وقته	تجري عليه البررة
يقطع عنك فجأة	فلا تحس أنه
ثم يعود فجأة	تسمع فيه الشوشرة
وإن زهمت ثانيا	تحولت لصررة
حتى إذا ضقت بها	يأتك دور الطررة
وبعد يوم لاحق	يقطع عنك خبره
تبلغ عنه مرة	لمرة مستفرة
تعود فيها خاسراً	خمارة مستكرة
إن رمت شيئاً له	قف لفريق الجرجرة (٢)
أو لفريق مثله	ذاك فريق النخجرة (٣)
فواحد يصلح	يصل فيه شره
وآخر يتبعه	ينزل فيه قدره (٤)

(١) الكرام البررة : فرق التليفونات .

(٢) فريق الجرجرة : فرق التمديدات .

(٣) فريق النخجرة : فرقة الصيانة .

(٤) إبراهيم السبيل : نقوش على صفحة الوطن ١٨ .

إزالة النخيل والأشجار للعمران :

النهضة الحديثة طورت المدن القديمة ، فقد كانت من أحياء متقاربة تحف بها المزارع ، أو تكون البيوت يلتحق بها بعض مزارع النخيل . فلما نهضت البلاد وتطور العمران ، وارتفعت قيمة الأرض السكنية فإن الناس أزالوا النخيل والمزارع وحلت المباني محلها . حتى المزارع الكبرى استغنى أهلها عنها ، فقطعوا تلك المزارع إلى أراض صغيرة للسكنى ، وباعوها بأعلى الأسعار . وكثير من الناس تردد كثيراً في إزالة تلك المزارع . وبعضهم امتعض منها ، وإن لم تكن له المزارع . وهذا الشاعر النقيدان^(١) يخاطب النخلة التي غشيت من الفناء لما اجتاحتها الجرافات ، ورآها تتهاوى صرعى ، وهو يتذكر محاسنها أيام السنين العجاف ، وأنها رمز الجزيرة الذي يجب رعايته ، بل بمقت هذه الحضارة التي أرحفت بالنخلة . يقول في قصيدته (النخلة المورودة) :

لا تخافي يا نخلي لا تخافي	أنت رمز الوفا ورمز التصافي
أنت نحو السماء جزت الفخاراً	قد تحليت بالعقود الضوافي
الحديث المبيد أرداك قسلاً	فمتايلت من أذى (الجراف)
قد جهلناك في سنين سمان	وعرفناك في السنين العجاف
أنت فيما مآذن شامحات	حرفها الطير غردت في الطواف
ما هم أوسعوك قلاً مبدا	هل من الدين سنة الإتلاف
الحضارات كم تجر وبالأ	وعليها وبأها غير خاف
أنت يا نخلي فخار ومجد	وعطاء في الخصب أو في الجفاف
هل ستنسى القلوب أفضالك الشر	ة فالتاريخ نقش في لوحة الإنصاف
أنت في الرمل يانعة الإنتا	ج دوماً ولي جوار الضفاف

(١) ولد في مدينة بريدة عام ١٣٥٨هـ ، عمل في مهنة التعليم . شاعر له (ترانيم واله) ، انظر :

دليل الكتاب والكتابات ٢٦٢ .

ليك يجلو القصيد ياجنة الأرز وتخلو - عند المديح - القواي (١)
والواقع أن الدولة رعت النخلة فشجعت على زراعتها ، وأعانت على
غرسها ، ولكل فسيلة جعل مخصوص ، واشترت مزارعها ، بل شجعت على أبحاثها
ورعايتها ، حتى ازدانت بها الطرقات والمعابر ، والميادين الفسيحة في
المتنزهات والمنشآت .

ومن رثى الشجرة الشاعر العشماوي ، فقد رثى شجرة لوز كان يزورها ،
ويعجب بها ، فغاب عنها زمناً ثم عاد فوجدها ذابلة لم يبق منها إلا جذع يابس ،
غير أنه لم يوقع اللوم على الحضارة والتهام العمران للأراضي الزراعية ، وإنما رأى
فيها أنها جميلة وتاهت على غيرها ، فلم يدم جمالها طويلاً حتى ذبلت ، فهي عبرة
الحياة بنهايتها المريرة :

أستقت أغصانك الخضراء ...
... أحداث الدهر ...
وتوارى حسنك المخبوب ...
... في ظل العصور ...
مطوة الأيام ... تراثاً
لم تترك ...
لم تعودي بسمة السمر ...
ض وهيفاء الغدير ...
أين ما أهدتك الأيام ...
... من شأنك أن كبر ...؟؟
♦♦♦
أين
أغصانك ذات الرص ...

(١) تراثيم الرمال ٣٣ .

في عز الجـ لور ؟؟؟

هكذا اسـ عملت في يـ

س ، لـ أيقظت شـ سـ هوري !؟

وأسـ الـ الـ الـ ...

... مـ جـ في الكـ

♦♦♦

أنـ أيقظت جـ حـ

بـ إيقاظ سـ روري

فقد مضى زمان وهو يعجب بجمالها ودلالها ، وأغصانها ، وروعة أزهارها ،
فتدخل له البهجة والسرور ، أما اليوم فقد ذبلت وتداعت أغصانها وأعوادها ،
وتساقطت أوراقها ، وانكشمت أعضادها ، فإنها أضحت عيرة لمعتبر ، فلا بقاء
في هذه الحياة إلا لله سبحانه وتعالى الأول والآخر ، والظاهر والباطن .

إنه الظلم لنجم الـ

أرض ، لـ لـ الـ

♦♦♦

لـ لـ الـ

نـ مـ الـ

لـ لـ الـ

ت إلى الشـ أن الـ

لكن الشاعر حض هذه الشجرة ، فأسقط عليها العمل الإنساني ، فيرى أن
تعاليتها وتفاخرها بجمالها ، وأنها تزدرى قريناتها من الشجر الذي لم يبلغ جمالها ،
ذلك ظلم منها أودى بها إلى هذا المصير .

هكذا....

ذكرني بالخالق الحي القدير

هو شأن المرء في دياره

.... محمول المصير

فهو يدعو الإنسان إلى التأمل في مصيره ، كي يتعظ ، فلا يتكبر ، ولا يتحجر ،
ولا يظلم ، وإنما عليه أن يحمد الله ويشكره .

يتأفنى ، يطلب الدينيا ...

.... ويرضى بالقشور

والفلا في هذه الدينيا

♦♦♦

يظلم الناس ولا يمد

ري عن المساوى الأخر

هو في حاضره ...

.. يسكن في عالي القصور

♦♦♦

وغدا ، أو اه لو يمد

ري بأهوال القبور

♦♦♦

((حكمة))

ينصبها الذهب ...

على جسر العصور^(١)

الكهرباء :

الكهرباء ظاهرة معاصرة في المدن ، والدول تتباهى بعمومية الإنارة عن طريق
مشاريع الكهرباء . بل ضرورة حتمية لبناء الدولة حضارياً وعمرانياً . وكثير من
الدول تجعلها في مقدمة خططها الإنمائية .

وقد ازدانت جزيرتنا بمدننا التي تألفت بالكهرباء ، وهي كذلك شريان
الحياة، فهي عوضت عن الحطب والخشب ، وتعمل أفران عليها داخل المطابخ ،

(١) صراع مع النفس ٤٤ حتى ٤٧ .

وتقوم عليها آلات التبريد والتسخين ، والمصانع والمشافي . ولضرورتها فقد وجدت تيارات عامة ، وأجهزة للطوارئ تشعل وقت الحاجة في الأماكن الضرورية ، مثل المشافي .

وقد تحدث عنها شعراء كثيرون^(١)، منهم ابن هليل ، حيث يقول :

ضوء الزمرد جذاب بمنظره	مع الضياء الذي يأتي من الدرر
لذا اخضرار بياض النور متقد	وذا احمرار بياض النور كالشرر
هي الزجاج قناديل منوعة	بالكهرباء أتت كأنجم زهر
تكيف النور فيها من تنوعها	تكيف النور في تنوع الزهر
منها كمثل عقود لؤلؤ نظمت	حسناً على الحسن وضاء بلا كدر
وبعضها كحجاب الماء تبصره	في أبطح صافياً يجري بمنحدر
إن الضياء عجيب في الجمال وقد	أتى بخمر ابتهاج النفس والنظر
والكهرباء حياة للبلاد إذا	تأمنت بانتظام غير مبتر
تأتي دياجي الليالي كالنهار بها	من غير ما سأم فيها ولا ضجر
الكهرباء لعمري آية عجب	كالروح في غيرها بإذن مقتدر
سارت وطارت ودارت في الفضاء وقد	جاءت بكل غريب غير منحصر ^(٢)

أبراج المياه :

ومن معالم المدن الحديثة وحاجتها أبراج مياه ؛ لتجمع المياه ، وتروي الأحياء. ويكون البرج مرتفعاً ليفذي الصنابير الكبرى ، ويشغل الخزان ، ويكون معلماً جمالياً بارزاً . وتمثل هذا في خزان مدينة الرياض العاصمة ، ففيه إلى جانب ذلك مقهى علوي ، ومطعم لكبار الزوار ، ويقع في حديقة منسقة في وسط

(١) انظر : ديوان ابن حميس : على ربي اليمامة ٢٩٣-٥٠٣ ، الطبعة الأولى . وكذلك قصيدة

للدكتور غازي القصيبي ، المرجع السابق ٥١١ .

(٢) نفع الأزهار سجع الأشعار ٧١ .

الرياض . يقول عنه الشيخ محمد بن هليل :

برج مشيد لعذب الماء خزان
يمد مما أمدته مصادره
سقى الديار جميعاً ربنا كرماً
برج ميف عجيب شاهق علم
راسي الأساس بعمق الأرض راسخة
رصت به زبر من فوقها زبر
عليه أفرع في التشيد خالصة
به تنوء من القولاذ ثابتة
صلد كقمة عالي الطود تمتع
يكسوه مثل موسى البرد لانحة
كزرعة الفطر أو كزهرة برزت
كمرصد مرقب للبعد قمته
فيه المصاعد طوع الكهرباء به
حول (المربع)^(١) محفوف بمنزته
نوافر الماء في الآصال تظورها
تحكي النوافير أسراب الجراد إذا
والعلم والفكر والإتقان موهبة
عناية الله ترعى شأن مملكة

بروي الرياض هنيئاً وهو ملآن
رياً زلالاً عليه امتد سكان
بصيب نافع والله منان
عملاق فن فريد النوع إيوان
له القواعد صم صخر صوان
صبت عليه من الأسمت أطنان
فاشتد منه قوي الرصف بيان
من الحديد شديد البأس عمدان
عالي الصدى عند رفع الصوت رنان
عليه من أبرع الألوان ألوان
قامت على ساقها والساق ريان
بل فرجة زهية للنفس سلوان
كسرعة الريح تسخيراً له شأن
به الحدائق أزهار وأفنان
وفي الغدو عليها السكب هتان
تشتد جانلة والأرض ريسان
وكل شيء له في الفن فنان
فالخط يمن وإقبال وإمكان^(٢)

منتزه جبل أبو مخروق :

والشاعر ابن هليل يصور لنا معلماً ثانياً في الرياض ، ذلكم هو جبل أبو مخروق الذي تحول إلى معلم جمالي ، وحفته الأشجار المنسقة ، والطرقات

(١) حي من أحياء الرياض يقع في وسطها .

(٢) ديوان نفع الأزهار في سجع الأشعار ١١٨ .

المنتظمة، والأزهار المنمقة الملونة . والشاعر لم يقف عند هذا ، بل رأى فيه تراثاً خالداً لتاريخ الملك عبدالعزيز (رحمه الله) :

حديقة معلقة	في سفح طود شيقه
يسد من الفسنت است	مهاجرة منسقة
تخططها وزرعها	شقائقها منمقة
حديقته أزهارها	نوالح وعقده
والطير فيها صدح	على الفصون المورقة
نوافر الماء بها	سكبا عليها مغدقة
(أبو مخروق) يزدهي	مفاخرها منسقة
ذكرى لتاريخ له	ووثبة موفقة
صكت بقصر مصمك	أرجأزه مطسوق
قصر منيع شاهق	أبراجه مقلقة
وبابه مصفح	رصت عليه حلقة
كلوح صخر صامد	حراسه مبندقة
جاءت له مفتح	صوارم ممتسقة
صبت عليه رفقة	كالشهب تهوي مصعقة
شواظها متقد	إلى الطففات محرقه (١)

قضايا الإسكان :

ومن القضايا الاجتماعية الطارئة في عام ١٣٩٦هـ وما بعدها قضية كثرة الطلب على استئجار الدور نظراً لتنمية الناحية العملية والعمرانية ، وتوافد الكثير للعمل في بلادنا . فزادت أجرة المنازل والفلل والشقق ، حتى ضاق الكثير بهذا

(١) المرجع السابق ١١٦ .

الفلاء الفاحش ، فسور ذلك الشعراء(١)

ومن أول من كتب عن ذلك حسين سرحان :

دائن جاء يتغني بإجاره	بعد أن أسبل الدجى أستاره
ومضى العام شر عام قد ذقا	الرزاييا في حارة بعد حاره
كل عام يزيد عما مضى	في إجرة الدار كالرياح المثاره
رب كوخ أركانه مائلات	وهو في سفر كدار السفاره
المئات المئات ماذا أنرمي	الأهل من رأس شاهق أو مناره
أم ترانا نعود كالعرب الرحل	والناس هرولوا للحضارة(٢)

وكان نتيجة تلك الظاهرة أن جعلتها الدولة في مقدمة أوليتها ، وعاجلت القضية من جوانب متعددة ، منها إيجاد بنك التنمية العقاري ، وتوزيع الأراضي السكنية ، ومنها بناء المساكن الجاهزة في المدن الرئيسة ، وبناء المساكن لمنسوبي الدفاع والحرس والجامعات ، واشترطت على كل مؤسسة القيام بإسكان منسوبيها

فالشاعر أحمد باعطب يحكي تلك الظاهرة في قصيدة طويلة تتخذ أسلوب القصص والحوار ليدخل فيها عناصر القضية من أسرة الزوجة ، والزوجة ، والزوج الذي يعاني من أفعال تلك الأجرة ، فيتجاوز مع حماته وزوجته :

شرقت بفرحتها حماتي عندما	علمت بأني قد ظفرت بدار
وتسمت إذ أبصرتني مقبلا	وتحف بي زوجي وكل صفاري
وأتت علي عجل تقبل همامي	جلى وما علمت بسوء عشاري
قالت هينأ قلت ويحك إنني	أصبحت رمز الفقر والإعسار
قد بعث كل متاعنا بدراهم	معدودة وحلي أم نزار

(١) كتب عبدالرحمن المعمر بحثاً بعنوان ((إيجار الدار كما صورته الإبداء في الأشعار)) انظر :

الموسوعة الأدبية للماسي ٣/٣٩ .

(٢) المرجع السابق ٤٠ .

ثم يشير إلى تحديد الأجرة بعشرين ألف ريال ، وإلى توزيع مرتبه الشهري على الدائنين الذي يمثل الموارد ، فهو لا يغطي على النفقات .

ستمر بي الأيام قائمة الرؤى ويطول في سجن الديون إساري
وقموت أحلامي وتكبر شفتوي والصوم يصبح غوتي وشعاري
ومرتبي ما عدت أملك قبضه إذ صار ملك الدائن الجبار
قالت فما الإيجار قلت لها اصمقي لا تسالي أبداً عن الإيجار
عشرون ألفاً لا يؤجل دفعها ويضاف ألف خدمة المصار

والأمر هذا يؤدي إلى تراكم الديون ، وكثرة المطالبات ، ثم الشكاوى ، فمن أين يدفع هذه الديون ما دام مرتبه ينفذ جله في أجرة البيت إذن لا بد له من زيارة السجن ، فضلاً عن موت أحلامه وإرهاقه .

لكن المرأة لم تستشعر ذلك ، وتظن الأمر حيلًا ومماثلة حتى يوفر له مالاً ، لكنه يدعم بالدليل لعلها تقنع .

قالت أعينك أن تكون مبالغاً قلت انظري هذا الدليل جواربي
قومي اقربي فقراته وتمعني فالداء في أحشائه متواري
قالت لحاك الله تلك جريرة مسخت بشاعتها جمال نهاري

وإمعاناً في تصوير القضية فإن حماته وزوجته تدفعان به إلى أن يسأل الناس إلفاناً ؛ لأن الوظيفة لا تفي له بمسئزمات ، لكن يرفض المذلة :

قالت فما يبيك رهن وظيفة تخشى ضروب الحسم والإنذار
مرتقباً في كل عام منحة يشدو بمقدمها لسان قرار
هيئات تبلغ بالوظيفة مأرباً كهف الوظائف منبع الأكدار
قم جار صحك في الشراء فإنيهم شادوا القصور عديدة الأدوار
وتمتعوا بالطيبات وأصبحوا أرباب جاه في الحمى ويسار

فالشاعر يحكي على لسان زوجته الدعوة إلى عدم الاعتماد على الراتب

المحدود ، الذي لا يفي بمسئزمات الحياة ، وعليه أن يبحث عن عمل آخر كأن

يقوم بالتجارة أو الصناعة كي يماثل أقرانه الأثرياء الذين ابتنوا القصور ، فالعمل التجاري يؤدي إلى الوفرة وبلوغ المآرب من التمتع بالطيبات ، وتكوين الجاه ، وصاحب الأموال .

فإن لم تجد وسيلة إلى التجارة ، فعليك أن تمد يدك سائلاً ذليلاً كي تجمع المال ، وهذا عنت ربما حكاها على لسان الزوجة إمعاناً ومبالغة منه ، وربما أن بعض الزوجات تطلب مالا ولا تبالي ، ولا سيما الكماليات ، وما ينجم عن العادات والتقاليد ، والتباهي .

يامد يد يدك فما تنال لبانة	يوماً بأيدي في الشموخ قصار
وإذا رأيت الذل يرفع أهله	فاخلع لباس الكبرياء وجار
قلت اصمتي واقني حياءك إنني	لا أرتضي أبداً بوصمة عار
تهوى الكلاب من الجفاف لحومها	وبعافها رغم المجاعة ضاري
لا ، لن أمرغ جبهتي في تربة	موبوءة بالخزبي والأقذار
هيئات للنفس الأبية أن ترى	جذلي بثوب مذلة وشار
لا يسوي عند التفاخر مكتس	خلقاً وآخر في الخافل عار
سأظل أمتوحي الرشاد يقودني	للخير قلب مشرق الأنور ^(١)

ونراه وقف موقفاً حازماً ، فرفض طلب زوجته وأمرها بالحياء ، وهو لا يرتضي أن يقف موقفاً فيه مذلة وعار ، فالرجل لا يندس نفسه ، ولا يرتكب ما يخزي ، فهو يعاف تلك الوسيلة المبتذلة التي لا يأتي إليها إلا ضعاف النفوس ، فلا يمرغ جبهته بتربة الأقذار ، والهوان ، فنفسه آبية ، فالإنسان يعتز ويفاخر بسلوكه ، وأخلاقه ، وطيب كسبه ، وقوة مصارحته للحياة فهو أعلى شأناً من الأذلاء الخانعين المستجدين .

والاستحجار ظاهرة كبرى في عصرنا الحاضر ، فالتناس بينون المنازل المتعددة

(١) الروض الملتب (ديوان) ١٦٩ .

الطوابق أو متعددة الشقق ، ثم يعرضونها للإيجار ، لكن أصحاب المباني يعنون من كيد المستأجر ومماطلته وعصيانه في المنزل .

إخواننا مهلاً وعلزلاً إنسي	أجأت في حقي الأكيد الصائب
ما كان من طبعي التعتت إنما	بلوى من الذئب الختول الناهب
احتل داري من طرق مغفل	صمار تاجير بأجر خائب
لمماطل متحجسل ومغالط	ضار على الكيد الذميم الكاذب
مستأجر ومزجر مع مكنته	مع غيره والكل أنكذ عازب
في كل ركن بل وحتى مطبخ	منه بتاجير الطموع الكاسب
أطمارهم وجلودهم وصحونهم	غرقى المياه بضجة وتناوب
كم فجروا الماء العزيز بكثرة	من كل صنوبر ودش ساكب
ولمدة طالت قرابة ستة	أعوامها مرت بعد الحاسب
فالبيت أصبح موحشاً متصدعاً	في حالة الظلل الصريع الجانب

فمكاتب العقار منتشرة في الأسواق ، ولهم قدر معلوم بنسبة ٢,٥٪ من الأجر السنوي أو الشهري مما جعلهم يسعون جادين لتأجير البيوت والمحلات بلا تبت ، فيجرون من لا يبالي بدفع الأجرة ، أو لا يصلح عاطلاً ، ولا يمنع ماء جارياً ، وربما وزع البيت الواحد إلى عدة غرف ليؤجر ، أو إذا كان عازباً أدخل معه أعداداً كبيرة من العزاب ، والنظام الجديد يمنع إخراج المستأجر لجانب آخر هو جشع الملاك فإنهم إذا وجدوا من يدفع أكثر فسرعان ما يخرج المستأجر أو يزيد الأجرة عليه .

ما (قائد) هذا بقائد جحفل	فوق المضمرب بالحسام الضارب
بل قائد الطمع الشنيع منافياً	في العلم أخلاق الأديب الطالب
عند التأكد من سمو أميرنا	جاء الخلاص من البلاء اللازب
طرداً من البيت المعذب مرغماً	ورفاقه تحت اتخاذ الواجب
استاذنا الشهم العميد (أسامة)	ذو النبل والفهم السليم الشاقب

أبدى إلى الموضوع نظرة حازم والأمر لله القوي الغالب (١)

العباءة والعقال :

والشعراء تحدثوا عن المظاهر الجديدة ، كمثل لباس العباءة والعقال ، فهي مظهر من المظاهر العربية ، غير أن جدة مدينة ساحلية شديدة الحر ، وأهلها لم يعتادوا لبس هذا الزي ، فتمر موا منه ، وتعللوا بالحر . فهي في الأصل تحمي من القر فكيف يلبسها في الحر . يمثل هذه الظاهرة المحاوره التي دارت بين حسين سرحان ، وحسن عرب ، فقد كتب حسين سرحان الأبيات التالية :

تحملت العباءة والعقال	وهذا الحر ينشال انشالا
ففيها الدفء من قر وحر	إذا هبت ذواتها شمالا
ولكن كيف أحملها بيوم	عنيف الحر يشعل اشتعالا؟
تكاد الشمس تأفل من سموم	إذا اتضح الغدير ارتد آلا
أرى عرقي إذا ما جف حيناً	تفجر بعد وانهمل انهمالا
ذابت غزتي وسقت قذالي	بمعتصر يدبسر لي القذالا
وهل طاقتي يوماً تنفى	إذا انسلت حواشيها انسلالا (٢)

وأجابه حسين عرب بهذه الأبيات :

فيا لعباءة كسنت خيوطا	على كفي فاندالت حبالا
وما طساقيتي إلا حجار	ثكلت به الحقيقة والخيال
وبي من غزتي هم قطنى	على فودي والنيل انسال
ومالي والعقال فإن نفسي	ترى الدنيا بما وسعت عقالا

فأهل الساحل يخففون ملابسهم ، ويتقنون الرقيق من الأقمشة ، والذي يقاوم أشعة الشمس ، فكيف به إذا لبس العباءة ، وأثقل رأسه بالعقال مما جعله

(١) ابن هليل : نفع الأزهار شمع الأشعار ١٤٩ .

(٢) الديوان ٣٦/٢ .

بمل العباءة والعقال .

قضيت العمر في حر وقر
أظن اليوم حين يمر شهرا
ولا أخشى النية يوم تأتي
فرب منية عزت منالا(١)

والعقال أسود مستدير يعلو الفترة ، وهي إما شماغ لونه أحمر ، أو غترة بيضاء ، وتحتها طاقية بيضاء من النسيج الناعم . والعباءة منها متعددة الألوان ، ومنها خفيف صيفي ، ومنها ثقيل شتوي . لكن الحقيقة أننا نفخر بالأكسية العربية هذه مع الثياب الواسعة حين خالفنا كثير من العرب إلى تقليد الغرب .

أمراض العصر :

والشعر ينقل لنا حالة الإنسان وتجربته مع المرض ، والشاعر أكثر نبضاً وإحساساً إذا تعرضت عيناه للمرض لا سيما إذا فقد البصر بهما ، فإن الألم يهون بجانب العمى حيث يفتقد النور الذي يضيء له الدرب .

فقد تعرض الشاعر محمد السنوسي لعمليتين جراحيتين في عينيه ، وهذه القصيدة تفيض بإحساسها النابض ، ومشاعرها الصادقة من وحي تلك التجربة :

يا طيب العيون ، شكوى عيوني
هي عين لا تعرف النظر الشزر
فترفق بها فقي نونها المكنون
إن فيها أحلام قلبي وأشواقني
إنها يا طيب نافذتي الكبرى
وهي جسري على الحياة ومنطادي
وهي أعلى من العشميرة والمال
فالشاعر يفاخر بجمال عينيه ، وبمحافظة عليه شكراً لله ، فهو لم يتابع بها

(١) المرجع السابق ٣٣/٢ .

الحرام ، وإنما يتمتع بمعالم الجمال الطبيعي ، وأسرار الكون ، وعظم مخلوقات الله .
فهي نافذته على الكون والعلوم بل هي صلته بالحياة ، فهي التي تمد الروح والعقل
بأسباب التدبر والتأمل ، فهي أغلى من العشرة والمال ، ولا مبالغة فإن نعمة العين
من أجل النعم التي خلقها الله للإنسان والحيوان .

وهي مشفوفة بكل جمال عبقرى وكل فن رصين
وهي تواقفة إلى كل سطر في كتاب وهامش في متون
وهي دماغة إذا ذكر الله وخشاعة بقلب حنون
وهي ترونو إلى الحزن فتكفي حسرة من أسى لذاك الحزين
وهي إن أبصرت مشينا تقذف رحمة لا شماتة بالمشين

فهو عدد وظائف تلك العين ، فيها كون عبقرته ، وتجلت موهبته ،
ورصدت معالم الجمال له ، وبها يقرأ كتاب الله ويستجلي عظاته ، وهي واسطة
الخشوع والتأمل سريعة الدمع ، وهو لا يشمت بها وإنما يوجه عن حسب
وحسن نية .

ثم يختم قصيدته بالتأمل في قول الطبيب استخراج الماء الأبيض أو الأزرق
منها ، فالعين في نظر الشاعر ماء خالص . وكيف يجري مشرطه في هذه العين
الشفافة المائية ، وهذه العمليات نعمة من الله ينعم بها المعاصرون ، فكم من فاقد
للبصر رد الله بصره إليه بسبب هذا الفتح الطبي ، إن الأعداد التي تنتظر لكبيرة في
البلد القليل عدد السكان ، فكيف بالبلدان الأخرى .

وهي من لفتة تذوب حياء من عتاب الهوى ولوم الخدين
وهي ماء فكيف تستخرج الماء من الماء بالشبا المسنون
كيف تجري السكين فيها وفيها رقة لا تطيق همس الجفون
فلتكن في يدك أسرار عيسى وهداة ومعجزات الأميين

رب إني أسلمت للطب عيني وأنت أنت الطبيب فالطف بعيني (١)
والشاعر عبدالسلام هاشم حافظ (٢) يخاطب داء عينيه الذي يعاوده المرة
تلو الأخرى:

"جن الالتهاب بهاتين العينين الساحرتين ، كأنما الحسد قد أصابهما ، تبأ له
ولأمله! "

يا داء عينها ترفق بالتي	أهبتها .. أهبت أجفان النقاء
شهر مضى لم تحش صولة حننها	وأنت تعبت في الجفون وفي الصفاء
لو كنت ذاتاً ما تردد مبضعي	في أن يقطع فيك أسرار البقاء
خس من السنوات كنت تصيها	وتجيء بالسوءات في فصل الشتاء
واليوم في زمن الربيع تعودها	وتزيد من إيلاهما عند المساء
فاكاد أصعق من رؤاها تشكي	من حمرة العين تبدا كالدماء

فالشاعر يتلوى ألماً من التهاب عينيه بهذا الداء ، فهو يعاوده كصولة الأسد
الفاتك ، فيعبث بصفاء العينين ، فيشند احمرارهما ، ويتراكم عليها القذى في زمن
الشتاء ، وهو يصعق من شدة الألم فيهرع إلى الطبيب لعله يسعفه بما يريحه ويزيل
أوجاعه ، لكن الطبيب لم يقد ، وحتى التماثم لم تنفع ، وهو يشخص المرض
مستمعاً يخاطبه ويطلب منه الاغتراب وترك الديار ، ولا يؤدي أي إنسان .

إن مرض العيون شديد الألم ، وشديد الوقع على النفس ، بل يحجب
الإنسان عن العمل ومشاركة الناس ، ويجعله عالة على غيره ، مما يؤدي إلى تأثيره
النفسي الذي يزيد أوجاعه وقعاً على المريض .

وأظلم أبحث عن علاج ناجع	عند الطبيب ، وعند أطفاف السماء
كم من تماثم .. كم دواء أعطيت	وأنا الذي أسمى دواماً للشفاء

(١) الأعمال الكاملة ٧١٨ .

(٢) ولد في المدينة المنورة عام ١٣٤٧هـ ، مؤلف وشاعر ، له عدد من الدواوين مات عام ١٤٦٥هـ .

انظر : معجم الأدباء والكتاب .

هل أنت من عشاقها يا فاتكا؟
ما أنت إلا وصمة الدنيا على
قف عند حدك لا أبالك واغرب
واطمس على الشرهين حماد السورى
ما كنت أسمع عاشقاً يهوى الشقاء
سكان أرض الله عشاق الضياء
بل وأمض للعين الضلولة بالبلاء
واعلق على اللاتي يعيون البهاء (١)
والشاعر الغامدي له قصيدة بعنوان (الحلو المر) تحدث فيها عن مهنة الطب ،
ويشير إلى تقدمه في بلادنا ، وإقامة الصروح الطبية من المشافي وكليات الطب ،
ويتحدث عن الآلات وعن عناية الأطباء ، ويخص السكر بمديته ، لأن القصيدة
بمناسبة اكتشاف السكر عند الشاعر ، وأدرك أن أسبابه السمنة ، وعدم تنظيم
الغذاء ، والركون إلى السكون وعدم الحركة ، وكثرة التهام الدهون .

علم أكيد وأشخاص مدربة
لولا المواعيد قد تُشقى بدون دوا
شكرا لكل طيب زرتة مرضا
تلك البشائر تزهو في تبسمه
وحبذا مثلهم بالنجح مشتهر
وقد يموتن رهن الوعد منتظر
فالكل مجتهد حقاً ومقدر
عند العلاج بها الآمال تزهو
فهو يُعجب بالأطباء الذين يقومون بالعلاج ، ويشيد بالمختصين بالأجهزة ،
وقدرة تشخيصهم ، لكنه قبل أن يصل إلى الطبيب يعرج على ظاهرة شائعة في
المشافي وهو طول المواعيد وكثرة التردد قبل مرحلة العلاج أو العملية ، وهي
جديرة بالمعالجة ، لأنها تؤدي إلى مضاعفة المرض واستنزاف الوقت ،
وكلفة الأسفار .

شكواي في القلب للمولى أوجهها
فلاطباء في حالي مكابدة
كم حللوا دمي كم سال سائله
لا يصرفون دوا خرساً على عجل
كذلك يُشكى عليه السكر الخطر
وللبقية شكري خير ما شكروا
في كل يوم وفوق الزند معتصر
حتى تفيد فحوص الجسم والصور
وكان الشاعر أحس بتكاثر الأمراض الخطيرة ومنها مرض القلب ، واشتكى

(١) وحي قلب والحنان ، ٣٠ ، الطبعة الأولى ، نادي أبها الأدبي .

إلى الله ثم إلى الطبيب من مرض السكر ، وهو يقف عند التحليل للدم وغيره وتأمله عند أخذ عينته بوخز الإبر ، وهو يشكر لهم التأكد من تشخيص المرض أولاً ثم صرف العلاج بناء على ذلك .

ما عاد للعمل الصافي لذائذه ولا السكاكر رمز العيد تعتبر
فقد غدا السكر المشؤوم علتنا البدو سيان في بلواه والحضر
ترعزعت صفة الأشياء وسيرتها حتى تشابه فينا الزهر والحجر
كان السمين يرى في الشحم مفخرة فصار بالشحم راعي الشحم يتحور
والأعين النجل تغري دون (مسكرة) كحلاء ناعمة في طرفهسا حور

فيشكو الشاعر من حرمانه من ملذات الطعام ، فقد منعه عن الشهيد المصفي ، وعن أصناف الأطعمة المحلاة ، وما دام حرم الملذات فإنه لا يبالي بالأشياء ، وقد انقلب المفهوم السابق الذي يفاخر بالسمنة ، فأضحت المفارقة بالضعف وقلت الوزن ، وفي ذلك راحة للقلب وسائر الأعضاء .

وهو يتحدث عن السمنة ومعالمها ، وكونها ظاهرة هذا العصر الرغيد العيش وعدم الحركة ، وتقارب الأحياء ، أو تباعدها . فهو يرى أن الأكل والمركوب ، والجلوس الطويل ، والكسل والاسترخاء ، كل هذه تؤدي إلى أمراض السكر والقلب وغيرها :

والكرش إن كبرت وكانت وجاهتنا فصارت الكرش ذنبا ليس يفخر
والتمر كان لنا زاداً ومتعتنا فهل مع التمر جبل الوصل يبتز
والمشي كان هوانا في تحركنا ولو تطول بنا الرحلات والسفر
وما شكونا من الأمراض عادية ولابدأ بيننا ضعف ولا خور
فغرت هذه الدنيا إلى كسل يفضي إلى كثرة الأمراض تنتشر
أكل ونوم ومركوب وتلفزة تحطم الناس صحياً وتعتور
كأنما النوم في التطوير غايته أو أنه الأمل المنشود والوطر

ثم يوجه خطابه لمرضى السكر ، فيدعوهم إلى الحيطة والحذر ، ويحذرهم من

العلاج الشعبي ، والشعوذة ، وعليهم الالتزام بتوجيه الطب العلمي ، ويلتزموا بالحمية ، وينصحهم بالرياضة ، كي لا تتراكم الشحوم والدهون وتتحول إلى سكريات ، ويختم بوصية هي الانتظام بأخذ الدواء والالتزام به في مواعيده .

ياسكريون ، هبوا في مقاومة بصيرة واتبناه كله حذر
كم جرعتنا حواة الطب شعوذة وما استفدنا بما ظنوا وما سحروا
لا تقبلوا غير علم الطب لا هنرا كخبط عشواء للتأكيد يفتقر
لا بد من حمية موزونة ودوا مع الرياضة أو فالداء والضرر
ومن يكن ذا اكتناز فوق سكره يقتصر من زاده نصفاً ويختصر
تضرر الناس في شتى خصائصهم لو لم يقلها لنا أنشى ولا ذكر
فحافظوا في علاج الداء منتظماً حيوه مثلها التحليل والإبر (١)

والشعراء تنبهوا لقضايا الفرد ، وعالجوها ، فهذا الأديب الشاعر عبدالله القرعاوي (٢) يتحدث بلسان كفيف ليهيب بالمسؤولين بإيجاد السبل له كيما يتعلم وينتج :

حدثوني عن البهاء والضياء يا صحابي وعن جمال السماء
وصفوا لي تنقل البدر فيها وبصيص النجوم ذات البهاء
واسمعوني للشمس وصفاً جميلاً كسناها اللذيقت بحبي رجائي
يا إلهي قد عشت دهري حزناً أحتسي الكأس من أيادي الشقاء
أقاسي ظلام ليل طويل أوقعتني أهواله في عناء
ليس لي حيلة لبث شكائي غير دمعي وما يفيد بكائي؟
تركوني أسير وحدي حزناً دون عون ولا قليل عزاء
أي شيء يهمهم من كفيف أعلم أم قوتي أم ثرائي؟ (٣)

(١) زورق الآمال والدومات ٤٨ .

(٢) ولد في عيزه عام ١٣٥٢هـ ، تلقى تعليمه الجامعي بمصر ، كاتب صحفي وشاعر ، عمل وكيلاً لوزارة الصناعة والكهرباء . وهو الآن عضو مجلس الشورى . انظر : معجم الأدباء والكتاب .

(٣) عبدالله بن إدريس : شعراء نجد المعاصرون ٢٦٥ .

الدخينة :

ومنها (الدخينة) التي استشرى شرها ، وفكت بالعديد ، وأهدرت الأموال
والنتيجة مرض السرطان :

عاج همي — (سيجارة) ويورثني تبها ألف هم
وأجلب بالمال أفاصها فيأتي سعالي مشوباً بدم
وأشكو إلى أرقى لاهنا واسمع قلبي يقول : " ت ... تم "
فترتعش الرعب في ناظري وأعرف - ويلاه - طعم الندم(١)

السيارات :

كان الأوائل يتحدثون عن خيلهم وعن بغالهم وحميرهم . أما في هذا العصر
فقد حلت السيارة محلها .

وكان أحد نتائج التكوين الأول للدولة ، ظهور المتغيرات السريعة في مظاهر
الحياة الحضرية ، والبدوية ، وحدث استغراب لم يخطر بفرعهم من قبل ، ودارت
حكايات في بداية قدوم السيارات ، والطائرات ، بل المذياع والتلفاز ، وسائر
المخترعات الجديدة ، والشعراء أدركوا أهميتها وأعلنوا فضائلها : كقول حسين
سرحان في السيارة :

يا راكبيها ، تأنوا في تنايهم ورب سيروت أرض جد منقطع
ما إن حللتهم بها مذ مدة سلفت يفور من قيظه مثل الإناء على
كم قد مشيتم حفاة لا نعال لكم ظللتم به بين موقوذ ومزوك
وأقصروا ، وأقصدا فالجور جوار وركم أشت بكم بين وأسفار
يشوي به الضب أو تورى به النار جمر توججه ربح وإسعار
ولاغب مزقت رجليه أحجار(٢)

(١) المرجع السابق ١٣٠

(٢) أحصنة بلاريش ٩٠

وهي تحتاج إلى إصلاح . وإذا تقدم بها الزمن كثير عطلها وارتجاجها .
والشاعر على صالح الغامدي يصور مشكلته مع سيارته :

ياسيارتي البرق رفقاً كم تؤرقني
يامن أضعت الصبا تفني بشاشته
أضعت روق الصبا جهلاً بقيمته
وسانحات المنى في العمر نادرة
لذائد الحب ليست كلها عملاً
كل تغير إلا الله جل وعلاً
سيارتي لم تعد كالعهد قادرة
تمشي الهوبنا ولو في السهل واعجبا
قد غيرتها صروف الدهر مرغمة
وإن مشت مشيها رجفاً وجمجمة
والعنفوان الذي جاشت به زمننا
والذكريات لها وقع ورجعُ صدى
يا ما سلكت بها درب الهوى طلباً
مل المهندس من ربطٍ وشد عرى
موديلها لم يسزل في أوج قوته
لعلها - والأمانى جل سلوتنا -
لو في استطاعتنا تغير تالفها
لكن أولى بنا سعدٌ نوملُسه

فاليوم لا نأقي فيها ولا جملي
في زحمة العيشة العشواء والعمل
أضعت شيئاً عديم المثل والبدل
والناس من ضيعة الأوقات في وجل
فبعضها علقم أحلى من العسل
وكل ساعة تسمى إلى أجل
على السباق على الأسفار والرحل
لم تمش فيما مضى يوماً على مهل
كم غيرت مثلاً منا إلى مثل
كرقصة الزار تعبيراً عن العلل
قد قل عند العمر حداً غير محتمل
وليس بين بني الإنسان أي خللي
للحسن والحب في سهل وفي جبل
هيات ما أكثر الأسباب للخلل
في سائر الكون والألمعاء والدول
وتعود سيرتها الأولى على عجل
بغيره من جديد الصنع مكتمل
ولذة العيش أن تحيا على أمل^(١)

(١) رزوق الآمال والدوامات ١٣٢

الكوارث الاجتماعية :

والشاعر الغزاوي يرسم لنا مشهداً محزناً ، بالبيت الأهل بالبنين والبنات ،
الذي يسزوح نسيمات السعادة ، فإذا به فجأة في أتون اللهب يشتعل احتراقاً ،
ويختنق دخاناً ، وتحرق به النار من جميع الجهات ، فتساقط الفتيات الجميلات
من عل ، وتحترق أخريات فيصاب بيت (آل عرب) بنكبة يصف الشاعر هذا
المشهد في قصيدة عنوانها (مدينة تبكي وأسرّة تنكب) :

سمرن ظباء واستحرن صياما وأصبحن صرعى واعتشين ركاما(١)

(فجيفة) بيت بات يمسرح أهله (نعيمان) وأمسى في الرغام حطاماً

إن هذا البيت الذي تكسوه السعادة والبهجة . فأهله يسمرن ليالي رمضان
الرائعة في لهُو بري ، محفوظات مصونات في منزلهن ثم يطلبن الأجر والثواب ،
فيتسحرن استعداداً للصيام ، ثم يفجأ البيت بالنار تلتهب ، وتدخل الحجرات ،
ويرتاع الأطفال والنساء وتصرخ الفتيات ، إنها الفجيفة .

أألتمس (العبرات) حرى وليس لي (عيون) وقد جف الشفاف أواما(٢)

فلا مهجتي تمرى دموعاً ولا الجوى يكف ولا قلبي يشب ضراما(٣)

قد اصطك سمعي وانتفضت كأنما تدور بي الدنيا الفضاء أثاماً

أرجفة صعق أم هو (الحشر) غيلة أم النثر يفشى (الرافدين) راما(٤)

وأول ما يتبادل للشاعر وقع الحادث على نفسه ، فهول الأمر أوقعه في
ذهول وتصلب قلبه ، والتمس الدموع الحرى التي تخفف على القلب ، فلم
تسعه ، إن رؤية المنظر المرعب للحريق آذله فكأنه لا يسمع بل أصابه الدوار ،

(١) سمرن : من السمر ، وهو السهر ليلاً . و (استحرن) : من السحور .

(٢) الشفاف : الصخر العظيم ، ويقصد الرجل الصلب . (أوما) : عطشاً .

(٣) تمرى : ترسل .

(٤) راما : ذهب رماداً .

فلا يدرك شيئاً ، وكأنه يلف حول نفسه ، فالنار طال اشتعالها ، وتصعد دخانها ،
والتهبت جوانب البيت بالنار ، فهو مشهد يروع الإنسان :

صحوت وآفاق السماء أشعة	وكل امرئ (ألقى عصاه) وناما
لما راعني إلا (المسرة) ويلها	تشق صماخي فجأة وزهاما (١)
وكذبت ما قالوا ولم أدر كيف بي	بلغت مكاني وانتصبت زحاما
وشاهدت ماذا أيها الدمع أشفي	ويا قلب ذب وأمر الدماء كلاما
تأملت في (القصر المشيد) تقضه	من (النار) ريح غادرته رجاما
وأبصرت هولاً أي هول أو انسا	من (الغيد) يحكين البذور تماماً
أبحن الكرى وأجفانهن وأطبقت	عليهن (أمواج) الجحيم غماما
(قوارير) من أقفاصهن جوامها	ولا غوث إلا أن يطرن حماما

إن الخبر الذي وقع عليه كالصاعقة عبر الهاتف لم يصدقه في بداية الأمر ،
أشبه بمن يموت له قريب فلا يصدق تلك الواقعة ، لكنه لم يدر كيف نهض واقفاً ،
فإذا هو يتمنى تدفق الدمع من عينيه عله يهون الوقع على القلب من الفزع ، قم
يقف أمام ذلك القصر الجديد ، فإذا لهيب النار يخرج من كل جانب ، وتقذف
بها الرياح إلى جهة جديدة لتأتي النار على جميع جوانب القصر ، والهول يدلف
إلى الأشخاص الذين يعانون ألم الناس في حوادث غير خطيره فكيف بمن يرون
الموت مقبلاً عليهم ، والنار تطوقهم من كل جانب ولا حول ولا طول لهم ،
وكيف بالفتيات الناعمات اللاتي يذبن رقة وليونة في هذا الهول العظيم .

تساقطن من أعلى التوالد بعدما	جبهن اللظى واحتاطهن خطاماً (٢)
لما كدن يبلغن الثرى وطباقه	من الأرض حتى خلتهن عظاما
(مفاصل) أعضاء تكسرن مثل ما	نفضت (زجاجا) من يدك ترامي

(١) المسرة : الهاتف . و (صماخي) : طبله أذني . و (زهاما) : الجلد في النداء .

(٢) خطاماً : وتر القوس ، وخطاماً الدابة لجامها .

(هشيماً) تلاقي في صعيد وحسبة
 من (الرض) بأسا أن يحور (جماما)
 ومن يملك الأحشاء حين تظفرت
 ويشمر إلا بالعذاب غراما
 إذا تحوطت إحدى الغواتي جنيها
 إلى (بظها) يشكو السقوط بغامها(١)
 وأغيد في نشوى الشباب كأنه
 من البان خوط قد هوى وتعامى(٢)
 و(طفل) كزهر الروض يصرخ بينهم
 ينادي خلال الناس : أينك (ماما)
 وبين أذان الظهر والعصر أقبلت
 مواكب تزي بالنعوش قياما
 ثلاث وخمس بينهم واسع الخطى
 غصيص الرؤى يعني الحياة دواما

فتراه كيف وصف وصفاً موثراً تساقط النساء من النوافذ ، والنار تشتعل في
 ثيابهن وأجسامهن ، وشرار النار يصحبهن فما بلغن الأرض إلا وهن حطاماً ،
 وقد تفصدت مفاصلهن وتكسرت عظامهن كما يتناثر حطام الزجاج .

ويؤلمه منظر المرأة التي تحوط طفلها والنار تشتعل فيهما ، وتحاول أن تسره
 ببطنها وشاب في ريعان شبابه ، تلتهم النار جوانبه ، وطفل ينادي أمه المحترقة ،
 وهو يئن من لدغ النار ، وتظل النار تلتهم القصر ومحتوياته حتى وقت متأخر من
 النهار ثم ينقل الناس النفوس إلى المقابر .

وغودر في (دار الشفاء) بقية
 ثوى بينها كهل يضح سقاما
 يعانون آلاما شدادا وحسرة
 وقهراً و (سماً نعباً) وزؤاما
 (سعي) ولكن في القلوب (شواظه)
 رأيت به ضوء النهار ظلاما
 تفتت الأكباد فيه تفجعا
 وفاض به (جفن الجماد) حماما(٣)
 وطوبى لها بين الصفائح هاما
 عزاء وصبرا يا (قلوب) وحسبة
 من الله لطفاً أن يكون لاماً
 عزاء وصبراً في القضاء وحسبنا

(١) بغاما : البقام بكاء الطفل يشبه صوت الظبي .

(٢) خوط : جمع خيطان ، وهو العنسن ، وكل قضيب لدن .

(٣) (جفن الجماد) : الذي لا ينطق ، ومع ذلك بكى لول الحادث . (جماما) : كثيرا .

أما بقية أهل القصر فإنهم ينقلون إلى المشافي ، يعانون الألم ، ومن الحسرة
والقهرة فهذه النار المستعرة خلفت السعير الذي يحرق القلوب ، ويعمي العيون ،
ويفتت الأكباد ، والشاعر يطلب المثوبة ، والمغفرة لهم من الله سبحانه وتعالى ،
ويعزي نفسه ، والمجتمع من حوله بالقضاء والقدر لكن الغزاوي يرى في ذلك
عبرة وعظة ليوم القيامة ، وكذلك يحذر من التهاون داخل البيوت .

بني وطني هذا (بلاغ) وإنه لعبرتنا الكبرى تصم صاماً (٢)
وما ثمن الأرزاء (١) إلا اتقاؤها ولو أنها كانت أشد خصاماً (٣)

والشاعر ابن إدريس يسجل مأساة الطائرة السعودية التي احترقت في مطار

الرياض القديم :

للمرحلين إلى شواطئ (جدة)
لتحليلهم في ساعة من دهرهم
تلك (ثلاث من المثين) حصدهم
كانت تضج بكل صدر فيهم
واليوم لا أثر يلووح ولا صدى
إلا البكاء وبعده التذكار

ويصف مشاهد من تلك الواقعة ، فمنهم المبتهجون برحلتهم لحفل زواجهم :

كالراجلين إلى مباحج عرسهم
قد هياوا الحفل البهيج وكلهم
طاروا إلى ذلك الزواج وما دروا
وعريس يوم جاء يحضن عرسه
ما متعا إلا بيوم واحد
ترنو إلى لقياهم الأنظار
فرح يشنف سمعه القيثار
أن النية مرصد ومزار
في رحلة من شهدها يشتر
أبدا كسدا تحكسم الأقسدار

ويقف وقفة متأنية عند المشهد الذي أثير في تلك الأيام حول تكور الأم على

(١) الأرزاء : المصابب العظام .

(٢) صاماً: الأرزاء الجديدة .

(٣) الديوان ١/١١٣٣ .

طفلها الرضيع وماتت وهي محتضنته :

عطف الأمومة كم تجلى باهراً
أم على الطفل الصغير تكورت
جل الفداء على الأنام سوى التي
ويل لمن عق الأمومة وارتضى
في مشهد لا يحتويه إطار
شاحاً به أن تجتويه النار
تفدي الجنين بروحها تختار
نكر الجميل .. فكبه أوزاراً^(١)

والشاعر الدكتور أسامة عبدالرحمن سجل احتراق تلك الطائرة التي هزت المجتمع السعودي ، وبادرت الدولة إلى مواساة ذويهم ، وقد وصف الشاعر الحادثة في قصيدة بعنوان (تكلم الموت) ، ومنها :

لكننا .. لم نشمر عن سواعدنا
ولم نقدم إلى الأحباب .. تضحية
قضوا .. ونحن أمام الموت .. أفئدة
قضوا ونحن كاهل الكهف في دعة
أكاد ألح .. أيديهم .. ملوحة
أكاد أسمع خلف النار صرختهم
أكاد أشهدهم أشلاء مجزرة
تكاد تنشق عنها الأرض من جزع
والمح النار كالإعصار مندفعاً
والمح الموت كالأنياب مشرعة

ولم يمت في سبيل الحب لو نفر
تمضي النفوس إليها .. وبه تفتخر
بلا ضمائر .. فيها .. يجثم الخور
وفي حياة .. عليها .. سيطر البطر
لكنها في رحى المأساة .. تنكسر
لكنها في دخان الصمت .. تندثر
يكاد ينطلق من أهواها .. الحجر
يكاد يصعق من زلزالها .. البشر
في كل صوب فلا يبقى ولا يذر
وكالأظافر .. منها .. يقدح الشرر

فالشاعر يوقع اللوم على المحيطين بالحادثة ، فهم لم يقدموا المساعدة ، ولا أظن هذا الزعم صادق لكن القدرات الفنية لم تمكن من معالجة الموضوع ، فهو يرى أن أفئدة المشاهدين بلا ضمائر فهم في دعة .

ثم عرج إلى تصوير الاحتراق داخل الطائرة فأيديهم تلوح بالوداع وهي تحترق ، وصراخهم يتعالى ثم تجبو تحت تأثير الاحتراق والاحتراق ، ويطلع بفواده

(١) في زروقي ١٩٤ .

على أشلاء الناس من داخل الطائرة مما يؤدي إلى الجزع الذي يزلزل كيان الإنسان .

وكلم الموت .. والأنفاس صامتة	وفي يديه الأسى والجمر والحفر
وسجل الموت .. تاريخاً صحائفه	تسيل منها الدموع السود والعبير
عدنا وليس من المأساة في يدينا	إلا الصحيفة .. فيها فصل الخبر
عدنا .. وليس من المأساة في فمنا	إلا الأحاديث في الأركان تردهر
عدنا نفتش عن نجم نغازله	وعن شواطئ فيها يسهر القمر
عدنا نفتش عن روض وعن نهر	وعن سحاب عليه يمسح الضجر

تلك الفاجعة لم يجد لها الشاعر أثر على النفوس التي تبلدت ، فلم يعنه منها إلا الخبر في الصحائف والسؤال عن تفاصيل الحادثة بل لم تمنع من السهر اللاهبي ، وكأننا نطلب السلوان بما لا يفيد ، لكننا لا نقف في صف المهجوم من الشاعر ، فرمما أن مؤسسة الطيران اعترت وأخذت الاستعداد الكامل لمثل هذه الحادثة ، ونحن نسمع في الأخبار كثيراً من التجارب الإسعافية لحوادث الطيران في المطارات ثم الشاعر يتساءل هل الشعر يطفى أوار النار المشتعلة في النفوس ، لكن الشعر إنما هو أنين وحزن المجتمع الذي ينتقل إلى الأجيال التالية .

إنني وقفت على المأساة .. أسأها	وفي فمي كل حرف كان يحتضر
هل يغسل الشعر ما في الجرح من ألم	وهل يزول به كالبلسم .. الكدر؟
وهل تنجي من الأقدار لو عصفت	كل التمام أو هل .. ينفع الحذر؟
وهل سنرحل في المأساة ثانية	وهل سنرسل بعض الدمع يعتذر(١)

والشعراء يسجلون الكوارث التي تقع في المدن ، وفي غيرها . فقد سجل الشاعر عبدالله بن حميس نكبة مدرسة البنات في جلاجل ، التي سقطت على تلك البراعم البريئة ، وهن ينهلن من رياض العلم ، فكانت المأساة التي تبارى فيها

(١) واستوت على الجودي (شعر) ١٤٣ .

الشعراء ، ومنهم عبدا لله بن حميس ، الذي يصف بكورهن للتحصيل المعرفي ،
وإذا بهن ييادرن لحتفهن ، فقد أقبلن بزى العلم ، وعدن ملطحات بالدماء .
والقصيدة نلمس منها وصفا لدأب الفتاة السعودية المعاصرة في طلب العلم ، فهن
يقضين الليل مع الكتب والأحلام :

بكرن ييادرن القضاء المحتما	فرادى إلى دار الحمام وتواما
تقمصن زى العلم أفواف سندس	وعدن بمسوخ الإهاب معندما
شوادن أمثال الزهور نضارة	وقطف الخطى إما تبارين كالدمى
قضين مع الليل المنجح خطوه	وداعبن من آماهن المكتما

ومنها في وصف الحالة التي أنذرت المدرسة بسقوط وانهبيار بعض الأتربة ،
ولكن خشية المسؤولية منعته من إفساح المجال لخروج الفتيات في المعابر ، حتى
تقرض البناء فكان الزحام :

وقد جاء من هام الزراب نذيره	فأنذر مرتاباً وأيقظ نومنا
وما برح التعقيد يلعب دوره	ويحكمنا ما شاء أن يتحكمنا
فلست ترى إذا تساقط أنفس	وتلا على وجه الصعيد مدمدما
ومدفونة تبدوا ذوائب شعرها	وكفا خصيباً بالدماء ومعصما
وشلوا يواريه الزراب ممزقا	ووجهها أحالته النية أسحماً
ومحرورة مذعورة طار لها	رماها من الخطب المبرح ما رمى
تبث الدموع المستجيثة حزنها	وتستطق الأنقاض علّ وربما
مصاب تقاضى كل بيت مناحة	وحول من وادي (جلاجل) ماأما
براعم ترجيها العنوش إلى البلى	تجاورن في الأموات رملأ معلما (١)

ومناسبة حادث سقوط مدرسة جلاجل للبنات ينظم عبدالرحمن شبانه

قصيدة بعنوان (زهرات على درب الموت) :

هي الدنيا نهايتها الممات وخاتمة المطاف بها رفات

(١) على روى اليمامة ٢١٣ .

كأسرع ما يكون بها الفوات
أطال العمر أم قصرت حياة
تضاعفها فيفتقد الثبات
إذا كان الضحية أمهات
إلى حتف وهن الدارسات
♦
سعين له فأعقبه الشتات
فماذا سوف تفعله الأساة؟
ولكن من ستفعه العظوات؟
تلين - ولا تلين - الراسيات
إذا الأجل انتهى للناس ماتوا
تساوت في المعاملة الفئات(١)

تمر بها الدقائق وهي عجلى
ودرب الموت مسلوك سواء
ولكن الفجاءة في الرزايا
ووقع مباغت الأهوال أقسى
بنفسي الزهيرات قمضي
♦
و لله اجتماع العلم لما
مصاب (جلاجل) آدمي لؤادي
وفيه عيرة وعظوات شتى
فإن قلوبنا أمست حديدا
فهذا الموت يأتي كل وقت
صغارا أم كباراً ليس فرق

العرضة النجدية :

والشاعر الغزاوي يصف مشهد العرضة النجدية ، وما فيها من محاور ومن
رقص حربي يدعو للعجب ، ويشترك فيها الصغير والكبير ، تتخللها الأهازيج
الإسلامية ، والمعاني الفكرية :

في "رقصة الحرب" تحذو السيف بالعلم
على "الشراة" وفي "الدهنا" من أمم
والبرق يباضها في حالك الظلم؟
البيض والسمر والأبطال في كظم
وتزدهي "الصيد" من فرق إلى قدم
♦
إلى الكفاح تهاوى البغي للعدم
لا من ضلال ، ولا شرك ولا صنم

ماذا أشاهد من عزم ومن شم؟
تجاوبت بالصدى منها "جوالحنا"
كأنما الرعد "رجعها" زجلا
ويستفز بها "الإيقاع" في مسرح
تزهو بها "الغيد" نشوى في مقاصرها
♦
بشراك فيهم "كماة" كل ما انطلقوا
شعارهم من "كتاب الله" مقتبس

(١) الزفرات الحمرى ٢٢٥ .

يكاد ينهار من وهن ... ومن سقم
بكل مدرع فيها - ومزدحم
يسابق الخيل رغم الشيب والمهرم
♦
" إعلانها " وهو وحي السيف والقلم
وهي الشفاء لذي قرح وذو ألم
لما ترى غير ... مدحور ومنهزم
بالأخشين ، وبين الغاب والأحم (١)

فأعجب "لشيخ" به السبعون هابطة
ما أن رأى العرصة النجدية ارتجزت
حتى استوى قائماً في الصف منطلقاً
♦
أمنت أن لها " سرا " أباح به
هي " الدواء " لمن يشكو مفاصله
إذا بها استفحلت يوماً طلاهمم
يألت أن بها " الأخفاف " شادية

ليلة العيد :

وليلة العيد لها وقعها في نفوس الناس ، وإن اختلف النظر إليها . فهي عند الأطفال والشباب ليلة فرح ومرح وجمال ونشر زينة وإظهار تجمل . لكنها عند الشعراء والمفكرين أمر آخر ، فهم يرون معالم الجمال ، ويمسكون بالبهجة في نفوس الآخرين ، ويتأملون في الأوضاع الاجتماعية ، ويفكرون في حالة الفقراء ، وما تدب إليهم خطوب الأمة الإسلامية بأكملها .

وقصيدة الشاعر يحيى توفيق (٢) تمثل التآرجح بين النظرة المعجبة بهذه الليلة، والمتبصرة في شؤون الحياة الاجتماعية . يقول :

بشائر العيد تزي عذبة الصور وطابع البشر يكسو أوجه البشر
وموكب العيد يدنو صاخباً طرباً في عين وامقصة أو قلب منتظر
باليلة العيد والآمال مشرقة كم في دجاك تجلئ موكب السمر

(١) الديوان ١٦٠٥/٢ .

(٢) يحيى حسن توفيق : شاعر رقيق وجداني ، له ديوان (سمراء) ، وأودية الضياع . انظر : الموحر في تاريخ الأدب العربي السعودي ٢٥٧ .

يا ليلة العيد كم بين الظلام بكى
يكون في وهن والليل يسرهم
يا ليلة العيد كم في العيد من عبر
يامعشر الأهل قد تافت لرؤيتكم
في ليلة العيد قد رقت عواطفه
قد شفه الوجد فالآمال مدبرة
طفل فقير وإتمام بلا أسر
ولا مغيث لهم من قسوة القادر
لمن أراد صلاح النفس بالعبر
عيون مغرب بالدمع مصطبغ
فاستلهم الليل أطياباً من الفكر
والياس يطوي ليالي عمره النضر^(١)

(١) أودية الضياع ١١٨ .

المبحث العاشر

الدراسة الفنية

♦ الأدب وعلاقته بالمجتمع .

♦ الواقعية في الشعر الاجتماعي .

♦ الموضوع وقرب المآخذ .

♦ العمق .

♦ الرمز .

♦ اللغة .

♦ بناء القصيدة .

♦ الصورة .

♦ الفكاهة .

♦ الأسلوب القصصي .

♦ الأوزان والقوافي .

الأدب والمجتمع :

لما نحلل مصطلح علم الاجتماع الأدبي لابد من النظر إلى تحليل كل كلمة فيه حتى يتضح لنا تصويره :

العلم : فكل علم يحتاج إلى فكر فلسفي ينطلق منه ، وفكر علم الاجتماع الأدبي هو علاقة الفنون بالحياة ، وهو يحتاج إلى منطق ونهج ، ويحتاج إلى نظريات ، وتجارب تطبيقية .

الاجتماع : ذلكم المجتمع الذي هو مصدر الأديب وبيئته ، ومصدر المكونات الذهنية له ، ثم هو ذلكم الذي تلمح رياحه على الأديب فتثير أعاصير تجربته . وهو ذلكم المتلقي للإبداع المتأثر به حالاً ومستقبلاً .

الأدب : هو تلكم الفنون التي تتولد من الإنسان فتحمل فكراً عاماً ، ثم تحمل مضموناً فردياً ينغمس في عمق التجربة فيثيرها كالبركان ، فتفجر باللغة التي تمثل الشكل الذي يجمع الجمالية الأدبية المتكاملة من الشعور والمضمون والتركيب الفني .

١ - تصوير الشعر للجميع :

المجتمع المهد الأول للأديب ، وهو فرع من فروع ، وغصن من أغصان دوحته ، فهو يتغذى من هذا الخدع الضخم ، ويعمل كما تميله الرياح ، فأوضاع المجتمع مكونة لمعاناة الأفراد ، ومتطلبات الفرد أيضاً ، والعوامل المتشاكلة كل هذه تؤدي إلى الكبد والنصب ، والفرد يسعى إلى تحقيق الآمال لكن هناك موانع، وتطراً قضايا سلبية وأخرى إيجابية أمام الفرد والمجتمع معاً والأديب المبدع أكثر حساسية من سائر الأفراد استشرافاً للمستقبل ، وهو أيضاً أقدر على البوح بها ، ومن هنا يكون الإبداع ردود فعل لمواقف تجاه الحياة وقضايا المجتمع ،

((والواقع أن النشاط الفني ينبع من كامل شخصية الفنان بطبقاتها المختلفة بتكوينها وأصولها الوراثية التي تتميز بها عن سواها ، وبالتجارب التي مرت بها والخبرات التي اكتسبها ، ويدخل في هذا المضمار ردود الفعل التي سجلتها خلال التنشئة ، وما ترتب عليها من مواقف تجاه الحياة وقضايا المجتمع ، كما تدخل أساليب التنشئة ، وما تستخدمه من وسائل الزجر والردع لتعليم المحرمات ، وتثبيت قيم الجماعة في نفس الناشئ)) ، وهذه لها صداها مع أساليب حياته ، ونظراته للجميع ، وتأثره بالمكونات الذهنية والروحية وتعامل المجتمع معه . ومن هنا نرى أن الأديب هو القادر على تصوير الواقع الاجتماعي ، ويدخل الأدب الملتمزم بغاية من غايات المجتمع ، ويرى بعض النقاد ، منهم ((جورج لوكاتش)) : ((أن الأدب الواقعي هو الذي يستطيع أن يخترق القشرة الخارجية ليكتشف عن الأنماط التاريخية)) (١) .

وهذا الاتجاه يتناسب مع المجتمع ، أولاً لأن الشاعر نابع من واقعية هذا المجتمع ، ومستمد من صدره وأنماط سلوكه ، ومقتبس من لغته ، ويرسم صورته رسماً مباشراً ، ولكن هذا الاهتمام أو الالتزام بالمجتمع أو ما يطلق عليه الشاعر الاجتماعي نادر وقليل ، ولا أتذكر أولى من أحمد قنديل بهذا في شعرنا المعاصر ، لكن الظواهر الاجتماعية تفيض بها الدواوين كأي موضوع من الموضوعات الأخرى .

وبعضهم يرى ((أن الأديب إنسان عبقرى ، ولا يستطيع أن يعيش في مجتمع ما ، وأهم ما يميزه هو فشله في قبول الواقعية)) (٢) ، ومن هنا يكون إبداعه تكثيف ضبابي للمجتمع غير مباشر ، يوتي بظلال قائمة ، تتسمد منها معرفة المجتمع وقضاياها عن طريق الإيحاء والإشارات البعيدة.

(١) د. كسر والورقي ، في علم اجتماع الأدب ٣٥ .

(٢) المرجع السابق ٣٥ .

ومن رواد النقد الواقعي ، أرسطو فهو ((لا يؤمن بأدب يصور عالماً وهمياً أو مثالياً ، إنه يرى أن الأدب مرتبط بالواقع ، وأن كل معرفة تبدأ بالتجربة ، وطبقتها الحواس ، فهذه تلتقط صفات الأشياء وتقدمها إلى العقل الذي يستولي على صورها ، فينظمها ، ويرتبها))^(١) .

والشعراء التقطوا صورهم الذهنية والحسية من الواقع ، فهم أدركوا الواقع الجديد بفكره ، وتكوينه الأدبي ونظرياته ، وواقع التطبيق ، وشاهدوا المعالم ينمو عمرانها ، ((ويرتبط الأديب وأسلوب تعبيره بمدى تأثره بالحياة الاجتماعية التي نشأ فيها ، وأدت إلى انتشار هذا الاتجاه أو ذاك ، وتتجلى مظاهر الفن في الجمال المنتشر حولنا في كل مكان))^(٢) ، وهذا يظهر في التشكيل الفني للأدباء في بلادنا، فهناك الشاعر المحترف الذي يسلك سبيل المحافظين وهم أولئك الأدباء الذين غلب عليهم الأصالة في الفكر والمنهج ، وهناك من لا ب في معمعة المجتمع فتأثر به وأشهرهم أحمد قنديل ، ويقترّب منه في سطحته محمود عارف ، والعلاف والسويداء وغيرهم فإنهم صوروا المجتمع القائم تصوير يودي إلى إثارة الوعي ببعض القضايا .

ومن وظائف الأدب الاجتماعي أنه أخذ يصور الواقع الاجتماعي ، والحدث الجمعي تصويراً مباشراً حسياً في أكثر القطاعات ، فالوصف الحسي الوسيلة الكبرى ولا نقصد الاعتماد على الصور الأسلوبية ، وإنما تتبعها في وصفها أشبه بالتشكيلي الكلاسيكي الذي يحاول أن يرسم شاباً مترفاً ، أو فقيراً مدقعاً ، أو شيخاً مترهلاً ، بلا عقد مقارنة للصور التي تعتمد على علاقة المشابهة وإنما يشترط أن تكون في تراكيب أسلوبية بليغة السبك ، ومحكمة الصياغة تدلف إلى الوضوح .

(١) د . سعدي صناوي : مدخل إلى علم اجتماع الأدب ١٩ .

(٢) كسير ، والورقي في علم اجتماع الأدب ٢٥ .

والشعر كأى لون من ألوان الأدب يقدم صفوة الخبرة الاجتماعية وهو يقترّب إلى المثالية أكثر من الصدق الواقعي الذي يقدمه علم الاجتماع ، فالأدب يتأثر بالمعتقد الديني ، والفكر المكون للذهن ، والأحاسيس ، والأمني المستقبلية ، في ثنايا المعالجة والعمل الأدبي بينما علم الاجتماع يقوم على الاستبيان فيقترّب من الصدق ، أو الكذب الصراح . فهو يستخرج أحدهما إذن فالشعر يستنبط معنى القضية الاجتماعية ، وعلم المجتمع له وسائله كي يصل إلى النتيجة هذه ، فكان الأدب أسرع وأقصر طريقاً ، لكنه غير شامل لكل القضايا .

وعلم الاجتماع الأدبي ، يركز على الأناط الأدبية العامة ويستخرج منها الخبرة الاجتماعية ، وهو يهتم بالعمل الأدبي ، فالنص هو مدار حواراه وجدله ، ولا يعني كثيراً بالمبدع أو المؤلف ، وعلم الاجتماع الأدبي يعني بالأصول الاجتماعية المتوازنة ، يساعد علم الاجتماع إلى كشفها ، وكذلك علم الاجتماع يفيد الأدب بتفسير بعض الظواهر فيكشف عن غامضها . إذن فيه تلاقي وتآزر بين علمي الاجتماع والأدب ، والواقع أن النهضة اعتمدت في مستهل التشكيل الاجتماعي في بلادنا على الأدباء ؛ فهم نابوا عن علماء الاجتماع ، أو قل هم قاموا بالمهمة لتأخير شيوع هذا العلم في البلاد العربية فالمقالة الأدبية من أهم أصنافها المقالة الاجتماعية ، والشعر كان له قصب السبق .

ويمكن تطبيقه على مواقف كثيرة من ألوان الحياة ، وليس أدل على ذلك من استدعاء التراث ، وتوظيفه لمعالم الحياة المعاصرة أو مقيدة لشاعر عبقرى ، تنال الحظوة عند النقاد وكل المتلقين لها .

إن الأدب السعودي في مراحلها الأولى يمثل الواقعية بمعاييرها الفنية والمضمونية .

فالشعر السعودي ، نقل لنا التعارض بين الأفكار الإنسانية كما حدث بين أفكار المحددين مثل العواد ، وأفكار المحافظين مثل الغزاوي ، ونقل لنا التطور

الفعلي لتشكيل المجتمع السعودي ، وإتمام بنائه ، وهو صور لنا الحياة اليومية كما صور الحياة الاجتماعية .

وهناك من الشعر الاجتماعي ما بلغ قيمة الروائع العالمية ، التي كتب لها البقاء والتداول والتأثير ، مع أنها مثلت الفرد والمجتمع في حادثة ذاتية غير أنها تألقت إلى الإنسانية ثم العالمية ، فالشعر أفاض فيها إحساساً تتداعى إليه الإنسانية، أو تتداعى إليه الأمة ، أو يسجل ظاهرة اجتماعية انتقائية ، أو أملية أو تأملية(١) .

وأدبنا لم تمض عليه الأحقاب حتى ندرك المتداول منه لكننا نرى أعمالاً جليلة جدرة بالبقاء والاستمرار .

والأدب عامة والشعر خاصة ، يقود الاتجاهات الفكرية ، فالمفكر الأديب ، والشاعر الواعي ، والقاص الواقعي ، فكل منهم يحمل ضميراً حياً يمثل نظرة المجتمع ، يشارك معه في عنصر التكوين ، والأدب يستقطب الفكر للمجتمع ، ويلامس ميول الأفراد ، ويداخل أحاسيسهم ، بل هو يوحدنا على اتجاه متقارب، وهو يثير الوعي حول قضية من القضايا ، فتكون مشار للجدل وعمل الفكر ، فهو يحرك العقول ، ويدعوها للتأمل ، وطرح وجهات النظر المختلفة ، إذن فالأدب يوجد الوعي أولاً ، ثم التأمل ثانياً ، ثم السلوك ثالثاً ، فهو يعث الوعي الاجتماعي ، وهذا ما كان من التكوين الاجتماعي الأول بإطلالة العهد السعودي في دورها الثالث ، كما أشرنا في الأمثلة السالفة في تكوين المجتمع ، وقد يتدخل الأدب ، بالدعوة إلى فكرة رائدة ، وما أكثرها في الحياة الاجتماعية في مراحلها الأولى ، كالدعوة إلى التعليم ، والدعوة إلى العمل ، والدعوة إلى الصناعة، وقد أوردت نماذجاً منها نكتفي ببعض الأبيات بمناسبة ابتداء إرسال البعثات للخارج :

أجل هذه المهمة العالية تركزها الأمة الغالية

(١) انظر : في علم اجتماع الأدب ٢٧ .

وتشدوا بها في مجال السمو
ولقد حاجها أن ترى شعبها
وقد حاجها أن ترى أمة
فسلا للعلوم بها صائح
وشعوراً بغايتها السامية
يجوب السبيل إلى الهاوية
تعيث بالفهامها البالية
ولا للفنون بها داعية^(١)

وقد يتدخل بالعرض أي بعرض الفكرة التي يراها الأديب واصفاً القضية تاركاً للعقل الجمعي التأمل والتدبر حتى يكون في مقارنة وموازنة ، فيكشف الصواب، كسؤال الشاعر في قصيدة حسين عرب (قال الحكيم) ومطلعها :

قال الحكيم : رويدك أيها الرجل رضيت نفسك فيما ليس يحتمل^(٢)

دور الأدب في تغيير العادات والتقاليد والمفاهيم السائدة الخاطئة ، فالشاعر له رؤيته المستقبلية ، والمستنيرة ، فهو يطرح القضية طرحاً جديداً ؛ يسودي إلى تشكيل جديد في البناء الاجتماعي ، أو في جوانب منه ، وقد تبلور هذا في ديوان (قصائد راعفة) ، فقد عالج قضية حرب الخليج من منطلق وطني :

ماذا أقول إذا ما وطني جرحت فعالة البيض؟ هلة أشكو إلى العرب؟
وهم وشوم على إطلالة رسمت مصونة من هجير الشمس والنصب
فلن ألوم بني جنسي لأن بهم من لا يرى الشمس حين الشمس لم تغب
فالصدق أبقى وأن طالت مسالته والحق أقوى من التضليل والكذب^(٣)

وتكوين الأدياء متأثر بطبقات المجتمع ، فالأدياء مختلفوا الطبقات أو لنقل الشرائح ، فهي أقرب إلى المجتمع من الطبقة المتبلورة في مجتمعات أخرى ، فالشاعر يعبر عن شريحته . فالشاعر من المدن الحضرية له آمانياته التي يفرضها عليه مجتمعه . فالشاعر في الحجاز غير الشاعر في نجد ، والشاعر من أبناء مكة المكرمة لا يماثل الشاعر من القرى وكلها تختلف عن الشاعر الذي عاش طرفاً من حياته

(١) حسين عرب : المجموعة الشعرية الكاملة ٢/ ٢٢٢ .

(٢) المجموعة الكاملة ٢/ ٨٠ .

(٣) إبراهيم العواجي ١٣ .

في البداية كحسين سرحان ، وهذا يشكل التفكير الاجتماعي ، بل جعلنا نعيش أفكاراً مختلفة حول التكوين الجديد للمجتمع ، فهناك الفكر الذي يدعو إلى الانفتاح على المجتمعات المعاصرة ، والأخذ منها بكل جديد ، ومن هؤلاء العواد(١)، وأحمد السباعي ، ومنهم من يعالج معالجة واقعية ، كأحمد قنديل(٢) . أو يصور فكراً مجرداً مثل محمد حسن فقي ، فظهرت أفكار مرتبطة بالشرائح ارتباطاً وثيقاً لا يتسع المقام لتقصيها لكنها تفرعت من التكوين الجديد متأثرة به ومؤثرة فيه .

ونظراً لتقارب الحياة بألوانها الحضرية والريفية والقبلية ، وتعايش تلك الأصناف مع بعضها ، فلا نستطيع أن نصنف الشعراء تصنيفاً قاطعاً ، فأغلب الشعراء متنوعب لاشكالية تلك الحياة ، ومع ذلك فإننا نجد بعض الشعراء الذين مالوا لتصوير حياة المدن الصغيرة ، والأرياف من حولها بل حتى الحياة البدوية ، ومن أشهر أولئك الشاعر عبدالرحمن السويداء في ديوانه (لواعج) و (هواجس) فقد تحدث عن بيئة نجد الحضرية والبدوية ، وبمئاته على النعمي ، فقد سجل في شعره معالم القرية في جازان كما في ديوانه (الأرض والعشق) ، والشاعر معيض البخيتان أكثر أيضاً من الحديث عن الحياة القروية بل له ديوان (شموخ القرية) ، وتحدث في ديوانه (ترى الشوق) عن القرية أيضاً .

وتحدث الشاعر إبراهيم الدامغ عن الحياة الحضرية والقروية في القصيم ، كما في ديوانه (شرارة الثأر) ، و نلتقي في دواوين كثير من الشعراء بالحياة المدنية ، بل تتحلى المدينة التي ينتمي إليها الشاعر في شعره . ومن هؤلاء عبيد مدني ، وحسين عرب ، وطاهر زمخشري ، وحسن القرشي ، ومحمد هاشم رشيد ، ومحمد العيد الخطراوي ؛ فعبيد مدني له ديوان باسم (مدنيات) ، وجمع من

(١) انظر : العواد قمة ومواقف : لمشخص وبعاشن ١٨ .

(٢) نقر العصافير .

الشعراء تحدثوا عن مكة (مكّي قبليّ) ، ومن أشهرهم أحمد قنديل ، والحسين عرب قصيدة طويلة في مكة المكرمة ، وتظهر معالم جدة في شعر القرشي وطاهر زحشري . وحززه شحاته وأحمد قنديل .

ومن وظائف الأدب الاجتماعية :

التصوير الواقعي للحياة فهو يرسم لوحات كثيرة ومتباعدة لمعالم الحياة ، وهو رسم ليس بمنأى عن الإنسان بل هو مقترن به ، فلا حياة للطبيعة بلا إنسان ، فهي لا تدرك لنا إلا بالتأمل العقلي ، والشعر السعودي له دوره الفاعل في نقل أشكال مختلفة في زمان متقارب ، وأمكنة مختلفة ، فهو نقل الحياة الفكرية ، والعملية ، والحياة القروية ، والحضرية ، والبدوية .

والشعر نقل أنظمة الحياة ، وقيم المجتمع ، وتلك قضايا أطال الوقوف عندها ، واستحوذت عليه ، واستحوذ عليها فهو سجل لحركة معرفية في فترات متتالية فهو يمثل تفاعل الإنسان في هذه الحقبة الزمنية مع سائر العناصر الحياتية :

والشعر شارك في وضع الأسس للكيان الجديد فهو دعاء التوجيه ، ولسان النداء ، ووسيلة التلاحم ، وداعية الإصلاح . فالشعر السعودي يمثل ((المعيار الحقيقي للأدب الواقعي ... الذي يربط الخاص بالعام ربطاً عضوياً أي أنه يربط الأشخاص بالمواقف الاجتماعية)) (١) .

وهذا الربط يتمثل في الأنموذج المقتدى به أي القدوة الحسنة من ناحية الإعجاب .

فقد تفاعل الشعراء مع البعوث العلمية التي تعود حاملة لواء العلم ورأوا فيهم الآمل المشرقة للأمة ، فهم الذين يقوم ببناء المجتمع عليهم ، فعبد الله بلخير يستبشر بقدم أول بعثة بعد توحيد البلاد بعام واحد ، لذا فهو يشير إلى فرقة المجتمع قبل تكوينه الجديد ، ويعود بالتخلف إلى الشتات والفرقة .

(١) د . كسير والورقي : في علم اجتماع الأدب ٨٢ .

وما ضرنا غير التفرق وحده
فيا ليت شعري كيف ينعم عيشنا
ألا قاتل الله الجمود فإنه
فإن لم يداركنا الإله بنفحة
ويبدل هذا الجهل بالعلم والتقى
فياضعة الأعمار يا ضيعة الحجى
إذن فهو يتمنى أن يتدارك الله الشعب بالوحدة ، والعلم المصحوب بالتقى
لتقوم النهضة المأمولة لهذا المجتمع ، وهو يدعو إلى تلاحم المجتمع في البناء ، ويريد
أن يكون أبناء المجتمع عاملين مخلصين ، يبذلون نفوسهم وجهدهم في سبيل
النهوض وبلوغ المعاني .

نريد رجالاً عاملين تهمهم
نريد رجالاً مخلصين لقومهم
نريد رجالاً يبذلون نفوسهم
نريد نهوضاً للمعالي بهمة
فما بالأمانى يدرك الجهد طالب
أنيطت بكم آمالنا فتقدموا
فانتم رجال الدين والعلم والحجى
فشيدوا الجوار المنشآت كأنها الـ
ودونكم الجو الفسيح فشيدوا
وبثوا علوم الدين في النشاء أنها الـ
وسيروا بعزم فالمهيمن وحده

حياة بني الإسلام أن نابهم شر
يسد بهم في كل مملكة ثغر
ليشروا بها عزاً إذا ذعر الذعر
وعزم كحد السيف ليس به خور
ولكن بعزم لا يتنهه الزجر
بأمتكم حتى يكون لها الصدر
وليس غريباً من معاننه التبر
جبال الرواسي في البحار لها محر
به سفناً في الخافقين لها مور
أساس ويزكو الزرع ما صلح البذر
كفيل لكم بالفوز فهو له الأمر^(١)

فهو يدعو إلى أن يتلبس أبناء المجتمع العزيمة والاندفاع إلى العمل ، وهو يريد
من هؤلاء الفتية أن يكون قدوة في الإنجاز والتفاني وهو يحدد المطالب ، فيريد

(١) عبدالمقصود ، وبلخير ٢٨٤

صناعة ، وأن يقودوا السفن تعبر البحار ، ويتقنوا خيرة الزراعة ، وإصلاح الأرض
وكيفية استثمارها ، فهذه دعوة لكل فرد من أفراد المجتمع أن يبذل جهده وقدراته
وعقله لبناء مجتمعه . فهذه القصيدة تمثل الفكر العملي الذي يقوم ((على دراسة
وتصوير العلاقة بين الفرد والمجتمع ، وبين بنية المجتمع ومصير الفرد))^(١)،
والقصيدة تتعالى في الغاية حتى تبلغ الاهتمام بمصير المجتمع أجمع .

فهيا بني قومي إلى السير للعلا جميعاً فاما الفرقدان أو القبر
فالشعر في بلادنا يمثل الارتباط بالوعي الاجتماعي ، فالأديب ابن المجتمع ،
فهو على وعي كامل بغايته ورسالته ، فهناك توافق بينه وبين الرأي الجمعي . إذن
فهو يمثل الواقعية من جوانبها الفكرية والعملية .

فالشعر السعودي في مستهل النهضة أصبح يمثل الأنموذج ، فهو وإن تناول
موضوعاً واقعياً إلا أنه يجعله محكماً البناء يدخل فيه فكره ، والعوامل الإيجابية ،
ويبعد عنه السلبيات ، ويمارجه بشعوره وأحاسيسه التي تهفوا إلى البناء والعطاء ،
ومن هنا أصبح الشعر ذا قوة تأثيرية واضحة ، بل إنه شعلة الهبت العزيمة والهمة في
روح الأمة ، ولتنظر في شعر ابن عثيمين ، والعواد ، والغزالي ، وحسين عرب ،
وكثيرين غيرهم . ولو قرأناه الآن لاعتزنا بأنه الأنموذج الذي ما زلنا في حاجته ،
أنموذج في نظرياته المعرفية ، وقيمته المضمونية ، وأنموذج في تجربته الشعورية ،
وأنموذج في جماله الفني فهو يمثل الأدب الإنساني الذي يقف على العناصر
الحياتية، من الفكر والأرض ، والعلائق الإنسانية ، وخاصة الزمان والمكان ، ومع
هذه الخاصية فإنها لا تقف في طريق إنسانيته ، وهو مع مثاليته فهو لا
يتعد عن الواقع.

وتماذج الشعر في مصادره ومضامينه يمثل التمازج بين الحياة الاجتماعية من
جوانب الغايات ، والبيئة ، والموروث ، واستشراف المستقبل ، والتأثر بالحياة

(١) د . كسير والورقي : في علم اجتماع الأدب ٨٩ .

العملية ، فكلها تفاعل في تكوين تجربة الشاعر ، ((فالتعبير عن الواقع لا يتم بشكل مستقيم عن شخصية المؤلف ورؤيته للحياة من خلال خبرته ، وإنما يحدث نتيجة تفاعل هذا كله ، وتبرز نتائج الإبداع الفني الحقيقة لامن انفصال مضمونه الموضوعي عن العامل الذاتي غير المرغوب فيه بل من خلال التحامهما معاً)) (١)

وهذا التلاحم بين المبدع والمضمون الذي لفع بالحالة الشعورية للمبدع إنما هو أكمل عناصر الإبداع التي تقوم على المضمون ، والأحاسيس ، والشكل .

وقد رأينا ذلك في أدب اليقظة الأولى في بلادنا ، وهذا اللون من الإبداع يتأتى في القضايا الفكرية ، قضايا الأمة عامة كالدعوة إلى التعليم ، أو العمل أو إشعال اليقظة في نفوس الشباب ، أو الابتهاج بمحدث اجتماعي عام . كتأسيس المدارس ، والمشافي ، والجامعات .

والشعراء مثلوا المجتمع في الالتزام بالدعوة إلى تشكيل المجتمع الجديد ليقوم على أسس علمية معرفية ذات ثوابت راسخة .

وهذه الحالة الخصوصية لتلاقح الإبداع ، ومن ثم مخاضه ، فإنها لا تعني حصره وموته في زمنه ، لكن هذه النماذج الشعرية تبقى الحدث ، وتشجع بمثابة حياته جديدة ، توحى بها إيماء مع انتقال الزمن وتأخره أحقاباً ، ورغم تباعد المكان ، والحياة المتشابكة ، فهو يمثل إشراقة الفكر لتعكس التغيير الاجتماعي الشامل في المملكة العربية السعودية على الأدب ، فإن المجتمع قديماً كان يميل إلى طبقتين اثنتين إحداهما : الطبقة الحضرية في المدن والبلدات ، وهذه يكون التعليم فيها لفئة محدودة ، ممن يستقرون ، ويكثر الفن عند الطبقة الحاكمة ومن والاهم ، ولا سيما الشعر حتى الشعراء من سائر الطبقات ، فلم يصلنا من تاريخهم ونتاجهم إلا ما كان مرتبطاً بالأمرء والولاة ، أما بقية المجتمع فإنه يتعلم مبادئ القراءة ثم ينشغل بالكدح في سبيل العيش مما غيب عنا فكره حتى تمّ الاستقرار

(١) كسر والورقي : علم اجتماع الأدب ٨٥ .

والأمن ، وسهولة المواصلات والاتصالات وهاجروا إلى المدن وتواصلوا مع الصحف مثل شعراء الجنوب ، ومنهم العقيلي ، والسنوسي .

وثانيا : الطبقة البدوية : وهؤلاء ينصهرون في إطار القبيلة ، ويخضعون لأمرها، في كدح من العيش ، ومعاناة الحياة الدائمة ، ولا يستقر لهم قرار ، ولا يظلمهم أمن فهم بين السلب والنهب ، والنجعة والمهجرة ، والجوع أكثر استيطاناً من الرغد والرخاء ، وهؤلاء هم الأغلب في الجزيرة ، وهؤلاء لا وقت للتعليم ، ولامكان للاجتماع الدائم ، ولا استقرار لبناء العمران .

فلما جاء الملك عبدالعزيز ووحده البلاد ، وتكونت الدولة الآمنة ، وكانت الهيمنة للفرد الذي ينطلق ليكون إحدى لبنات المجتمع ، وشاع التعليم ، واتيح الاستقرار ، لأبناء القبائل ، وأمنت الطرقات ، وتلاقت المدن ، وظهرت ميادين للعمل في جهات الدولة ومناطقها ، وفتحت المدن أبوابها ، وتهدمت أسوارها ، وأمن المزارع ، وتلاشت أقليميتها ، وقبليتها ، وأصبح الفرد يقضي حاجاته ، ويمتلك ويسافر بلا وصاية ، فأصبح أمن الفرد موحد ، والفرص تستدعي بلا تمييز عنصري ، مما جعل أبناء المجتمع يدخل في مواكب التعلم ، ومناشط العمل ، وتنافس الأفراد على الوظائف والأعمال ، والتعليم ، ومن ثم ظهرت طبقة من المجتمع تشكلت تشكيلاً جديداً لكن قبل هذا التشكل فإن الشعراء والأدب عامة، استحضروا معالم التكوين الاجتماعي الجديد واصفاً أو منظرأ ، أو معالجاً ، وأفصح عن نشاط اجتماع ، واشترآكه في البناء الفاعل ، والعمل ، والقيادة الإدارية بدلاً من ولاء الأمير في البلد ، أو الحاكم في الإقليم ، أو أمير القبيلة ، فإن الفرد تجاوز هؤلاء ليصل إلى مبتغاه بمفرده ، فكانت غايات المجتمع الجديد تتباين مع غايات المجتمع القديم ، فنظروا إلى الأمور نظرة إيمانية أولاً ثم واقعية ثانياً ، وتحطمت الحواجز التي تقف في وجه الفرد ، وفتتح فكره ، وزاد نشاطه وعمله ، وأخذ يتطلع إلى بناء حضاري مستهلاً بتحضر ذاته أولاً ليكون البناء الحضاري ،

ويظهر معالم هذا الاتجاه أخذ الأدب يتجه إلى التعبير عن التكوين الاجتماعي الجديد ، ويتحدث عن هدفه الاصلاحى ، والرغبة في التطوير ، بل ورسم المعالم لهذا التكوين الجديد ، وما يتطلبه وما يساعده . ويمثل ذلك أكثر الشعر المنشور في صحيفتي أم القرى وصوت الحجاز .

والشاعر إبراهيم فطاني^(١) عايش توحيد البلاد ، فأخذ هو وغيره من الشعراء يتطلعون إلى البناء الجديد ، ورأوا أن السبل تفتحت أمام الفرد والمجتمع للنهوض من التأخر الذي كان مهيمناً ، فدعوا الشباب إلى العمل والعلم .

فيا شباب بلادي	بوركمـو في الشباب
تقدموا في ثبات	ولا تنـوا في الطلابي
من للدفاع سواكم	من لا تحمام العقاب
من للمناطيد تـلو	في الجـو مثل العقاب
من للأساطيل وقـرى	تشق طـامي العباب
من للحصون اللواتي	تجاز عصم الهضاب
من للقنابل تـدوي	كالرعد فوق الرقاب
فما لذا وسواه...	إلا شديد الوثاب
ليس الشباب فخاراً	الفخر عزم الشباب
لافضل للسيف إلا	في حـده والنصاب ^(٢)

ففي تلك المرحلة تكثر الأمية والجهل ، والبناء الجديد في حاجة إلى متعلمين، ومن هنا كانت دعوة الأوائل متجهة إلى الشباب . وهذه الدعوة قديمة تعود إلى بداية القرن التاسع الميلادي ؛ حيث بداية الطيران ، كان أول تجارب على المناطيد

(١) ولد في مكة المكرمة ١٣٢١هـ ، تلقى علومه بالمدرسية الراقية ، والمسجد الحرام ، ودرس بالمعهد العلمي السعودي لتحضير البعثات ، وأكثر شعره يميل إلى الوجداني ، انظر : شعراء الحجاز

٣٣١ ، والموجز في تاريخ الأدب العربي السعودي ١٩٢ .

(٢) عبدالسلام طاهر الساسي : شعراء الحجاز ٣٤٠ .

لكنه تحول إلى الطيران ، ومنه قول الشاعر عبدالسلام الساسي :

يا شباب العصر أهلاً مرحباً أنتموا اليوم مصايح الوجود
انتموا رمز المنى في كل ما نرتجيه وعمّا عنه نسود
يا شباب العصر فلتحيوا على همة علياء ما منها عميد
قد رأينا وعرفنا منكمو نهضة عصريّة حلت قيود
إن هذا العصر زاهر فيه والله ستعزز الجهود

فقد صدق حدسه الذي استشرفه قبل الانطلاقة الكبرى التي رأينا وعشناها

و لله الحمد ، ويقول :

فانهضوا كالشمس فيما رمزت من معان كم لديها من جديد(١)

٢ - الوقائع الفنية والظواهر الأدبية :

الواقعة الأدبية ((هي كل معطى من معطيات التجربة))(٢)، أي حادثة أدبية كان لها صداها بين القراء ، وأعجب الناس بها فهي واقعة ، أما إذا أخذ الناس يقلدونها وينسجون على شاكلتها فإنها تسمى ظاهرة ، إذن فالواقعة الأدبية حادثة مخصوصة لكن ينظر إليها من جميع جوانبها لذلك تتميز بكثافة معينة ، وتنقل لنا دلالة اجتماعية ناجحة من مكوناتها الإبداعية عند المبدع ، وصداها عند القارئ))(٣) .

أما الظاهرة الأدبية فإنها التي تكون اتجاهها مقبولاً عن شريحة من الأدباء أو المجتمع .

أشهر الظواهر الأدبية التي طرأت على الشعر في بلادنا ، هي التخلص من هيمنة البديع ، وهذه ظاهرة لها علاقة كبيرة بالعصر ، وأول المؤثرات فيها شيوع

(١) شعراء الحجاز ٣٥٠ .

(٢) السيد ياسين : التحليل الاجتماعي الأدبي ٨٣ .

(٣) المرجع السابق من ٨٣ حتى ٨٧ .

الثقافة الفكرية العامة فجعلت غلبة الفكر أكثر من غلبة شكل فني خالص ، أو شكل جزئي في الشعر ، ومن هنا لجأ الشاعر للشكل الأعم في الشعر الأوسع ميداناً ، والأرحب مجالاً . وربما أن بعض النقاد ينسب هذه الظاهرة للشاعر البارودي لا نشك في أوليته في مصر لكنه هو نتاج واقع اجتماعي مستوعباً لفكر واسع الأفق مما جعل شعره واقعة يتبعها آخر في سرعة مذهلة ، فأصبحت ظاهرة شائعة ، وسميت مدرسة الإحياء ثم البعث إذا ضم إليه أحمد شوقي وحافظ إبراهيم لكن تأثير هؤلاء في بلادنا جاء متأخراً أو هو أحد المؤثرات ، فنحن حين نعود للشعر في بلادنا نجد أن ابن عثيمين ذلك الشاعر الذي ارتحل إلى الهند، وتقل في دول الخليج قبل أن تعرف بهذه التسمية ، نجده يتحلل من هيمنة المحسنات البديعية ، مع أنه لم يدرس على الأدباء المصريين ، وكذلك نجد في الحجاز مؤثراً آخر أثر كبيراً في انتزاع الشاعر من روابط المحسنات ذلك المؤثر، هو توافد عدد من الأدباء في الشام ، وهم يحملون فكراً قومياً خطاياها حملت هذا التوجه جريدة القبلة، ذات المقالات الخطابية ذات الاسترسال الأسلوبى البعيد عن منهجية السجع والانتكاء على البديع ، وفي تلك المرحلة ظهرت قصائد عند الاسكوبي ، شذت عن اتجاههم لهيمنة الموضوع الفكري بعد تلك المرحلة ، فتم التوصل مع الحركة الأدبية القديمة في العصر .

فهذه الظاهرة لها علاقة اجتماعية كبيرة ، فهي إفراز مجتمع وإن حمل رايها أحد الشعراء .

فهذا العواد الذي اطلع على الفكر الجديد في مصر ، وأعجب بالعقاد فإنه يدعو إلى الأدب الجديد الذي له فكره المستنير ، ويدعو إلى الابتعاد عن المحسنات البديعية التي كانت لها السيادة ، وأخذ ينشد الأدب القوي البليغ الذي يسمو بفكره ومعانيه .

أولئك الأدباء :

فإن تسأل عن الأدب الذي يعتز كاتبه .

وقارنه وناقله وسامعه وطالعه .

فتلك رسالة الأبرار تهدف نحو غايتها :

فوجدان يضيء

وهمة تسمو بفكرتها

وقلب ((باعث)) مطلق

وتعريف يسوس ويفتدي

ولباقة تفرى

وفن تستعين به الحياة على رعايتها

يقود مواهب الإنسان للأسمى من الأمر

فلا هو زينة البلهاء تمرح في معرفتها

ولا هو بالخيال الكز من صنع المجانين

يحاك بفارغ الألفاظ

لا معنى

لا هدفا

كدجل عصابة الكهان أو همز الشياطين

أو اللعب الهزيل يمارس الأطفال أنواعه

لتمضية الفراغ

وليس غير مسرة الساعة

فلا يتجيك من زلل

ولا يدنيك من أمل

ولا يعلي مكانة من يمارسه

كإنسان

كإنسان له في الناس قيمة

وفي الأعمال حرمة (١) .

ومنها طالعنا الشعر من بداية الحكم السعودي بحلل تميل إلى الخطابية ، وتناى عن وصف الألفاظ ، بل يتعمى الشاعر كماً من الكلمات لتستوعب الفكر الجديد، والمنبعث من الحياة الجديدة الداخلية والخارجية ، فانحسرت المحسنات البديعية انحساراً كبيراً .

هناك واقعة أدبية ظهرت في الشعر السعودي ربما أنها لم تكن يدعاً من الشاعر ، وإنما اقتضى فيها أثر بعض الأدباء من المترجم لهم ، أو لبعض الأدباء العرب ، كقصائد محمد حسن العواد التي استهل بها الاستدعاء الأسطوري ، فقد اقتضى أثره حمزه شحاته (٢) ، وحسين سرحان وغيرهما لكن هذه الظاهرة بالذات ليست من الكثافة التي تجعلها ظاهرة فنية ، بل إن القصيدة ذاتها لم تكن مجالاً للإتباع والتقليد ، وإنما الغاية هو استدعاء الأسطورة ، ولأن الأسطورة لم تكن نابعة من التكوين الاجتماعي ؛ فإنه لم يكتب لها الزواج ، فكانت قليلة في الشعر السعودي ، ولاصدي اجتماعي لها ، لكن لا ننفي أن العواد حين أورد تلك الأساطير كانت له غايته منها ، سواء كان في الاستخدام الرمزي لمضامينها فذلك غاية أولى وهناك غاية أخرى هي أولية هذا الاستخدام في الشعر السعودي والدعوة إلى توظيفه ، ولكن يبدو كثيراً أن استخدام حمزه شحاته لتلك الأساطير يشترك مع العواد في الغاية الثانية ، وهي ترويض هذا التوظيف للأساطير في بلدنا، أما مضمون الرمز فيختلف عن العواد لا سيما في القصائد الأولى لأن حمزه شحاته

(١) مشخص وباعشن : العواد قمة وموقف ٢٢ .

(٢) انظر : الديوان ٢٤٨ .

يرمز ببعضها إلى العواد ذاته ، ويختلف توظيف عبدالسلام هاشم عن الاثنين ، فهو يجري مجرى المدرسة المهجرية التي تقوم على الآمال والأحلام .

وأكثر الوقائع الأدبية لا تخضع لمبدأ اجتماع ، ولم تكن رائدة لقيمة اجتماعية، وإنما تهدف إلى فكرة طارئة أو حدث ، أو مظهر فني للشكل ، ومثل ذلك الأشكال النفسية للقصيدة الحديثة .

وظاهرة القصيدة الحديثة بدأت واقعتها الأولى مع محمد عواد في عام ١٣٤٢هـ^(١) وقد أشاد بهذه الظاهرة محرر جريدة القبلة ، لكن هذه لم يكن لها رواجاً حتى وقت متأخر ، وأخذت بعض القيسات تظهر منها في وحي الصحراء^(٢) ، لكنها شاعت عن الجيل الثاني كحسن القرشي والقصيبي ، وهؤلاء من الذين التزموا بالتفعيلية لكن ظهرت هناك مظاهر مثل قصيدة النثر والنص المفتوح ، وهذه أقل التصاقاً بالمجتمع ، من جانب تأثيرها وتأثرها ، وهي توجد في جل الدواوين المعاصرة حتى عند أولئك الذين اشتهروا بالشعر العمودي مثل حسن القرشي ، والعشماوي ، فإنك لا تعدم هذا اللون في أكثر دواوينهم .

وأكثفي بنقل أول قصيدة من الشعر السعودي كتبها العواد لجريدة القبلة .

((هذه القصيدة هي إحدى المساحلات الأدبية التي دارت بيني وبين الأديب عمر عرب في سنة ١٣٤٢هـ وكان الغرض منها ترويح الأدب الحديث الحر عندنا . وكانت هذه أول دفعة قدمتها إليه فأرسل لمحاكاتها قصيدته ((قلب المحب)) مع رسالة جاء فيها ((وأرجو مواصلة ذلك حتى نقطع حلقة هذا الرهان فائزين))^(٣) .

(١) انظر : الأدب الحجازي الحديث ١٠٣٨/٣ ، والأعمال الكاملة للعواد ٩٩ .

(٢) محمد مقصود ، وبلخير ٢٢٨، ٣٠٨ .

(٣) محرر صحيفة القبلة عمر الأفندي .

- ١ -

غانية الأيك - سقاك السحاب -

نوحى معى قد راقنى الانتحاب !

وحركى المفرم فى وجده

فالحب أضناه

ياسلوة العاشق ياذاذات ((آه)) !

ياكهرياء الوجد واحسرتاه !

فؤادى العانى على وقدة

شدوك أشجاه

بعيشك الغض بظل الأراك

من ذاك الذى بالرغم أضنى قواك ؟

أشدن أسرف فى صده

قلبك يهواه (١)

وهناك وقائع محدودة الزمان ، يادر إليها أحد الشعراء ، ثم يتابعه الآخرون نتيجة للوقع الاجتماعى على أحاسيسهم ، فهم يتفاعلون معها أولها لكن يستهلها أحد ، ومن أمثلة ذلك تلك الحروب التى تقع على بلد عربى أو مسلم ، كحرب الجزائر التى نرى أثرها فى الشعر العربى السعودى فى سائر الدواوين للشعراء المعاصرين لها . ومثلها قضية أفغانستان ، وأطول القضايا قضية فلسطين ، فإنها احتلت مساحة كبيرة من الدواوين الشعرية فى بلادنا ، بل فقد أدخل فيها قضايا ، مثل الحروب ، حرب حزيران وحرب رمضان ، وإحراق بيت المقدس ، والإنفاضة ، وأخرها قضية السلام .

(١) أعمال العرود الكاملة ٩٩ .

ومن القضايا الأخرى ، دعوة التضامن الإسلامي ، فإن الشعراء وقفوا بجانب الملك فيصل يرحمه الله الذي أخذ يدعوها .

ومن القضايا الأدبية ذات المساس بالناحية الاجتماعية ، قضية المناسبات ، فما المناسبة إلا صدى للواقعة الاجتماعية لا سيما المناسبات المعاصرة ، كافتتاح جامعة أو مدينة جامعية ، أو مستشفى ضخم ، أو مدينة عسكرية ، أو مصنع من المصانع ، كل ذلك ظهر صداه في الشعر الذي يمثل تحقيق أمل اجتماعي .

وقضايا المناسبات الوطنية التي تبلورت في الشعر لها دورها المؤثر في تنمية البناء النفسي للمواطنين ، فهي تزرع فيهم الحب لما ترمز له المناسبة الوطنية ، وتوحد توجههم لما تسعى إليه القيادة السياسية والفكرية ، ومن ذلك مناسبة الحج في بلادنا . فهي ظاهرة شعرية تثبت قيمة هذه الشعيرة الإسلامية ، وتوحد صفوف المسلمين وتنسج أهمية البلاد المقدسة في نفوس أبناء مجتمعنا الذي تكون من أوليات قيمه ، والإدارة السياسية حينما تقيم مهرجان كهذا يتبارى إليه وفيه الشعراء ، فإنها تهدف إلى تلك الغايات ، وكما تفصح عن دورها القيادي ، وتبرز مجهود المجتمع من أجل هذه الشعائر ، وأحب المناسبات إلى نفوس الشعراء المناسبات العلمية ، مثل تأسيس المعاهد العلمية والجامعات ، فيسارع الشعراء إلى إعلان ابتهاجهم ، واستبشار المجتمع بها ، ومن ذلك إنشاء جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية التي قال عنها الشاعر الدكتور محمد بن سعد الدبل :

معاقل العلم آيات نهضتها	والجامعات قيادات لذواد
في شرقها من أيادي الخير جامعة	ترتادها زمر من كل أبعاد
أزكى العلوم بأخرى لا يشارها	الا بتسمية تملو بأجماد...
ميلادها عامنا الحالي وأروع	تاج الطموح دراسات لرواد
كم في الشريعة من حبر يناط به	توجيه ناشئة أو دحض إلهاد
سلاحه من لسان الضاد مبتكر	حيث الأماجد في كلية الضاد

ورب دعوى تلاقينا مضللة بالظن حقداً وترويحاً لأوغاد^(١)
فالجامعات أضحت معقل من معاقل العالم الإسلامي التي يشار إليها بالتقدير
والإعجاب ، فهي تنافع عن الشريعة ، وتدعو إليها ، وتخرج القضاة والعلماء ،
وتدافع عن اللغة وتناصرها وتعمل لنشرها واستخراج تراثها .

٣ - الأحزاب الأدبية :

وهي لم تظهر على هذا المستوى الكبير لكنها على شاكلة ثلثيه وجماعات
صغيرة ، ولم تكن الغاية منها ترويح فكرٍ أو اعتقاد وإنما كان خلافاً على قضايا لم
تبلغ درجة الفكر وأقرب مثل هذه الظاهرة ما كان بين العواد ومن شايعه ، وبين
حمزة شحاتة ، ومحمد سرور الصبان وعبدالقُدوس الأنصاري ، في معركة أدبية
شعرية وظفوا فيها رموز الأساطير الأغرريقية^(١) .

وهذه الغاية في الأدب تضعفه ، وتجعل نتاجه فجاً لا غاية له ، ولا جمال فيه ،
وقد حذر طه حسين عن هذا الحزب فهو ((يصرف جماعة من الشباب عن
العلم ، ويُغرون بالبطالة ، ويدفعون إلى الابتهاج الفج وإلى الغرور بهذا الإنتاج ،
وكذلك يكون لمصر خطر جيل من الأدباء ، وويل للأدب يوم تنتهي أموره إلى
هذا الجيل))^(٢) .

والواقع إن استمرار الحزب أخذ يمتد باسم التحديد لينضم إليه ثلثة من
الشباب ، الذين تعجلوا أمرهم وأرادوا التألق مبكراً ، أو أرادوا تحقيق غايتهم التي
تشبعوا فيها بمرحلة الشباب قبل أن تُمحص كاندفاعهم لأساليب من الشعر
الحديث وفكره ، والدعوة إلى أشكاله الجديدة ، وما يصحبه من الحيرة وضبابية

(١) إسلاميات ٩٣ .

(١) ديوان حمزة شحاتة ٢٤٧ .

(٢) د . يوسف نور : الرؤية الحضارية والتقدير في أدب طه حسين ١٨٣ .

الفكر ، والتمرد على الواقع ، والرفض القاطع لكل قديم وبعضهم هيمن على الصحافة فلا ينشر إلا ما وافق اتجاهه ، فكانت الهيمنة على الصحافة في مرحلة قرية العهد وما زالت إلى اليوم في بعض الصحف ، ولو أنهم أفسحوا المجال لجميع الاتجاهات لكان أفضل . فقصر الشعر على اتجاه واحد يضربه ، ويضعفه ، والمعاذير التي يعلنها المجددون ويرفضون ببراهينها القديم والشكل العمودي ، أو الفكر الذي يوظف المبدع مثل الاتجاه الشعبي أو السياسي ، أو التزام بنظرية الأدب الإسلامي ، تلك المعاذير تنعكس على الأدب بالركاكة ، وتؤدي إلى الشقاق والضعف العام .

وطه حسين الذي نهل من الأدب الفرنسي ، الذي تصدر منه الاتجاهات الأدبية الحديثة فإنه يرى أن الأدب يمثل الحياة وأن الحياة أمل كلها ، وأن تحقيق الآمال محتاج إلى الإيمان لا إلى الشك وإلى الإقدام لا إلى الإحجام ، وإلى العزم الصادق ، والهم البعيد ، وهم من أجل ذلك يشفقون على الشباب من هذا الأدب الأسود الذي يجعل الحياة كلها سوداء)) (١) .

وكان أحد الشعراء قد شهد مهرجان المربد في العراق ، ورأى هيمنة الشعر الحر على منابر الأمسيات ، ورأى أن ذلك هنزل يتبعه هنزل ، في نضوب معين الشعر والأدب عامة ، وهو اقتفاء وتقليد للغرب ، فالمربد في البصرة كان مجمع الشعر الفصيح ، وميدان المنافسة بين شعراء العربية ، وهذا الشاعر يسمع هذا الهزل في المكان ذاته ، فكأن هذا الحدث صاعقة من صواعق يوم الحساب على الشاعر . فهوى الشعر من عليائه كما يهوي الباز من شاهق .

والشعر أصبح لعبة من ألعاب الأطفال مجرد التسلية بارد الروح فلا أحاسيس تصحبه ، ولا قوافي تزيد من تنغيمه وقدم لقصيدته بقوله : ((وقد قيلت بمناسبة انهيار الشعر الطلسمي في مهرجان المربد التاسع)) :

(١) د . يوسف نور عوض : الرؤى الحضارية والتفدية في أدب طه حسين ص ١٨٨ .

هزلوا هزلوا فقد سَقيم
ورأينا رطانة العُجم تفسو
ما علمنا تلك النهاية حتى
فهوى من غلوه كل فن
سقط الشعر من علو ذراه
أصبح اليوم لعبة لعلام
بارد الروح لم ييت والقوافي

وهو يشير إلى سهولها ويسره ، بعد أن تنازل عن الوزن والقافية ، وقد اغتم الشباب هذا المضمار ، فأخذوا يكتبون فيه وتشر لهم الصحافة ، ويرتفعون على المنابر ، مما يغرر بهم على هذا التاج الضعيف .

احرز المجد يافعاً وصيماً
نفخوا في إهابه فتولى
ويظن الأبحاد زفت إليه
مستعيراً له جناح غراب
وسيهوي بروحه بعد حين
بين شعث الربي وشنع الهضاب

وهو يشير إلى دوافع التفرير به وأولها سهولة النشر والإشادة بهذا التاج بمدح ولا يُنتقد ، والنقاد الذين بادروا إليه كان همهم الثناء وإظهار المحاسن ، وستر المعاييب ، بل يدورون في حلقة وهمية .

فليصوغوا له تباين نقد
خدعوه وكان غراً غيماً
إن يحدثك لا ترى من ذكاء
كيف اسمه شاعراً وكبيراً

ومن هنا نجد أن الصراع قائم بين أجيال الأدب ، شأن الصراع بين القديم

(١) عبدالله حمر : الثرى والثريا ١٠٠

والحديث الدائم لكن عصرنا هذا امتاز بكثافة التغيير في الشكل والمضمون .

٤ - شيوع الشعر وكثرة القراء :

الشعر جارى المجتمع وأشبع رغبات شرائحه ، فكل يقرأ ما يلائم ذوقه ، فهناك الشعراء الذين اعتمدوا الأصالة والمحافظة والبلاغة العربية الناصعة ، فكان لهم أنصارهم مثل ابن عثيمين ، والغزاوي ، وابن خميس ، والسنوسي ، والعقيلي ، وهناك الشعراء الذين استمالهم الوجدان فانطلق شعرهم من أحاسيس عميقة تلوب حول الفرد لكنها لا تنفي المشابهة والمماثلة مثل : إبراهيم فطاني ، والقرشي ، والقصيبي ، ويحيى توفيق .

وهناك شريحة استمالتهم السهولة والرقه والوقائع الاجتماعية ، فكان شعرهم أكثر التصاقاً بالمجتمع . ومن هؤلاء العلاف ، والنعمي ، والفيفي ، وعبدالرحمن السويداء ، ومعيض البخيتان .

وهناك فئة اتجهت اتجاهاً فكرياً وهؤلاء لهم مؤيدوهم بل ظهرت مناصرتهم شعبياً في المتديبات الإعلامية كالصحافة ، والأمسيات الشعرية ، وأشهر هؤلاء محمد حسن العواد ، ومحمد حسن فقي ، وعبدالرحمن العثماوي ، وكل منهم له اتجاهاه الفكري ، فالعواد يميل إلى التجديد في الفكر والشكل ، ومحمد حسن فقي يميل إلى الفلسفة والغربة ، والعثماوي اتجه اتجاهاً إسلامياً ، فكان له مستمعوه ومتلقوه .

هذه الاتجاهات أشبعت رغبات المجتمع واستماتته ، ومن هنا أعرض المجتمع عن الأدب الخيالي العايب ، فشاع الأدب الفصيح بين غالبية المتعلمين .

لكننا لا ننفي ظاهرة الأدب العامي الذي حملت لواءه الصحافة ، واستقبلته ، فالمتشور منه اليوم في الصحف أكثر من الشعر الفصيح . يعود ذلك لوجود ثلثة أخلصت له أكثرهم من الشباب الذي وجد فيه يسراً وسهولة ، وأكثر إثارة

ولمعاناً ، ولأن بعضهم نال قسطاً من الثقافة ، فقد اسقطوا عليه الإشكالية الفنية للشعر الفصيح كما يظهر في صفحة (خزامي) في صحيفة (الرياض) لعام ١٤١٦ هـ .

وكان ينبغي أن تكون هناك دراسات مواكبة لهذه الأحداث تكشف عن أسباب إنزواء المعجبين بالفصيح أمام الشعر العامي ، مع كثرته وكثرة الشعراء المبدعين فيه ، وفي ظني أن الأمر يعود إلى الصحف ، وتحريرها ، ورغبتهم إلى المشاركة الجماهيرية لعامة المجتمع ، وتهاون الشباب المعجبين بالفصيح من طلاب الجامعات .

علاقة الأديب وعمله بالمجتمع :

يرى النقاد أن من وظائف علم اجتماع الأدب البحث حول علاقة الأديب وعمله بالمجتمع . فالناقد (لالبريمي) يرى أن يُعتمد إلى دراسة المؤلف والعمل والجمهور . " فما يتعلق بالمؤلف وضعه الاقتصادي والمهني وطبقته الاجتماعية وفكرة الأجيال أم بالنسبة للعمل الأدبي فيرى ضرورة الدراسة السوسولوجية لأمور أربعة : الأجناس والأشكال الأدبية ، والموضوعات ، والطبائع والشخصيات ، والأساليب . وبالنسبة للجمهور دراسة فكرة الجمهور والجماهير ، وعملية الاتصال ، ونجاح العمل الأدبي والنقد " (١) .

أما (إسكارايه) فيرى أن يدرس من حيث إنتاج الأدب وتوزيعه واستهلاكه " (٢) .

لا أستطيع في هذا الكتاب أن أتقصي الدراسة لكل أديب وأستبين مدى

(١) السيد ياسين : التحليل الاجتماعي للأدب ٩٧ ، الطبعة الأولى ١٩٧٠ م .

(٢) المرجع السابق ٩٧ . وانظر : روبر إسكارايه ، سوسولوجيا الأدب ، ترجمة أمال أنطوان

عرموني ، دار منشورات عويدات ، بيروت باريس ، الطبعة الثانية ١٩٨٣ م .

تأثيره بالواقع المادي أولاً ، من حيث التكوين الذاتي في حياته الأولى ؛ فهل تكون القدرة المادية هي إحدى الدوافع المساعدة للتكوين الذهني له ؟ أم أن الفاقة هي التي أطرت حياته ودفعته إلى الترقى الفكري ؟ أم أن الحماسة الوطنية هي التي أوحت له بذلك ، فهو يريد أن ينتشل ذاته ومجمعه الذي يشعر بتخلفه ، فأراد أن يكون عصامياً ، وأن يبنى مجتمعاً عصامياً أيضاً ؟ لاشك أن الحاجة النسبية لها دوافعها الفردية في تكوين الأديب . أو هل يكون إبداعه نابعاً من تجربة عاطفية وجدانية ؟ .

وربما أن الجاه والمسال مطلبان كبيران دفعا بالأديب إلى مواصلة الترقى في بلادنا . فالأديب يستكتب في الصحافة فينال أجراً وجاهاً ، ويدفعه لبناء فكره ، وتتاح له فرصة الإفضاء برأيه وشعوره . فالشاعر يستكتب فيقول قصيدة يطرح فيها فكراً مثالياً عاماً ، منطلقاً من صدق عاطفة الشاعر أو يميل إلى الموضوعية إنما هي مثل عليا في شكل فني مقبول . وهو يحصد بذلك جاهاً ومالاً ، كأمثال ابن بليهد ، والغزاوي ، وفزاد شاكر ، وعبدالله بلخير . وهذا شأن الشعر العربي من قبل ، كأبي تمام ، والمتنبي .

وكثير من أدبائنا انطلقوا في أحيان كثيرة من نبع فكرهم الذي استحوذ عليه التكوين الثقافي والتطبيق الاجتماعي والبناء الوطني الذي صحب حياتهم بالضرورة . ورأوا أن فكرهم وآراءهم هي الأولى ؛ لأنها أولى بالتنفيذ فيما يعتقدوه الفرد لحظة إبداعه ، كأمثال العواد ، وحمزه شحاته ، وحسين عرب .

وهذا الاستكتاب الأدبي شائع في البلاد العربية في زمننا هذا . فالصحف تتنافس لاستكتاب المفكر ، ومن ذلك مصطفى أمين ، وغيره . وصحف السعودية تستقطب حولها الكتاب من داخل البلاد وخارجها . ونحن نستدل على ذلك بأن الأسماء الأدبية المتواصلة مع الصحافة فهي التي لمعت ، وكان لها انتشار فكري ومادي ، من مثل العواد ، والغزاوي ، وأحمد السباعي ، وعبدالقُدوس الجديد

الأنصاري ، وأحمد عبدالغفور عطار ، ومحمد حسن فقي ، و طاهر زحشري . أما أولئك الذين لم يتواصلوا مع الصحافة فقد مال بهم الفقر والانزواء ، ومنهم حمزه شحاته ، والفلاحي ، وغيرهما . وهذا شأن المعري من قبل .

ومن الدوافع أيضاً لذلك النجاح ، فإن الذي يقبل عمله وينشر صداه يزداد حماسة لأعمال أخرى ، وهكذا يتوالى الإبداع .

والمؤلف أو الشاعر السعودي ربما يجد عوناً على نشر نتاجه الإبداعي من قبل النوادي الأدبية ، وبعض المؤسسات . وكانت وزارة الإعلام تشتري مئات من نسخ الكتب المؤلفة بأقلام سعودية بأسعار تشجيعية ، وكذلك أمرت كل جهة من دوائر الحكومة بشراء عدد من مؤلفات الكتاب . وهذا نوع من التمويل للإبداع لو يستمر ذلك ، ومع ذلك فلم يكن شاملاً .

والشعراء في بلادنا لهم روايتهم الشهرية في وظائفهم الحكومية كغيرهم من الموظفين ، فمثلاً منهم من يعمل في الصحافة بأجر ، ومنهم الموظف الحكومي ، كالغزاوي ، ومحمد حسن فقي ، وحسين عرب ، وغيرهم . وهذا معمول به في الدول الإسلامية سابقاً ، فإن الشعراء لهم نصيب مفروض وأعطيات في المناسبات لكنها ضعفت حتى ضموا إلى الفقرا في عهد المماليك ، يقوم بالإشراف على ذلك قاضي القضاة^(١) .

ونحن لا ننسى جوائز الدولة التقديرية ، ونتمنى إيجاد جائزة للكتاب السعودي وقد وجد في مكتب التربية لدول الخليج ، وأعم منه جائزة الملك فيصل الخيرية .

والشاعر السعودي يتمنى للشرعية الإسلامية التي تمثل الرابط الأقوى في مجتمعنا . ومن هنا تنطلق أهدافه المتلاحقة مع المجتمع ، وينطلق فكره الإصلاحية . وبعض الأدباء ينتمي إلى شرائح ربما تتأزر لتعاضد المبدعين والمؤلفين ، ويتحسد

(١) محمد زغلول سلام : الأدب المملوكي ١٠٥/٢ .

ذلك في النوادي الأدبية التي تعنى بمبدعي الإقليم ومولفيه . والأدباء ربما ينشرون خارج أقاليمهم ، فيكون هناك تعاون أشمل يساعد على ذلك تعاونهم الفكري والتقاء مشاعرهم حول غايات كثيرة لصالح بناء المجتمع ومعالجة قضاياها .

والشعراء في عصرنا يمثلون أجيالاً تقترب من تكوين المجتمع في بلادنا . فالشعراء الأوائل لهم فكرهم في بناء العمران والمدارس وتلاحم المجتمع وأمنه . ومن هؤلاء ابن عثيمين ، وابن بليهد ، والغزاوي ، والسباعي ، والعواد . ثم جاءت أجيال ، أو تطور فكر بعض الشعراء ليمائل متطلبات المجتمع من حل قضايا طارئة كتعليم المرأة ، والإصلاح الاجتماعي ، ومعالجة قضايا المدن والخدمات العامة ، والتواصل مع القضايا الإسلامية والعربية .

ثم جاءت أجيال لتطرح الفكر البناء الشامل الذي لا يلامس قضية مخصوصة، ولو كانت هناك مساحة من الزمن لتتبع ذلك ، ولوجدت فيه ميدانا واسعاً ، من حيث تطور الفكر ، وتطور المجتمع ، والتطور الفني الجمالي ، وكيفية الطرح ومنهجيته ، ثم معرفة القضايا ودوافعها ، ثم انحسارها لتطفو أخرى على السطح ، ولأدركنا من هذه الدراسة العوامل المؤثرة على الأديب ومجتمعه ، ولأخذنا عبرة من النظرة المستقبلية وواقعيتها ، واستخلصنا الأفكار الثيرة التي لقيت تطبيقاً أو ندمنا على الاندفاع إليها ، أو ندمنا حين أعرضنا عنها .

فالأديب السعودي يلح على استلهاث الثقافة من جميع جوانبها . لا أقول : إنه عالم في كل فن ، ولكنه يأخذ طرفاً من كل فن ، وبذلك يتسع أفقه ، ويستلهم الوعي الشامل مما يجعله يفجر القضايا الفكرية ، ويستشرف القضايا المستقبلية ، ويرصد التوجهات الاجتماعية ، وينذر عن مخاطرها ، ويستطيب محاسنها .

ومحني يبنى عن هذه الخاصية ، كما أشرت إلى قضية نصح الحكام ، وطلب تأسيس المشاريع ، وبناء المدارس ، إلى جانب طرح القضايا الفكرية عالمياً جديداً

وإسلامياً وإنسانياً وعربياً ووطنياً . والأديب يدرك تلك العلاقات وأهميتها ، وتناحرها وتنافسها ، وتضادها أو تعاضدها ، وأثر ذلك على أمته ووطنه . من هنا كان العلماء والأدباء لهم سبق التحذير عن قضايا داهمت الشعوب ، وهم أيضاً أيقظوا ضمائر الأمم .

وأدباؤنا سبوا غور القضايا الاجتماعية ؛ لأنهم ارتبطوا بوطنهم ، فتعرفوا على ماهية الوطنية ، وتراثها ، وعاشوا البيئة المحلية ، إلى جانب اشتراكهم في تكوين الذهنية الأولى التي تتجلى في سياسة التعليم . وعليه فإن الشعراء انطلقوا من المحلية الأولى إلى جانب التفاعل الخارجي ، فلهم إلمامهم بالثقافات الأوربية والشرقية ، وتفاعلهم مع الثقافات العربية .

ولذلك فإن الأديب السعودي تتلاقح الثقافات في فكره ، وتتوالد الأفكار المنهجية نتيجة لهذه الجينات الفكرية ، وذلك يصلح فكره وينمي ، ويوسع أفقه ، وهو مصقول بخبراته التي يقتبسها من ثقافته ، ومن تجاربه ، ومن علاقاته ، وهو يرى التطبيق الفكري للقضايا فيرى مدى نجاحها ومدى فشلها .

الواقعية في الشعر الاجتماعي :

الواقعية : ((المذهب الأدبي الذي ظهر في منتصف القرن التاسع عشر والداعي إلى معالجة موضوعات واقعية ، مقتبسة من الأحداث الحية ، أو مأخوذة من الدراسات التاريخية ، ووصف البيئة وصفاً دقيقاً وموضوعياً))(١) .

وقد كانت البداية تهدف إلى معارضة الرومانسية التي تدعو إلى العزلة ، أما الواقعية فهي تنجح إلى الواقع ، فتقلبه وبصورة لا تعرض عنه ، ولكن التقارب للواقع لا بد أن يكون نابعاً من الشعور أو التأثير بهذا الواقع ، ووقعه على النفس ، سواء كان ذلك ترغيباً أو نقداً ، فكيف عن الانحراف ، ومواطن الأذى والشر

(١) جبر عبدالنور : المعجم الأدبي ٢٨٧ .

ويحاول أن يكشف عن مثالية الحياة . وبعضهم يرى أنها أتمودج للحياة مع إدراكهم بتفاوت القدرات الإبداعية إنما القصد تصوير مناسط الحياة .

فالواقعية ((نوع من التركيب الذي يجمع الخصائص العامة والتنوع في نمودج يتضمن الشخصيات والمواقف ، ويكتسب النمودج أهميته من احتوائه على كل العناصر الإنسانية ، والمحددات الاجتماعية المثالية التي بلغت أعلى مراتب التطور ، وتستخدم الأنماط النمودجية في الأدب بأسلوب يسمح لنا بوصف الواقع وصفاً دقيقاً ، يمكننا من التفرقة بين ماهو مثالي وما هو واقعي)) (١) .

ونحن إذا درسنا الشعر في بلادنا أدركنا الواقعية فيه بإشكاليته النقدية ، من حيث المثالية والواقعية ، والوصف المباشر ، والنظرة للحياة والإعجاب بما تحقق ، والغبطة به ، وهناك من ينشد المثالية ، والحقيقة أن الاختلاف في النظرة الواقعية انعكس على الشكل الفني ، ومن ناحية بنائه الفني ، ولغته بألفاظها ، وصورها ، فالأدباء الذين ينشدون المثالية ، هم أكثر جلباً واستدعاءً للأشكال الجمالية ، وهناك الواقعية التي تعبر عن الفكر مع ملامسة الواقع ووصفه ، فهي تحتل المرتبة الثانية ، كالعواد وحسين عرب ، وعبيد مدني ، وهناك النقل المشاهد للحوادث فإن هؤلاء الشعراء أقرب إلى الثرية ، وتوظيف الألفاظ الشعبية وأقصد بها التي يدركها عامة الشعب مع فصاحتها ، ومن هؤلاء السويدياء ، ومعيض البخيتان ، وإبراهيم العلاف ، والفيضي ، ومحمد حسن العمري .

والشعر الاجتماعي يمثل في مجمله الاتجاه الشامل للشعب في بلادنا ، وينبع من آمنيات شعبية ، فكل فرد من المجتمع ، وكل إقليم من الأقاليم تحدوه تلك الأماني لتلتف كلها حول مطلب عظيم وطني ، يتمثل في توحيد الفكر ونهضة البلاد .

فجميع الأفراد يسعون حثيثاً إلى التقدم العلمي ، والبناء العمراني ، والزراعي

(١) د . محمود كسر ، والورقي : في علم اجتماع الأدب ٨٢ .

والصناعي ، وانتشار التعليم ، والتطور الاجتماعي المنبثق عن التوجيه الرياني . ذلك ما جعل المضمون شائعاً مشتركاً ، والتعبير عن المضمون الذائع يتلبس بشكل فني يقترّب من الشعبية . فهو يستمد ألفاظه من الألفاظ الدارجة على الألسن ، وهي تنهل من تلك الألفاظ التي شاعت من الحركة التعليمية الشاملة ، وما تطرحه الصحافة ووسائل الإعلام الأخرى .

فمعجم الألفاظ يكاد يكون موحداً ، وكذلك فإن الألفاظ الدخيلة والمعربة، التي ما زالت بأعجميتها متداولة في العالم العربي مع بعض الاختلاف لكنها أكثر تقارباً في القطر الواحد . فتسمية أدوات العربات تختلف في المملكة العربية السعودية عنها في البلاد العربية المجاورة ، غير أنها مستوعبة عند الآخرين . ومن هنا فإن الألفاظ قريبة المتناول ، لا تتعلق على أحد ، بل قد اختفت لهجات الأقاليم القريبة العهد ، فإن الألفاظ الشعرية الاجتماعية لا تكاد تنبئ عن إقليم الشاعر إلا مسميات الأماكن ، ويقترّب من هذا التراكيب ، فإن بناء الجملة يدرج على البناء النحوي الذي يعتمد نظام الجملة الواضحة ؛ فهم يلجأون إلى التراكيب المتداولة الترتيب ، كالمبتدأ أو الخبر ، والفعل ، ويتبعه الفاعل ، ثم الفضة ، وقلّ أن يوجد تعقيد في التقديم والتأخير ، أو عودة الضمير ، أو احتمال معاني متعددة للفظ الواحد داخل التراكيب أو التركيب ذاته ؛ فقد أطلت النظر في الألفاظ والتراكيب ، فلم أعر على ما يشبه الغموض الذي عند أبي تمام ، أو الاحتمالات التي عند المتنبي . ونحن نجد الشعر الاجتماعي أكثر وضوحاً من قرينه الوجداني ، مع عدم ضبابية الأخير . بل إن كثيراً من التراكيب تقترّب من الشبوع والابتذال ، فهي أشبه بالكلام الدارج على ألسنة العامة .

والشاعر أحمد قنديل^(١) من أشهر الشعراء الشعبيين في بلادنا ، فهو يتناول

(١) ولد الشاعر بمدة عام ١٣٣٢هـ ، ومات في ١٢/ شعبان ١٣٩٩هـ ، عمل رئيساً لتحرير-

الشرائح الاجتماعية ، ويسرد حكايات في لوحات شعرية ، ويسرد حكايات في شكل قصص . فله (قاطع الطريق) قصة شعرية . وله (الراعي والمطر) ، وفيه يعرض مشاهد من حياة القرية والبادية بأسلوب يقترب من التراكيب الشعبية الدارجة ، التي لا تنبهم على عامة الناس .

وقد لقي أسلوبه ترحيباً من الصحافة التي يقرأها المجتمع بشرائحه ، وهي التي تحاول الارتفاع عن العامية والابتذال . لكنه لا يخفى ؛ لأن الشاعر ينتقي ألفاظه من الكلمات الفصيحة الدارجة .

وشعر قنديل يمثل الأسلوب الحكائي المسترسل ، الشبيه بالارتجال الذي يذكرنا بنظم أبي العتاهية^(١)، وله ديوان آخر هو (قريبي الخضراء) . والشاعر له دواوين باللهجة العامية ، وكثيراً من الأحيان تنداح في أشعار الفصحى ، كلفظة (اللولي) ، و (عطرته) :

عن الفتيات ، يركضن لبع فيه معسول

وعن أحلى بنات الحمي سلمى أخت مقبول

وقد فرحت بضحكتها ليتدى سنها اللولي

وعن هيفاء ما قيست بها في عمرها هيفاء

أكساد أشم عطرته تفوح ... كوردة حمراء^(٢)

وهو يشير إلى تفاعل الحياة المعاصرة التي شهد تحولها من الحياة البدوية حيث الارتجال على الإبل ، والأسفار في قوافل متقاطرة ، وهو يشهد دفع الموائر

= (صوت الحجاز) ، وشغل عدداً من الوظائف ، وله عدد من الدواوين : اللوحات ، الأنهار ، نقر العصافير ، فتاديل ، درس البحر ، الراعي والمطر ، قاطع الطريق ، انظر : الموحز في تاريخ الأدب العربي السعودي ٩٣ .

(١) إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني ، ولد عام ١٣٠-٢١١هـ ، من أشهر شعراء العصر العباسي الأول ، مدح هارون الرشيد ، واشتهر بالزهديات . انظر : الأعلام ١/٣١٩ .

(٢) أحمد قنديل : قريبي الخضراء ١٧ ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ ، منشورات دار الرفاعي ، الرياض .

واحتلال العربات التي أخذت تترى على البلاد . والشاعر يصورها في ألفاظ مستمدة من شعبية التداول ، فالتوق والجمال والموتر ، بل إنه لم يلتزم بالقوافي ، ولم يلتزم بالتشطر الموزون ، فتارة يأتي مجزوءا ، ومنهوكا في مقطع واحد :

أشهد النوق والجمال	سارحات .. بلا عقال
ما لها اليوم ... من مجال	ما أتاها لها طلب ..
زحزحتها " المواتر "	عن مغني قصتي ...
وازدرتها النواظر	بين نشر .. وطبي
أين تلك القوافل	في مدار .. ولي ؟
قد هدتها المشاعل	من كدا ... أو كدي ..
إنها فجرنا : ظلال	إنها عصرنا : هب
وأنا فوق ربوتي	أتلهي بجبوتي
أتملى بقهوتي	ملء غليوني الشرر (١)

وهو يتحدث عن القرية ، وامتزاج الحياة الحضرية والبدوية فيها . فالبادية ترتادها تجني من مزارها ، وتبيعها ما تجني من ألبانها وأغنامها ، وهو يعيش ذكريات مراعيها وماضيها :

ألم ترق قريتي ... يوما	ألم تسمع بمسا فيها!؟
لقد غدتك مرعاها	وأغتتك بواديها
بما تجلب من ضأن	ومن تمر .. ومن جر
ولكنك لم تدنو	ولم تصغ ... ولم ترنو

إلى ماضيك .. ماضيها (٢)

وهو يشكو هجران القرى وهجرة أهلها إلى المدن ، مع استخدامه لألفاظ مستمدة من اللغة المتداولة : جننا ، ورحنا ، نامت ، والمحراث ، والمكدود :

(١) الراعي والمطر ٥٦، ٥٧ ، الطبعة الأولى ، مؤسسة قنديل التجارية

(٢) الراعي والمطر ١ .

فلا تعرفُ من نحنُ إذا جتنا ... وإن رحنا
ولا القريبة تأتيها ... كأننا عنك أغربنا !!
هنالك قريتي سامت على سفح ... بواديها
به الإنسان كالحراث مكودود ... إذا أنسا
وقد جفت روابيها لسدى السهل .. ولي الوعر
وكل الظفر والناب !! (١) .

والشاعر محمد الهليل من الشعراء الذين يميلون إلى سهولة النظم ، فهو يسجل الأحداث بأسلوب ظريف فيه قرب في المضمون ، وشيوع في الألفاظ ، ولين في التركيب ، وتصوير قريب . فشعره يميل إلى الشعبية ، وتجاربه مستمدة من أحداث واقعة أمامه ، ليس فيها عمق الشعور الذاتي ، أكثرها وصف لرحلة ، أو تسطير لرأي فكري في قضية اجتماعية ، أو مطارحة شعرية مع بعض العلماء . وهو يصور مشاهدته الطبية والاجتماعية بحس الشيخ القاضي صاحب الظرف البرئ . ومن ذلك مقطوعته الشعرية في التبرج التي تزخر بالسخرية من الأزياء الحديثة :

ومن أبشع الأشياء زي تبرج فمنه فساتين التبخرت إنها
تبخرت طاووس يتيه بخطوه ومنه قصر ضيق ومجمع
ومنه حذاء ذو الكباب مقبب كحافر " غير " لم يقلم حياته
وغير وغير من ملابس فتنة ومن أجمل الملابس زي مناسب
لباس التقى والعقل والعلم والحيا
ذميم ومن يهواه لا شك خاسر بلاء وإسراف وبذخ مجاهر
مشى مرحا يخال والعزم قاصر كمتوف ريش الطير والطيور سائر
يعوق طبع السر فالسر حاسر فبئس حذاء أشبهته الخوافر
تبدلت مساو تحتها ومساخر وما خالف المشروع فهو المناكر
أجمل لباس ترتديه المفاخر (٢)

(١) المرجع السابق ١١ .

(٢) الهليل : زاهي الأزهار في ملاح الأشتار ٩١ .

والمضمون الشعبي تنداعى إليه الألفاظ الشعبية ، وتسهل تراكيبه ، وتقرب صوره من مسرح الحياة ، وينكشف معناه للعيان . ليس عند أولئك الشعراء الشعبيين فحسب ، بل يتجلى في شعر العلماء الذين لهم طول تجربة وعمق أسلوب وجمال تعبير ، ومنهج فني ويتمثل ذلك في المحاور الشعرية بين ثلاثة من الشرائح ، وهم الخنين (١) العالم ، والقصبي (٢) الشاعر المحرق .

فنحن ذلك يقترب من شعر الشاعر الذي يميل إلى الفكاهة وقرب المآخذ ، ذلك هو الشاعر محمد الهليل . بينما لو درسنا ديوان الهليل مقارناً بشعر القصبي لوجدنا الاختلاف البين ، ويقول الشيخ محمد الهليل :

قصيدة الشيخ للدكتور (غازي)	نداء الصدق في حق المدارس
لذا لبي الوزير بحسن رد	وفأل الخير لم يرتد أيس
والميدان مقلولاً وكل	بقدر الحال في الدنيا يمارس
وما شيء عن الأنوار يغني	وفيه الكل مرتاح وآنس
تعالى الله سخر كل شيء	ومنه الكهرباء تمحو الخنادس
وكم في غير ذا أبدت عجيباً	بها الأسرار لم تحفظ بهاجس
وليس تطورا إلا بعلم	ونور العلم لم يطمسه ظامس

فهذا الشعر يميل للتقرير وسرد الخير فكأنه نظم علمي يخلو من الصور وتكثيف الدلالة ، فهو الترام بأسلوب المحادثة التي لا تخلو من التقرير ، فقد أورد صفتين هما الشيخ والدكتور ، وهذا ليس من الأسلوب الشعري وإنما أهميته في الواقعية التي سجلها .

وكان فضيلة الشيخ " راشد بن خنين " قد أرسل في عام ١٣٩٨هـ إلى الدكتور " غازي القصبي " وكان وزيراً للصناعة والكهرباء آنذاك ، بيتين من

(١) أحد العلماء ، رأس تعليم البنات .

(٢) ولد في مدينة الأحساء عام ١٣٥٩هـ ، أستاذ جامعي في الإدارة ، رئيس للسكة الحديدية ، ثم وزيراً ، ثم سفيراً ، شاعر له عدد من الدواوين جمعها في مجلد ، وما ظهر بعده يكاد أن يماثله .

الشعر هما :

غزانا الصيف يا غازي فجدودوا بتيار يكيف للمدارس
بنات الناس في قلق ويفشي على بعض فرققاً بالمعرائس
ولقد زاد فضيلة الشيخ " راشد بن خنين " ، والذي كان الرئيس العام لتعليم
البنات آنذاك بالأبيات التالية في عام ١٣٩٩هـ :

تمام الحول قارب لم يجيوا ولم تجزو الماطل والمعاكس
كلام الناس في هذا كثيرا وأنت الشهم تنفي للوساوس
فمرهم عاجلاً يأتو بسلك يبرد أو يبرد للحنادس
وعهدي فيكم حزم وعزم ودور العلم أولى من منافس
ونرجو الله إصلاحاً سريعاً وأجهزة الدوائر والمجالس
وختم القول تذكير وشكر لغازي الشعر والرجل الممارس
ويظهر في شعر الخنين بعض من اللمحات الفنية ، كالجناس بين غزانا
وغازي ، وتلميح بكلام الناس الذي لم يفصل في ماهيته ، لكنه يرمز إلى
الشناعة ، وفيه سلامة في العبارة .

فرد الدكتور بالأبيات التالية بتاريخ ١٣٩٩/٥/٣٠هـ :

رعاك الله ، يا شيخ المدارس وصانك .. فهاجت لي الهواجس
وأما بعد رقتك أتني يحيط به من الأشواق حارس
وملء عباكم ود وحب يحيط به من الأشواق حارس
ويدري الله كم يدمي قوادي عذاب صيبة والحر عابس
وحر الصيف بالأبطال يودي فما بال الرقيقات الأوانس
وعذري إن قبلت العذر أني أمارس من بلاتي ما أمارس
توسعت الرياض ثمت فصارت كد (لندن) في تشعبها و (بارس)
ففي حي (النسيم) شكت ألوف تنادي في الدجى والليل دامس
وفي حي (السويدية) عاتوني يعقب صارخ ويجيء هامس

وفي (اليضاء) دور مظلمات
وما يخفك أعظم .. والشكاوي
عليها من كآبتها قلانس
تلامس من ضلوعي ما تلامس

وشعر القصصي مع واقعيته تبدوء ملامح الموهبة الشعرية والصقل بالممارسة فهو يورد صور للصغيرات ، وهيجان الهواجس ، ويحيط من الأشواق حارس ، فهي صورة تشخيص حركي وفيها نلمس توقد الشعور ، والأحاسيس بالحدث في قوله : ((ويدري الله كم يدمي فوادي)) واحساس ((الرقيقات الأوانس)) والرمز الخفي في قوله : ((أمارس من بلائي ما أمارس)) و ((وتلامس من ضلوعي ما تلامس)) إذن فإن التعبير عن حادثة واقعة شعبيه لم يخف ملامح الفنية ، ثم فهو يقوم الاعتذار ، والمصاحب بالبراهين مع الأحساس بوجاهة الأمر ، لكنه يظهر البرهان على عدم القدرة في الزمن اليسير القصير ، لكنه يهدف إلى تبديد الظلام عن سائر أحياء الرياض كل ذلك بوجه عام في وضوح وقرب مأخذ :

ونحن نريد تبديد الدياجي فنقتحم المصاعب كالقوارس
ونقضي يوماً كدحا وجهداً وليتنا ... وبدر الليل ناعس^(١)

والشاعر محمد إسماعيل جوهرجي^(٢) يقترب نظمه من الكلام السائر ، فهو يسهل شعره حتى يرق ويلين تركيبه ، بل إنه يجتنب إطالة الجمل ، ويعالج القضايا الاجتماعية القدرية : الحقد والحسد ، والتهيه ، ويدلف كثيراً إلى صفاء النفس ، وهو يصف التعالي على البشر بالتهيه ، وكأنه الضياع والانحراف عن السلوك المستقيم ، فهو يخنال علبسه وفضل إزاره ، ويصعر خده على أقرانه ، ويدعوه إلى التحلي بالفضيلة وطهارة النفس :

في اختيال يجر فضل إزار ويرى الناس دونه .. أذنابا

(١) الهليل : ديوان أريج الأزهار في مليح الأشعار ٨٢، ٨٣ .

(٢) ولد في مكة المكرمة عام ١٣٥٩هـ ، عمل في التدريس ، ثم في الأعمال الحرة ، صدر له :

١ - عطر وموسيقى ، ٢ - اليقين .

يا أخوا التيه والصيال ترفق
 طهر النفس بساليقين وخل
 يا أخوا التيه ما يصدك عنا؟
 تركبُ الزيف لا تبالي مداه
 أنت أدنى إلى الهوام اتسبابا
 عِزة النفس جانبنا ... والسرابا
 فيم تلوي مكشرا .. أنيابا ؟
 حين تذرو على الوفاء الزابا
 تتعالى على الأنام اجتابا(١)

ونحن نرى أن المضمون الشعبي يتدرج عند بعض الشعراء ليرتفع عن الأسلوب النظمي الذي يقترن من الكلام السائر إلى أسلوب فيه ارتقاء فني . فهو ينتقي الألفاظ الفصحى غير المبتذلة ، ويقوي تركيبه ، وتهتز تجربته ، ومن هنا يسمو إبداعه .

كقول البخيتان في الهاتف ، فهو يصف تأثير هذه الآلة باستخدامها الإيجابي والسليبي ، وهو يصف حالة شعورية لا ريب بواقعيتها ، حينما يستخدم وسيلة لتواصل العاشقين : فالرنة الأولى لها وقعنها في نفسية المنتظر ، فكيف إذا كان عاشقاً ، والرنة الثانية تزيده اضطراباً ، فهو يقول :

انقلوا الهاتف فالبيت سعه
 أبعده عن عيون لا ترى
 واحفظوه في مكان آمن
 فهو مني وأنا من سحره
 وهو مني لعبة مرعوشة
 كم تحريبت له محتضناً
 مرحباً بالرنة الأولى التي
 مرحباً بالرنة الأخرى التي
 هذه أنت فيما أهلاً بمن
 في سراييني وما أضعفها
 واقفلوا واحفوا نهارا موضعه
 فيه إلا غلطة أو مضيعه!
 حيث اقرأ في المسا .. كي أرفعه!
 لفتة وهى ! ونفس مولعه!!
 حلوة خضرا المعاني مشجعه!
 دفنه الظامي ونفسي مهطعة!
 تعش الروح ؛ وتكوي أضعه!
 حضنت لبي وخاطت أدرعه!
 يركض العمر إليها أجمعه!!
 من سرايين تهاوى مسرعه!؟

(١) محمد إسماعيل جوهر جي : اليقين ٦٦ .

إنها ساعة ظرف رققت عقرباها في دموع مقلعه!!
عشتها في لحظة مجنونة أتحدى! بعبأ أو بعبه!!(١)

ومن أشهر الشعراء الاجتماعيين إبراهيم خليل علاف ، فإن حل شعره يدور حول المجتمع ، وأكثره في مقطعات شعرية تنقل حدثاً جزئياً في لحظة قصيرة ، ومشاهد متحركة . وله وقفات عند قضايا التعليم ، فهو يستمد من الواقع الذي يتشكل بظروف الحياة وتطورها وتغيرها(٢) .

ومن الشعراء الذين يعمدون إلى التركيب القوي الشاعر علي النعيمي ، فإن حل شعره ينحى منحى اجتماعياً ، لكن شكله الفني يلتزم بانتقاء اللفظ ، والارتقاء عن السوقي الشائع ، ويسمو إلى التركيب القوي الذي يكشف حلله من البلاغة الفنية ، وقد استشهدت بكثير من أشعارها فيما مضى من الكتاب، فأكتفي هاهنا بهذه الإشارة .

والأمة الإسلامية والعربية ومجتمعاتها أخذت تلهج بالزمن الماضي ، وتفخر ببعض الآباء وما خلده لنا . وذلك حق ، لكن الإسراف فيه والتواكل عليه أمر لا يبني في الحياة شيئاً ، إنما يجب أن يعمد الأبناء إلى البناء والعمل الجاد ، والعلم النافع ، كيما تواصل مسيرة البناء في مجتمعنا .

وهذا التحريض والشعر الحماسي قد تكاثر في شعرنا ، وهو شبيه بشعر الجهاد الإسلامي في عهد الفتوح والحروب الصليبية . فكأنما العمل جهاد للنفس ، لتبني حياة قوية تعتمد على الذات . والشاعر يندفع بإحساس واقعي يمثل مضموناً ينشده الجميع . ومن هنا قربت مضامينه ، وتشكلت ألفاظه وتراكيب من صنيع الفصحى الدارجة .

أيفخر بالأب الفاني بنوه؟ دعوا عنا تفاخركم دعوه

(١) البحيان : ثرى الشرق ٢٤٤، ٢٤٥ .

(٢) انظر : الديوان .

دعوا عنا التواكل فهو داء
بناء المجد محتاج لجهد
وأما الادعاء فليس شيئاً
مضى زمن يقول المرء فيه
وجاء زمان إنني سوف أبني
ومنها : فيا أبناء أوطاني تعالوا
ونصنع مثلما صنعوا ونعلي
تصاب به الشعوب فكافحوه
عظيم ليس يقدم بأذلوه
وليس يصح ما لم تثبتوه
أبي وأخي لجد صانعه
لنبي المجد هيا شاهدوه
نقدم مثلما هم قدموه
لنا ذكراً سيعجب سامعوه^(١)

فهذه دعوة صريحة إلى مباشرة العمل ، والإنجاز ، والاخلاص فيه لكل فرد من الأمة حتى تبنى الأمة مجدها الحاضر ، ولا تتراكل على المجد الغابر .

الوضوح وقرب المآخذ :

وبعض الشعر الاجتماعي تأثر بواقعه ، فهو استمداد من المشاهدات اليومية ، وحوادث عامة تقع لكل فرد ، أو من كل سائر في طريقه ، والشاعر يقف عند هذه وقفة سريعة لا تأمل فيها ، ومن هنا تأتي ألفاظه وتراكيبه من أقرب الموارد لمشكلة المضمون . فالوضوح واليسر ، والألفاظ الشائعة ، والتراكيب الواضحة وخاصة من خصائص الشعر الاجتماعية لا سيما المستمدة من الحياة الشعبية والشعر في المجتمع يخاطب عامة الناس من الشعب ، فلا ضير على الشاعر إذا التمس أقرب الموارد ؛ كيما ينال إعجاب الناس ، ولكي يستوعب مضمونه مباشرة ، فهم لا يقفون طويلاً للتدبر والتأمل .

وهذا الشعر يخاطب أفراداً ، فمن الأفضل وما يناسب المقام مخاطبتهم بما يدركون ، فهو يخاطب امرأة في مكافحة الأمية ، أو فتاة في مرحلة الطلب ، أو شاباً نامياً أحوج ما يكون إلى الإثارة الحماسية . ومن هذه السهولة والوضوح

(١) عبدالله بن حمد الشبابة : الزفرات الحرى ٢٣٤ .

مداعبة ابن هليل للفتاة آمنة ، فهو يصف إبداع الفتيات في دراستهم ومواظبتهم ، وخروجهن في الصباح الباكر ، أمر يدعو للعجب . ثم إن تنظيم المدارس ومناهج الدراسة كذلك مفخرة . لالتزامهما بتعليم الدين الحنيف . فالفتاة تدرس العلوم الشرعية ، والخط والحساب ، وفنون العلوم التجريبية . ويشير للذهاب إلى المدارس ومنها وفي داخلها في تنظيم يمنع الاختلاط :

نعم الفتاة آمنة	فقد بدت في الثامنة
من عمرها تشوقاً	برغبة تتوقفا
ميسادى التعليم	بالحفظ والتفهم
فواصلت أعوامها	وكرست أيامها
بالصبر والتدرج	من منهج لمنهج
أهمه القرآن	النور والفرقان
وسنة المختار	وسيرة الأبرار
في منهج العقيدة	المليحة المقيدة
في المسعى الرفيع	في الأصمى والفروع
والخط والحساب	والنحو باقتصاب
والبحث والتاريخ	الثابت الترسخ
والأدب الجميل	بالمأخذ الفضيل
وأحسن التقف	اللائق المشرف
بقدر ما توصلت	ونيلته تحصلت
أعز ما تربست	نجاه العبد (١)

ومن مراعاة المقام مخاطبة حسين عرب للمعهد العلمي السعودي في عام ١٣٥٧هـ ، فهو واضح اللفظ سهل التركيب ، قصير الجملة ، يخاطب في تقريره مباشرة بعيداً عن التكلف ، بل تجاوز الصنعة الفنية :

(١) نفع الأزهار ٩٤ .

يا معهد العلم ، مرحى
 انجد ما ترتجيه
 غما اليوم غسرس
 اغصانه مـبـلات
 فانشر هُـداك وجاهد
 وهنسك عهدُ
 تسود بالذكر فيه
 غماك للعلم قدرُ
 وانجد سعياً وصبر
 زكاة ، وأثمر بذر
 جناه ، والروض نضر
 ففسي جهادك فخرُ
 أيامه بسك زهر
 هُـدى ، ونعم الذكر^(١)

والشاعر محمود عارف يصف ليلة العيد ومباهج الفرح والسرور تشع علة وجوه الفتيان والفتيات في ثيابهم الزاهية ، وهم يمرحون كفراشات الربيع متعددة الألوان ، وهو يتمنى أن يحس بما يحسون من المتعة والأنس ، وكل ذلك أمر يستشعره الكبار ، فلا غرابة منه :

الكون .. يرقص ، والقلوب تهش للعيد السعيد
 والزهر ... في مرح الربيع يرف عطراً .. للوجود
 والفتيات من العذارى في المعاطف والبرود
 يمرحن في دنيا السعادة كالصبي أو الوليد
 هنّ الفراشات اللواتي .. طُفن من حول الورد
 ♦♦♦

يا ليتني كنت الربيع أرف في روض الشباب
 أو ليتني كنت الخلي .. فلا ملام ولا عتاب
 ما كنت أحسب أنني أسلو واحقر العذاب
 لكنني جريت حظي ... في الشوائب واللباب^(٢)

ومن الواضح في المضمون والشكل مقطوعة للشاعر علي صيقل^(٣)، فهو

(١) المجموعة الكاملة ٢٢٠ .

(٢) في عيون الليل ١١ .

(٣) علي محمد صيقل ، ولد في جزيرة فرسان عام ١٣٦٢هـ ، عضو نادي جازان الأدبي .

يصف مشهداً أمام ناظره ، ويصوره بأنفاسه اللاهثة ، وعينيه الغائرتين ،
وتتابع آهاته :

فرشه الأرض .. تغطيه سماه	جسمه كم هذه الفقر براه
والسراب الكاذب .. الخداع ماه	والأسى الفتاك كم يفري حشاه
غائر العينين .. خارت قدماه	لاهث الأنفاس خاتته قواه
كم بأهات .. تغنت شفثاه	كم دموع .. ذرفتها مقلثاه
اجعل الفرحة تجري في دماه	أيها الموسر فلرحم ضناه
ارحم البائس يرحمك الإله (١)	إنه بادي الأسى فارحم أساه

والشاعرة رقيه ناظر (٢) تخاطب بعض النساء الواشيات ، فكأنها تحادثهن في
مجلس نسائي تسوده العظة ، فهي تستنكر هذه العادة السيئة . وقرب المآخذ يظهر
في مضمونها وألفاظها وتراكيبها وتصويرها الواقعي :

ألا تقلعن عن قبح الصفات	سمعت الواشيات فقلت مهلاً
وتأباه النفوس الصالحات	ألا تعلمن أن المين .. إثم
الم تسمعن موفسور العظفات	اتزرعن القطيعة دون علم
ألقن بربكن من السبات	فرب الكون يعلم كل نجوى
أبان لنا عتو الساخرات	فقلن وقد ضحكن بملء فيه
لصبح في عداد الصامتات	كان بنا إلى الأرماس ندعى
ونحن العايشات السادرات	أيعقل أن يخور لنا لسان
له ذرقت دموع النائحات	فقلت ألا تحفن الحزى يوماً
تُفقين الكؤوس المرعات	تُسقن إلى الجحيم .. إلى صفار
ويستحقن كيد الماحلات	فيجزى الحق بالقسطاس عدلاً

(١) ترانيم على الشاطيء ٤٨ .

(٢) شاعرة صدر لها ديوان (مخفايا قلب) عام ١٤٠٦ هـ ، وديوان (الريح والرماد) ١٤١٠ هـ ،

انظر : المرجز في تاريخ الأدب العربي السعودي للساسي ٢٧٥ .

ففي هذا القصاص قضاء دين
أنفن الأذل الصاغر
فيوم الفصل يفرع كل باغ
ويكرم فيه مشوى الثابت (١)

والشاعر محمد إبراهيم جدع من الشعراء الذين عايشوا النهضة المعاصرة ، وهو يعرج على حركة التصنيع في بلادنا ، ويحكي أسطورة (النفط) ، وكيف كان سبباً للخير في بلادنا ، أعان الله به الأمة على البناء وال عمران والتقدم والازدهار ، وبناء الاقتصاد المثمر . والشاعر يصور فكراً كأنه ينظمه مسجلاً حكاية من حكايات الحياة في مرحلة زمنية يقول :

رأيت روائع الإنسان تسعى	وتسلك في البقاء بناء سبباً
رأيت مصانعاً ورأيت مجداً	يقوم صرحنا زمنياً طويلاً
هنا (البترول) يمنحنا رخاء	ويبعث نهضة وقيم جيلاً
(وللبترول) في الدنيا شؤون	يشيد عزة تبقى مثيلاً
لقد نالت به أمم مناها	ونالت مجدها بسطاً وطولاً
وأحرزت التسابق في نضال	تعز به الشبية والكهولاً
بلادني أي عزم فيه يزهو	اعزم العلم نشهده جليلاً
أم العزم الجند من رجال	أصاروا الرمل ينبوعاً جميلاً
تدفق من منابعه جلال	أقام مفاخرأ وبنى سهولاً
وأعلى عصبة عملت ففازت	وأعش شعبنا الحر النيلاً
بلادني قد بنيت لنا قصوراً	ليل العلم موفوراً جزيلاً
فنعمل مثل ما عملت نفوس	من الأجداد ركن مستطيلاً
وهيات النفوس بخير عزم	أقام معارفنا وهدي عقولاً
تشاطرنا الكفاح ليل مجد	يطالعنا البقاء به جليلاً
نعم إني شهدت بناء قومي	وعزم شبابهم يعطي الحلولاً

(١) الريح والرماد ٦٦ .

وشاهدت المدارس قد أعدت إلى العلياء أبناء فحولاً (١)
فهذه أبيات اعتمدت على الجمل التقريرية الوصفية ، نلمح فيها حماسة -
وإن كانت تميل للبرهان - والتدوين بألفاظ مستمدة من المتداول الشعبي ، ونختم
الحديث عن قرب المآخذ بمخاطبة الفيضي للدارسات ، فهو أخذ يداعبهن بأبيات
أشبه ما تكون بمداعبة ومراقبة الأطفال بأبيات شعرية :

وتقديرا لکن مدى الحياة	تهانينا لكل الناجحات
وعزم مثل حد المرهفات	بذلتن الجهود بكل حزم
ولا ضاعت جهود الطالبات	فما ضاعت جهود مدرسات
على مر السنين الماضيات	سلكتن الطريق إلى المعالي
ستحصد من ثمار يانعات	من زرعت بذور العلم يوما
تصادفها صعاب المشكلات	وقد كانت أمانين حيناً
تحلت بالصفات الطيبات	فما كانت لتمنع ذات جد
على ورد الحدود المشرقات	وكم يوم جرت فيه دموع
مع بعض الدروس الغامضات	وكم ليل يبيت الذهن فيه
لأعظم ما يكون من الثبات	فكانت كل طالبة مثالا
يكن مع اغتباط الأمهات	فقرت أعين الآباء حقاً
كفرحتكن دون مبالغت (٢)	وفرحتنا بهذا اليوم كانت

العمق :

والشعر الاجتماعي يختلف بناء الشكل فيه بحسب موضوعه ، فهو إن تناول
موضوعاً ظاهراً فإن الشكل يناسبه ، كما أوضحت . وإن كان دافع التجربة
تأملاً فكرياً يجوس خلال الكون يتبصر في خلقه وتكوينه وتفاعله ، أو في النفس

(١) المجموعة الشعرية الكاملة ٦٦٥ .

(٢) رحلة العمر ٨٩، ٩٠ .

الإنسانية يجيل البصر في خلقها وسلوكها وتأثيرها ، وجبها وبغضها ، ورضاها وسخطها ، ورغبتها ورهبتها ، فإن ذلك مدعاة إلى انتقاء الألفاظ الموحية ، والتراكيب المشعة بألوان التأوهات النفسية ، ويحتم على الشاعر توارد خواطر الصور التي تعينه على كشف ذلكم الغامض داخل التركيب الشعوري الداخلي المتمايل مع الأحداث الخارجية .

ومن هنا فإن الإشكالية الفنية في شعر القضايا الفكرية يلجأ إلى الصنعة الفنية، ويزخر بالإيجاء الشعوري ، والمضمون العميق ، والفكر المضطرب ، والصور المتخيلة ، واللغة المستدعاة بمحذق ، والنسيج المتكامل البناء للقصيدة يظهر في شعر الشاعر حمزه شحاته ، وإبراهيم فلالي ، وطاهر زخمشري ، وحسن القرشي ، ومقبل العيسى ، ومحمد الرميح ، وصالح العثيمين ، ويحيى توفيق وغيرهم .

فالشاعر حسين عرب يتأمل المجتمع من حوله ، فهو يعمل كيما يعلو المجتمع، ويجهد نفسه كي يصلح ، ويسير في ظلام دامن وكلها ترمز إلى المجتمع في نظر الشاعر ، فهو أسلوب تأملي يضيء ولا يقف عن الحدث ، فكل يتأوله بما يتناسب مع المنغصات التي تعترضه :-

أضيت نفسك فيما ليس يحتمل	قال الحكيم : رويداً أيها الرجل
يضيء دربك ، إلا المهم والوجل	تسير والليل لا برق ولا قمر
لا يحطمنك إن صادته الجبل	فخذ من السهل إن صادته سبلا
وقد تصالح فيها الذئب والحمل	إن الحياة على الميسور ياسرة
عقوده أو تولى حلها العجل	ما كل أمر إذا عاجته فرجت
من الأمر ، ففي طياتها العقل	والعقل لا يتحدى كل معترف

فإحساس الشاعر الرقيق الذي يدعو للمثالية في مناحي الحياة يتألم من واقع الناس وعملهم ، فكيف به وهو يشهد وقوع الأخطاء والانحرافات ، فكان اليأس أحذق به فهو يدعو إلى الأخذ بالأسهل وترك الصعب كي لا يتحطم ، فالميسور

من الحياة يتعايش فيها القوي والضعيف ، والشاعر لم يباشره هذه المضامين ، وإنما استخدم أسلوب الكناية والرمز بصورة رائعة ، وغير مباشرة ، تحمل دلالات كثيفة تدل على حكمة عميقة ناجمة عن تجارب الحياة ، ومن هذه التراكيب ((تسير والليل لا برق ولاقمر)) ، والدلالة التهكمية ((فخذ من السهل إن صادفته سبلاً)) وانظر إلى دلالة ((تصافح الذئب والحمل)) ، فما موجبات هذا التصافح ، وقوله ((ففي طياتها العُقل)) ، فالمعتسف لا يلين إلا بالعقال الذي يشد على رجليه فيمنعه من العصيان :-

درب ونحشى إذا ضللت بنا السُبُلُ	ونحن من نحن ؟ إلا سائرين على
به التجارب واستعصت بي الخيل	لقد علمت ، وقد جربت ما صعبت
في كل يسري وعسري خطبها جليل	فما وجدت سوى التسليم منطلقاً
عليك ، واشتد منها الحمل والنقل	إن المصائب إن ألقى أزمتهما
من الجواهر حتى ينجلي الصقل	فإنها النار ، تجلو كل منكدر
إن المصاعب ، منها يصنع الرجل	وفي المصاعب للأحرار منفعسة
في جانبيك ، ولا يتابها خلل	وسوف تنجاب عن نفسي منورة
وليس يدروها عزم ولا جفل (١)	إن المقادير أقسام مقدره

فالشاعر يشير إلى ممارسته الحياة العملية ، وإن حكمته هذه ناجمة عن تجاربه ، فإنه حاول معالجة القضايا بشتى الأساليب لكن استعصت على جميع الخيل .

والشاعر يخضع للواقع ويستسلم لليسر والعسر ، فما صادفه فهو به راض ، غير أنني لا اعتقد أن الشاعر يعني بالاستسلام عدم العمل والاجتهاد إنما يريد على المرء أن يجد فإذا حدث حادث بعد ذلك فعليه التسليم للقضاء والقدر لأنه يدرك أن التجارب والمصائب تجلو الرجل وتريد في عقله وتعلمه ، فهي تصنع الرجال الحكماء العاملين ، فهم يعملون ثم يخضعون للمقادير :

(١) المجموعة الكاملة ٨٠/٢

ومن ذلك قول حمزه شحاته في غربته النفسية والمكانية :

طالت عليّ السرى براحلة	عشواء أقفوا المنى وانتجع
وناء بي الأيمن في مسالكها	صحراء يخشى ظلامها السبع
اركب فيها الوعور محتبطا	وماء نفسي الكلال والهلع
ماذا أرى من حقيقي؟ أسوى	أنى ... شيء يهوي ويرتفع
كفنت ماضي ، وانتظرت سدى	مستقبلي ، فاستشاطني الجزع
قالوا : تعجلت فاتد لمضى	بالنوح - راع العشير - مندفع
ونمت عن غاية أطلت بها	سهدي سدى ، والرجاء منقطع
فصاح بي الوادع المنعم : أب	طأت ، فهلا عجلت يالكع (١)

فالقارئ يدرك مدلول الصورة الرمزي ، فالسرى على ناقة عشواء في فيافي جرداء إنما يرمز إلى حالة الهروب وعدم الاهتمام ، وحيرته في مسالك الحياة ، فهو لم يلتحق بركب العاملين في البلاد ، ولم يجد خيراً في سبله الجديدة ، فهو قد طرق طريقاً تحفه المهالك ، وتكاثر فيه العقبات ، وتستوطنه المهالك . وما أجمل تصويره بالغصن أو المتاع الذي ترفعه الرياح ، ثم يهوي فلا إرادة ولا فائدة . وهكذا فإن القصيدة تصور لنا عمق التجربة عند الشاعر ، وما أكثر ذلك عنده ، ورصيفه الفلاحي ، وهي تجربة تسلم إلى وضوح الهدف أكثر تصوراً من تجربة الفقي التي تفتقد الغاية .

وقصيدة محمد بافقيه (أيها الماضي) ، حيث يتمنى الماضي الذي نعم فيه بصحبة الأمناء المخلصين ، ويصور اغتيال الموت لهم ، وكآبة من بعدهم :

أيها الماضي أما من عودة	هل لقلبي بعد ياس من رجاء؟
هل كفساني أيها الدهر شجي	أن ترى أنني لم أنل بعد اكتفائي ؟
أين من أحبت أم أين الأولى	قد أحبوني وسروا من لقائي؟!
اصفرت كفاي منهم وارتقوا	بين أرماس وبعث وجفاء

(١) الديوان ١٨٠ .

وبقيت اليوم وحدي ذاكرة
لا هفاً للأمس معدوم العزاء
فهذا إحساس عميق ينداح في أعماق متقدمي السن بعد أن يكونوا في عزلة
من أمرهم ، حين يموت رفاقهم أو يفرقون .

أين أحلامي التي أملتها
أكذا يادهر يطويها الرغام؟
أكذا تبدو هشيماً بعدما
خلتها الروضة رواها الرغام؟
أكذا يفتاها الموت ضحى
وأراها بين عيني تستصام؟
أكذا أمسي كثيراً يانسا
في اقبال العمر يذوبني الأوام(١)

فالشاعر وقف وقفة المحاسب لنفسه ، ماذا تجسده من عمل في رحلة
العمر الطويلة!؟

والشاعر يحكي قصة غربته مع أهله وذويه ، فهو يريد لهم جمع الشمل ، وهم
يسعون للفرقة ، ويصور غربته بالسيف والجليل في قصيدة أخرى :

لا القرب أدناني ولا
أرضاهموني البعيد
ذني هم أنسي الأبني
على صفائهم مريد
ذنب السيوف البيض جا
فتها من الضيم الغمود
ذنب الجبال الشم شا
مخة يعز بها الصعود
شما سفاقة الذرى
خفاقة فيها البنود
ذني هم أنسي الظم
ألقيتها خلقى كما
وهجرت دنياهم إلى
ألقى سلاسلها الفهود
وصنعت أجمادي ولم
دينا تضيق بها الحدود
ييدي ولا فضل على
احفل بما صنع الحدود
لست المدين لهم وكم
هم وإن زعم الحسود
أزرى بهم ديني العيد(٢)

(١) أطراف من الماضي ٨٤

(٢) المرجع السابق ٧٨ .

الرمز :

الذين يتحدثون عن الرمز يشيرون إلى وجوده في معالم الحياة ، ومنها اللغة ، فالألبيسة ترمز إلى المجتمع ، وترمز إلى القيم ، والإشارة رمز بجميع أساليبها من العلامات والأعلام الخفاقة ، وإشارات المرور ، واللغة بفروعها رمز على المضامين ، وبالذلالة . وقد كتبوا عن ذلك كثيرا .

ودلالة الرمز في الشعر العربي كثيرة ، وسمي بمسميات مختلفة منها الإشارة ، والإبهام والإيهام ، والتعنة ، والكناية ، والتورية ، والرمز . ويغلب أن يعتمد على المشابهة ، وله وظائف متعددة ، منها البحث عن الجمال الفني والقدرة التصويرية ، ومنها الخشية من المجتمع ، أو الحياء الذي يحجبه عن الإفصاح ، أو التنزه عن المسميات العضوية الجنسية ، وصور أخرى ، والرمز في العصر الحديث : قام على تكوين الحدث بواسطة الاستدعاء للأسطورة في الغرب ثم أخذه العرب فوظفوا الأسطورة ، لكنهم استدعوا الآيات القرآنية ، وحديث الرسول ﷺ ، والبطولات الإسلامية ، والتراث العربي والإسلامي .

وقام الرمز الحديث الأوربي على نقل ما يعتلج في النفس البشرية إلى الخارج فهي البوح عن الخفايا النفسية المتحركة المتغيرة قبل وضوحها ولاسيما ذات الغرابة ، أو شديدة المخالفة ، أو حالة المراهقة النفسية للشباب ، لتشير الصور المتماثلة عند الغير ف ((اللغة رموز للعالم الخارجي ، والنفسي ، وأن وظيفتها إثارة الصور المتماثلة عند الغير أو إعانتهم على تكوين مثل تلك الصور بما يسمى عملية النقل من نفس إلى نفس)) (١) .

والرمز لا يريدون منه أن يعتمد على المشابهة كما أسلفت سابقاً إنما يتغنون التعبير عن العالم الشعوري الداخلي الذي يتلفع بالغموض ، فالغموض هذا غاية

(١) محمد مندور : الأدب ومذاهبه ١١٠

من غايتهم ليصلوا إلى الحقيقة المجردة التي لم تكتشف بعد .
واللون الأخير من الرمز قام على اكتاف شباب مراهقين في فرنسا ، فتأثر
المذهب بهذه السن ، فهم تمردوا على مجتمعهم أخلاقياً ، وفكرياً ، وباحوا بهذا
التمرد ، ولم تكن عندهم قاعدة فنية جمالية راسخة ، فتمردوا على الشكل أيضاً .
وليس أمامهم غاية وهدف يتوجهون إليه ، ومن هنا كان الغموض مذهباً من
مذاهبهم ، فهم يريدون التمرد على كل شيء في الحياة السلوكية ، والفكرية ،
والمجتمع والدين لكن لا يبدل . بل يريدون أن الأنطلاق من الشعور وحسب ،
وهذا مخالف للتراكيب في الإنسان الذي خلقه الله ، والذي يقوم على الجسم ،
والروح ، والعقل هو ضابط الحياة الإنسانية وكاشفها . فإذا ابتعد العقل تماماً فإن
الحياة تكون هباءً مشوراً ، حيوانية لا قيمة لها بلا إنسان ، فالشعور الداخلي
وظيفة تمد العقل ولا تغني عنه بل تكون ناتجة عنه أحياناً .

والرمز الشعوري هذا له أنصاره في الشعر السعودي ، ولكن غايته اختلفت
تماماً عما كان عليه الحال في فرنسا ، فإن أصحاب هذا الاتجاه لم يعلنوا التمرد
على العقل والخالق ، والحياة والمجتمع ، وإنما مضمونهم يشير إلى واقع عربي سائد
، فرأوا البلاد العربية ترسف في التأخر ، وهيمنة الغرب ، والسير في عادات
وتقاليد لا تمت إلى ثوابت الدين ، هذا ما أظنه والله يعلم بواطن الأمور وهو
حسيهم ؛ لكنني أتأمل الخير إن شاء الله وأظنهم كذلك .

وهذا اللون وجد عند محمد الرميح وأبي أحمد ، وهؤلاء ومن اقتضى أثرهم
واعتنوا بالقدرات الفنية ووضوح التراكيب مع رمزية الدلالة . فإننا لا نستبعد
توظيفهم الشعر للرمز الاجتماعي لأن ذلك خاضع للقارئ وما تثيره القراءة لديه ،
لكن هؤلاء الشعراء غالباً ما يهدفون إلى التكوين الأعم في الفكر الإداري
والاجتماعي والديني^(١) . والشعر السعودي استوعب هذه الألوان جميعاً .

(١) انظر : في الشعر المعاصر للحامد وحركات التجديد في الشعر السعودي ، للصنيع ، الرمز في-

• ذكرنا تلون الشعر بتلون الطبقات ، وكيف أن الشعر صور تلك الطبقات الاجتماعية وهو تصوير في مجمله يلمح تلميحاً ، ويحاول رأب الصدع ، وذلك أما أن يكون رغبة في الإصلاح ، أو يكون ذلك رهبة لكن بعض الشعراء أوهم قليل من الشعراء استخدموا الرمز ووظفوه توظيفاً لتمييز الطبقات أو قل الاقليات ، وكان شعرهم في مغالبة لأنها لا تخلو نفسية الشاعر من جيشان يراه كبيراً وغيره يراه صغيراً أو هو تأثر بموقف فرد في زمن مخصوص والحادثة مخصوصة وربما انقشع الهم عن الشاعر ، ونحن أيضاً لا ننكر أن الشعر الرمزي مبهم ولا نستطيع الجزم بتأويل . فكثير من الشعراء جعل البلاد العربية والإسلامية موطناً له ، وطغيان الأمم ، وهو طغيان على موطنه ، فيختلط الرمز عن الأمة العربية بالوطن الخاص .

والرمز أسلوب فيه تلميح ومدارة ، والشاعر لم يستطع الإفصاح ، ومن هنا فالتناقد يخشى ما يخشاه المبدع . والتناقد يسقط همه على الشعر ، فيحمل الشعر والشاعر مالا يحتمله . ومن هنا فإن تأويل الرمز أمر لا أخوض فيه كثيراً . غير أنني اعترف أنه يتكاثر عند بعض الشعراء ، ومنهم محمد حسن الفقي فإن له شعراً يلوب في هذا المضمار ، ولاسيما بما يوحى بصراع الإقليميات (١) .

والشعر الاجتماعي يحمل رموزاً تاريخية كثيرة نتيجة لامتداد العمر الزمني لهذا المجتمع ، من العصور الجاهلية الأولى ، فإن المجتمع والأرض تصنع تقاليد تتطور إلى رموز ، وما زلنا نجتز أحياناً رمزية للقيم من العهد الجاهلي إلى اليوم ، فهناك رموز للكرم ، وللبروة ، وللحب ، وللعناية بالمجتمع . وللفروسية ، وللصراع في الصراع كما يمثل شعر الصعاليك . وغير ما يمثل الهاجس التاريخي واستدعائه تلك الأمثال والحكم ، ما جرى مجرى الأمثال والحكم من الشعر .

- الشعر السعودي للعطوي .

(١) انظر : الديوان ١/ ٧٨، ٣١٣، ٤٤٥.

والشعر في بلادنا كثير الاستدعاء لتلك الظواهر العالقة في الذاكرة الاجتماعية، حتى الشعر العامي لما نحلله ندرك الشبه الكبير بينه والشعر الجاهلي الذي يحمل تلك القيم كالكرم، والشجاعة والمروءة، إلى جانب التلاحم القبلي. والتداعي إليه وهي ليست في العامي وحسب لكنه الأكثر، فهي تبرز في الشعر الفصيح. وهذه ضرورة صحيحة لأن الرمز للماضي جزء من هوية المجتمع، والإسلام شذب كثيراً من القيم والمبادئ العربية الأولى، وجعل الاتباع فيها مقيداً بعدم معارضة الإسلام في جلها لا كلها.

والشاعر يرمز بالفجر إلى النهضة الاجتماعية الحديثة، وإلى إيجاد العوامل المساعدة إلى الإنطلاقة الاجتماعية الرائدة التي تدعو إلى العمل والإنجاز، وإصلاح حال الفرد والمجتمع، فمادام أن الفجر طلع فإن الظلام قد ولى وما دام أن الضياء أشرق فإن حياة الطيور قد بدأت تدب في الحقول، تتغذى وتغرد وتمرح، فهي حياة متكاملة، وتلك الصورة الكاملة للفجر وطيوره وميدان الغذاء والأشجار والزهور فإنها ترمز إلى إنطلاقة المجتمع في بعد هذا التكوين الاجتماعي الجديد الذي أخذ في العمل والنهوض.

طلع الفجر، فاهضي يا عاصف	ر وغني الروض لحن البكور
وأفريقي، من الكرى يا أزهبي	ر، وحيي جماله بالعبر
هاهو الأفق قد تلبج بالأضـ	واء تغزو جحافل الديجور
والصبا رفرفت على الغصن فاند	آد، وأفضى بشوقه للغدير
موكب ترقص الحياة على أنفـ	مامه. مستهلة بالسرور
يمثل العين بالمرائي ويذكي	نشوة الحسن في حنايا الصدر

ويكشف عن هذا الرمز كونه أخذ يخاطب الحياة بأنها أصبحت وأشرقت، وأن تستمد من هذا الفجر الذي هو بناء الدولة والمجتمع نستمد منها ما يدعم الفكر، ويحيي الضمير.

فإذا الشعر نشوة من أغانيه
أطربت كل ساجع في مجالبه
أصبحي يا حياة فالصبح خير
واستمدي من راحتيه الأمانى
وه تبنى بها خفي الشعور
له من دجوة الظلام القنير
في هدى الفكر وانطلاق الضمير
مى على مولد النهار البصير (١)

ويوظف الشاعر عبدالوهاب آشي الرمز ، فيجعل الفتاة (سلمى) رمزاً للوطن فالشاعر يعشق تلك الحوراء التي استهام بها في قصيدة بعنوان ((الحق أجدر بالنصر))، فيبين أولاً تأثيرها فيها فيرمز لها بتأثير الفتاة التي تملك قلب عاشقها، وتستحوذ عليه ، فهو هائم بها ، يتافع عنها :

خطرت تاطرا (٢) غادة حوراء مرهفة القوام (٣)
ما كان إلا نظرة منه ومنها فاستهام
لو كان يعلم عاشق أن الهوى في نظرة
لمشى يفض الطرف لا يرنو إلى رعبوسة (٤)
تصبي القسي بدلهـا (٥)
ويـل الفتـى من دلهـا
ويقول: (سلمى) وما سلمى سوى ملك علا عرش الجلال
ما جيشه غير القلوب يقودها وحي الجمال
دانيتها فرأيت ما يعي يسراع الواصفين

ثم يعلن أن سلمى هي وطنه الغالي ، مقر الوحي التي جمد بنوها عن نصرتها،

(١) حسين عرب : المجموعة الكاملة ١٣٠/٢ .

(٢) تمائلت .

(٣) نخيفة القد .

(٤) الرعبوسة : الفتاة الناعمة .

(٥) الدل : الدلال .

والعمل لرفعتها ، فكيف لا ينهضون بها وهي الخالدة في نفوس المسلمين :

(سلمى) لي الوطن العزيز فلست أنكر فضلها

(سلمى) مقر الوحي ما بلد يطاول نبلها

ودفعت بنيتها للتقدم فاجتروا غير الجمود

وأبوا سوى الموت الأصم ونومهم طي اللحد

فتأوهت وتفجرت

واشقواته تفجرت

(سلمى) أقر بمجدها أبناء مختلف العصور (١)

والشاعر يرمز بالأمطار إلى الحياة المعاصرة التي أدر كها ، فرأى تدفق الخير
لل فرد والمجتمع بعد أن فاضت الأرض بعباء النفط (الذهب الأسود) ، فارتفع
دخل الفرد ونما فالشاعر يرمز لتلك الموارد بالأمطار التي تسقي الرياض ، وتنبت
الأزهار ، ويعم خيرها ، فالتناس يستبشرون ببروقها ، فالشاعر يجعل عنوان
قصيدته (أمطار) يقول فيها :

توالت علينا بين عصف وكوكب	أما طير فيها ماربا وتريربا
كأن بروق الفيث فيها عشية	مباصم فيها يصبح الجون أشها
تليح بأسنان عليها ضواحك	بمثل الشفاه الحمر فينا لتخلبا
وزجمر رعد في جوانب مزنه	أهلت عليها المعصرات لتسكبا

لكن هذا الشاعر في مرحلة الأمطار قد تقدمت سنه ، واتزوى فهو يرمز إلى
ضعفه هذا بكونه كالطفل الوديع أو الهرم الكبير في غرفة يطل منها إلى هذا المنظر
الجميل للأمطار والبروق ، ثم يرى الخضرة الحسنه ، ويشم رائحة أزهارها غير أنه
لا يستطيع أن يجني منها ، فهي حوله ولا ينال منها .

وكنت وديعاً بين أرجاء غرفة	أطالع .. أو أملئ الشعاع المذهب
ولي مهجتي دمع تحبس وأنسى	ولكنه يعري الخيال المحجبا

(١) عبدالمقصود ، وبلخير : وهي الصحراء ٢٢٩ .

إذا اعتدلت عوج البروق فإنه لمعجزة في حيثما قد تأهبا
 وإن نفع الريحان واهتاج ضوعه فما ضوع الريحان إلا ليوهبا
 لكن يبدو أن الشاعر طال انتظاره ، فلم يتنبه إليه المجتمع ، وظل قابلاً منزوياً ،
 وفات الربيع ولم يقطف ثماره وتواصل جديده ، وكأن ما رآه رؤيا
 وحلم نائم .

وقد كان بعد الجذب شيء نرومه فلما إذا فات المرام فاخصبا
 هماليج من رؤيا ترى .. أو كانا كما لو بروض في نجاء فأجدبا(١)
 وهذه تمثل حياة الشاعر ، فهو قد تواري ردحاً من الزمن ، واحتجب عن
 الناس في مرحلة تدفق الخير ، وكل الأدباء الذين يعرفون الشاعر حسين سرحان
 يدركون ذلك ، ويستغربونه من هذا الشاعر الذي لو تواصل مع الصحافة أو
 كتب لهم لكان في ذلك مردود يؤدي إلى كفافه .

والشاعر عبدالله جبر يوظف الرمز توظيفاً فنياً جميلاً له دلالة الكثيفة فهو
 يمتنى شباباً مكتملاً بهاء وجمالاً ، وقوة وعملاً لمجتمعنا المعاصر ، يتغني شباباً
 منتحلاً لا مستهلكاً واعياً لا لاهياً متيقظاً ، لا أن يزهر بالثياب ، ويفوح بالطور ،
 ويتفنن في قص الشعر وحسبه وأراد أن يعالج هذه القضية فوظف بيتين للمتنبي ،
 حين رأى لمة جميلة على شاب ، فتمنى أن تصحبها شجاعة في ميدان الحروب .
 قيل للمتنبي ما أحسن هذه الوفرة فقال :

لا تحسن الوفرة .. حتى ترى منشورة الضفرين .. عند القتال
 على فتى معقل صعده يعلها في كل والي ... السبال(٢)
 إذن فغاية الشاعر أن يكون الفتى قوياً جميلاً ، وكذلك هي أمنية الشاعر جبر
 لشباب وطنه ، لكنه يرمز بذلك إلى كثرة أصحاب المظاهر من الشباب بلا عمل

(١) حسين سرحان : الصوت والصدى ٣٠ .

(٢) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس .

يفيد الأمة والمجتمع ، فهذا عمل غريب الخلال ، لا يصدر إلا عن
خيال وغباء .

أيما متبي طلبت الخيال
وجزت بفكرك حله الخيال
بعصرك أنت غريب الخلال
فكيف تكون بعصر الخيال
أيما متبي طلبت الخيال

والقصيدة كلها ترمز إلى ضياع شباب المجتمع الذي لم يعمل بتوجيه دينه ،
ولم يفد مجتمعه ، فلم يدافع عن أمته مع أن الأعداء يمدقون بالمجتمع الإسلامي
 ويفتكون بنسائه وأطفاله ، ومع ذلك فإن الضفائر أصبحت علامات بل رمز
للإفحال الخلقى ، والطيش ، والتواكل والبعد عن الإنجاز والإنتاج :

وإن الضفائر رهـن الخلال
يعشـم فيها الخنا والخيال
أتطلب منهم عظيم الفعال (١)

إذن فإن قراءة القصيدة توحى بما يرمز إليه الشاعر من تقلت أبناء المجتمع ،
واتكاليتهم ، وعدم انجازهم ، ومن ثم تيه المجتمع وضعفه .

ومن الرمز المباشر أن يتذكر الشاعر الفيل وهو يريد الأديب المتعالي الذي لا
إبداع له ، فهو يرمز له بالفيل الضخم وفي ذلك تهكم وسخرية ، بل جعل الفيل
رسماً أو بالوناً منفوخاً :

قد كان فيلاً من ورق ملاً النواظر بالفرق (٢)
ما أن بدأ متايها إلا استبد بنا القلق
فكانه بالوننة بالفغاز كسادت تحتق

(١) الثرى والثريا ٨١

(٢) الخوف .

كنا نظن بجوفه شحمأ ولحمأ يندفق
ثم بعد هذا التيه والتعالى يتبين أن هذا الفيل لا يستطيع الوقوف أمام الجمهور
فلا فصاحة ، ولا مضمون لكنه يتهادى .

فهنا لسان أخرس وهناك قلب قد خفق
أمسكت أنفاسى أسى والفيل طاح وقد شرق
ولى وخار عن الصعود من الضراعة والرهبى
وهوى هوى البائس على الأزقة والطرق
قد أخلف الفيل الظنون فمن بفيل قد يشق (٢)

لكن كونه يهوى فى الأزقة فيه رمز آخر هو ذلة الأديب وتطفله وهوانه
على الناس .

• والشاعر حسين سرحان يرمز إلى الحياة (سلمى) تلك الفتاة التى وردت
فى شعر العرب القديم ، فهذه سلمى التى ينتفها ليس من أهلها ولا من دارها ،
فكأنه يقول : إنه ليس فى هذه الدنيا الحاضرة ولا من أهلها . وهو يلوك الأعدار
دون بلوغ ذنياه أو (سلماه) فىرى أن المخاطر هى التى حالت دون البلوغ ،
والشاعر وضع لقصيدته عنواناً هو ((من الشعر الرمزي)) فكان ذلك دلالة على
ما استبطنه أو هو دلنا على ذلك يقول :

لا أنت من سلمى ولا من دارها شطت عليك بوصلها ومزارها
ويحول بينك لو سميت وبينها معاك ما ارتجته من أخطارها
ومعاقل جبارة وصوارم بتارة تمتع دون ستارها
أفهامم فى جهها ومطالب بوصلها ومكابذ من نارها
فاقدم كما الطلق الشعاع إلى المدى ودع العصا تشتد فى تسيارها
وخض الممامع والمظامى دائباً داب الطيور غدت إلى أوكارها
لهناك يرتقب النجاح وينجلي ما يطمس الطاغون من آثارها

(٢) الثرى والثريا ١٨ .

وتعيش قيد لحاظها ووصالها وتبينت بين ردائها وإزارها^(١)
فالشاعر يعظ بالإقدام وعدم الإحجام ، فالحياة صراع ، وخوض معارك
فالنجاح لا يكون إلا بالعمل لكن الشاعر يفصح ويدرك الحقيقة والواقع ، لكنه لم
يعمل بهذا فهو قد توارى عن المجتمع وقبع في دارها مع طول عمره ، واستبعد أن
يرمز للهروب الصوفي .

والقصيدة تمثل ما أشرت إليه آنفاً من كون الشعر يحمل رموزاً اجتماعية ،
فلفظة سلمى تكررت في الرمز عن الوطن ، وهي اسم تراثي قديم ، وتباعد الديار
يمثل حياة العرب القديمة ، وكذلك الصوارم البتارة ، وهيام الحب والعصا
وتسايرها ، والمظامي ، والطيور وأوكارها ، كل هذه الألفاظ وما توحي من
صور مستدعاة من التراث القديم .

ومن الشعر الحر قصيدة (العيد) لعزیز ضياء التي أورد فيها رموز كثيراً
لكنها لا تقوم على المشابهة والمحاكاة إلا من بعد لكنها ترمز لوقائع ، فغياب
الشمس رمز لغياب حياة سعيدة أو هو رمز لغياب زوج عن زوجته ، كما نفهم
ذلك من سيرة الشاعر الذي غاب أبوه إلى الأبد فذهب للحرب ولم يعد ،
وكذلك رمز بالهلال لأمر منها السعادة بعد الشقاء ، والوضوح بعد الغموض ،
وجعله رمز للمعشوقة وهو في ذاته رمز لقدم العيد ، وهو رمز للبهجة .

رات الأرض الهلال فقالت :

يالسعداتي بقدمك ، فأنت مؤنسي حين يستبد بي الليل ، وأنت .

نجي حين ياسرني الظلام .

ورأى العاشق الهلال فقال :

ياهنائي بقدمك ، فأنت عزائي حين تهجرني الحبية ، وأنت ملاذي

حين يجفوني الكرى .

(١) الصور والصدى ٢٩ .

ورأى الناس الهلال فلم يقولوا شيئاً وإنما ملأوا الدنيا ضحكا
وأطلقوا المدافع ابتهاجاً .
وسأل طفل أباه الغني قائلاً :
نم تطلق المدافع يا أبت ؟
فقال : لأن العيد قد أتى ؟
فوثب الطفل صائحا .

وهو يرمز بالمدافع إلى حادثة قديمة ، فقد سافر والده للحرب العالمية ، ولم
يعد فجعل مدافع العيد رمز لمدافع الحرب بدليل تأثر أمه لصوت المدافع .
وسأل طفل يتيم أمه قائلاً :
لم تطلق المدافع يا أماه ؟
فسكتت وجالت في مآقيها الدموع ! .
وتأوهت . فالتهمت في صدرها النيران .
وأغمضت عينيها فرأت الماضي بأفراحه ومسراته :
رأت أفرحاً وأعياداً مرت سعيدة كالأحلام الجميلة^(١) .

(١) عبدالمقصود ، وبلخير : وحي الصحراء ٣١٧ .

اللغة :

واللغة تعم جميع أفراد المجتمع ، فهي وسيلة اتصالهم والتفاهم بينهم ، وهي التي تنقل الفكرة والفكر عامة لسائر أعضاء المجتمع ، فلا مجتمع بلا لغة ، وكلما تطور المجتمع تطورت لغته ، واللغة أيضاً من علامات قوة المجتمع ، وتمده أيضاً بالقوة . واللغة تمنحها الجماعة للفرد من صفه بما تحمله من دلالات ، فهي ضمن المكونات الذهنية له ، وضرورتها مثل ضرورة المشي أو أشد ، وكلاهما محاكاة محمودة ، واللغة وسيلة التعليم الاجتماعي الضروري الأول أو لنقل المعرفة بالمجتمع ومسارب الحياة ، فضلاً عن العلوم والمعارف الأخرى .

واللغة تحمل قاعدة المجتمع الذي يرثها ويحافظ عليها ، وتكون قاعدة تراثه ، وعلمه ومعرفته ، وهي لا تدعو إلى الثبات في كل شيء بل تزداد اللغة بالمحصلات الجديدة ، واللغة أوضح دلالة في مجتمعا ، فنحن في هذه البلاد نرث تراث العرب قبل الإسلام ، وما زالت أنماطه الاجتماعية التي نرصدتها في اللغة ما زالت متوارثة إلى يومنا هذا ، مثل الكرم ، والشجاعة ، والحياء ، والخرافات ، وكثير من العادات ، وفوق ذلك حملت اللغة لهذا المجتمع عقيدته ، وموروثه الإسلامي المنفرد في تكوين ذهنية الفرد حتى وإن لم يتلزم دينياً ، فإن لغته وحركته تنبع من هذا الموروث ، فاللغة تحمل تكويناً اجتماعياً تماماً كما يحمل الغذاء اشتراكاً اجتماعياً في تكوينه ، فهناك المزارع ، والبائع ، والخباز ، والطباخ ، فالفرد الواحد يصعب عليه أن يقوم بكل هذه ، فكيف بإعداد مكونات الملابس ونسجها ، وخياطتها ، إلى غير ذلك من الضروريات ، فكيف بالكماليات لكن هذه وغيرها يستعملها بعد أن تدار بفكر وإبداع الآخرين ، فهي تحمل مدلولات الأفراد والجماعات التي تصدر منها ، وكذلك اللفظة وبعض التراكيب تحمل دلالات اجتماعية .

ومن هنا يرى بعض العلماء ((أن اللغة مظهر اجتماعي ، وليست سوى إنتاج الاتصال بالغير))^(١)، ويرون ((أن اللغة ليست ملكية فردية ، وإنما هي ملكية اجتماعية))^(٢) .

فالتعاون وتبادل المصالح والآراء ، وجميع ألوان التفاعل بين البشر ، فإنها من مكونات اللغة ، ومطورات الدلالة لذا فإن ((اللغة تحمل جميع صفات الظاهرة الاجتماعية ، إنها ملزمة لجميع أفراد المجتمع ، وهي ذات وجود خارجي مستقل عنهم ، إنها تنتقل تقليدياً تظهر وتختفي ، تتنوع ، وتغنى ، وتضعف مع التنظيم الاجتماعي))^(٣) .

وتتراءى وظيفة الأديب الاجتماعي ، من اللغة الشاعرة المنبثقة من الأحاسيس الذاتية للشاعر ، فهي وإن انصهرت في مشاعره الداخلية غير أنها ذات علائق وشيجة بالمجتمع من حوله أما تصور هدفاً من أهدافهم ، أو مسلماً من مسالكهم ، أو هو هو صور حالته وتأثره بهذا الحدث وتلك الحالة يشاركه فيها غيره لكنه استطاع التعبير عنها بموهبته الشعرية .

خلاصة القول : ((إن الأبعاد المختلفة لعلاقة الأديب بالمجتمع لا تبدو في إطارها المتكامل إلا إذا نظرنا إلى الأدب باعتباره يرتبط أوثق الارتباط بأنظمة اجتماعية محددة ، فالأدب نظام اجتماعي يمثل الحياة الاجتماعية التي هي ذاتها حقيقة اجتماعية ، ولذلك فإن الموضوعات التي يثرها الأديب تعد موضوعات ومسائل اجتماعية مثل التقاليد والأعراف والمعايير والرموز والأساطير ، وعلى هذا يمكن النظر للمواقع الأدبية على أنها وقائع اجتماعية))^(٤) .

(١) د . سعدي صناري : مدخل إلى علم اجتماع الأدب ٢٢٦ .

(٢) المرجع السابق ٢٢٦ .

(٣) المرجع السابق ٢٢٧ .

(٤) د . كسير والورقي : في علم اجتماع الأدب ٢٨ .

والشعر في بلادنا امتزج بوقائع المجتمع ، فظهر أثر ذلك في اللغة . فاستخدم الشعراء الألفاظ الفصيحة ، وانتقوا الشائع الذائع منها ، الذي يدور على السنة عامة المجتمع ويدركون مضامينها . من هنا فإن جل الشعر الاجتماعي شعبي اللغة فصيحتها ، حتى عند أولئك الشعراء المحترفين الذي نظموا قصائدهم المطولات ، فإنهم لم يلجأوا إلى الغرابة ، وربما يعود ذلك لأنهم يخاطبون جمهوراً عريضاً من الشعب ، ولأن الموضوع مضمون شعبي أيضاً .

بل إن بعض المقطعات الشعرية انحصرت في الألفاظ السوقية المتبدلة وإن كانت فصيحة . والابتدال الذي أعنيه من شيوعتها وذيوعتها على السنة الأطفال والشباب والرجال والنساء ، وقد نأوا عن ابتدال اللفظة لمضمونها أو التركيب لصورته ، بخلاف الشعر الشعبي في العصور العباسية المتأخرة ، وعهد الحروب الصليبية والمماليك فإن شعراء هذه العصور أوردوا ألفاظاً وصوراً يندي لها الجبين، ويجب أن ينزه الفن عنها(١) .

و نحن نسجل لشعرائنا نزاهة ألفاظهم وصورهم ومضامينهم ، ومع كل حرصهم على الفصاحة ، إلا أنهم أوردوا في أشعارهم بعض الدخيل والعامي . فقد دخلت ألفاظ كثيرة على اللغة عن طريق الشعر الاجتماعي لكثرة الصناعات والمخترعات التي درجت على ألسنة الناس ، ولم يُعرب ، أو لم يجار المصطلحات العربية سرعة تداول المصطلح الأجنبي الذي يأتي مكتوباً على الآلة ، ويروج له الإعلام بدعايته باسمه المشهور في مصانعه الأصلية . ومن ذلك الكهرباء ، يقول محمد العقيلي :

غسلت بضوء (الكهرباء) ظلامها وتدنّرت غلب الجنان كساء
ومنه (بزومين) شركة النفط :
ما بزومين ولا مصانع قد جرى فيها الحديد صنائعاً عذراء

(١) انظر : فوات الوفيات : للكفي ١/١٤٧، ٢١٣ .

ومؤسسات الجور إلا بعضها وكفى بها فرحاً لمن قد شاء (١)
ومنه (التلفاز) و(الشاشة) في قول السنوسي :

على آلة التلفاز (للفن) ألوان بها ابتسمت أبها وأشرق جازان
على شاشة التلفاز ينطلق النهى مدى الأفق فيه من سنا العلم سلطان (٢)

والهليل حاول كثيراً أن يعبر بالفصيح عن آلات الطب ، لكن بعضها لم يجد
له مسمى في الفصيح ، كالكهرباء ، والدكاتر يقول :

إلى الله أشكو مستجيراً وراجياً شفاء من الداء الميرير المعسوق
شديد التهاب في (المسالك) سالك بلذع تلظى بالتوقد محرق
أسير سرير بين (بي) و (قرية) كدلو يدلى نحو بئر معلق
أكابد إعياء وأمشي تعثراً وأجلس أو أمتد تحت الزرق
نهاري أنين وانجاس وزفرة ولىلى عويل في السهاد المورق
أناجي إلهي مستعيذاً بلطفه ورأفته من كل بلوى ومقلق
إلى الطابق الأرضي أنزلت مضجعاً على ظهر نقال من اللوح ضيق
مصاعد جذب الكهرباء هوابط فما بين هاوٍ في الأنام ومرتقي
إلى القاعة الكبرى مقر جراحة كمجزرة للداء من كل مرهق
وتحت جهاز هائل متحرك غريب رهيب مرعد الصوت مبرق
وهينة طب من أجل (دكاتر) مهارتهم مشهودة بالتفوق
بأعوانهم خفوا إلى تاهباً تعاون حزم صائب الرأي أليق (٣)

ومن الدخيل (مدام) التي وردت في رباعية المشعان :

(شغالة) قد أحضرت بالجهد من (أم الحمام) (٤)

(١) أفانيق الغمام ٢٦،٢٢ .

(٢) نفعات الجنوب ٧٤،٧١ .

(٣) نفع الأزهار ١١٤ .

(٤) أم الحمام : حي من أحياء مدينة الرياض .

(سمراء) من أفريقيًا
هل أنت يا مولاي (أعزب) ؟
فأجبتها - متلفتًا -
قلت : فديتك لا ملام
هل تخاف من الكلام؟
" أفني حياءك يا (مدام)" (١)

ومن ذلك الدخيل استخدم أدوات الزينة والتجميل كالديكور ، والمكياج ،
وقد وظفها الشاعر توظيفاً رمزياً ذا دلالة اجتماعية .

قد كاد يسقط ذلك الديكور
لولا المشينة أو شكت أن تجلي
ويذوب مكياج وتسقط ريشة
وتمد عنك زخارف وبهارج
كادت ركابك أن تحل بحفرة
وتسيل منه مساحق وذرور
تلك الصباغ وأن تبين بشور
لو مست الليل البهيم ينير
أضفى عليك خلاهما التزوير
يلفك فيها منكر ونكير (٢)

والشاعر الغزاوي مع التزامه بالفصح ، ودعوته إلى الشعر الملتزم إلا أنه يأتي
بألفاظ عامة في مقطوعات شعرية ، أو قصائد قصيرة على سبيل التندر أو التفكه
ومن ذلك قصيدته (مع الطارق) ، ومقطوعته (تركز الزير الجرارة) ، وفي
الأخيرة أتى بألفاظ عامة في الحجاز، منها : بارة والزير ، والجرارة ، والبصارة ،
يقول :

أول (الدينسار) بـاره
كلمما فرطت فيها
ومن الأمثال قالوا:
وهم قد عززوه
ذلكم أصل التجار (٣)
عشت نهياً للخسارة
" تركز الزير الجرارة" (٤)
(معظم النصار الشرارة)

(١) ومضات ٨٦ .

(٢) الثرى والثريا : عبد الله محمد جبر ٨٥ .

(٣) بارة : اصطلاح تركي ، وهو جزء من أربعين جزء من القرش ، وهي بالباء المفخمة القرية من
الغناء .

(٤) الجرارة : هي نواة نبق السدر في عامية الحجاز .

فإذا الموسم ولي وقست فيك (البصارة) (١)
ومضى الحجاج حتى لم تجمد إلا السدوارة
بين سوق (الليل) حينما (و جباد) و (القرارة)
لم تروع باحتياج ولججاج وممرارة
أو فما تظفر إلا بالذي يشكو اضطرابه (٢)

ومنه استخدام (الدلال) وهي وعاء القهوة المكونة من البن والهيل ، ولها مكائنها الاجتماعية عند أبناء الجزيرة ، وقد تأنقت المصانع في صناعتها :

يا شهم ، يا شبه الهلال إذا انخى تهباً ومال
مالي أراك مرابطاً عند (الماخز) و (الدلال) ؟
تلمس التمر الكنيز مفضيلاً أم العيال
نهت يمينك حفنة فهبت أخرى بالشمال (٣)

المشعان من الشعراء الذين أدخلوا العامي ليتناسب مع الواقعة الاجتماعية ، ويرصد اللهجات المختلفة ، في إشارة واضحة إلى عاميتها ، ومن ذلك (ماما) ، (قوم) والمريس والمريس :

... وتمصر أذني أصابع (ماما) و (ماما) تقول - من الفيظ - (قوم)
أكلت (المريس) شربت (المريس) ووسخت - ياواد - كل الهدوم
فوالدتي من أهالي الحجاز وأصل أبي من أهالي القصيم

(١) البصارة : هي بقية أيام السنة ، وهي التي تأتي بعد الموسم . وأحسبها من التصر في الدخل والخرج في الاقتصاد .

(٢) الديوان : ١٦٣٠/٢ .

(٣) ومضات ٨٧ .

و (سوسو) ابنة العم من حائل وضرثها من نواحي تميم ..(١)
فالعامي أتى من بنية اللفظة (ماما) ، ومن الأداء اللفظي (قوم) ومن عدم
مراعاة التقاء الساكنين ، فمن الواجب أن يقال (قُم) .

بناء القصيدة :

يشتمل بناء القصيدة من فكرة تشمل الأحاسيس لدى المبدع ، فتلهب في شعوره ، وتنحكم الفكرة في الموضوع والمضامين ، فإذا كان الموضوع وليد فكرة عقائدي أو وطني أو تراث اجتماعي أو سيرة بطل من الأبطال فإن الفكر يحتاج إلى موضوعات ، والموضوعات تحتاج إلى مضامين متعددة ، ومن هنا جاءت المطولات في سيرة الرسول ﷺ كما هو في شعر أحمد محرم ، وجاءت على لسان عدد من الشعراء في بلادنا مثل محمد جدع وغيره ، وكذلك سيرة الخلفاء ، وبعض قادة الدول كأبجد الملك عبدالعزيز وتختلف طولاً وقصراً .

والقصيدة على الشكل الآتي :

الأول هو : ما تجاوزت المائة بيت .

الثاني القصائد الطويلة : وهي من ثمانين إلى مائة بيت .

الثالث : القصائد المتوسطة ، وهي بين الأربعين حتى الثمانين بيتاً .

الرابع : القصائد القصيرة ، وهي ما تجاوزت العشرة أبيات ولم تتجاوز الأربعين بيتاً .

واللون الخامس : المقطعات : واختلفوا فيها اختلافاً بيناً لكن الأرجح عندي

أنها عشرة أبيات فأقل (١) .

(١) ومضات ٩٢ .

(١) انظر : المقطعات الشعرية لمحمد العطوي .

١ - المطولات :

لما نستعرض الشعر الاجتماعي نجد أن المطولات أقل من غيرها ، وهي تنحصر في تلك القصائد التي تسجل المعالم الحضارية ، ومنها تلك القصائد التي تناولت سيرة الملك عبدالعزيز (رحمه الله) ، وتوحيد البلاد ، ونشر الأمن ، والإطالة في فضيلة الأمن ، ونشر التعليم داخلياً ، وتواصل الدولة مع الأمة العربية والإسلامية .

ومنها مطولة خالد الفراج (أحسن القصص)^(١) ، و(مطولة بولس سلامة)^(٢) . وقصيدة الغزاوي (بردي والفرات والنيل شعب) ، فقد بلغت ثلاثة ومائة بيت ، و(وحدة العرب في السياسية نصر) ، وهما حوليتان من حوليات الحج ، ففيهما دعوة للإصلاح والتضامن ، والإعلام بحالة الدولة^(٣) ، ومطولة السنوسي في الملك عبدالعزيز^(٤) . ومن ذلك مطولة (أجماد الرياض) لمحمد الخطراوي ، وهي مقاطع متعددة في حياة الملك عبدالعزيز رحمه الله^(٥) .

ومن أشهر المطولات التي تنسرب في عمق المضمون الاجتماعي مطولات الشاعر الشعبي أحمد قنديل ، ومنها (الراعي ... والمطر) ، التي يقول فيها :

يقال لقريتي ... يوماً وحل الكبر والتيهما
فأنت بدونها غرس بالطين بسلاماء
وفي ماضيك ماضيها به الأعراق أنساب^(٦)

(١) مطولة شعرية في مسيرة الملك عبدالعزيز ، تقع فيما يقارب من مائتي صفحة ، انظر : شعراء نجد لابن ادريس ٦٩ .

(٢) د . عثمان الصالح الصويغ ، حركة التجديد في الشعر السعودي المعاصر ٦٧٥/٢ .

(٣) الديوان : ١٠٣٤، ١١١٤ .

(٤) الأعمال الكاملة ٦٧٢ .

(٥) أجماد الرياض .

(٦) انظر : ص ١٦ .

وتقع في ١٤٦ صفحة ، وكلها في موضوع واحد .
ومن المطولات التي ضمنها ديوان منفرد (قريبي الخضر) للشاعر قنديل ،
يقول في مستهلها :

حننت لقريبي الخضر بنت الشمس والبرد
ترفرف حولها الآصال أجنحة من الصبر
تلعب بينها الأقمسار وسط نجومها الزهر
على عتابها نخطو وفي ساحاتها نجري^(١)

ومن تلك المطولات مطولته (قاطع الطريق) ، يقول في مطلعها :

فرغت كأسه فمد يديه يترجى من الهباء ... الشرابا
ومن الريح نسمة وعيرا ومن الصخر قطرة وانسابا
ومن الخلد .. نفحة وسلاما ومن الله رحمة ومتابا^(٢)

والمطولات يغلب أن تكون شاملة لمناحي الحياة ، وعلاقة الدولة الخارجية والإسلامية ، والأعمال الداخلية ، وقيادة النهضة الفكرية والعمرانية والزراعية . ويكثر فيها المقارنة بين الحياة قديماً وحديثاً في الجزيرة ، والإشارة إلى أمجاد البلاد الإسلامية أيام الفتوح الأولى ، والفخر بوجود الحرمين الشريفين في بلادنا ، والاستعراض للإنجازات المحققة المعاصرة . وأما مطولات أحمد قنديل فتدور حول الحياة في الجزيرة العربية .

يقوم بناؤها على وجود فواصل ومقاطع ، كل مقطع يتحدث عن جزئية . والمطولات انطباع واقعي عن أحداث حرت ومشاهد قائمة ، تصور واقعاً ، ذلك عمدة ، لكنها لا تلجأ إلى الخيال والنقد ، أو تمنى الأمنيات كما هو شأن الشعر القصصي .

(١) انظر : ص ٥ .

(٢) انظر : ص ٣ .

٢ - القصائد الطويلة :

ومن القصائد الطويلة قصيدة ((رسائل إليها)) للنعمي فقد تجاوزت لثمانين بيتاً ، وهي قصيدة وجدانية تمثل غاية المجتمع في المرأة من العفاف والجمال ، وحسن المعاشرة :

يا حلوة العينين مري كما بالأمس مثل النجمة الحانية
مري كما كنت وكان الهوى يخضل في وجنتيك الزاهية
ومنها :

عيناك - ياهيفا - ما زلتنا أشهى إلى قلبي من العالفة
سأهما يبرق لي حساملا ما بان من أشواقى الذاوية(١)

والقصيدة تفتق معاني الحب ، وتلون في دائرة الإعجاب بالأنصاف الجمالية، التي يشعلها الحب والالتقاء ، والأمانى . وهي تقوم على فكرة رئيسة تنطلق منها المعاني والمضامين بل يظهر فيها الانفصال وكل رسالة تدور حول فكرة منفردة ، وكرر فيها كثيراً من الصور ، ولم يلتزم رويًا موحدًا ، بل كل رسالة لها روي انفردت به .

ومنها قصيدة (تهويمات شاعر) لأحمد باعطب : يحكي فيها رحله الإنسان المسلم الشريف ، وما يعترضه من عقبات اجتماعية أكثرها طارئ .

تأهت الخطوة في درب الخطايا ساقها الشك إلى سوق الدنيا
تخذت من جهلها الحوب مطايا انهكت منها قواها والحنايا
لم لآلم تعد إلا بقايا قبعت تلهث في إحدى الزوايا
كم على دربك ياشك ضحايا أفلست عقلاً وعلماً وسجايا

وفيهما يكشف أن الهوى يهوي بصاحبه ولا سيما في هذا العصر الذي يتفنن عرض الزخارف :

(١) عن الحب ومنى الحلم ٢٣ .

قبل مازلت أسيراً للعواطف أنت بالباطل للحق تـاكف
أنت في دنياك تصبو للزخارف أنت من جهلك للأوهام عاكف
إنما هي للشهم الجـازف أريحى الجهد لا يسي العواطف (١)

ومن القصائد الطويلة التي تحكي حياة الشاعر الفقير الذي صحبه الفقر من طفولته ، واحتضنه منزل مشهد الأركان ، تأوي إليه الحشرات من كل مكان ، والدائنين له يطالبونه ، ويلحون عليه يصف هذا المشهد إبراهيم الدامغ في قصيدة طويلة بعنوان (يانفس ماذا ترتجـين) وهي أقرب إلى بناء الموشحة :

يانفس ويحك أي حظ ترتجـين ؟
وإلى متى هذا التضجر والأنين؟
أغـراك عيش الناعمين المترفين ؟
أم غـرك الأمل المسجم للعـيون؟
يانفس ويحك أي شيء تطليبن ؟

فهو يحاور نفسه كثيرة الأمل التي لا يستقر لها قرار ، فهي تتألم وتمن وطأة الفقر لا سيما حين ترى المترفين الناعمين ، فتلك حالة اجتماعية دائمة الوجود إلا في المجتمعات المثالية النادرة كالمجتمع الإسلامي الأول الحريص على التعامل حينما لم يجد الخليفة عمر بن عبدالعزيز من يقبل الزكاة .

ضـاقت بحملك حانيات الأضلع
وجرت على مظلول رمسك أدمعي
فاستلهمي عطف المهيمـن واضرعي
فلقد سبتك الأرض حـق الموضع
وجفـاك من فيها فما ذا ترتجـين؟

فهو يضيق بحالة البؤس ، ويكثر التنهد والنشيج ، وتسيل الدموع فلا من يجيب من البشر ، ولا من يحنو ويعطف ، وإنما عليه أن يحتسب ويلجأ إلى

(١) الروض الملتهب ١٥١

المهيمن، ويترك الأمال الكاذبة .

ثم يرمز الشاعر لذاته بالطير الذي يقبع في عشه جريحاً منفرداً فقد الأيس
فهو يصدر الآهة تلو الآهة ، ينتظر الموت فدماءه تنزف ، فالشاعر أصيب باليأس:

طير الخميصة قبايع في عشه
آهاته في الليل أطيب عيشه
ودماؤه في الوكر هالة عرشه
وجروحه في القلب صورة نعشه

وبعد اليأس ينتقل إلى مرحلة البكاء ، فهو يبكي ماضيه وحاضره ومستقبله،

فقد هاض الجناح وانكسر :

يبكي ولكن عند قوم يضحكون
يبكي المصير فلا يرى غير المصير
وينوح في أعماق واقعه المريع
هاض الجناح فلا جناح له يطير
يارب هونها على الطير الكسير
وقف الذئاب له بأنياب المنون
طاشت سهام الين عن أصحابها
فمرت نفوس الظهور في محرابها
ياليتها رحمت صفاء شبابها
وتورعت في أخذها وطلابها
لكن قلب الدهر قاس لا يلين

ثم يتساءل عن كيفية الخلاص من الإملاق بل من الحياة كلها فيسهل
الصراع يؤدي إلى العيش الرغيد أم إلى المات ، وهذه شكوى سطحية لاعمق
فيها ، فإن العمل إذا وجد فلا مناص منه والخير فيه إلا عند المتواكل المتكاسل .

ياصاحبي كيف الخلاص من الحياة؟

وبأي لُج نعتلي سفن النجاة؟
وإذا دفعتها وأرست في الفلاة
ماذا؟ أنلقي العيش؟ أم نلقى الممات؟
ياحيرتي الشاكي ويا ياس الحزين^(١)

٣ - المتوسطة الطول :

والشاعر محمد بن أحمد العقيلي له قصائد متوسطة الطول يتحدث فيها عن جازان ، وجبل فيفا ، ومنها قصيدة (عين من الخلد) ، فقد كانت تشكو جازان من قلة الماء حتى انبجست العين التي مدت منها شبكة المياه :

عين من الخلد تسقي بطحاء جرت إلى ربوة في السفح فيحاء
وسلسيل من النهر المقدس أم تبع الفردوس من فيناء غيناء
وقد عرج على وصف الحالة لجازان قبل امتداد هذه المياه :

جازان بجازان أحقاب يؤرقها حر الظماء على لفتح ورمضاء
وعنه ذاكرة الأيام محتدما من وهج هاجرة أو قيظ إصلاء
يشكو الأوام وسيل الماء مندفق عن جنبه وما يحظى بإرواء^(٢)
وأكثر الشاعر على زين العابدين من الحديث عن بُناته في شعره وقد كتب قصيدة في ابنته نجوى حين انتقلت إلى زوجها في قصيدة تجاوزت الأربعين بيتاً ببضعة أبيات :-

نجوى تزف إلى فتى أحلامها أرايت حسن بهائها وقوامها
أرايتها مجلوة محتالمة بالأبيض المسحوب من هندامها
أرايت بسمتها الخجولة تردهي بجياتها كي لا تشي بهيامها^(٣)

(١) شرارة النار ١٤٣ .

(٢) الأنغام المضيقية ١٢٧ .

(٣) تغريد ٢٢ .

وهي قصيدة تصور الفتاة التي تنتقل إلى فارس أحلامها ، فيوصيها ويوصي
عليها ، ومنه قصيدة (اليتيم) لحسن القرشي :-

أي عان مشرد الفكر ساهر لفته الليل مكفهر الستائر
الصبا الغض طي بويده لكن ملء أجوائه اللظى والهواجره
يتظنى الحيساة زورقه الحية ران في لجة الخضم التأثره

وهي قصيدة ذات بناء جيد فهو يقوم على تشخيص الحالة ، ورسم لوحات
تنبض بالإحساس :

روعه الآلام والكون مازا ل غريقاً في نسوه جذاً ماردا
ياله من وليد غرير كبتنه بالذعر أي المقادر
كم بنادي أبي تعال فإني حرت في الناس لا أرى غيركاشراً^(١)
وتكثر القصائد المتوسطة عند الشاعر معيض البختان ومنها قصيدة الخليج ،
فقد جاءت في ثمانية وأربعين بيتاً منها :-

إن الخليج بحرية حمراء من نار الخلسد
حمراء من فك الصحاري وهي جوعى تزدرد
تحيا عليها الباليات وتنطوي فيها العقد
وتسير منها المادرات وقد تحققت القصد
تستزل الأفكار من عليانها عصم الوتد
في ملقى الأصرار من آبانهم ويدا بيد^(٢)

ومنها قصيدته (أبها) في ما يقارب خمسة وأربعين بيتاً ومنها :-

يارواي أبها ومن لي بأبها وانهمار الظلال في الأرياف !؟
وغناء الرعاة والغيم يحكي ترترات البذور تحت السواني

(١) الديوان ١/٢٢٢

(٢) شموخ القرية ٧٠

وتتالي جنادب وفراش كاحتراق الأفواه بعد إتلاف (١)
والشاعر على النعمي يميل إلى القصائد المتوسطة الطول ، لأنه يحكي قصصاً
في جل قصائده ، ومنها قصيدة (الزهرة والشاعر) يحكي فيها حياة الريف ، وقد
تجاوزت الخمسين بيتاً ومنها :

أيتها الزهرة إنني هنا في الريف أحيا الصمت بين الجموع
لا أفكر فيهم مستطاب ولا عرف جمال الرأي منهم يرضوع
ما عاش في أكثافهم نابسه إلا على شوك الغبا والدموع
ما ضر ميلادي مجلس أرضهم فالأصل يحمي بسناء القروع (٢)
فهو يذكر فكرة واضحة هي أن المجتمع المتأخر أو البدوي ، لا يوهل إلى
النبوغ ، وإنما يعيش فيه المفكر والمبدع غريباً بينهم .

٤ - القصائد القصيرة :

وتكثر في دواوين الشعراء السعوديين القصائد القصيرة التي تتحدث عن
الناحية الاجتماعية . فالشاعر يتناول حدثاً مخصوصاً يتحدث عنه ، له مكانه
المحدد، وزمنه الموقت . ومن هنا فإن النفس فيه قصير . وأكثر الشعراء تناولوا
لل قضايا الاجتماعية في قصائد قصيرة ومقطعات شعرية هو الشاعر إبراهيم خليل
علاف . فهو الشاعر الاجتماعي الذي رصد كثيراً من القضايا . وهذه القصائد لا
يتجاوز جلها ثلاثين بيتاً ، وأكثرها ما بين العشرة والعشرين ، وتكثر في دواوين
سائر الشعراء .

والقصائد هذه تجربة شعرية توحى بها حالة خاصة ، ولم تعد للإنشاد في
المخالف ، إنما تنشر في إحدى الصحف ، كقول النقيدان في تعليم المرأة ، فهو يرى

(١) نرى الشوق ١٤٠ .

(٢) عن الحب ومنى الحلم ١١ .

أنها تفاعلت مع الحياة نتيجة التعليم الذي تلقاه ، فهي مارست مهنة الكتابة
ومهنة التعليم والطب ، وساهمت في نهضة البلاد ، وتحملت عبء المسؤولية :
لم تعودى زجاجة من عطور بل يراع شبابه من حديد
قد ولجت العلوم وهي بحار ونظمت القريض حلو النشيد
مرت كالنور أوجه الإيمان منار الكل رأي سديد
إن عزف الحروف حين يدوي ناصع الفكر من تراث تليد
ويد الطب تلمس الجرح رمزا لنضال من أجل عيش سعيد
وإهداء العلوم يخترق الحجب سريرا يشتر كل جديد
تلك ينبوع نهضتك المثلَى حفاظاً على التراث المجيد
أنت للجيل أغنيات الأمانى أنت جيد أطل عالي الصمود
ذاك همس التاريخ يتظر الو ثبة عجلي إلى النضال فعودي
وارسمي فيه إبداع ريشتك الظمأ ي لفن من الكفاح فريد
وابسمي عند كل خطب جسيم أنت نبض الأجيال فوق الوجود^(١)

٥ - المقطعات :

أكثر الشعر الاجتماعي نسج في المقطعات التي لا تتجاوز عشرة أبيات ،
والمقطعات حري بها أن تحوي هذا اللون ؛ لأنه تسجيل لحادثة مخصوصة في زمن
مخصوص محدود المكان . فالشعر الاجتماعي انطباعي فوري ، فالشاعر يتحدث
عن ظاهرة من الظواهر التي تجرد في هذا العصر ، ولم يكن للمجتمع عهد به ،
وأكثرها مخالقات سلوكية أو وظيفية أو حادثة مرورية .

وقد لجأ الشعراء المعاصرون إلى الرباعيات كيما تكون تسجيلاً لحوادث
وظواهر الحياة المعاصرة ، والتزموا بها يوماً لصحيفة من الصحف . ومن أشهر
أولئك أحمد السباعي ، ومحمد سعيد العامودي ، وعبيد مدني ، وعبدالوهاب

(١) ترانيم الرمال ٩٦ .

آسي ، ومحمد مغربي ، ومحمد المشعان ، وغيرهم الكثير .

وقد لجأ إليها إبراهيم فلالي كيما يسطر زفرات الغربة في نفسه ، يقول :

حنين يفلق الحجرا إذا العاني به جهراً
أحس بأظلمي انصهرت ولم المس لها أثراً ...
وقلبي أين ؟ لا أدري لعسل شغافه انفجرا
وما كنت الذي يدي لجرح نازف خبيرا (١)

ومن الذين يكتبون المقطعات هذه الأيام فاروق محمد مجحوم :

لا تدع همك يجري كحصان في الشبق
سر كما تبغي الحياة دون زن أو أرق
تمطبي ظهر التحدي في نهيار أو غسق
إنما الأعمار تمضي في سلام أو غرق
سل شغولاً بالتعدي عن تباريح القلسق (٢)

الصورة الشعرية :

خضعت الصورة الشعرية الفنية في الشعر الاجتماعي لمؤثرات منها القدرة الفنية للشاعر ، ثم الموضوع الذي تحمله تجربة المبدع ، فإن كان شعراً تأملياً ، فإنه يستدعي صوراً فنية ذات دلالة ، وتوحي بقدرة فنية كقول الشاعر :-

هذا الزمان تغشاها بطائفة من الحوادث منها النفس تشتمل
تظل فيها عقول الناس حائرة ولا يراودها يأس ولا أمل
أرى البغاث بأعلى الجو طائره على البراة علت واستوق الجمل (٣)

فصورة الزمان الذي حسد بصورة الجيش المداهم الذي عم بلاؤه فأظلم على

(١) طيور الأبايل ٥٢ .

(٢) من عنوان (رباعيات ، المدينة ، ملحق الأربعاء ، السنة ٦٠ ، في ٢٦/١١/١٤١٥ هـ ص ٢٣ .

(٣) حسين عرب : المجموعة الكاملة ٨٣/٢ .

كل فرد ، وصور الاضطراب الداخلي باشتعال النار ، وشخص العقل بكامل الإنسان ، كما شخص اليأس والأمل ، وأكمل الصور الفنية تخليق البغاث وارتفاعه على طائر الباز المشهور بتحليقه المرتفع ففيه رمز ظاهر يدركه القارئ ، فوظف الصورة التراثية للحدث المعاصر .

أما أغلب شعر المجتمع ، فإنه يدفع بالصورة إلى الواقعة ، فالحياة الاجتماعية تلون الحياة بصورها الذهنية والحسية ، معاً ، وكثير من التجارب الشعرية تسجل حدثاً اجتماعياً ، وتعرضه عرضاً مسرحياً واقعياً ، فالإبداع يستمد صورة من المشاهدات التي تتولد نتيجة تفاعل الشاعر مع الحدث الاجتماعي ، وتلك الصور الاجتماعية أوحى بالصورة الجزئية ، والكلية . فالصورة الجزئية : هي التي تصور أشياء منفردة ، وإن تعددت في المقطوعة الشعرية ، فقد صوروا أحوال البائس الفقير^(١) ، بصور متعددة ، وصوروا الفتيات يحملن حقائبهن ذاببات بالذهاب إلى المدرسة^(٢)، ومثل ذلك الصور المستمدة من الحياة الريفية والبدوية أو حياة الفلاح أو الصناعة .

أما الصورة الكلية : التي تنظر إلى المدينة كاملة ، أو تنظر إلى الجزيرة نظرة شاملة كأنها تصور تصويراً جويّاً كتصوير المدن ، وملامح التطور والنماء الحضاري^(٣) .

كل هذه الصور التي تتكاثر أمام الرأي في بلادنا ، فإنها انفرست في نفسية الشعراء ، وربما كانت أمنيات ، وفي الفترة المتأخرة أصبحت حقيقة مشاهدة . ولما كانت تلك الصورة الحسية المشاهدة ماثلة للعيان ، فإن الشعراء لم يأتوا بمستغرب عن السامعين والقارئ ، ومن هنا فإن الصورة شعبية واقعية ، يتضائل

(١) على صيقل : ترانيم على الشاطئ ٤٨ .

(٢) على الصيقل : رحلة العمر ١٩ .

(٣) السنوسي : الأعمال الكاملة ٥٨٥ .

فيها الخيال ، ولا يلمع إلا يربط الصورة بمشهد قديم أو حديث ، خلافاً للصور التأملية الأولى .

والقارئ للشعر الاجتماعي يستطيع حصر مصادر الصورة في معالم الحياة الواقعية بأشكالها المختلفة ، ومن مشاهد الصورة الحضارية الوافدة التي عمل بها في المجتمع ، ومن واقع البيئة الخاص للجزيرة ، ومن الاستمداد من التراث العربي القديم ، وهيمنة التراث واضحة المعالم في الصورة الشعرية .

فجل الشعراء يقتفون أثر التراث ، فهم يشبهون أضواء الكهرباء بالنجوم اللامعة (١) ، ويصور الحقد البشري بالأفعى (٢) ، وهذه العلاقة التشبيهية يدرکها عامة المثقفين لعودتهم إلى التراث ، والتفافهم بالنهل منه .

فالشاعر حسين عرب يصور واقع الحياة الجديدة بعد توحيد البلاد وانتشار الأمن ، وافتتاح المدارس بأنه دوحة ضخمة حان وقت إثمارها ، فعلى الجميع أن يجنوا من قطفها ، وأولى ذلك طلب العلم ، وحصد المعرفة . فهي تسلم إلى صورة أخرى حيث جسد الحياة بالفتاة الهاشة الباشة المتبسمة . وهو يرى أن معركة الحياة أشبه ما تكون بالصراع الحربي ، ولا غرابة في ذلك ، فإن صراع النفس يحتاج إلى عزيمة صادقة ، ولا سيما أولئك الذين تجاوزوا مرحلة الطفولة ، وفاتهم قطار العلم في الصغر ، وأخذوا يدأبون لطلب العلم والتحصيل ، وهم يكدحون عاملين نهاراً ، ساهرين طالبين العلم ليلاً :

آن أن يثمر الشجر	فاجتوا ، أينع الثمر
وانعموا بالحياة بسـ	أما الثمر ، بالوطر
غالبوا الجهل - فالخيا	ة غلاب لمن صبر
وانشروا العلم ، إنما	ساد بالعلم من ظفر

(١) انظر : أفريق للعقبي ١٧ .

(٢) المرجع السابق ١٧ .

إن في الشعب إخسوة شأنها الجهل وابتسر
فاتهما العلم في الشبا ب ، وفي ميعسة الصفر
فانبرت تكسح الحيا ة ، شقاء وتصطرير
قطعت صيف يومها والتظت فيه ، بالهجر(١)

والشاعر محمد العقيلي يلجأ إلى التصوير الواقعي المبتذل ، فالغسل خاصية إنسانية عامة ، فهو يصور إزاحة ضوء الكهرباء لظلام الليل الدامس بالغسل ، وهذه صورة شعبية :

غسلت بضوء (الكهرباء) ظلامها وتذررت غلب الجنان كساء
وأيضاً فهو يستعير صورة الغطاء لتأسيس المدن في صحراء لا عهد لها بالعمران ، وهي أيضاً تعرب عن الابتذال . الأفضل من صورة الغطاء النبات ، وإن كانت شائعة ، فنبت العمران يشبه نبت الزرع ، وهو لم يوفق في قوله : " تبت كسانحة تأنقا " فالنبت حسي فكيف يخفيه بسانحة الخيال ! وأين التأنق في السnoch ؟!

وعندما نضب خيال التصوير أخذ يصفها بأنها جمعت فن العمران وروعة الإبداع ، وإن صورها بصورة مبتذلة ، بكونها طلاء فهل العمران يشبه الطلاء ؟! وتصويره أن ناطحات السحاب تغلقت في الأفق تصوير مباشر يقترب من الواقع ويعطي جمالاً أكثر من التماسه المقارنة بين الصور ، وكأنه أكثر جودة في علاقة المقارنة بين ناطحات السحب المضاءة والنجوم المتأللة . والجمال لا ينم ، وكونه يصاب بالسينة والنعاس لروعة الغرف والصالات أمر يدعو للعجب . ولتقرأ آياته التي حوت تلك الصور ، وللقارئ رأيه :

مدن على متن الرمال تواجدت في سرعة قد غطت الصحراء
تبت كسانحة الخيال تأنقاً من شاعر هز الوجود غناء

(١) المجموعة الكاملة ٢٢٦ .

جمعت إلى فن العمائر روعة الإبداع والفن الجميل طلاء
من كل ناطحة السحاب تغلفت في الأفق نافست النجوم بهاء
أغشى الجمال على سنى غرفاتها وتوسد الصالات والإبهاء

والشاعر يوفق في الصورة السمعية التي تصم النداء ، ويغلب أن تضاء المصانع
بكشافات ساطعة الأنوار ، وهو يمزج بين الصورة الحسية للأنوار والمعنوية التي
تكشف الجهل والتأخر ، فالمصانع تشير إلى انحسار الضعف والجهل ، وإن كانت
في مواقعها تصدر دخاناً وتلوثاً .

وهو يصور السدود المنتشرة في بلادنا ، وأقربها إليه سد حازان ، وهو من
أوائل السدود في المملكة ، ويكشف عن قوة البناء وهندسة الشكل ، وجماله
ويرسم صورتين كليتين للماء المتماوج في إطار السد ، وتماوج الأرض الخضراء
خارج السد :

وإذا الفيافي الربع رجع مصانع وهدير آلات تصم نداء
كشفت بساطع نورها ستر الدجى وأحالت الصبح المبين ماء
وترى المصارف والسدود تخافها شم الصروح متانة وبناء
بمجر يمور وراءها وأمامها بمر تموج خضرة وغماء^(١)

والشاعر العقيلي يمنحك صورة كلية للمطار ، ولا يلج بك إلى التجزئة ،
فالمطار واسع زاوٍ رحب الأرجاء ، هفاف القاعات ، التي صورها بالجيوب .
وأظن أن هذه الصورة أجبر عليها الشاعر من أجل القافية . فالجيوب لا تسبح
الأنظار في قاعاتها . ويمرّك صورته في صف بشري يتابع كيما يكمل إجراءات
السفر ، ويدب دبيها ، وهو يتابع إعجابه بمدينة لندن ، ويستمد من الصورة
المتداولة ، كبهاء الفجر ، وطلعة الشمس :

وهبطنا في مطار أفصح رحب الأرجاء هفاف الجيوب

(١) أحمد العقيلي : أفاريق الغمام ٢٢، ٢٣ .

تم ترسو في سناه من قريب
صف سر يتخطى في ديب
دون تفتيش حبيب أو رقيب
لدة الأدهار أو لغز الغيوب
ثمت فينوس على نبق غريب
طلعة الشمس وإشراق الحبيب
وغرام من سمير وهيب
نحوها ، باللهوى ، كان نصيب^(١)

تصبح الأنظار في قاعاته
فانتظنا مثل سلك الدر في
والتهينا في سويغات مضت
وانطلقنا نهيب الأرض إلى
وعلى منضدة لماعة
بمحيا كهواء الفجر أو
لفني منها بأعصار هوى
جذبتني قوة خارقة

وهم يبهرون أمام الصور الجديدة ، فيعودون إلى الموروث أو المشاهد أمامهم فهذا الغزاوي يشبه الضياء اللامعة والكشافات الساطعة في ميادين المساجد ومآذنها بالفجر وبزوغ الشمس ، وامتداد الأنوار . وهذه الصورة مشاهدة لكل البشر . وتارة يشبهها بالدمقس الشديد بياضه ، لكن الأنوار أسطع منه ، ولست أدري عن كيفية الصورة في قوله : " وحواشيه كالخمائل تعكس " .

وتارة يشبه الأنوار تلك بقوس قزح ، وهي أكثر وضوحاً منه ، ويشبهها بالنجوم التي تغار من مصابيح الكهرباء ، وكل هذه الصور قرينة المآخذ لم تبهر في بحر الخيال :

أهو الفجر بالغزالة أعرس
أفق كالدمقس شف أديما
بهرتني برودة فهي وشى

أم هو الصبح في هواها تنفس
وحواشيه كالخمائل تعكس^(٢)
(قزح) منه يستعير ويلبس^(٣)

(١) المرجع السابق ٣٠، ٣١ .

(٢) الدمقس : نوع من النسيج يصنع في دمشق الشام ، ومنها اشتق اسمه .

(٣) قزح : هو القوس الذي يخرج في أفق السماء بعد نزول الأمطار .

ونجوم السماء تنظر غيري
وكان الألوان فيها تراءى
وبأعلى (منارة الحجر) عقد
هي كالغداة اللعوب قواما
زينة الأرض في الشريط الممقطس (١)
شفق شيب بالضحي وتغلس
شع كالماس أو هو الماس يقبس (٢)
في عنان السماء هيهات تلمس
فإضاءة المنارة أكثر لمعانا من الماس ، والمثدنة أطول وأكثر تناسقا من الهيفاء.
والشاعر تتعمى عليه الصورة في ميادين لا معرفة له بها ، كأن يتحدث عن
مصانع السلاح وأنواعها ، فإن الغزاوي دعى لافتتاح مصانع السلاح في مدينة
الخرج عام ١٣٧٣ هـ ، فتحدث عن القوة عامة ، ولم يوضح أنواع السلاح ، بل
سماها مقامع ، وأقرب وصف لها أنها (قاذفات اللهب) :

رقرق (الشعر) سلسلا والروائع
ما ترى الشيب والشباب صفوفا
يتبارون (للحفاظ) انتحاء
في حمى الله والهدى لم يرعهم
كلما أربد بالكفاح قتام
قوة الجيش باليقين ولكن
إن من يطلب البقاء ضعيفا
كل حق وإن تنزل (وحيا)
حي بـ (الخرج) من معاقل نجد
وأشد ما شنت واعتبط به (المصانع)
يتحدون بالظي كسل واقع
ويعدون بالحديد (المقامع)
مستطير إلى الوغى أو مقارع
كان منهم خضمه المتدافع
سنة الله أن تعد (المدافع)
لهو في شرعة العناء قطائع
دون قصف الرعود أهون ضائع
(قاذفات اللهب) حي (الطلائع) (٣)

والشاعر يوسف أبو سعد يكثف الصور لذلك الطالب المثابر في علمه ، فهو
ظامي هائم إلى منهل يرتوي منه ، وهو مدلج ، ويتغني بتجاوز مكانه رغم

(١) الممقطس : إشارة إلى الكهرباء .

(٢) (منارة الحجر) : مثدنة مسجد العالم ابن عباس . (الماس) : حجر كريم شفاف من أنقى
المعادن .

(٣) اللديوان : ١٢٨٦/٢

العقبان، ويصور حالتنا الأولى قبل أن يعم ضياء الكهرباء ، فطالب العلم يدرس على ضياء سراج يتداعى الظلام من حوله ، ويضطرب متماوجاً مع الرياح .
ثم هو يصور حيرة الشاب في مسيرة حياته ، ولم يأت بصور جديدة ، إنما عطف تلك الصورة من الظلام والضيء . فهو لا يدري أتى الصباح أو مازال المساء . وهي صور تجمع بين التراتبية والمشاهدة الواقعية والشعبية العامة ، لكنه يصور العزيمة بمواراة الزند ، وهي واقعية قبل ثلاثين عاماً ، تراثية في عصرنا الحاضر ، لكنها شائعة الاستخدام . وما أجمل تصويره العزم بالمطية ! فلا عمل ناجح بلا امتطاء العزم :

ظامئ يسرع الخطا في كفاحه	مدلجا لفته الدجى بجناحه
تعبث العاصفات - والليل داج	بالذبال الوئيد في مصباحه
والزمان الغشوم أرخى عليه	ما أشاع الظلام في أفق ساحه
فانشى حائر النهى ليس يدري	أهو في ليله ، ترى أم صباحه؟
غير أن الظموح أورى زنادا	يتحدى الشمس في تلماحه
فامتطى العزم صادق القصد سعيا	نحو مرقى غاياته وطماحه

ثم يصور سبيل العلم وطرائقه بأنها كالصعود إلى الجبل ، والصعود أكثر مشقة من السير في السهل الممتد ، وتعترضه الأدواح ذات الشوك ، فهو يصور العناء بالشوك الذي يعترض سبيل العابر ، وهو يصور ثمرة العلم بجني الأزهار والارتواء :

ليس درب الصعود للمجد بالسهل	فشوك العناء في أدواحه
والذي شق دربه للمعالي	بطل حفه النهى بوشاحه
فجني بالكفاح أزهار علم	راح يطفى بها صدى أرواحه
فارتوى من معينها العذب حتى	بات في فجر عمره وانفتاحه

يستشف الرشاد والعقل واع مستغلاً تفكيره في صلاحه^(١)
 والشاعر يوسف أبو سعد يوظف التصوير توظيفاً دائماً في إبداعه ، وإن
 كانت صورة مستمدة من الواقع والتراث ، ومن المشاهدات . والشاعر عاش
 اندفاع أبناء البلاد لطلب المعارف والتزود بالعلم للرقى والتقدم ، وهو يوظف
 الصور ليحفز أبناء المجتمع لمواصلة المسيرة . فهو يعقد مقارنة تصويرية بين صاحب
 العلم والجاهل فيوضح أن العلم نور والجهل ظلام ، وهما صورتان شائعتان
 متداولتان على الألسن ، والكل يدرك أن صاحب العلم محبوب والجاهل منبوذ
 ويقرن العالم بالصبح المنير ، والجاهل بالليل الرهيب ، والعلم له أزهاره والجهل له
 ناب ومغلب، فالأول يعطي والآخر يفتك ، وصاحب الجهل كالأفعى الذي
 يضرب بسمه ، وهو كالمغارة المهجورة :

وبالعلم نوره والجهالة ظلمة	وذو الجهل منبوذ وذاك محببٌ
وستان بين الصبح والليل في السنا	فهذا ينير الكون والليل مرهب
وللعلم أزهار يفوح أريجها	وللجهل والجهال ناب ومغلب
وبالعلم يُهدي المرء أشرف حلة	من المكرمات الغر والجهل يسلب
فذو الجهل في قاع السفاهة أحق	وذو العلم في أوج الكمال مهذب
وذو العلم في روض النزاهة وادع	وذو الجهل في غاب الحقارة ثعلب
وذو الجهل غر في الأمور لجهله	وذو العلم في شتى الأمور مجرب
وذو الجهل دوماً في الخيض	وذو العلم يسمو للعلا ويقرب
إذا ما بدا ذو العلم في أي محفل	أشارات له الأيدي وراحت ترحب
وذو الجهل مفضوب عليه محقر	إذا ما بدا شرفاً على الناس غربوا
وذو الجهل كالأفعى بها السم كامن	وكالمهممة المهجور قاس ومجذب ^(٢)

ومن الصور التراثية الاجتماعية القديمة للعرب ما درج على لسان شعراء

(١) أغاريد من واحة النخيل ٥٧،٥٦ .

(٢) المرجع السابق ٣٣،٣٢ .

أقاموا في مكة المكرمة ومنهم حسين سرحان في قوله :

وصح بالأولى احتلبوا ضرعها وأنفوا على الجهد إغبارها
بأن عليهم عقايلها وسوف يدوقون إمرارها^(١)

فهو يشير إلى الذين يكسبون ويكسبون المال بطرق غير مشروعته ، فهو يصورهم بالاحتلاب الذي يمثل الصورة العربية التراثية الدائمة في الجزيرة العربية ، ومثل ذلك الإمرار ، وهو قتل الحبل وتلك صور اجتماعية تراثية .

الظرف والسخرية :

الفكاهة والظرف من الأساليب المتواصلة مع الشعر الاجتماعي ، فهي تؤدي إلى الضحك وتدعو إلى سريان الأبيات ولقت الناس إلى هذه الظاهرة . وهي تكون نتيجة لمداعبة الإخوان . وهي الفن الصعب لا يروضه إلا صاحب موهبه شعرية ، ولديه قدرة على الدعابة ، وصياغتها ، ولا ريب من ضرورة الثقافة العامة والاجتماعية خاصة .

وقد رأينا ملامح منها عند شعرائنا ، واشتهر في ذلك محمد سعد المشعان ، والشاعر ابن هليل ، الذي قال عنه حمد الجاسر : " الشيخ الظريف " إلى جانب مداعبة إخوانية كثيرة ، ومواقف سخرية " (٢) ، لا سيما في النقد الاجتماعي ، ولبعض الشرائح كالشعراء والصحفيين ، ولحياة الأمة الإسلامية عامة .

ومنهم الشاعر أسامة عبدالرحمن في ديوانه (واستوت على الجودي) ، فقد أورد قصصاً يوحى بالمفارقة بين العربي القديم والمعاصر ، ويوحى بكثير من السخرية . وكذلك تبعه عبدالمحسن حليت الذي وضع المفارقة واضحة في قصيدته

(١) الصوت والصدى ٦٩ .

(٢) حمد الهليل : نفع الأزهار ، المقدمة .

التي عارض بها قصيدة عمرو بن كلثوم التغلبي^(١) .

وقد أوردت بعض النماذج انتقاء عشوائياً ، لا اختيارياً أو ترجيحاً ، بل لا حصر في ذلك .

ومحمد المشعان أشهر الشعراء الذين وظفوا أسلوب الفكاهة والظرف والسخرية في شعرهم . وهو قد غاص كثيراً في قضايا المجتمع ، وله القدرة الفنية التي جعلت من تلك الموضوعات تجربة فيه قرينة المآخذ ، تضيء كالبرق ، لعلها تغيث القلوب ، فهو يعالج قضية الرياء والتملق التي تلوح في سلوك بعض الموظفين والجلساء :

بمظهر الكرام بالرياء	ببسمه كاذبة بلهاء
عاشوا على المين من الأنباء	حاكوا رداء الغدر في الخفاء
وابتسموا عند وقوع الداء	كبسمه الشيطان في السراء
طاروا من الأرض إلى العلياء	فاستقبلتهم لعنة السماء ^(٢)

وهو يسخر من الموظف المتهالك على هيئة الإدارة التنفيذية ، فهو يرى أن

المدير يستأسد على الموظفين والمراجعين ، ويداري المفتش لتكون الجملة :

أنا لن أكون - وإن أردت - مديرا	(أمضي) وأبرمُ للأنام أمورا
مستأسدا في مكتب - متحفزا	أضع (العقال) على الجبين غرورا
أقسو على (الفراش) دون مبرر	وأراه ذنباً أن يكون فقيرا
ويغطني قول (المفتش) - هازئاً -	لم لم (توقع) غدوة وحضوراً؟ ^(٣)

والشاعر محمد المشعان يوظف السخرية في معالجة القضايا الاجتماعية ، فهو

يسخر من أولئك العابثين الذين يرتحلون إلى مواطن اللهو والعبث ، ثم إنهم

(١) ديوانه : إليه .

(٢) ومضات ٩٤ .

(٣) المصدر نفسه ٩٥ .

أعرضوا عن ذلك حين ظهر (الإيدز)^(١)، فهم يتركونه خشية المرض ، لا من أجل القيم :

وقائل قال : سافرنا عن القيم وعن مواعظ بعض القوم و (الحكم) فما صحونا ، وهل أفضت مراشفنا إلا إلى عدم أفضي إلى عدم ولا سعينا إلى (الآرام) تؤنسنا (وقائل قال) - إذ عادت ركائبنا - الفضل لـ(الأديز) ليس الفضل للشيم^(٢)

وهو يستهجن العبث الصحفي الذي يملأ أعمد الصحائف اليومية ، فهو يدعو إلى الاختصار والإيجاز والقول السديد ، حتى لا نكلف أنفسنا قيمة الطباعة وأجر العمالة ، وإهدار الأرزاق :

أرقنا من غشاء القول قولاً جعلنا منه منطلقنا وسجنا وشوّهنا صحائفنا بهذر كأننا في صحائفنا ولجنا ألم تر في اختصار القول جسراً نعم ... لكن أضعنا الوقت لتأ عليه - إذا دعا الداعي - درجنا وعجنا ، ثم لتأ ، ثم عجناً...^(٣)

ومع وفرة الخير فقد كثر الكرماء ، وأسرف الناس في تقديم الموائد وذبح الذبائح ، ثم رميها ولم يؤكل إلا القليل منها ، فحق للمشعان أن يسخر من هذه الظاهرة :

أندعونني وتذبح لي بعيراً؟ (أبيت اللعن) .. رمّمت الجزورا.. كريم جدك (الطائي) فاسعد به شيخاً ومتلافياً فخوراً.. ألم تعلم بأن الله ينهى عن التبذير؟ فتلسأل خبيراً إذا ما كنت ذا كرم فأجزل ولا تقفز إلى الإفراط سوراً^(٤)

(١) مرض فتاك من يصاب به يفقد المناعة ، وأكثر الوسائل نقلاً له الإنعراف الجنسي .

(٢) المرجع السابق ١١٢ .

(٣) المرجع السابق ١١٣ .

(٤) المرجع السابق ٨٣ .

وابن هليل يعرج على مشاكل الأراضي بعد أن أصبح يبيعها مهنة تجارية تسمى المكاتب (العقارية) ، فبعد توزيع الدولة للأراضي ، وشاعت المساهمة العقارية فيها ، ونتيجة لظهورها ظاهرة فإن الدولة تشكل لها لجانا في أغلب المدن، يقول ابن هليل مداعباً تلك اللجنة :

توالفق عجيب	موالفق مصيب
في الاسم والسجايا	والعزم والزايبا
أربعة عبادل	رأيهم تبسادل(١)
هم هيئة الأراضي	والكل عنهم راضي
إن أبرزوا نتيجسة	مفيدة بهيجسة
بأحسن الخلسول	وأيسر التسهيل
في صالح البلاد	والرفق بالعباد
لا سيما المكروبا	والخائر المنكروبا
وإن ذا الإكرام	والفضل والإنعام
يهدي إلى الصواب	يعطي بلا حساب
ويصلح الأحوالا	بلطفه تعالى(٢)

الأسلوب القصصي :

الشعر الاجتماعي وظف القص في كثيراً من القصائد ، فمحمد حسن عواد له قصائد متعددة عن المرأة كما في قصيدته (لمياء) (٣)، التي تزوجت برجل مسن ، ومنها قصائد محمد حسن فقي التي تميل لوصف المرأة المخالفة للتعاليم الدينية ،

(١) ((أربعة عبادل : هم الشيخ : عبداً بن عدوان ، وعبداً بن هميس ، وعبداً لله المسعري ، وعبداً لله السعد . وبعد هذه الأبيات قدر أن تخلفهم لجنة أخرى منهم صاحب النظم ، نفع الأزهار ٥٣ .

(٢) نفع الأزهار في سجع الأشعار ٥٣ .

(٣) الديوان ١٢٩ .

ومنها ((الحسنة والأثم)) و ((أغواها فلبته)) و ((وضحايا الأثم)) (١) .
وللشاعر عبدالوهاب آشي بعنوان ((الحق أجود بالنصر)) وهو يرمز للوطن
بسلمى ذات الحياء التي استحوذت على قلب عاشقها ، فما هي إلا الوطن (٢) .
ومن أشهر القاصين في الشعر أحمد قنديل فله (قاطع الطريق) وهي قصة
اجتماعية تحكي واقعاً اجتماعياً أدير مع إشراق الأمن بتوحيد الدولة السعودية عام
١٣٥١ هـ استهله بقوله :

فرغت كأسه فمد يده يترجى من الهباء .. الشرايا
ومن الريح نسمة وعسيرا ومن الصخرة ... فطرة وانسابا
والدياجير مطبات عليه ظللت رأسه رؤى .. وضبابا (٣)

فهو يدون قصة قاطع الطريق :

يдахهم الناس في ليلهم على خيام البدو عابري الطرق
وله أيضاً قصة أخرى بعنوان (قريبي الخضراء) وله (الراعي والمطر) وهما
قصتان شعريتان بعنوان الريف ، وكلها قصص مطولة كل منها في كتاب منفرد ،
ويتحدث الشعراء عن الوقائع الاجتماعية في شكل قصصي كقصة مدرسة
جلاجل التي سقطت على الطالبات فحكاهما ابن خميس وابن ادريس ، وعثمان بن
سيار ، والشبابة على شكل قصصي .

وقرياً من ذلك قصة الطائرة ، وقد استشهدت بكثير منها .
ومن أكثر الشعراء قصاً اجتماعياً الشاعر علي النعمي لكن قصه يميل إلى
للوجدان والحديث عن الزوجين في ديوانه (عن الحب ومنى الحلم) .
وكذلك با عطب في ديوانه ((الروض الملتهب)) وتظهر بعض ألوان

(١) الأعمال الكاملة ٥٧٤،٤٧٣،٣٧٦ .

(٢) وحي الصحراء ص ٢٢٩ .

(٣) الديوان ١٢٩ .

القصص عند معيض البيخيتان عندما يحكي سيرة المعلم ، ويتحدث عن القرية في ديوانه (المهجر) .

وقد استعان الشعراء بالأسلوب القصصي في إبداعهم ليصوروا الحياة الاجتماعية بشرائحتها المختلفة . فالشاعر يصور تجربته في حكاية يسردها سرداً عضوياً أشبه بالحكاية الثرية ، والقصة القصيرة المعاصرة التي تعتمد إلى الوضوح والسرد .

وقد ظهر كثيراً في شعر الأوائل من الشعراء المعاصرين - بل لقد لجأوا إلى القصص في سرد الأحداث الكبرى ، كقصيدة السنوسي في الملك عبدالعزيز بعنوان (فارس الأحلام) ، قالها في فتح مدينة الرياض ، فرمز لها بـ (هند) أما عبدالعزيز العاشق لعاصمة أسلافه المحب لمدينة الرياض فقد رمز له بـ (كيوييد) ، وسرد الأحداث على شكل قصة ، يقول فيها :

وانتحت (هند) وقد طالت بها	نشوة الذكرى وأضناها السهود
أي حلم رف في أجفانها	من خيال زار وإنلأى بعبيد
طائف هبت تناجي روحه	وتناديه وتبدي وتعييد
أيها النازح عن أيك الهوى	صوح الورد وفي قلبي ورود
يا (كيوييد) الهوى في كبدي	جمرة الجمر وأشواقى وفود
تنقص الدنيا على حلو المنى	وعلى الآلام آمال تزيد
أنا ما زلت على عهد الهوى	أبد الدهر وقلبي لا يجيد ^(١)

والغزوي يلجأ إلى أسلوب القصص في شعره الاجتماعي ، ومن ذلك رثاؤه لأسرة آل عرب ، التي أحرقتها النار ، وقصة (فاطمة)^(٢) ، ومنها قصيدة (صريع المرح) ، يصور حالة مروية ، فقد كانت البهائم تموج في الطرقات ،

(١) الأعمال الكاملة ١٣٤، ١٣٥ .

(٢) الديوان ١/١١٨١ .

وتفتك بها العربات ، وتعرقل المسير ، ومن ذلك أن عربة وطأت سحلة مرحة في الشارع ، ووقف الغزاوي عند هذا المنظر يتأمل فيه طويلاً :

بين الغداة وقبل الظهر وا حربي أقص ما شهدت عيناى من كتب
أقبلت أرذع خطوي جد مشد والغيم ضاف وراد الشس في الخجب (١)
فالمقدمة عمت إلى تحديد الزمان بوقت الظهيرة ، وكذلك المكان بل لم يقف
عند ذلك فقد صور الجو كاملاً فهو متراكم السحب .

ثم أخذ يصف الحدث ويسرده سرداً واضحاً لكنه بلسان الشاعر الذي لا يخفى الغيظ الشعوري ، فالسحلة سائرة فرحة تتلوى أمها ، لكن السيارة فاجأتها ووطنتها والصقتها بالتراب ثم فمرّ قائد السيارة بسيارته .

وأعرضت سحلة في الدرب سارية قمشي وتقفز من هو ومن لعب (٢)
تجبو (الطفولة) منها في قوائمها خشف (أمها) ولها حاد من الخجب (٣)
لفاجأتها ولم تشعر مدممة (سيارة) من ذوات البطش والفضب (٤)
ألوت بها وهي نشوى من رشافتها (دبابة) ورمهاها الجمح بالعطب
فألصقتها بيطن الأرض هامة وطار من (كرشها) اليرسيم والعشب
ولم يغتها من (الإنسان) محتسب ولا (الحديد) المدوي أي مضطرب
رأيتها وهي أشلاء ممزقة ورأسها ينطوي منها على الذنب
في طرفة لم تكن إلا (نكلا) ومضت إلى الفناء وباءت شر منقلب
وأقبل الناس شتى ينظرون بها (ضحية) سقطت في غير ما سب
وطار (بالموتر) الجاني لطيته ولم يرعه امتزاج الدم بالرب
والشاعر يوقفنا عن الحدث ، ويطيل وصفه الذي يدعو للحزن والتأثر ، فهي

(١) رآد : ارتفاع الشمس .

(٢) سحلة : هي التي لم تتجاوز السنة من الماعز . (وساربه) : ذاهبة على وجهها .

(٣) خشف : ولد الظبية ، وهنا يقصد ولد الماعز . و (الخجب) : نوع من السم .

(٤) مدممة : ذات صوت عال .

مزرقة أشلاء بسيل دمها ، فارقت الحياة على مشهد من أمها .

وزادني أملاً في (أمها) حزن يكاد صمته يعلو على الصخب

تاوحت (ثكلى) حسرى مفطرة (مجنونة) كبدها تشوى من اللهب (١)

أصابها (الرعن) القاسي بفلذتها من دون ذنب ولم يعاً بمتحب (٢)، (٣)

والقصة سردية ، خالية من الحوار ، لكنها مكتملة البناء الذي اعتمد على

أسلوب السرد الوصفي ، ومن ذلك قصيدة (مأساة ومواساة) التي تمثل حالة

ولادة متعسرة لاحدى حفيداته .

الشاعر استهل قصته بمقدمة قوية على شاكلة القص النثري الذي يضخم

الوقع النفسي فيجعله مضطرباً ، فقد بدأ الشاعر بلفظة (هول) التي لها الوقع

الشديد ، ثم تبعها بالصورة المتفجرة للقمر ، فكأن الدنيا قد دمرت ، ثم بعد

ذلك يياشر سرد الحكاية للمرأة حديثة العهد بالحمل والولادة ، وإنما أخذت

تستدعي أحلام الأمومة لوليدها المرتقب ، فهي تداعبه ، وتسلبو به ، وتأمل

له الخير . ومنها :

(هول) كأن البدر من تفجيره طويت به الدنيا بنفخة صوره

(وإذات حمل) لم تكن إلا كما جاء الريح بنفخة زهوره

حملت ولم تك قبل ذلك لا بست ألم (المخاص) بويله ونبوره

حسبته سهلاً وهي في أطياها عنيت بما تجبوه من تجيره

وترقب إهلاله في غبطة تعد ما يكسوه يوم بدوره

واستشرت وتربصت وبداتها (متبسماً) في مهده وسريه

وقضت شهوراً في الرؤى خلاصة وراه في آصاله وبكوره

وتقر عيننا أنها بوليدها في نعمة مزدانة بجوره

(١) مفطرة : متصدعه .

(٢) الرعن : الاسترخاء والحمق .

(٣) الديوان : ١٣١٠ .

والشاعر يتحدث بلسانه واصفاً الحدث ، فهي حملت بأول حمل لها وتراه سهلاً ، وتحلم به حلم اليقظة . فهي تصوره في قدومه بل أخذت بتجهيز ملبسه، واستبشرت به خلال شهور حملها ترقبه ساعة إثر ساعة حتى فاجأها المخاض ، وداهمها الطلق شديد الوقع والألم حتى كأنها تختضر ، وطال الأمر ووالديها يرقبان حالتها والطب فيها حائر لم يتدخل ، وبعد طول انتظار خرج الوليد وإذا به متوفى والأم مع شدة أملها تسأل عن مصيره .

وترقبها ساعة ما مثلها	في (الطلق) إلا الموت في توهيره ^(١)
فانقض بمخضها وكل فريضة	منها تكاد تجز من تفزيده
وكأنما هي في احتضار خائق	دوي الصدى بنذيره ونفيره
وحياها أشرف التأوه أهلها	وعلا (التضرع) صاعدا بتأثيره
ومضت بذلك ليلتان وما هما	إلا المعاد بذرعه وذعوره
(الطب) فيها عاجز ومتهيب	(و طيبه) متحير بفروره
ورأى الضياء جبينها مسترخياً	ما تجبئ فيه من ديجوره
ما كان إلا وهو في غمراته	(أنسى) احتواها قبرها بشفيره
صرخت وأعيت وارقت وقلملت	بلجاء طوقها الحمام بنيره
(والأم) في الوهن المضاعف همها	أن يسلم (المولود) بعد عبوره

وإذا أمانها الماضية لا تتحقق ، وإنما تتألم ألماً عضوياً ونفسياً من جراء فقدان وليدها ، فشرعت بالبكاء ، وانهمرت الدموع والأب يشاطرها الحزن يذوب أسي حزنا عليها .

لإذا بها تمنى بما لم تحتسب	من صمته وخفاته ومصيره
ويزيد ذلك من تأزم بؤسها	وشقائها في (كبدها) وجدوره
وتخسر مجهشة فلولا أنها	رهن البلى لعدت إلى مقصوره
فانظر إليها والدموع دماؤها	بكي الجماد وإن قسا بصخوره

(١) توهيره : من الوهر ، وهو الوقوع فيما لا يخرج منه مع الخوف الشديد .

وكأنما قلبي لها من (رحمة) قد ذاب حتى لا يعي بشموره
هذا وما للمرء في ضرائه إلا الذي يحو الظلام بنوره
رحمك رب العالمين فما عسى لليؤس إلا أنت في بصره(١)

والشاعر الدكتور عبدا لله العثيمين يصور لنا مشهدا من مشاهد البؤس والتعاسة لرجل متقدم في السن ، أنهكه الفقر وأضعفته الوحدة ، فأخذ يتبرم فيتبرم في الحياة ، وأسبلت عيناه تدمعان ، مطلقاً الآهات والأنين ، وكأنه يعرضه عرضاً مسرحياً ، فهو حكاية واقعية تأثر بها الشاعر ففاضت تجربته بهذه القصيدة القصصية :

ونحست دمعته فحشرجت في الصدر زفرة
ولمست نفسي عند رؤيته تذوب أسى وحرسة
وتصاعد من صدري المملوء بالآهات عبيرة
شيخ أمضته الجراح وقوس الإرهاب ظهره

وبين أن الضعف ليس عند تكاثر السنين ، وإنما من الملمات والصعاب ،
وشظف العيش ونكده ، فارتسمت معالم البؤس والتعاسة على مجياه ، وتقطب
حبيته بدوائر الشقاء :

ما شاب عن كبير ولكن حطمت دنياه عمره
أبصرته متفضن القسمات ممتعض الأسره
وعلى مجياه رؤى تبدي تعاسته وفقره
متابع الزفرات فكت جذوة الآهات صدره
تمعثر الخطوات شلت موجة الإعياء سيره
حيران يعمه في طريق البؤس لا يدري مقبره
ووقفت والقلب الجريح يفيض آلاماً وحريره
أرسلو إلى الشيخ الكليم وقد أزاح الدهر سزه

(١) الديوان ١٦٣٢/٢

فمضى بجبات الدموع يبيح لآلاف سره
فلربما جادت عليه يد الغنى بشق ثمره
ولربما ذرفت عليه من المحيط الغمر قطره

ثم يكيل اللوم على أولئك الناظرين لهؤلاء الضعفاء بتكبر وازدراء وسحرية :

ويعر جبار يرد على توصله بنظره
تبدي وتكشف حمة التعجرف الطاغى وكبره
وأرى الفقير كأنما طعنت ضمائره بشفره
يهوى على الأم الختوف ويشتكى لله أمره
تعماً يهمهم بالدعاء على الأنوف المشمخرة^(١)

وهذه القصيدة ومثيلاتها في الأدب السعودي تضيء لأولئك العاملين المنفذين السبل إلى الكشف عن الحالات البائسة ، كما تكشف عن عدم مبالاة فئة ممن عهدت الدولة إليها بالإشراف الاجتماعي ، فهم لا يتقصون الحقائق ، ولا ينقلونها إلى الجهات العليا . فلا لوم إلا على أولئك الذين نعتيرهم جسراً من الجسور ، لكنهم أقفلوا الحواجز لما صارت بمحاذاتهم ، وكان من الأفضل أن تكون هناك لجان راصدة في مناطق مملكتنا الحبيبة لرصد مثل هذه القضايا .

وعلى النعمي يقص علينا سيرته الذاتية المتلاحقة مع المجتمع ، فهو يهوى الزراعة ، وتلحقه أمه بالكتاتيب ، ويطيل الوقوف عندها ، ويصفها وصفاً دقيقاً وبعد أن نال حظاً وافراً من التعليم في المدارس والكلليات والتحق بالتدريس فإنه يعود لممارسة الفلاحة . يقول من هذه القصيدة الطويلة :

كنت طفلاً مدلساً ليس يعينى
لست أدري عن المرارة شيئاً
لي (أم) يهمها أن ترانى
وحدها وحدها تكمد وتشقى
بني سوى لسذة أمامي متاحة
كلما أعقب المساء صباحه
في معاش يرفو الهناء وشاحه
ولم تفكر بسلوة أو براحة

(١) عبد الله بن إدريس : شعراء نجد المعاصرون ١٩٣ .

ادخلتني (الكتاب)^(١) بالأجر في
أصلحت لي لوحى ، وسوت دواتي ،
ها أنا أكتب الحروف بخط
أتهجى (أبجد) و (هوز) وأصفي
ومضت بي الأيام بين رفاقي
حين (أخمت)^(٢) قال (بشر)^(٣) وجا
ولبت (الكوت المقلّم)^(٤) والشا
فهو يصور تلك الأم التي أفنت حياتها في سبيل ابنها ، وحصرت لذاتها في
سعادته ، فأدخلته الكتاب ، وسعت لحفظه القرآن وتعليم القراءة والكتابة ، ثم
هو يصف الابتهاج والفرح الذي يسود المجتمع عندما يحفظ الأولاد القرآن الكريم
فالببوت تستقبلهم بأطيب الأكل ، وأظهرا الزينة والهدايا ، والأقارب يسرون
بقريرهم ، بل القرية كلها تسعد بهذا اليوم .

ومع الصبح رحت أخطو الهوينى
ودخلنا البيوت بيتا بيتا
بالزغاريد والهدايا تلقوا
ياها من فرحة وقد ضمنت الدور
من أب ينشد السعادة لابن
من أخ معجب ، وعم وخال

وكأنني الفصفر الجحجحاه
كالعصافير هازجات صداحه
وصحى في أول (الطراحة)^(٧)
ر صيا يذيع فيها نجاحه
ومن أم مزهوة مرتاحه
طوقه ... وعاشوا أفراحه

(١) الكتاب : المدرسة القديمة ، وكنا نسميه (المعلمة) .

(٢) اخمت : أكملت المصحف قراءة وحفظاً .

(٣) بشر : أعلن خير نجاحك بين الأهل ، والبشارة منظومة جيدة تتناول ما للعلم من أثر ، ما للمعلم
من جهد ، لا يزال معظمنا يحفظها عن ظهر قلب .

(٤) الكوت المقلّم : الجاكيت المخطط .

(٥) الخميس : ما يدفعه الطالب للمعلم كل يوم خميس سواء أكان نقداً أم حياً أم غير ذلك .

(٦) الشال : الغزة إلا أنه يختلف في ألوانه الزاهية .

(٧) الطراحة : مكان في مقدمة العشة للمبيت فيه ليلاً ، يختلف طولاً وعرضاً .

برزوا كلهم بحب وصفو
 كل دار يهتر أنساً وسعداً
 لاحتضان الشبية الطماحة
 وابتهاجاً ... مساءً وصباحه
 لدره دائماً ... وحيّاً كفاحه (٢)

والقصة تسرد الحدث سرد متتابعاً على تتابع الحدث وتخلو من أشكال الحوار، والخيال بأنواعه ، وتقوم على التقرير في جملها ، وسياقاتها .

والشعر الاجتماعي يعمد إلى القصة القصيرة كثيراً ، وكي تفيض الحكاية الشعرية بالمعاني التي تكمل بناء القصة ، فإن الشاعر يلجأ إلى تكتيف الدلالة ، فإن البيت الشعري المتكامل قادر على أن يعث برسالة متكاملة ، وربما تكتب في عدد من الصفحات ، وهم كذلك يوظفون الرمز والإيحاء ، وهذا حسين سرحان له مسرحية شعرية قصيرة بعنوان (المحرم المفلس) بناها على ثلاثة فصول ، فالفصل الأول مكون من تسعة أبيات ، وفيها تتمثل المقدمة التي تحكي مأساة الفقير المفلس ، فبث شعوره بذمه حظه ، ثم أبان عن شخوص القصة وهم الأب والأولاد ، والأم ، وقد ذكرها أمأ ولم يذكرها زوجة لتكتيف الدلالة ، فالأم تعاني من جوع طفليها والأب يعاني منهما من جهة وذاته من جهة أخرى ، والحوار بين الأم وأطفالها ، فهي تسليهم بانتظار الأب الذاهب لكسب العيش ، وفيها رمز لقصة التاريخية هي قصة عمر بن الخطاب عندما بكى للأطفال الأيتام في قوله ((حالة ابن أبي حفص لها ...)) .

أصبح المفلس ينعى حظه وهو مسعور الحشى خالي الوطاب
 وزقا فرخان في العث له ثم ضجا في عويل وانتحاب
 ورتت أمهما في حرقبة ثم راحت تمسح الكلم الوجيعا

(١) الفقيه : معلم الصبيان .

(٢) الأرض والعشق ٩٤، ٩٥ .

قالت الأم :

بني أسـتمهـلا
ذهبت بلفـة أكل لـزره
لأصـبرا إن أبـساكم ذاهـب
حالة أين أبو حفص هـا
ودموع العين بـلت حـية
رحم الله زماناً مـرعاً
سوف يأتي العيش مرغوداً رفـيها
ومضت قطرة ماء نحتسـيها
ليجيء الآن بالأكل مـريعاً
وهو متكب على النار بـفيه
كانت العون على الخطب الكـريه
كان فيه العين والسمع المـيعا
وواضح الشاعر يحكي سيرته أو سيرة من يعنى به ، فالقصة ليست تاريخية إنما وظف القصة التاريخية لها بدليل تشنيعه لهذا الزمان الذي يشبع الثور ويجوع الأسد ، ثم هو يعود إلى ذاته متكلماً بلسان حاله .

(١)

قال : ياويحي وياويح زماني
خضت في بحر معاش زاخر
أطلب القسوت هنا أو ههنا
ضن أن يعطى زماني أو ييعا
فالمشهد الثاني يمثل الواقع الذي يعيشه الشاعر في رؤياه الخاصة ، فلا عمل يستوعب حرفته ، ولا كريم يجود ، ولا معين يقرض ، فالأبواب اقفلت في وجهه . فهذه عقدة صنعها للقصة ، أذ كيف يأتي بالمال كي يطعم ولديه ، إن هذا الأب في موقف حرج جداً .

(٢)

حرفتي بارت وحظي عائر
وفشا البخل لما من واحد
كـلب ران على الناس فهل
أين من يقرضه أو يمنحه؟
والندى أدخ جنحاً من ظلام
يتمنى أن يسمى في الكرام
تبغى في جذوة القيظ ربيعاً
ساء ممساه وأبكي مصبـحه
وتحدثه كلاب تنبـحه
الف باب أغلقت في وجهه

وجرى المجنون حتى فجرت قدماه الدم إذ خر صريعاً
 إذن فهو تحول إلى فاقد عقل يقوله (وجرى المجنون) مما جعله يلجأ بعد أن
 أوصدت عنه الأبواب إلى سبيل آخر هو الإحرام ، فأخذ يبحث عن ميدان
 للسرقة، فانتشل رغيماً فأضحى مفلساً ومجرماً ، وكان أن زاد الطين بله فقبض
 عليه وأودع السجن ، وأضحت الأسرة بلا عائل .

(٣)

لم يعد صبر وقد أضواه ليل	لمشى في السوق وانتاش رغيماً
واتاه صائح من خلفه	ورأى - فيما رأى - حشداً كثيفاً
أجمعوا الأمر وقالوا : سارق	وسرى القول عليه فأشيعا
جر للقسم فحللى قدميه	أدهم يـرزح في أغلاله
وطواه السجن في أحشائه	وجرى البؤس على أطفاله
والقي في البيت يابؤس لها	آدها الحزن فأجرتـه دموعاً
لص خبز جانع سدت أمامه	سُبل العيش فما فات العقاب
بينما في الناس الأصاص كبار	سلبوا العيش انتهاباً واكتسابا
بلغوا صدر المعالي فاتخذ	منهم عوناً عليها أو شفيعاً(١)

فهذه قصة اجتماعية تبين عن مأساة الفقر حوت على مقدمة ، ثم أعقبها
 بسرد الحكاية ، ثم كشف الموضوع بالرمز ثم حاول إيجاد الحلول المعقولة ، فلم
 يجد لها سبيلاً فاضطر إلى أن يحاول الكسب الحرام غير المشروع ، فأسلمه ذلك
 إلى نهاية مأساوية ، وهي قصة متكاملة ، في ثلاث فصول كل فصل فيها تسعة
 أبيات ، واكتمل عناصر البناء فيها ، وتظهر الحوار الداخلي للشاعر ((قال ويحي
 وياويح زمني ...)) وحوار سطحي بين الأم والأطفال ، ثم غلب عليها الوصف
 والسرد في سائر الأبيات .

(١) الصورت والصدى ٥٩ .

الشاعر على أحمد النعمي له قصص اجتماعي يدور حول المرأة واعترافات

منه يقول :

ولكم في قصص المرأة من قصص حافلة بالعبس^(١)
وهو قد استقى من عالم المرأة عدداً من القصص تمثل جوانب متعددة من
حياة المرأة ، طالبة للزوج وعاشقة ، وفقيرة بمجرة ، وضرة على أخرى ، ومطلقة ،
وعاشقة عبر الهاتف ، وقد تحدثت عن بعض منها ولشدة عنايته بهذا اللون فقد
اقتبس اسم ديوانه (عن الحب والمنى والحلم) عن قصة بهذا المسمى^(٢) .

وهي قصة في قصيدة مطولة . وله قصة أخرى بعنوان (السقوط دون القمر)
تحكي تعلق فتاة بفتى ودفعت أمها إلى رسم حيلة لجذبه لكن فشلت تلك ،
والقصة زاخرة بالحوار بين شخصو القصص ومنها محاورة بين البنات وأمها حول
فتى الأحلام .

هو يا أمي فتى ذو قامة	هي تحت الطول ، فقو القصر
هو يا أمي ، فقالت يابنت	أنت لا تدريين وخز الإبر
أنت ما فكرت في عاطفة	ربما قادتك نحو الضرر
فكري في أمر قلب عاشق	راح يصطاد بماء عكر
إن من ساءلتها مذاكرة	تشعل النار بكل الشجر
تدفع الغير لكي يحرقوا	كالقراشات خلال الشرر
أنت ما أبجرت في مركبة	أنت ما قاسيت ما في السفر

والحوار يدور بين العقل المجرب الذي تمثله الأم ، وبين ذات العاطفة المندفعة
وهي الفتاة ، ومن هنا كان الحوار هادفاً أفضى إلى نتيجة هي غلبة العاطفة على
الفتاة والعقل على أمها ، فكانت النتيجة فشل المحاولة . والشاعر يروي الحوار

(١) عن الحب ومنى الحلم . ٥٥ .

(٢) المرجع السابق ٣٥ .

بلسان بطلتي القصة إلى جانب حوار مع الجارة ، وثرثرة المجلس ، فالقصة مشبعة بالحوار الهادف الذي ينبئ عن غاية يهدف إليها الشاعر .
والقصة الشعرية تمثل لحظة أو حكاية حوار داخلي أو حلم من أحلام اليقظة، فمشر رقية ناظر ، يقترّب من القصة ذات الحكاية القصيرة مع النفس القصير فقصيدتها (أسدل الليل ستاراً) مثلت حكاية نفسية (يسودها الحوار فالبطل يخاطب غانية يدعوها دعوة صريحة ، وما ذاك إلا استحضاراً للمخاطبة لتكشف عن نتيجة الحوار الداخلي لشخصية البطل الذي أفضى إلى البكاء ، وكذلك فإن حوار الداخلي أقتعه بالإياب لكن الحوار الداخلي أيضاً يذهب به بعيداً إلى كونه أمل من الآمال.

عودي إلى فأدمعي بحسر يهجه الخضاب
عودي إلى فإني مازلت أرتقب الإياب
أمل مضى وكأنه قد مات في أوج الشباب

وكان هذا الحوار يقابله حوار عن بعد فالقلوب شواهد كل منها يتعلق بالآخر ، فالحوار الداخلي أقتع حتى كان حقيقة أوحى بالفرج ، لكن الحوار الداخلي سرعان ما جنح إلى السراب .

فسمعت والكون يرقد في سكون مستطاب
وضكحت حتى خالني قد عُدت أرتشف السراب
واخيبتاه إذا أنا غر تشفاه اللئاب

والحوار الداخلي يكشف عن ما هية القصة التي تدور حول حلم من أحلام اليقظة أو هي حكاية زواج سعيد سرعان ما أصبح كالحلم لكن النتيجة هي التأثير الجديد من الفشل سواء للحلم المنتظر أو الواقع الذي أنفض .

بالأمس قنديلي أنار منازلني فوق السحاب
فإذا به يدلو بلهفة نادم ضل الصواب

وكانه مما به ظمي تمزقه الحراب
في غفلة الأحلام والآهات هل يملو العتاب
ماذا أقول لسائل إن ظل ينتظر الجواب
ماذا يفيد وصرحنا بالأمس وافساه الحراب

ويبدو أن الشاعرة وظفت حلم اليقظة لحوارها لتحاوّر الحقيقة فكأن الآخر يريد أن تعود الحياة ، لكن الشاعرة من الداخل متأثرة بالحراب الأول الذي تحاوره دائماً .

ريح تداعب أشرعي لآتوه في بحر الصعاب
لا .. لن تعود مراكبي ترداد شيطان العذاب
أطفأت شمعة لوعتي ونسيت في ظل الغياب
قد باتت الأطلال والذكرى كأعواد الثقاب
وانطوى أمل تلاشي .. تاه في جوف الضباب
إذ أسدل الليل ستارا فوق هاتيك الهضاب (١)

وهي تتخاطب ذلك المحاور الذي تجرده من الآخر إن لم يكن شاهد عيان فإن داخلها في حوار وصراع يدلف إلى صراع العذاب الأول (٢) .

ولو أطلنا الوقوف عند من هذه الحكاية القصيرة التي تبلورت في الفصل الشعري النثري كثيراً لو أطلنا عندها في الشعر لوجدناها تنافس ما وجد في النثر .

فالشعر القصصي الاجتماعي تكاثر في الشعر في بلادنا ، وتناوله أكثر الشعراء ، ويدور حول قضايا المرأة ، والفقر ، والحوادث المأسوية وأغلبه في قصائد متوسطة أو قصيرة ، يدور حول وصف الحدث وصفاً سردياً تكون له بداية ، وعقدة ونهاية ، وهناك قصائد مطولة كمثّل قصائد العواد ، والنعمي

(١) الريح والرماد ٤٤

(٢) المرجع السابق ٤٤

وكذلك معيظ البخيتان وهم اتخذوا اللغة الفصيحة لغة لا مدخل معها حتى اللهجة العامية إلا ما ندر الذي يقال على لسان الحكاية كالحديث عن القرية عند النعمي والحوار المحكي الذي يكون بين شخصين هو الأكثر ، وإن وجد الحوار الداخلي عند الشعراء الوجدانيين .

والقص يوظف الحدث التاريخي أحياناً قليلة ، ويكتف المضمون والدلالة كي تستبطن الحدث التفصيلية من الدلالة والإشارة .

• والقص الاجتماعي قام بالدعوة الصريحة لمعالجة قضايا المرأة والقضايا الاجتماعية ، فهم يوظفون الحكاية من أجل هدف فكر سابق لا أن يقوم على حكاية مخصوصة ، لكن المأساة غالباً ما تتولد عن حدث مرئ . والقص الاجتماعي يصور حياة الريف أكثر من تصوره للمدن والأحياء .

الأوزان والقوافي :

اتفق المنظرون الأوائل أن للشعر أربعة أركان هي : المعنى ، اللفظ ، والوزن ، والقافية . وكما يخرجوا منه بعض الآيات التي تمثل الوزن ، وكذلك ماسمع عن الرسول ﷺ ، فإنهم اشتروا القصد فيه ، إذن فالموسيقا جزء من أركان الشعر ، ولذلك فإن علم العروض يدور حول الوزن والقافية ، وقد تكونت الموسيقا عند العرب بدهاء ، وتقليداً عند الأوائل ، مما يصدر عنه من أصوات ومما يسمونه من حوهم من تغريد ، وحفيف ، وأنين ، وحنين ، وخرير ، ووقع أقدام ، ثم تتابع التكوين النغمي للصوت حتى نما وراج وشاع ، فأخذته الأذن العربية ، وأدركت ماهيته بلا تعلم أو تنظير إنما كانت الوسيلة الأهم هي المحافظة ومعاودة السماع تم الممارسة . ومن هنا تهيأ للخليل بن أحمد الفراهيدي استنباط أوزانه بواسطة إدراك فلسفة التنغيم ، وهم يرون أن الموسيقا تتكون من موسيقا ظاهرة وأخرى خفية ، فالظاهرة تعتمد على حاسة السمع

سواء كانت قوية صافية أو هادئة مهموسة ، ذلك يعود للألفاظ والتراكيب التي يجليها المضمون .

أما الموسيقى الخفية ((فإنها تقوم على التنسيق المعنوي ، وتأتي في المقام الأول من علاقات التوافق والتضاد بين المعاني دون المباني من حيث تشكيلها الصوتي))^(١) .

والنقاد قد أشاروا إلى تلاحم بين الموسيقى وبنائها الفني مع المحتوى المضمون للشعر ، بل وأقول مع التدفق الشعوري أيضاً ، فهم يقولون أن غرض المدح يحتاج إلى البحور الطويلة ، ويتناسب معها المضمون والحالة الذهنية تستدعي تلك البحور الطويلة ، وأغلبها الطويل ، والبسيط والكامل ، والحفيف . وقد ربط المعاصرون بين الأفكار والحالة الشعورية والموسيقا فقالوا : ((إن خير الموسيقى ما يتمشى مع الأفكار ، وتتناسق مع المعاني ، وتتجاذب نغماتها ونبراتها مع حالات النفس ، فالشاعر في احتياجه وغضبه وغبطته يكون تعبيره عالي النغمة ، وفي حزنه منخفضاً ، وفي تعجبه وفرحه وهدوئه واطمئنانه تكون مسافات الصوتية قصيرة ، أما في بته وألمه فتكون مسافته الصوتية طويلة ، وهكذا لسائر النغمات حالات النفس كما تسائر موضوع القصيدة وفكرتها))^(٢) . والواقع أن الشعر الاجتماعي تختلف المؤثرات فيه ، فمنها بث الحزن والألم في الشكوى ، ومن هنا نجد أن الشاعر محمد حسن فقيي يميل إلى البحور الطويلة أو يقلل عنده التجزئة ، ويغلب أن تكون الأشعار الاجتماعية في فرح أو تعجب ألا تستدعي الطول ، فتميل إلى الأوزان القصيرة الراقصة أو المحزوة . والأمثلة العشوائية التي أوردتها نجدها مالت إلى الرمل ، والحفيف ، والكامل ، وقل فيها البسيط والطويل أنا لا أقول إنها إحصائية لكنها ظاهرة برزت ، فمن الشعر القصصي الاجتماعي وما فيه

(١) حسني عبدالجليل : موسيقى الشعر العربي ١٤/١ .

(٢) المرجع السابق ٢١ .

من حوار استدعى بحر الرمل ، يقول الشاعر على لسان أم تمنى من رآته يكون
خاطباً لابنتها :-

من عناء ، فدعي أمر الفتى	لي وعقبي ما سأرمي انتظري
شاهدته فاطالت نظراً	في ميحاه فقالت : وطري
لم ألم بنتي على الوجد به	فهو نوع نادر في البشر
يتعالي شبه طاووس على	مهج الفيد بأزهي الصور
شدني ، شد ابنتي أو ثقنا	بساھوى الطاغى ليا للقدر
هي تهواه أنا أعشقه	بجنون العاشق المتحرر
هو عنا غافل ما انجذبت	نفسه - توقاً - لعالي الدرر(١)

ويبدو أن بحر الرمل قد احتوى كثيراً من الشعر الاجتماعي ، فهذا الشاعر
حسين سرحان يميل إلى بنائه الموسيقى ، فيحكي قصة لموقف من المواقف التي
تعرض لها ، وربما وظف هذه الحكاية لإعلان افتقاره الذي لا ينشئ عن تكراره
واجتراره في قصائده ، كما في قصيدة (صدمه) .

مفلس ضننت عليه يد	دفعنت باللوز أحمالاً
نحو شيخ ليس في لمة	أي سن عض أوجالا
قابع في عقر منزله	مثل جرد خاف أوعالاً
وأنا الجوال ما فتت	قدمي تشتد إرقالاً
من هنا أو من هنا عنقاً	ذارعاً في اليوم أميالاً
لإذا جاء المساء أتسى	بالذي لا يشرح البال(٢)

ومنه قصيدة بعنوان (فاطمة) للغزوي :

نشأت تحت سماء غائمة	طفلة تحيا وتفنى صائمة(٣)
---------------------	--------------------------

(١) على النعمي : عن الحب ومنى الحلم ٥٧ .

(٢) الصورت والصدى ٦٣ .

(٣) الديوان ١/١١٨١ .

ومنه قصيدة (زورق الآمال) للشاعر على الغامدي :

زورق الآمال مطعون الشرع ساحب تغذفه ربح الضياع
كلّمًا قلت سجا البحر بدت عاليات الموج تعدو في اندفاع
وارتطام الموج لا تردعه هزة المجذاف من كف شجاع
وإذا التيسار أبدى صلفا صُعت ما بين ارتداء واندلاع (١)

وربما أن تدفق الإيقاع في بحر المتقارب تجاوب صداه مع الإيقاع للمضمون

الاجتماعي ، فمن بحر المتقارب قصيدة (دوحة الأمن) للشاعر محمد العمري :

وقفت على شارع المعذر وقوف الخطيب على المنبر
وقفت عروساً على جيدها عقود من الدرّ والجوهر (٢)

وورد من بحر البسيط أيضاً ما استدعته موسيقا المضمون الاجتماعي في

القصائد ذات السرد الوصفي الذي يحكي حكاية تحوي معانياً كثيرة كقصيدة ((السخلة)) للغزوي التي استهلها بقوله :-

بين الغداة وقبل الظهر واحسري أقص ما شهدت عياني من كذب (٣)

ومن البسيط قصيدة ((أنفاس محرقة)) للشاعر البختيان ، وهي قصيدة

طويلة استهلها بقوله :

مراقص الضوء في الصحراء والمطر مسي حبيبات هذى السمر وانهمري (٤)

وكذلك فإن الغزوي نوع في شعره الاجتماعي ، فقد نظم بعض قصه على

بحر الكامل : كقصيدة ((موساة)) التي تحكي ولادة متعسرة :

هول كأن البدر من تفجيرهِ طويت به الدينا بفخخة صورهِ (٥)

(١) زورق الآمال ٤١ .

(٢) شروق الشوق ١١٦ .

(٣) الديوان ١/١٣١٠ .

(٤) ثرة الشوق ٩٣ .

(٥) الديوان ٢/١٦٢٣ .

ومنه قول ابن العربي :

إن القوي على البناء مواظب وعلى الطبيعة أمره لا يدفع (١)
والكامل جاء كاملاً لا سيما في القصائد الطويلة والمطولات ، ومن ذلك
قصيدة (ضاربة الودع) لضياء الدين رجب يحكي فيها قصة مشعوذة :

جاءت ملثمة وفي يدها ودعّ تو شوشه فينجذب
نثرته فوق الرمل قائلة زينا ((أئين)) بعض ما يجب
سر الصبايا لا أبوح به إلا لمن فدونه الحجب (٢)

أما وزن الخفيف ، فقد أكثر منه الشعراء في الشعر الاجتماعي مع وروده
كثيراً في غرض المدح فكأنه صالح لإيراد المعاني التي تميل إلى التقرير للحدث مهما
كا دافعه :

وارتقى الساحر العظيم مكانا يرقب الكون منه أو يسويح خفيف
والعواد يكرر الخفيف في قصته الشعرية (لمياء) ومنها قوله :

إيه عدل السماء لا كفر لا زيغ ولكن تبصر واعتبار (٣)
وكلا القصيدتين من القصائد الطويلة . ومن قصيدة اجتماعية لأحمد العربي:
أيها العيد كم ثري شجوني وتواري من وجدي المكنون
ومنها :

أيها العيد رب طفل يعاني فيك من يؤسه عذاب الهون (٤)

والشاعر يحاول أن يعث بتفعيلات بحر المتقارب ، فهو يأتي بتفعلتين في
سطر ثم تفعيله ويتبعها بأخرى ثم بشطر كامل ، أربع مرات ، نستطيع أن نجعلها
بيتين ، ثم يأتي بعد ذلك بالأبيات متكاملة ، ويكرر هذه الظاهرة من القصيدة

(١) محمد عبدالمقصود ، وبلخير ، وحي الصحراء ٢٣٣ .

(٢) الديوان ٣٢٥ .

(٣) المرجع السابق ١٢٩/٢ .

(٤) وحي الصحراء ١١٤ .

الواحدة : كقصيدة البخيتان ((هي ليلة من ليالي الشتاء)) يقول منها:-

قوارص برد

وليل

دجى

وأناست مستلثم ملتجى

تهاوى الضياء بأحداقـه

كرغو تلاشى على التـبـجـج

نسى غيرة النور في روحه

وجهد الموزع والمتجج

وما يبعث الكون من خلده

إلى الأرض من طاهر أرج !!

فلا اليد من لمسات السنـا

ولا الماء من خفقه اللجج !!

تعانق والبؤس في مبهم

وغابا على جهشه من شجى !!

وذاب مدى نفسه شمعة

تشب لعميان في مدج !

فتاه الدليل مع المنهج

وجف البليل مع الحشرج !

فأغمض ...

عينه مستسلماً

لمركبه ...

الأكتع الأهوج !!

تعالى فقد جن هذا الشتا

وضعنا مدى رهجه المرجه ١٩

كلاصقة بالثرى فطرة

تطير وتأتي لغبر النجسي (١)

إذن فقد ورد الشعر الاجتماعي على الأوزان الشعرية العربية المختلفة . فهم ينظمون القصيدة الطويلة التي تستدعي مضامين ويندرج في ذلك جل القصائد الطويلة ، ويكثر من تجزئة الأبحر وتشطيرها . فهم يشطرون الأبحر الشعرية لتكون الجملة قصيرة ، وراقصة مطربة ، تناسب الشباب الذي يخاطبه الشاعر . فهذا حسين عرب يهتف بأبناء المعهد العلمي السعودي إلى معترك العلم والمعرفة ، والحياة العملية فيقول ، على مجزوء الرمل :-

نضاك للشعب عـر	خـر ، وعهد أغـر
يامهدا هو للعـ	لم والمعارف ذخر
فيه الحياة تـدى	بها جلال ويسـر
ولذا للنشء فيه	ورد كما طاب صدر
نشأت - تدعو إلى المـ	د والمعارف لـزر
لكنك للجهل شـرا	والجهل للناس شر ^(٢)

ومن لجوئهم للموسيقا القصيرة نسجهم على البحر الوافر فهو ذو أوزان راقصة ثم تجزئته كقول عبد الوهاب آشي :

دساتير وأوضاع	تساقها أهويـات
وباسم العدل وأعجا	ها في الخلق صولات
ينفذها القسوي	تشاء له الخـازات
فويل للناس من أهوا	نهم ويسسل وويـلات ^(٣)

ومن الجزء الذي كثر في شعرهم مجزء الكامل :

(١) ترى الشوق ٢١٥ ، ٢١٦ .

(٢) المجموعة الكاملة ٢١٧ .

(٣) محمد عبدالمقصود ، وبلخير : وحي الصحراء ٢٣٣ .

ماتت وخلفها الجنين وقضت فودعها الأنين
كانت أمانيتها (متى) منها تقرب به العيون
يرنسو لطلعتة الصغيرة قلبها السدافي الحنون(١)

ومنه قصيدة بعنوان (الرياض) لمعيض البختان :

لإذا بها تتجانس الأشداء من عبق الجيوب
وتعبات الأخسواف في خلدا الفصول كعندليب
غيداء تستزف الخطا كاهمس يفصح عن ديب(٢)

ومن مجزوء الرمل قصيدة ((ما نكتت العهد ولكن)) للشاعرة رقية ناظر :

علموني كيف أجفو فعلمت .. الجفاء
علموني كيف أنسى كيف اغتال الوفاء
رغم أنني لم أرم بعداً ولا أهوى الرياء
بل لأنني من ذوات الود لم أنس السواء
قد تناسيت التجني ونجرت البقاء(٣)

والشاعرة قد أثبتت حرف الالف لتدل على حركة الفتحة ، فالقافية مطلقة

لا مقيدة .

ومن مجزوء الرمل :

ملكوت بالحسن قلبي ملكوت بالطهر لبي
والهوى لولاك عندي لسودعائي لن ألي
ياملاك صان عهدتي وسماعن كل كسذب
ياملاذي من همومي يساردائي فوق جنبي

(١) سعد البواردي : أغنية العودة ٧٦ .

(٢) عودة الغائب : ٥٦ .

(٣) الريح والرماد ٢٨ .

إلى ماضيك ماضيها (١) .

والشعراء في بلادنا أكثرنا من الرباعيات ، وقد ألح محرروا الصحف على الشعراء كي يصدروا بها مقطوعاتهم ، وغالباً ما تكون في قضايا اجتماعية ، وقد صدرت بمجموعات رباعيات كرباعيات العمودي ، ورباعيات محمد حسن فقي استوعبت مجلداً من مجلدات شعره ، وكذلك المثنيات ، والواقع أن المثنيات عند عبيد مدني هي الرباعية ، لأن مفهوم في القديم : هي المكونة من بيتين كل شطر يعتبرونه بيتاً ، والأوائل لم يلتزموا بالروي في الأربعة الأبيات ، وإنما يخالفون الرباعية في البيت الرابع ؟ ، لكن المعاصرين من شعرائنا جعلوا الرباعيات هي المقطوعة المكونة من أربعة أبيات ، والتزموا بروي موحد ، ومن ذلك رباعية على أبي العلا جعلت عنوانها (رباعيات) وهي :

عاشرت أقواماً سعدت بودهم زمناً .. وفزت بصحبة الأجماد
في مكة) في (الطائف المأنوس) في (عرفات).. أو عند (الغدير) الغادي
تلك مجالس .. أين مني ظلها في فجر أيامي .. وفي أعيادي
اشتاقت أيامي الخوالي بيهم إذ كان في صفوي بها إسماعادي

وكذلك يشاركه في هذا المفهوم محمد عبدالقادر فقيه فهو ذكر (رباعية) وخصها بطفل يقدم إلى المدرسة لأول مرة .

هذه الخطوة ياطفلي بداية تنظي للورى من غير غايبة
خطوة من ألف ميل مقبل بطريق متعب حتى النهاية
أيها الباكي وما شئت الوجسى (٢) لا بكيت عيناك من ألف شكايبة
ياحبيبي ... أجمل الله السرى وتولتك ... من المولى العناية (٣)

وهذا شأنه في جل رباعياته ومنها قوله :

(١) الراعي والمطر ٥ .

(٢) وما شئت الوجسى : وما وصلت إلى الأمور الصعبة للتعبة .

(٣) المجموعة الشعرية الكاملة ٧٤٥ .

مسكينة .. وقعت في حب مسكين
عاشت على الحب أعواماً يطوف بها
واستمتعا بهوى عف فخاص به
ياابنتي .. وعرى العشاق واهية
قد شفاها .. وهواه غير مأمون
فوق السحاب وخضر البساتين
نزع يلم بأزواج الشياطين
فاستمكي بعري الأخلاق والدين (١)

وتعالج سلطانه السديري انتظار الفتاة العانس لمن يطرق الباب طالباً يدها
رباعية ، لكنها فصلت بين كل بيتين ، ولعل في ذلك إشارة .

ماذا أرى ؟ .. وهم السراب
أم أن ذاك النجم لاج ؟
ماذا جرى ؟ الشمع ذاب
طال انتظاري يا صباح
♦♦♦
ماذا بمعني ؟ ... قرع باب ؟
أم يا ترى صوت الرياح ؟
حلمم ... ووهم .. وارتقاب
والنرف نـزفك ... يا جراح

لكن الفصل بين الايات في الرباعية الأولى لم تلتزم به في رباعيتها الثانية ،
والتزمت بحرف الروي :

تميت لو أستطيع الجواب
صعاب الحياة تشد يدي
تميت حلماً فكان سراياً
فأبصرت دربي أسى واغتراباً
ولو اهتدى في غدي للطريق
وتقسو .. ومن لفؤادي صديق؟
وسرت إليه بظل رقيق
وأدركت خدعة ذاك البريق (٢)

وكما أسلفت عن رباعيات الفقي التي خص بها المجلد الثاني مع ضخامته ،
فإن الشاعر التزم بأربعة آيات كاملة ، ولم يجعل الشطر عن بيت ، ثم هو التزم

(١) المجموعة الكاملة ٢١٧ .

(٢) المرجع السابق ٥١ .

بروي موحد لكل رباعية إذن فإن الشعراء في بلادنا لم ينهجوا نهج الأوائل في التزام الرباعية والخماسية .

وابن إدريس يتاجي ذاته في تجربة شعرية من مجزوء الكامل في ثلاثة أبيات تلتزم قافية واحدة بلا وقفة عند العروض ، ثم بيتين من نفس البحر ، لكنهما بقافية جديدة ، هي اللام ، وهو بيت في قافيتها وعددهما ، لكن التغيير في قافية الأبيات الثلاثة الأولى مع نظيرتها :

لعب الخضم بزورقي فطفي على مجرى الشعور
أفما اطلمت فخلتني كالطير في كف الصغير ؟
إن كان ذاك فإني ما زلت أحلم بالعبور
إن العبور إلى الأمان خطوة الشهم النييل
رباه بلغ بالسلامة زورق الحلم الجميل
ورنوت للأفق البعيد إلى الكرامة والسماح
لا ضير إنني أرتني شق المصاعب بالكفاح
وهنا عطفت بزورقي فجرى على كف الرياح
والحرب يمقت عيشة يبقى العزيز بها ذليل
رباه بلغ بالسلامة زورق الحلم الجميل
أنا ما حييت فشيمي تأبى التملق والخذاع
هل مبدئي غير الصراحة والنزاهة في الطباع؟
إن كان زورقي يقتضي مني خنوعاً وانصياع
فعلى الغني من السلام وبؤس للمجد الأثيل
رباه بلغ بالسلامة زورق الحلم الجميل(١)

(١) شعراء نجد المعاصرون ٢٩٠ .

إن التجديد في الأوزان قديم منذ عهد الخليل بن أحمد وما التلوين الموسيقي في الموشحات ، والمربعات والمخمسات من ألوان الخروج عن إيقاع البحور ، وفي العصر الحديث ، ظهرت تيارات الشعر الغربي فاتجه الأدباء إلى الشعر المرسل ، ثم تلون البحور عند أبي شادي ، ثم ظهر شعر التفعيلة واعتمدت على الأسطر ، وتحللت من القافية ، وقد لا يلتزم الشاعر بتفعلة واحدة ، وكذلك لا يلتزم ببحر واحد ، ثم ظهر اتجاه يدعو إلى الموسيقى الداخلية التي تشع من الفكرة ، فيعتمد بناء القصيدة على التوازي والترادف ، وتكرار الأسطر ، وتكرار الكلمات في مجموعات مختلفة ((^(١)).

والذي أدى إلى هذا الخروج الكثيف هو فقدان الحافظة لكثير من الشعر القديم ، واختلال الموسيقى نتيجة ما يرد عليها من أصوات مختلفة كثيرة ، يميل أكثرها إلى الصخب الذي لا يكون موسيقى ، ومن هنا يصعب اتباع الموسيقى إلا بالتعلم ، والتعلم لا يكفي إن لم يصحبه حفظ وممارسة .
وليس معنى ذلك نبذ الوزن القديم ، إنما يسير هذا جنباً إلى جنب معه ، فإن هناك شعراء قادرين على استيعاب الموسيقى القديمة ، وأما الذين يعلنون رفض القديم فلا أتصور أن ذلك مبني على حجج وبراهين ووعي .
ومن هنا فإن توظيف الشعر الحر بألوانه المختلفة قد ورد في الشعر الاجتماعي ، بل إن بعضهم أخذ يسرد فيه قصا مطولاً كقصة ((الزواج من الخارج والعزوف عن فتاة الوطن)) للدكتور منصور الحازمي فقد هنا صديقه بزواجه من الخارج لكن الشاعر حين غرق في مشاركة صديقه بالسرور يتداعى إليه هم من الوطن وهو مصير فتاة الوطن إذا عزف الشباب عنها واتجهوا إلى الخارج .

وحيثما غرقت يا صديق

(١) رجاء عيد : التجديد في الموسيقى في الشعر العربي ٢٢٨ .

في موجة السرور
ومعزفي تهيجة اللحون
إذا بوجه من عرفنا من سنين
يطل بالأحزان
بالدمع السخين
فتاتنا

حبية القلوب .. أقحوانه الديار
رفيقة الصبا وأخت الليل والنهار
رأيتها تفص
تقياً الذهول
تحرك الشفاه

فتجمد الحروف في الشفاه
وتسيل الجفون
كأنها خرساء لاتبين
لكنني قرأت في عينين تدمعان
عتابها المرير
وقصة الجروح
فنحن يا صديق
نحن للغريب (١)

ونحن نرى الشاعر لم يلتزم بتفعيلة مخصوصة في جميع أسطره ، ولم تكن
الأسطر متماثلة ، فبعضها تفعيلة واحدة وبعضها الآخر أكثر من تفعيلة بحرفين،

(١) أشواق وحكايات ٢٩ .

وقليل من الأسطر تجاوز التفعيلتين ، وتكثر تقفيتهما بالراء والنون ، مما يؤدي إلى تنعيم القافية .

وقد ورد كثير من الشعر الاجتماعي على شعر التفعيلة ، كقصيدة ، الدكتور عبدا لله بن عثيمين (الأساطير) ، يقول فيها :

حينما كنت صيياً .

كنت أصغي للأساطير فاطرب .

لم أكن وحدي الذي يصغي فيطرب .

كل طفل في بلادي كان مثلي .

يسمع الجدة تجز أساطير عجيبة .

فيصدق .

كل شيء كانت الجدة تحكيه تحكيه يصدق .

الحفائش التي صارت أسوداً .

والثعابين التي صارت حمام .

لم تكن تستهدف التضليل بالقول المنمق .

لم يكن يصدر ما جاءت به عن سوء نية (١) .

وكذلك سلطانه السديري فإنها اتبعت في بعض شعرها النهج الجديد للقصيدة ، لكننا نلمح عندها القافية المتقاربة ، فالسطر الأول ختمته بالفاء وكذلك السطر الثاني ، وجلعت فاصلة بحرف الراء ، السطر الرابع ثم تلت بثلاثة أسطر جعلت لها روياء حرف النون ، ثم اتبعتها بسطرين على روياء الراء .

وعدت بقلبي تزيف ..

ذهول مخيف

(١) عودة الغائب ٥٦ .

جراحات عمر ...

تمر عليها خطانا

وقد أثقلتها السنون

وأعمارنا .. حصدها أيادي المنون

فيا عمرنا .. يا أسير القدر

تعينا .. تعينا .. فنحن بشر^(١) .

فالشاعرة التزمت بتفعيلة (فعولن) لكنها لم تلتزم بالتناسق بين الأسطر .

وفي مقطوعة أخرى نجدها أيضاً تحرص على نغمة القافية بتكرار حرف الراء

والهمزة في سطور شعرها :

وفي ليلة ساحره

أطل القمر

برش الضياء

وينشر بسمته في السماء

ودنيا مغلفة بالبهاء

♦♦♦

وفي ليلة ساحرة

كهمس خريز الجداول^(٢)

وهي درجت على تفعيلة (فعولن) .

• ومحمد بافقيه حين يشتكي من ظلم الأقارب فإن المد يستجيب له ، فهو

يوظف الدخيل ، وإن نوع بين الواو والياء ، ثم يجعل الروي حرف الدال

المضموم ليشاكل اجترار النفس وامتداده :

(١) على مشارف القلب ٦٦ .

(٢) المرجع السابق ٦٧ .

سير على المدى ذنبي الوحيد	ذنبي لهم .. ذنبي الكـ
ربها وأنكرها السمود	ذنوب النجوم الزهر حـا
أجزع ولو جزع الحديد	قدري نهضت به ولم
ولا منسه محيد	وحملته وحدي فما عنه
نكته يعذبسه الجحود	طفلاً تخبط لي شبا
قلوب يعاطفسه ودود	لا دمعاً تأسرو ولا
همدت مع الليل اللحود	والكون من حولي كما
يسد يلفها صمت مديد	ذنيا من القفر المد
همس ولا رجوع بعيد	لا نامسة فيه ... ولا
ت فليس لي بعث جديد	لتحسبوا أنسي قضـيـ
هونا ويطويها المجدي(١)	تطوي الفواجع من ونـيـ

وحزه شحاته يختار لقصيدته (نهايات) حرف العين رويًا ، ليتمكن من إخراج زفراته في غربته التي استشعر فيها نهايته ، وزاد على قوة مخرج العين أنه جعلها مضمومة ليتوصل المد الذي يوحى بالنفس ضيق المخرج :

وهل لئلي في غسره طمغ	عللت عجزني بأنه الورع
لكنه الفسي ، والهوى تبع	آمنت بالله ما كفرت به
فهل لماضي الأحلام مرتجع؟	مضى شبابي ، وما نعمتُ به
مني عزمًا يوري ويندفع	ليت الليالي أعطت بما أخذت
وكلها نافر ومتمتع	شقيت بالحس في رغائبه
جهدي، وقد عاق خطوي الظلم(٢)(٣)	يروم منها ما لا يحققه

والشاعر النعمي عندما يحدث زوجه فإنه يختار لها القافية التي تستشعر الأنوثة

(١) أطراف من الماضي ٧٩ .

(٢) الضلع : المرج .

(٣) اللديوان ١٨٠ .

فالألف والياء والهاء الساكنة :

يازوجتي حسبك مني الوفا
يعمرها الصفو ويسمو بها
قالت : فما الأمر ؟ فقلت : احذري
إن اعوجاج الطبع حال النساء
وهضم حق الزوج لا عن قلى
والقذف والشم بلا موجب
والدس والنم وبث الأذى
وتلك لو فكرت في أمرها
تفعل فعل السوس ، تنسل في
لكفي الداري بها ، والذي
من عاش في أحوالها أجهزت

في عشرة ممتدة باقية
عن التدني في شفا الهاوية
من كل حالات الأسى الخافية
والغيرة العمياء هي الشاوية
والدمعة الكاذبة الطافية
للضرة الغافلة النائية
كالذائبة المسعورة الضارية
أقسى طباع في النساء فاشية
أجسامنا كالصعقة القاضية
يعلم بعد القدم الماشية
عليه في نيرانها الحامية (١)

فالموسيقى في الشعر الاجتماعي متماثلة مع الأغراض الأخرى ، ولم يفرض
الحناناً وجرساً جديداً ، إنما التقى مع غيره ، فهو جاء على الموزون المقفى ، وجاء
المرسل ، وجاء على الموشحات والشعر الحر ، وعلى قصيدة النثر ، مع اختلاف
في تكوين الصوت الداخلي ، أو مقاطع الأبيات .

وهم قد نوعوا في القوافي بشكل كثيف لاسيما في القصائد الطويلة ، التي
تقوم على مقاطع مضمونية ، فكل مقطوعة تمثل مضموناً يتأزر مع المضامين
الأخرى ، وكذلك فيه ملائمة بين الحالة الشعورية وحروف الروي ، وتشكيلها ،
وتجاوز ذلك إلى أتيان حروف الروي بما يناسب المضمون ، النسائي كقصيدة ،
النعمي وبا عطب .

(١) عن الحب ومنى الحلم ٨٥

مسرد المصادر والمراجع

- ١- آمنة عبدالرحمن عقاد ، محمد حسن عواد ، شاعراً ، الطبعة الأولى ، دار المدني ١٤٠٥هـ.
- ٢- إبراهيم أنيس ، موسيقى الشعر ، الطبعة الرابعة ، دار القلم ، بيروت .
- ٣- إبراهيم خليل علاف ، ديوان (المجموعة الكاملة) ، الطبعة الأولى مطابع الصفا ، مكلة المكرمة عام ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
- ٤- إبراهيم بن فوزان الفوزان ، الأدب الحجازي الحديث بين التقليد والتجديد ، الطبعة الأولى مطبعة المدني ، ١٤٠١هـ - ١٩٨٩م .
- ٥- إبراهيم عمر صعابي :
- حبيبي والبحر ، الطبعة الثانية ، الدار السعودية ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م
- زورق في القلب ، الطبعة الأولى ، الدار السعودية ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
- ٦- إبراهيم عبدالله مفتاح ، احمرار الصمت ، الطبعة الأولى ، دار الصافي ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م .
- ٧- إبراهيم محمد الدامغ :
- شرارة الثأر ، الطبعة الأولى ، دار العلوم ، ١٣٩٥هـ .
- ظلال البيادر ، الطبعة الأولى ، المطابع الوطنية للأوفيسست ، عنيزة .
- ٨- إبراهيم محمد السبيل : نقوش على صفحة المجتمع ، الطبعة الأولى ، مكتبة العبيكان الرياض ١٤١٧هـ .
- ٩- إبراهيم بن محمد العواجي :
- المداد : الطبعة الأولى تهامة ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
- قصائد راعفة ، الطبعة الأولى ، المطابع الأهلية ١٤١١هـ - ١٩٩١م .

- نقطة في تضاريس الوطن ، الطبعة الأولى ، دار الاصفهاني .
- ١٠- أحمد سالم باعطب :
- الروض المنتهب ، الطبعة الاولى ، مطابع الفرزدق-الرياض ، ١٩٨٠م .
- عيون تعشق السهر ، الطبعة الأولى ، دار الاصفهاني .
- ١١- أحمد قنديل :
- الراعي والمطر ، الطبعة الأولى ، مؤسسة قنديل التجارية .
- قاطع الطريق ، الطبعة الأولى ، المكتبة الصغيرة .
- قريتي الخضراء ، الطبعة الثالثة ، المكتبة الصغيرة .
- ١٢- أحمد عودة الله الشقيران ، الاغتراب في شعر بدر شاكر السياب ، الطبعة الأولى ، دار عمار .
- ١٣- إيليا الخاوي ، الشعر العربي المعاصر ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب اللبناني .
- ١٤- الدكتور أحمد هيكل ، تطور الأدب الحديث في مصر ، الطبعة الخامسة ، دار المعارف بمصر ١٩٨٧م .
- ١٥- د . أسامة عبدالرحمن :
- واستوت على الجودي ، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م ، المطابع الأهلية للأوفست .
- شمعت ظمأ ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م ، تهامة ، جدة .
- ١٦- د . بكري شيخ أمين ، الحركة الادبية في المملكة العربية السعودية ، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م .
- ١٧- ثروت شلبي عائد ، البترول والتغيرات المصاحبة له في المجتمع السعودي، الطبعة الأولى دار المجمع العلمي ، جدة ، ١٤٠٨هـ .
- ١٨- جبور عبدالنور ، المعجم الأدبي ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين ،

بيروت ١٩٨٤ م .

١٩- جاكوب بروند فسكي ، التطور الحضاري للإنسان ، ترجمة أحمد مستجير ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧ م .

٢٠- حسن عبدا لله القرشي :

- الديوان ، المجموعة الأولى والثانية ، الطبعة الثانية ، دار العودة ،

بيروت ١٩٧٩ م .

- أطياف من رماد الغربية ، الطبعة الأولى دار الشروق ، بيروت ١٩٩٠ م

٢١- حسن الهويمل ، اتجاهات الشعر المعاصر في نجد ، الطبعة الأولى، نادي القصيم الأدبي بريدة ١٤٠٤ هـ .

٢٢- حسني يوسف ، موسيقى الشعر العربي ، الطبعة الأولى ، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٩ م .

٢٣- حسين سرحان ، أجنحة بلا ريش ، الطبعة الثانية ، مطابع الزايدية ، نشر النادي الأدبي بالطائف عام ١٣٧٩ هـ .

- الصوت والصدى ، الطبعة الأولى ، مطبوعات الطائف عام ١٤٠٩ هـ

٢٤- حسين عرب المجموعة الكاملة ، الجزء الأول والثاني ، الطبعة الأولى، شركة مكة للطباعة والنشر ، مكة المكرمة ١٤٠٣ هـ .

٢٥- حمد الحجري ، عذاب السنين ، الطبعة الأولى ، دار الوطن للنشر والإعلام ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .

٢٦- حمد العسعوس ، دوائر للحزن والفرح ، الطبعة الأولى ، النادي الأدبي بالرياض ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م .

٢٧- حمزة إبراهيم فوده :

- شوق وحنين ، الطبعة الأولى ، دار الأندلس ١٤٠١ هـ - ١٩٨٩ م .

- لحن القلب ، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

- ٢٨- حمزه شحاته ، الديوان ، الطبعة الأولى ، دار الاصفهاني للطباعة والنشر ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م .
- ٢٩- خالد أحمد اليوسف ، دليل الكتاب والكاتب ، الطبعة الثالثة ، نشر الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ١٤١٥هـ .
- ٣٠- ابن خلدون ، المقدمة ، الطبعة السابعة ، دار القلم ، بيروت ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م .
- ٣١- خير الدين الزركلي ، الأعلام ، الطبعة الثالثة .
- ٣٢- داود الشريان وآخرون ، معجم الأدباء والكتاب ، الطبعة الأولى عام ١٤١٠هـ-١٩٩٠م .
- ٣٣- دائرة الأعلام المحدودة ، معجم الأدباء والكتاب ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .
- ٣٤- د. رجاء عيد ، التجديد في الموسيقى في الشعر العربي ، الطبعة الأولى، الناشر منشأة المعارف ، بالاسكندرية .
- ٣٥- د . رشدي فكار ، نظرات إسلامية للإنسان والمجتمع ، الطبعة الأولى، دار غريب للطباعة ، مكتبة وهبه .
- ٣٦- د . زيدان عبدالباقى ، علم الاجتماع الإسلامي ، الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة ١٩٨٤م .
- ٣٧- رقيه ناظر ، الريح والرماد ، الطبعة الأولى ، دار العلم للطباعة ١٤١٠هـ-١٩٨٩م .
- ٣٨- روبر اسكاربيت ، سوسيولوجيا الأدب ، ترجمة آمال أنظوان عرموني، الطبعة الثانية ، دار منشورات عويدات ، بيروت ١٩٨٣م .
- ٣٩- زاهر عواض الألمعي ، الألمعيات ، الطبعة الأولى ١٣٩١هـ .
- ٤٠- د . سعدي صناوي ، مدخل إلى علم اجتماع الأدب ، الطبعة الأولى،

- دار الفكر العربي عام ١٩٩٤ م .
- ٤١- د . السيد علي شتا ، المجتمع البشري ، الطبعة الأولى ١٩٩٥ م ،
مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية .
- ٤٢- دراسات في المجتمع السعودي ، الطبعة الأولى ، مطبعة الانتصار ، نشر
مؤسسة شباب الجامعة بالاسكندرية .
- ٤٣- السيد يس :
- التحليل الاجتماعي للأدب ، الطبعة الأولى ، مكتبة الأملوا المصرية .
- ٤٤- سعيد القامدي ، البناء القبلي والتحضري في المملكة العربية السعودية ،
الطبعة الخامسة ، مطبعة الانتصار ، المكتب الجامعي بالاسكندرية ،
١٤١٠ هـ .
- ٤٥- سلطانه السديري ، على مشارف القلب ، الطبعة الأولى ، الفرزدق
عام ١٤١٥ هـ .
- ٤٦- د . ضيف الله هلال العتيبي ، ديوان شباب الذكريات ، الطبعة
الأولى ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ١٤٠٤ هـ .
- ٤٧- طاهر زمخشري :
- مجموعة الخضراء ، الطبعة الأولى ، تهامة ١٤٠٤ هـ .
- مجموعة النيل ، الطبعة الأولى ، تهامة ١٤٠٤ هـ .
- ٤٨- عبدالرحمن بن زيد السويداء ، لواعج ، الطبعة الأولى ، مطابع
الفرزدق ، الرياض ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .
- ٤٩- عبدالرحمن سليمان رفة ، جداول وينايع ، الطبعة الأولى ، النادي
الأدبي بالمدينة المنورة ١٤١٠ هـ - ١٩٨٠ م .
- ٥٠- د . عبدالرحمن العثماوي :
- إلى أمي ، الطبعة الثالثة ، العيكان ، الرياض ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

- إلى حواء ، الطبعة الأولى ، مكتبة الأديب ، الرياض ١٤٠٦هـ .
- صراع مع النفس ، الطبعة الأولى ، العبيكان ١٤١٢هـ-، ١٩٩١م .
- نقوش على واجهة القرن الخامس عشر ، الطبعة الثانية ، العبيكان ١٤١٣هـ-١٩٩٣م .
- شموخ في زمن الانكسار ، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ-١٩٩١م ، العبيكان
- عندما يعزف الرصاص ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ، مكتبة الأديب ، الرياض .
- ٥١- عبدالرحمن آل عبدالكريم ، عبر السنين ، الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ
- ٥٢- عبدالسلام طاهر الساسي ، شعراء الحجاز في العصر الحديث ، الطبعة الثانية ، نادي الطائف الأدبي ١٤٠٢هـ .
- ٥٣- عبدالسلام هاشم حافظ :
- وحي قلب وألحان ، الطبعة الأولى ، نادي أبها الأدبي ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .
- أنوار ذهبية ، مطبوعات نادي القصيم الأدبي .
- ٥٤- عبدالعزيز محمد النقيدان ، ترانيم الرمال ، مطبوعات نادي القصيم الأدبي
- ٥٥- عبدالله إدريس :
- شعراء نجد المعاصرون ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب العربي بمصر ١٣٨٠هـ-١٩٩٠م .
- في زورقي ، الطبعة الأولى ، العبيكان ، الرياض ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .
- ٥٦- د . عبدالله حامد :
- في الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ
- اتجاهات الشعر المعاصر في المملكة العربية السعودية ، الطبعة لأولى

١٤٠٥هـ .

٥٧- عبدالله الصالح العثيمين ، عودة الغائب ، الطبعة الأولى ، ١٤٠١هـ -
١٩٨١م ، دار العلوم ، الرياض .

٥٨- عبدالله الفيصل ، وحي الحرمين ، الطبعة الأولى ، مكتبة الإرشاد جده

٥٩- د . عبدالقادر القط ، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ،
الطبعة الثانية ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

٦٠- عبدالله بن محمد بن حميس :

- على ربي اليمامة ، الطبعة الأولى ، مطابع الفرزدق ١٣٩٧ ، والطبعة
الثانية ١٤٠٣هـ ، .

- الديوان الثاني ، الطبعة الأولى مطابع الفرزدق ، الرياض ١٤١٣هـ -
١٩٩٣م .

٦١- عبدالله محمد باشراحيل ، الخوف ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

٦٢- عبدالله محمد جبر ، الثرى والثريا ، الطبعة الأولى ، دار الحارثي ،
نادي الطائف الأدبي ١٤١٠هـ .

٦٣- عبداللطيف حمزه ، الحركة الفكرية في مصر ، الطبعة الثامنة ، دار
الفكر العربي .

٦٤- عبدالمحسن حليت مسلم ، إليه ، الطبعة الأولى ، راسم للدعاية
والإعلان ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

٦٥- عبيد مدني ، المدنيات ، المثنيات ، الطبعة الأولى ، دار العلم للطباعة
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٦٦- عثمان بن سيار:

- ترانيم والهة ، الطبعة الأولى ، دار العلوم ، الرياض .

- إنه الحب .

- بين فجر وغسق ، الطبعة الأولى ، دار العلوم ، الرياض ١٤١٠هـ -
١٩٨٩م .
- ٦٧- د . عثمان الصالح الصوينع ، حركات التجديد في الشعر السعودي
المعاصر ، الطبعة الأولى ، مطابع الفرزدق ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .
- ٦٨- عزه فواد شاكر ، ديوان أشرعة الليل ، الطبعة الأولى ، دار العلوم
للطباعة والنشر ١٣٩٦هـ .
- ٦٩- علي أبو العلا ، سطور فوق السحاب ، الطبعة الأولى ، دار الفنون
جدة ١٤١٤هـ .
- ٧٠- علي أحمد النعمي :
- الأرض ، والعشق ، الطبعة الأولى ، دار الفيصل الثقافية ١٤٠٦هـ -
١٩٨٦م .
- الرحيل إلى الأعماق ، الطبعة الأولى ، دار العلم للطباعة ، منشورات
نادي جازان الأدبي ١٤٠٥هـ .
- جراح قلب ، الطبعة الأولى ، دار العلم للطباعة والنشر ١٤٠٩هـ -
١٩٨٩م .
- ٧١- علي حسين الفيضي ، رحلة العمر ، الطبعة الأولى ، نادي الطائف
الأدبي ١٣٩٧هـ .
- ٧٢- علي خضران القرني ، من أدباء الطائف المعاصرين ، الطبعة الأولى ،
النادي الأدبي بالطائف ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .
- ٧٣- علي زين العابدين :
- تغريد ، الطبعة الأولى ، دار العلم للطباعة والنشر ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- ٧٤- علي صالح الغامدي :
- زورق الآمال والدوامات ، الطبعة الأولى ، الدر السعودية ، جدة

١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

- عواطف هائمة ، الطبعة الأولى ، الدار السعودية ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .
- ٧٥- علي القرشي ، التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي ، الطبعة الأولى ،
الزهري للإعلام العربي ، القاهرة ١٤٠٩هـ .
- ٧٦- علي محمد صيقل ، ترانيم على الشاطئ ، الطبعة الأولى ، من
منشورات نادي جازان الأدبي .
- ٧٧- عمران محمد العمران ، الأمل الظامئ ، الطبعة الأولى ، الجمعية العربية
السعودية للثقافة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م .
- ٧٨- د . عمر الطيب الساسي ، الموجز في تاريخ الأدب العربي ، السعودي
الطبعة الأولى ، تهامة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .
- ٧٩- عمر محمد كردي ، لمن يكون هواها ، الطبعة الأولى ، دار الفيصل .
- ٨٠- د . غازي القصيبي :
- المجموعة الشعرية الكاملة ، الطبعة الثانية ، تهامة ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م .
- مرثية فارس سبق ، الطبعة الثانية ، تهامة ١٤١٢هـ-١٩٩٢م .
- ٨١- لجنة الشعر بنادي الطوائف الأدبي ، الشعر ، الطبعة الأولى عام
١٣٩٩م .
- ٨٢- لطيفه المخضوب ، القص الشعري في الإبداع السعودي المعاصر ،
الطبعة الأولى ، دار الشبل الرياض ١٤١٦هـ .
- ٨٣- مجاهد عبدالمنعم مجاهد ، الاغتراب في الفلسفة المعاصرة ، الطبعة
الأولى ، سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٥هـ .
- ٨٤- مجدي وهبة ، ومعجم مصطلحات الأدب ، الطبعة الأولى .
- ٨٥- محمد إبراهيم جدع ، المجموعة الشعرية الكاملة ، الطبعة الأولى
١٤٠٤هـ ، نادي جدة الأدبي .

- ٨٦- محمد أحمد العقيلي ، أفويق الغمام ، الطبعة الأولى ، دار البلاد للطباعة والنشر ، جدة .
- ٨٧- محمد إسماعيل جوهرجي :
- عطر وموسقى ، الطبعة الأولى ، النظر للطباعة ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .
- اليقين ، الطبعة الأولى ، دار البلاد ، جدة ١٤١٣هـ-١٩٩٣م .
- ٨٨- محمد حسن العمري :
- شروق الشوق ، شركة مطابع نجد التجارية ، الرياض .
- ينابيع الربيع ، الطبعة الأولى ، مطابع نجد التجارية ، الدار الوطنية السعودية عام ١٤١٥هـ .
- ٨٩- محمد حسن عواد ، أعمال العواد الكاملة ، الطبعة الأولى ، دار الجليل ، جدة ١٤٠١هـ-١٩٨١م .
- ٩٠- محمد حسن فقي ، قدر ورجل ، الطبعة الأولى ، الدار السعودية للنشر ١٣٨٦هـ-١٩٦٧م .
- ٩١- محمد الدبيل :
- خواطر شاعر ، الطبعة الأولى ، نادي أبها الأدبي ١٤١١هـ .
- هاتف الصحراء ، الطبعة الأولى ، مكتبة العبيكان الرياض عام ١٤١٦هـ
- ٩٢- محمد زكي العشماوي ، الأدب وقيم الحياة المعاصرة ، الطبعة الأولى دار النهضة العربية للطباعة والنشر ١٩٨٠هـ .
- ٩٣- محمد سراج خراز ، غناء وشجن ، الطبعة الأولى ، المكتبة الصغيرة ١٣٩٧هـ .
- ٩٤- محمد بن سعد بن حسين ، الأدب الحديث ، الطبعة الأولى ، مطابع الفرزدق بالرياض ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م .
- ٩٥- محمد سعيد عبدالمقصود ، وعبدالله بلخير ، وحي الصحراء ، الطبعة

- الثانية ، تهامه جدة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- ٩٦- محمد سلطان العتيبي ، وطن وقافية ، الطبعة الأولى ، مطابع نجد بالرياض ١٤١١هـ .
- ٩٧- محمد شاكر الكتيبي ، فوات الوفيات والذيل عليها ، المجلد الأول ، دار صادر ، بيروت .
- ٩٨- محمد عبدالعزيز الهليل :
- ديوان زاهي الأزهار في مליح الأشعار ، الطبعة الأولى، المهرجان الوطني للتراث والثقافة ١٤١٢هـ.
- نفع الأزهار في سجع الأشعار ، الطبعة الأولى .
- ٩٩- محمد بن عثيمين ، العقد الثمين ، تحقيق سعد بن عبدالعزيز رويشد ، الطبعة الثالث ، مطابع دار الهلال ، الرياض ١٤٠٠هـ.
- ١٠٠- محمد علوان ، مفهوم إسلامي جديد لعلم الاجتماع ، الطبعة الأولى، دار الشروق ، جدة عام ١٤٠٤هـ .
- ١٠١- محمد العيد الخطراوي :
- غناء الجرح ، الطبعة الأولى ، دار الاصفهاني ١٣٩٧هـ .
- همسات في أذن الليل ، الطبعة الأولى ، دار الأصفهاني ١٣٩٧هـ.
- ١٠٢- محمد المشعان ، ومضات ، الطبعة الأولى ، مطابع الشرق الأوسط ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ١٠٣- محمد السنوسي :
- الأعمال الكاملة ، الطبعة الأولى ، مطابع الروضة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- نفعات الجنوب ، الطبعة الأولى ، مطابع الروضة ١٤٠٠هـ.
- ١٠٤- محمد علي محمد ، الشباب العربي والتغير الاجتماعي ، دار النهضة العربية ، بيروت عام ١٤٠٥هـ .

- ١٠٥ - محمد العيسى ، دروب الضياع ، الطبعة الأولى ، تهامة ١٤٠٥هـ -
١٩٨٤هـ .
- ١٠٦ - محمد هاشم رشيد :
- على أطلال إرم ، الطبعة الأولى ، منشورات نادي المدينة الأدبي
١٤٠٠-١٤٠١هـ .
- بقايا عبير رمادي ، الطبعة الأولى ، دار البلاد ، جدة ١٤٠٤هـ -
١٩٨٤م .
- ١٠٧ - محمود سفر ، إنتاجية مجتمع ، الطبعة الأولى ، تهامة ، جدة .
- ١٠٨ - محمود عارف :
- الفردوس الحالم ، الطبعة الأولى ، دار العلم للطباعة .
- في عيون الليل ، الطبعة الأولى ، مطابع الروضة ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م .
- ١٠٩ - محمود كسير ، السعيد الورقي ، في علم اجتماع الأدب ، الطبعة
الأولى ، دار المعرفة الجامعية عام ١٩٩٥م .
- ١١٠ - مريم البغدادي : عواطف إنسانية ، الطبعة الأولى ، تهامة جدة .
- ١١١ - د . مسعد عيد العطوي :
- أحمد الغزالي وآثاره الأدبية ، الطبعة الأولى ، الحرمين ١٤١٣هـ .
- تبوك قديماً وحديثاً ، الطبعة الأولى ، مكتبة التوبة ١٤١٣هـ .
- العاشق العفيف ، الطبعة الأولى ، مكتبة التوبة ١٤١٣هـ .
- ١١٢ - معتر سيد ، الاتجاهات التعصبية الطبعة الأولى عالم المعرفة ،
الكويت رمضان ١٤٠٩هـ .
- ١١٣ - معيض البخيتان :
- المهجر ، الطبعة الأولى ، مطابع حنيفة ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م .
- شموخ القرية ، الطبعة الأولى ، مطابع الشريف ، الرياض ١٣٩٩هـ -

. ١٤٠٠هـ .

- ثرى الشوق ، الطبعة الأولى ، مطابع الشرق الأوسط ، ١٤١٣هـ -

. ١٩٩٣ م .

- ١١٤ - مقبل عبدالعزيز العيسى الهروب ، ... من حاضر ، الطبعة الأولى

. ١٤١٢هـ .

- ١١٥ - ابن منظور ، لسان العرب ، الطبعة الأولى ، دار المعارف بمصر .

- ١١٦ - نوري حمودي القيسي ، محولات في دراسة اجتماع الأدب ، الطبعة

الأولى ، دار الشروق ١٩٨٧ م .

- ١١٧ - يحيى توفيق :

- سمراء ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م .

- أودية الضياع ، الطبعة الأولى ، دار العلم للطباعة .

- ١١٨ - يوسف عبداللطيف أبو سعد :

- أغاريد من واحة النخيل ، الطبعة الأولى ، مطابع الجواد ، المحفوف

. ١٤٠٦هـ .

- تقاسيم على أوراق الأيام ، نشر نادي الشرقية الأدبي .

- ١١٩ - يوسف ميخائيل أسعد ، سيكولوجية الإبداع في الفن والأدب ،

الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ م .

- ١٢٠ - يوسف نور ، الرؤية الحضارية والنقدية في أدب حسين ، دار القلم ،

بيروت .

المحتويات

الصفحة	الموضوع
١	مقدمة الطبعة الثانية
٣	مقدمة الطبعة الأولى
٧	تمهيد
١٤	المجتمع قبل توحيد البلاد
٢١	المبحث الأول تشكيل المجتمع
٢٢	تشكيل المجتمع الجديد
٢٥	البناء الاجتماعي
٣٢	الضمير الجمعي
٤٨	العلاقات الاجتماعية
٦٠	الطبقة
٧٤	الإقليمية
٧٨	المظاهر الاجتماعية
٨٨	الرياضة
٩٣	المحدرات
٩٧	المبحث الثاني الدولة والمجتمع
٩٨	الأمن الاجتماعي
١٠٧	الاتجاه الإسلامي لبناء المجتمع
١١٨	معالم النهضة والدعوة إليها -
١٢٤	غايات المجتمع ووظيفة الدولة
١٣٥	المبحث الثالث دور العمل في الحياة

- العمل والعمالة ١٣٦
- البطالة ١٥٥
- استقبال العمالة والحب لله ١٥٩
- العمل والرواتب ١٧١
- غرور الموظفين ١٧٣
- الكلية الحربية ١٧٤
- الأسواق ١٧٦
- المحفوات الإدارية ١٧٦
- التملق الاجتماعي ١٧٧
- الشيخوخة ١٧٩
- ظاهرة التقاعد ١٨١
- المبحث الرابع ثقافة المجتمع ١٨٦**
- مدخل ١٨٧
- الواجب فوق الحقوق ١٩٥
- المنهج العقلي والزمني ١٩٧
- التعليم ١٩٩
- الامتحان ٢١٢
- المعلم ٢١٣
- العام المدرسي ٢٢٣
- التعليم الجامعي ٢٢٤
- محور الأمية ٢٢٧
- المبحث الخامس قضايا المرأة ٢٣١**
- تعليم الفتاة ٢٣٢

٢٤٠	الأمومة
٢٤٥	البنات
٢٤٩	التقليد
٢٥١	الزوجة الصالحة
٢٥٤	الزوجتان
٢٦٤	مشكلات الزواج
٢٧١	الناشز
٢٧٢	الطلاق
٢٧٤	قصور الأفراح
٢٧٦	غلاء المهور ومشاكل أخرى في الزواج
٢٨٢	العنوسة
٢٨٧	المبحث السادس
٢٨٧	الفقر
٣٠١	المبحث السابع
٣٠١	الجمعيات والشركات
٣١٨	المبحث الثامن الريف والبادية
٣٢٩	الرحلات البرية
٣٣٢	المبحث التاسع قضايا متعددة
٣٣٣	الحرمات الشريفان
٣٣٨	الرحلة الفضائية
٣٤١	الممرور
٣٤٣	زراعة الأشجار
٣٤٨	الأحياء السكنية ومتطلباتها

- ٣٥٤..... إزالة النخيل والأشجار للعرمان
- ٣٥٧..... الكهرباء
- ٣٥٨..... أبراج المياه
- ٣٥٩..... متزه جبل أبو مخروق
- ٣٦٠..... قضايا الإسكان
- ٣٦٥..... العبادة والعقال
- ٣٦٦..... أمراض العصر
- ٣٧٢..... الدخينة
- ٣٧٢..... السيارات
- ٣٧٤..... الكوارث الاجتماعية
- ٣٨١..... العرضة النجدية
- ٣٨٢..... ليلة العيد
- ٣٨٤..... المبحث العاشر الدراسة الفنية
- ٣٨٥..... الأدب والمجتمع
- ٣٨٥..... تصوير الشعر للجميع
- ٣٩٨..... الوقائع الفنية والظواهر الأدبية
- ٤٠٥..... الأحزاب الأدبية
- ٤٠٨..... شيوع الشعر وكثرة القراء
- ٤٠٩..... علاقة الأديب وعمله بالمجتمع
- ٤١٣..... الواقعية في الشعر الاجتماعي
- ٤٢٤..... الوضوح وقرب المآخذ
- ٤٢٩..... العمق
- ٤٣٤..... الرمز

٤٤٥	اللغة
٤٥١	بناء القصيدة
٤٥٢	المطولات
٤٥٤	القصائد الطويلة
٤٥٧	المتوسطة الطول
٤٥٩	القصائد القصيرة
٤٦٠	المقطعات
٤٦١	الصورة الشعرية
٤٧٠	الظرف والسخرية
٤٧٣	الأسلوب القصصي
٤٨٨	الأوزان والقوافي
٥٠٦	مصادر المصادر والمراجع
٥١٩	المحتويات



الإسم : مسعد بن عيد العطوي
المؤهلات :

- ١- البكالوريوس : كلية اللغة العربية عام ١٣٩٣ هـ .
- ٢- دبلوم : إدارة مدرسية عام ١٤٠٢ هـ .
- ٣- الماجستير : عام ١٣٩٩ هـ .
- ٤- الدكتوراه : ممتاز بدرجة الشرف الأولى عام ١٤٠٥ هـ .

الاعمال :

- عمل مدرساً عام ١٣٩٣/١٣٩٤ هـ .
- مديراً للمعهد العلمي بتبوك من عام ١٣٩٤ هـ حتى ١٤٠٦ هـ .
- استاذاً مساعداً في كلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم من عام ١٤٠٧ هـ حتى ١٤٠٩ هـ .
- استاذاً مشاركاً من عام ١٤١٢ هـ .
- استاذاً في عام ١٤١٨ هـ .

الجمعيات والندوات :

- ١- أمين جماعة تحفيظ القرآن الكريم وعضو مؤسس في عام ١٤٠٣ هـ .
- ٢- عضو جمعية التربية وعلم النفس بجامعة الملك سعود .
- ٣- عضو النادي الأدبي بالقصيم .
- مؤتمرات مدراء المعاهد العلمية من عام ١٣٩٥ حتى ١٤٠٥ هـ .
- ندوة التنمية التي أعتها معهد الإدارة في تبوك .
- ندوة تنمية الطفل التي أعتها وزارة للتخطيط عام ١٤٠٨ هـ .
- ندوة التفوق الأدبي في الجامعة عام ١٤١٠ هـ .
- ندوة القصة في النادي الأدبي بالمدينة المنورة ١٤١٥ هـ .
- ندوة عن القصة بالجمعية العربية السعودية للفنون والثقافة عام ١٤١٦ هـ .
- محاضرة عن الغموض في مراكز ابن صالح بعنيزة عام ١٤٠٩ هـ .
- محاضرة عن الأدب الإسلامي في المركز الصيفي بتبوك عام ١٤١١ هـ .

نال جائزة المنتدى الثقافي بأبها لعام ١٤١٥ هـ .

الكتب المطبوعة :

- ١- احمد الغزوي واثاره الادبية - ثلاثة مجلدات
- ٢- العاشق العفيف " عروة بن حزام "
- ٣- تبوك قديماً وحديثاً
- ٤- المقطعات الشعرية في الجاهلية وصدر الإسلام
- ٥- الرمز في الشعر السعودي
- ٦- الإتجاهات الفنية في الشعر ابن الحروب الصليبية
- ٧- الإتجاهات الفنية للقصة القصيرة في المملكة العربية السعودية .
- ٨- المجتمع في الشعر السعودي .
- ٩- الغموض في الشعر العربي
- ١٠- الوجدان في الشعر السعودي

المخطوطة :

- ١- نثر الغزوي ٢/١ مجلد ،
- ٢- العتابي حياته وأدبه ،
- ٣- الفكر والشكل في الشعر السعودي .

ردمك ٩٩٦٠-٣١-٩٤٧-٤